



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عشر
عليه
ص

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir



الكامل في
البيانات
البيانات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكامل فى التاريخ

كاتب:

ابن اثير جزرى

نشرت فى الطباعة:

دارصادر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|----|---|
| ٥ | الفهرس |
| ١٥ | الكامل فى التاريخ المجلد ٢ |
| ١٥ | اشارة |
| ١٥ | نسب رسول الله، صلى الله عليه و سلم و ذكر بعض أخبار آبائه و أجداده |
| ١٥ | اشارة |
| ١٨ | ابن عبد المطلب |
| ١٨ | اشارة |
| ١٩ | [سبب حفر بئر زمزم] |
| ٢١ | [عبد المطلب و جاره اليهودى] |
| ٢١ | ابن هاشم |
| ٢٢ | ابن عبد مناف |
| ٢٣ | ابن قصي |
| ٢٥ | ابن كلاب |
| ٢٦ | ابن مرّة |
| ٢٦ | ابن كعب |
| ٢٦ | ابن لؤي |
| ٢٧ | ابن غالب |
| ٢٧ | ابن فهر |
| ٢٧ | ابن مالك |
| ٢٨ | ابن التضر |
| ٢٨ | ابن كنانة |
| ٢٨ | ابن خزيمه |
| ٢٨ | ابن مدركة |

- ٢٩ ابن إلباس
- ٢٩ ابن مضر
- ٣٠ ابن نزار
- ٣١ ابن معد
- ٣١ ابن عدنان
- ٣١ ذكر الفواطم و العواتك
- ٣٣ عدنا إلى ذكر النبي
- ٣٣ اشارة
- ٣٤ ذكر نكاح النبي، صلى الله عليه و سلم، خديجة
- ٣٥ ذكر حلف الفضول
- ٣٥ ذكر هدم قريش الكعبة و بنائها
- ٣٧ ذكر الوقت الذي أرسل فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ٣٧ اشارة
- ٣٨ ذكر ابتداء الوحي إلى النبي صلى الله عليه و سلم
- ٤٠ ذكر المعراج برسول الله، صلى الله عليه و سلم
- ٤٤ ذكر الاختلاف في أول من أسلم
- ٤٥ ذكر أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم، بإظهار دعوته
- ٤٨ ذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين
- ٥١ ذكر المستهزئين و من كان أشد الأذى للنبي، صلى الله عليه و سلم
- ٥٤ ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة
- ٥٦ ذكر إرسال قريش إلى النجاشتي في طلب «١» المهاجرين
- ٥٨ ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب
- ٥٩ ذكر إسلام عمر بن الخطاب
- ٦٠ ذكر أمر الصحيفة

- ٦٢ ذكر وفاة أبى طالب و خديجة و عرض رسول الله، صلى الله عليه و سلم، نفسه على العرب
- ٦٤ ذكر أول عرض رسول الله، صلى الله عليه و سلم نفسه على الأنصار و إسلامهم
- ٦٥ ذكر بيعة العقبة الأولى و إسلام سعد بن معاذ
- ٦٦ ذكر بيعة العقبة الثانية
- ٦٨ ذكر هجرة النبى، صلى الله عليه و سلم
- ٧٢ ١ ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة
- ٧٤ ٢ ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة
- ٧٤ اشارة
- ٧٤ ذكر سرية عبد الله بن جحش
- ٧٦ ذكر غزوة بدر الكبرى
- ٨٨ ذكر غزوة بنى القينقاع
- ٨٨ ذكر غزوة الكدر
- ٨٩ ذكر غزوة التسويق
- ٩٠ ٣ و دخلت السنة الثالثة من الهجرة
- ٩٠ اشارة
- ٩١ ذكر قتل كعب بن الأشرف اليهودى
- ٩٢ ذكر قتل أبى رافع
- ٩٤ ذكر غزوة أحد
- ١٠٣ ذكر غزوة حمراء الأسد
- ١٠٤ ٤ و دخلت السنة الرابعة من الهجرة ذكر غزوة الرّجيع
- ١٠٤ اشارة
- ١٠٥ ذكر إرسال عمرو بن أمية لقتل أبى سفيان
- ١٠٦ ذكر بئر معونة
- ١٠٧ ذكر إجلاء بنى التّضير

- ١٠٨ غزوة ذات الرقاع
- ١٠٨ ذكر غزوة بدر الثانية
- ١٠٩ ٥ الأحداث فى السنة الخامسة من الهجرة
- ١٠٩ اشارة
- ١٠٩ ذكر غزوة الخندق و هى غزوة الأحزاب
- ١١٣ ذكر غزوة بنى قريظة
- ١١٥ ٦ و دخلت سنة ست من الهجرة
- ١١٥ ذكر غزوة بنى لحيان
- ١١٥ ذكر غزاة ذى قرد
- ١١٧ ذكر غزوة بنى المصطلق من خزاعة
- ١١٩ حديث الإفك «١»
- ١٢١ ذكر عمرة الحديبية
- ١٢٥ و فيها كانت عدة من سرايا و غزوات:
- ١٢٧ ذكر مكاتبة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، الملوك
- ١٣٠ ٧ و دخلت سنة سبع
- ١٣٠ ذكر غزوة خيبر
- ١٣٣ [ذكر غزوة وادى القرى]
- ١٣٤ [قصة الحجاج بن علاط السلمى]
- ١٣٤ [ذكر مقاسم خيبر]
- ١٣٥ ذكر فدك
- ١٣٦ ذكر عمرة القضاء
- ١٣٧ ٨ و دخلت سنة ثمان
- ١٣٧ اشارة
- ١٣٧ [غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوخ]

- ١٣٧ ذكر إسلام خالد بن الوليد و عمرو بن العاص [أو عثمان بن طلحة]
- ١٣٨ ذكر غزوة ذات السلاسل
- ١٣٨ ذكر غزوة الخبط و غيرها
- ١٣٩ ذكر غزوة مؤتة
- ١٤٢ ذكر فتح مكة
- ١٥١ ذكر غزوة خالد بن الوليد بنى جذيمة
- ١٥٥ ذكر غزوة هوازن بحنين
- ١٥٧ ذكر حصار الطائف
- ١٥٨ ذكر قسمة غنائم حنين
- ١٦١ ٩ ثم دخلت سنة تسع
- ١٦١ ذكر إسلام كعب بن زهير
- ١٦٣ ذكر غزوة تبوك
- ١٦٦ ذكر قدوم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ١٦٧ ذكر قدوم وفد ثقيف
- ١٦٧ ذكر غزوة طي و إسلام عدى بن حاتم
- ١٦٨ ذكر قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ١٧١ ذكر حج أبي بكر، رضى الله عنه
- ١٧٢ ١٠ ذكر الأحداث في سنة عشر
- ١٧٢ ذكر وفد نجران مع العاقب و السيد
- ١٧٦ ذكر إرسال علي إلى اليمن و إسلام همدان
- ١٧٦ ذكر بعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم أمراءه على الصدقات
- ١٧٧ ذكر حجة الوداع
- ١٧٧ ذكر عدد غزواته، صلى الله عليه و سلم، و سراياه
- ١٧٨ ذكر عدد حج النبي، صلى الله عليه و سلم، و عمره

- ١٧٨ ذكر صفه النبي، صلى الله عليه و سلم، و أسمائه و خاتم النبوة
- ١٧٩ ذكر شجاعته، صلى الله عليه و سلم، و جوده
- ١٧٩ ذكر عدد أزواج النبي، صلى الله عليه و سلم و سراريه و أولاده
- ١٨٢ ذكر موالى رسول الله، صلى الله عليه و سلم
- ١٨٣ ذكر من كان يكتب لرسول الله، صلى الله عليه و سلم
- ١٨٣ ذكر أسماء خيله، صلى الله عليه و سلم
- ١٨٤ ذكر بغاله و حميره و إبله، صلى الله عليه و سلم
- ١٨٤ ذكر أسماء سلاحه، صلى الله عليه و سلم
- ١٨٥ ١١ ذكر أحداث سنة إحدى عشرة
- ١٨٥ اشارة
- ١٨٥ ذكر مرض رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و وفاته
- ١٨٩ حديث السقيفة و خلافة أبى بكر، رضى الله عنه و أرضاه
- ١٩٣ ذكر تجهيز النبي، صلى الله عليه و سلم، و دفنه
- ١٩٤ ذكر إنفاذ جيش أسامة بن زيد
- ١٩٥ ذكر أخبار الأسود العنسى باليمن
- ١٩٨ ذكر أخبار الردة
- ١٩٩ ذكر خبر طليحة الأسدى «٢»
- ٢٠٢ ذكر ردة بنى عامر و هوازن و سليم
- ٢٠٣ ذكر قدوم عمرو بن العاص من عمان
- ٢٠٤ ذكر بنى تميم و سجاح
- ٢٠٦ ذكر مالك بن نويرة
- ٢٠٧ ذكر مسيلمه و أهل اليمامة
- ٢١٢ ذكر ردة أهل البحرين
- ٢١٤ ذكر ردة أهل عمان و مهرة

- ٢١٥ ذكر خبر ردة اليمن
- ٢١٥ ذكر خبر ردة اليمن ثانية
- ٢١٧ ذكر ردة حضرموت و كنده
- ٢١٩ ١٢ ثم دخلت سنة اثنتى عشرة
- ٢٢٠ ذكر مسير خالد بن الوليد إلى العراق و صلح الحيرة
- ٢٢١ ذكر وقعة الثنى
- ٢٢١ ذكر وقعة الولجة
- ٢٢٢ ذكر وقعة أليس [١] و هو على الفرات
- ٢٢٣ [ذكر وقعة أمغيشيا]
- ٢٢٣ ذكر وقعة يوم فرات «١» بادقلى و فتحه الحيرة
- ٢٢٤ ذكر ما بعد الحيرة
- ٢٢٥ ذكر فتح الأنبار
- ٢٢٥ ذكر فتح عين التمر
- ٢٢٤ ذكر خبر دومة الجندل
- ٢٢٧ ذكر وقعة حصيد و الخنافس
- ٢٢٧ ذكر وقعة مصيخ [١] بنى البرشاء
- ٢٢٧ ذكر وقعة الثنى و الرميل
- ٢٢٨ ذكر وقعة الفراض
- ٢٢٨ ذكر حجة خالد
- ٢٢٩ ١٣ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة
- ٢٢٩ ذكر فتوح الشام
- ٢٣٢ ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام
- ٢٣٣ ذكر وقعة اليرموك
- ٢٣٤ ذكر حال المشتى بن حارثة بالعراق

- ٢٣٧ ذكر وقعة أجنادين
- ٢٣٨ ذكر وفاة أبي بكر
- ٢٣٨ اشارة
- ٢٣٩ أسماء قضاته و عماله و كتّابه
- ٢٣٩ ذكر بعض أخباره و مناقبه
- ٢٤١ ذكر استخلافه عمر بن الخطاب
- ٢٤٢ ذكر فتح دمشق
- ٢٤٣ ذكر غزوة فحل
- ٢٤٤ ذكر فتح بلاد ساحل دمشق
- ٢٤٤ ذكر فتح بيسان و طبرية
- ٢٤٥ ذكر خبر المثنى بن حارثة و أبي عبيد بن مسعود
- ٢٤٦ ذكر خبر التمارق
- ٢٤٧ ذكر وقعة السقاطية بكسكر
- ٢٤٧ ذكر وقعة الجالينوس
- ٢٤٨ ذكر وقعة قس الناطف «١» و يقال لها الجسر و يقال المروحة و قتل أبي عبيد بن مسعود
- ٢٤٩ ذكر خبر أليس الصغرى
- ٢٤٩ ذكر وقعة البويب
- ٢٥١ ذكر خبر الخنافس و سوق بغداد
- ٢٥٣ ذكر الخبر عن الذي هتج أمر القادسية و ملك يزدجرد
- ٢٥٤ ١٤ ثم دخلت سنة أربع عشرة
- ٢٥٤ ذكر ابتداء أمر القادسية
- ٢٤٤ ذكر يوم أرمات
- ٢٤٤ ذكر يوم أغوات
- ٢٤٨ ذكر يوم عماس «١»

- ٢٦٩ ذكر ليلة الهرير و قتل رستم
- ٢٧٣ ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة
- ٢٧٥ ١٥ ثم دخلت سنة خمس عشرة
- ٢٧٥ اشارة
- ٢٧٥ ذكر الوقعة بمرج الروم
- ٢٧٦ ذكر فتح حمص و بعلبك و غيرها
- ٢٧٧ ذكر فتح قيسرين و دخول هرقل القسطنطينية
- ٢٧٨ ذكر فتح حلب و أنطاكية و غيرها من العواصم
- ٢٧٩ ذكر فتح قيسارية و حصر غزة
- ٢٧٩ ذكر فتح بيسان و وقعة أجنادين
- ٢٨٠ ذكر فتح بيت المقدس و هو إيلياء
- ٢٨٢ ذكر فرض العطاء و عمل الديوان
- ٢٨٣ ذكر الحروب إلى آخر السنة فمن ذلك اليوم برس و بابل و كوثي
- ٢٨٥ ذكر بهرسير «١» و هي المدينة العتيقة و هي المدائن الدنيا من الغرب
- ٢٨٥ ١٦ ثم دخلت سنة ست عشرة
- ٢٨٥ ذكر فتح المدائن الغربية و هي بهرسير
- ٢٨٧ ذكر فتح المدائن التي فيها إيوان كسرى
- ٢٨٩ ذكر ما جمع من غنائم أهل المدائن و قسمتها
- ٢٩١ ذكر وقعة جلولاء و فتح حلوان
- ٢٩٤ ذكر فتح تكريت و الموصل
- ٢٩٥ ذكر فتح ماسبذان
- ٢٩٥ ذكر فتح قرقيسيا
- ٢٩٥ ١٧ ثم دخلت سنة سبع عشرة
- ٢٩٥ ذكر بناء الكوفة و البصرة

- ٢٩٧ ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين
- ٢٩٨ ذكر فتح الجزيرة و أرمينية
- ٣٠٠ ذكر عزل خالد بن الوليد
- ٣٠١ ذكر بناء المسجد الحرام و التوسعة فيه
- ٣٠١ ذكر غزوة فارس من البحرين
- ٣٠٢ ذكر عزل المغيرة عن البصرة و ولاية أبي موسى
- ٣٠٣ ذكر الخبر عن فتح الأهواز و مناذر و نهر تيرى
- ٣٠٥ ذكر صلح الهرمزان و أهل تستر مع المسلمين
- ٣٠٦ ذكر فتح رامهرمز و تستر و أسر الهرمزان
- ٣٠٨ ذكر فتح السوس
- ٣٠٩ ذكر مصالحة جنديسابور
- ٣٠٩ ذكر مسير المسلمين إلى كرمان و غيرها
- ٣١٠ ١٨ ثم دخلت سنة ثمان عشرة
- ٣١٠ ذكر القحط و عام الرمادة
- ٣١٢ ذكر طاعون عمواس
- ٣١٣ ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون
- ٣١٥ ١٩ ثم دخلت سنة تسع عشرة
- ٣١٥ ٢٠ ثم دخلت سنة عشرين
- ٣١٥ ذكر فتح مصر
- ٣١٧ ذكر عدة حوادث
- ٣١٨ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الكامل فى التاريخ المجلد ٢

إشارة

نام كتاب: الكامل فى التاريخ

نويسنده: ابن اثير جزرى

تاريخ وفات مؤلف: ٦٣٠ ق

موضوع: تاريخ عمومى

زبان: عربى

تعداد جلد: ١٣

ناشر: دار الصادر

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ١٣٨٥ ق / ١٩٦٥ م

نسب رسول الله، صلى الله عليه وسلم و ذكر بعض أخبار آبائه وأجداده

إشارة

و اسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، محمد، و قد تقدم ذكر ولادته فى ملك كسرى أنوشروان، و هو محمد بن عبد الله، و يكتنى عبد الله أبا قثم، و قيل: أبا محمد، و قيل: أبا أحمد بن عبد المطلب.

و كان عبد الله أصغر ولد أبيه «١»، فكان هو عبد الله و أبو طالب، و اسمه عبد مناف، و الزبير، و عبد الكعبة، و عاتكة، و أميمة، و برة و ولد عبد المطلب، أمهم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة.

و كان عبد المطلب نذر حين لقي من قريش العنت فى حفر زمزم، كما نذكره، لئن ولد [له] عشرة نفر و بلغوا معه حتى يمنعه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله تعالى. فلما بلغوا عشرة و عرف أنهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه و قالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه. ففعلوا و أتوه بالقداح، فدخلوا على هبل فى جوف الكعبة، و كان أعظم أصنامهم، و هو على بئر يجمع فيه ما يهدى إلى الكعبة.

(١). امه. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٦

(١) و كان عند هبل سبعة أقدح، فى كل قدح كتاب، فقدح فيه العقل، إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقدح السبعة، و قدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه يضرب به «١»، فإن خرج نعم عملوا به، و قدح فيه لاء فإذا أرادوا أمرا ضربوا به «٢»، فإذا خرج لاء لم يعملوا ذلك الأمر، و قدح فيه منكم، و قدح فيه ملصق، و قدح فيه من غيركم، و قدح فيه المياها. إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقدح و فيها ذلك القدح فحيث ما خرج عملوا به، و كانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا جارية أو يدفنوا ميتا أو شكوا فى نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هبل و بمائة درهم و جزور فأعطوه صاحب القدح الذى يضربها ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا و كذا، فأخرج الحق فيه. ثم يقولون لصاحب القدح:

اضرب، فيضرب، فإن خرج عليه منكم كان وسيطا، وإن خرج عليه من غيركم كان حليفا، وإن خرج عليه ملصق كان على منزلته منهم لا نسب له ولا حلف، وإن خرج عليه شيء سوى هذا مما يعملون به، فإن خرج نعم عملوا به، وإن خرج لا أخروه عامهم ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح.

وقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه.

وأخبره بنذره المذى نذر، وكان عبد الله أصغر بنى أبيه وأحبهم إليه. فلما أخذ صاحب القداح يضرب قام عبد المطلب يدعو الله تعالى، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج قدح على عبد الله. فأخذ عبد المطلب بيده ثم أقبل إلى إساف و نائلة، وهما الصنمان اللذان ينحر الناس عندهما. فقامت قريش من أنديتها، فقالوا: ما تريد؟ قال: أذبحه، فقالت قريش و بنوه: والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر «٣» فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل منا يأتى بابنه حتى يذبحه. فقال

(١-٢). فيه. P.C.

(٣). يعذر. A، نعذر. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٧

(١) له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: والله لا تذبحه حتى تعذر «١» فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش و بنوه: لا تفعل وانطلق إلى كاهنة بالحجر فسلها فإن أمرتك بذبحه ذبحته، فإن أمرتك بما لك و له فيه فرج قبلته. فانطلقوا إليها، و هى بخبير، فقضى عليها عبد المطلب خبره، فقالت:

ارجعوا اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله، فرجعوا عنها. ثم غدوا عليها فقالت:

نعم، قد جاءنى الخبر، فكم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، و كانت كذلك.

قالت: ارجعوا إلى بلادكم و قربوا عشرا من الإبل و اضربوا عليها و عليه بالقداح فإن خرج على صاحبكم فزيدوا عشرا حتى يرضى ربكم. و إن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضى ربكم و نجا صاحبكم.

فخرجوا حتى أتوا مكة، فلما أجمعوا لذلك قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله و عشرا من الإبل، فخرجت القداح على عبد الله، فزادوا عشرا، فخرجت القداح على عبد الله. فما برحوا يزيدون عشرا و تخرج القداح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة، ثم ضربوا فخرجت القداح على الإبل.

فقال من حضر: قد رضى ربك يا عبد المطلب. فقال عبد المطلب: لا والله حتى أضرب ثلاث مرات. فضربوا ثلاثا، فخرجت القداح على الإبل، فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا سبع.

و أما تزويج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة ابنة وهب أم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإنه لما فرغ عبد المطلب من الإبل انصرف بابنه عبد الله و هو أخذ بيده فمر على أم قتال «٢» [١] ابنة نوفل بن أسد أخت ورقة بن نوفل،

[١] قبال.

(١). يحدر. B، نعذر. P.C.

(٢). قبال.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨

(١) و هى عند البيت، فقالت له حين نظرت إليه و إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟

فقال: مع أبى. قالت: لك عندى مثل الذى نحر عنك أبوك من الإبل وقع على الآن. قال: إن معى أبى لا أستطيع خلافة ولا فراقه. فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهو سيد بنى زهرة، فزوجه ابنته آمنه بنت وهب، وهى لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وبرة لأم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، وأم حبيب لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب.

فدخل عبد الله عليها حين ملكها «١» مكانها فوق عليها فحملت بمحمد، صلى الله عليه وسلم. ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التى عرضت عليه نفسها بالأمس فقال لها: ما لك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت بالأمس؟ فقالت: فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك اليوم حاجة.

وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل أنه كائن لهذه الأمة نبى من بنى إسماعيل.

وقيل: إن عبد المطلب خرج بابنه عبد الله ليزوجه فمر به على كاهنه من خثعم يقال لها فاطمة بنت متهودة من أهل تباله «٢» [١] فرأت فى وجهه نورا وقالت له: يا فتى هل لك أن تقع على الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال لها: أمّا الحرام فالممات دونه والحل لا حل فأستبينه فكيف بالأمر الذى تبغينه

ثم قال لها: أنا مع أبى ولا أقدر [أن] أفارقه. فمضى فزوجه آمنه بنت وهب

[١] بنت مرة مشهورة من أهل قبائله.

(١). أملكها. P.C.

(٢). شماله. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٩

(١) ابن عبد مناف بن زهرة. فأقام عندها ثلاثا ثم انصرف، فمر بالخثعمية فدعته نفسه إلى ما دعتة إليه، فقال لها: هل لك فيما كنت أردت؟ فقالت: يا فتى ما أنا بصاحبة ريبه ولكنى رأيت فى وجهك نورا فأردت أن يكون لى فأبى الله إلا أن يجعله «١» حيث أراد، فما صنعت بعدى؟ قال: زوجنى أبى آمنه بنت وهب. قالت فاطمة بنت مز:

إنى رأيت مخيلة لمعت فتلاأت بحناتم القطر [١]

فلما أتتها [٢] نورا يضىء له ما حوله كإضاءة البدر

فرجوته فخرا أبوء به ما كل قادح زنده يورى

لله ما زهرية سلبت ثوبيك ما استلبت [٣] و ما تدرى وقالت أيضا فى ذلك:

بنى هاشم قد غادرت من أخيكم أمينة إذ للباه تعتركان

كما غادر المصباح عند خموده فتائل قد بلت له بدهان

فما كل ما يحوى الفتى من تلاده «٢» [٤] العزم «٣» ولا ما فاته لتوان «٤»

فأجمل إذا طالبت أمرا فإنه سيكفيكه جدان يعتلجان

سيكفيكه إمّا يد مقفعله [٥] وإمّا يد مبسوطه بينان

[١] فتلاأت بخباء ثم القطر. (و الحناتم، الواحد حنتم: السحاب).

[٢] فملاؤها. (و لماتها: أبصرتها).

[٣] يؤتيك ما سلبت.

[٤] ملاذه.

[٥] (مفعلة: مقبوضة).

(١). يكون.P.C

(٢). بلاده.A

(٣). يعزم.B

(٤). بتوان.B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠

(١)

ولما حوت منه أميته ما حوت حوت منه فخرا ما لذلك ثا [١] وقيل: إن الذى اجتاز بها غير هذا، والله أعلم.

قال الزهرى: أرسل عبد المطلب ابنه عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمرا فمات بالمدينة. وقيل: بل كان فى الشام فأقبل فى غير قريش

فنزول بالمدينة وهو مريض فتوفى بها و دفن فى دار النابغة الجعدى «١» وله خمس وعشرون سنة، وقيل:

ثمان وعشرون سنة، وتوفى قبل أن يولد رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

عائذ بن عمران بالذال المعجمة، والياء تحتها نقطتان. وعبيد بفتح العين، وكسر الباء الموحدة. وعويج بفتح العين، وكسر الواو، و

آخره جيم).

ابن عبد المطلب

إشارة

واسمه شيبه، سمي بذلك لأنه كان فى رأسه لثما ولد شيبه، وأمه سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجية النجارية، ويكنى أبا الحارث، و

إنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما شخص فى تجارة إلى الشام، فلما قدم المدينة نزل على عمرو بن لبيد «٢» الخزرجى من بنى

النجار، فرأى ابنته سلمى فأعجبه فتروجها.

و شرط أبوها أن لا تلد ولدا إلّا فى أهلها، ثم مضى هاشم لوجهه و عاد من الشام فبنى بها فى أهلها ثم حملها إلى مكة فحملت. فلما

أثقلت ردها إلى أهلها و مضى إلى الشام فمات بغزة.

[١] شان.

(١). الصغرى.Cddo

(٢). زيد بن أسد.B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١١

(١) فولدت له سلمى عبد المطلب، فمكث بالمدينة سبع سنين. ثم إن رجلا من بنى الحارث بن عبد مناف مرّ بالمدينة فإذا غلمان

ينتضلون، فجعل شيبه إذا أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء. فقال له الحارثي: من أنت؟ قال: أنا ابن هاشم بن عبد مناف. فلما أتى الحارثي مكة قال للمطلب، و هو بالحجر: يا أبا الحارث تعلم أئى وجدت غلمانا ييشرب و فيهم ابن أخيك و لا- يحسن ترك مثله. فقال المطلب: لا- أرجع إلى أهلى حتى آتى به. فأعطاه الحارثي ناقه فركبها و قدم المدينة عشاء فرأى غلمانا يضربون كرة فعرف ابن أخيه فسأل عنه فأخبر به، فأخذه و أركبه على عجز الناقة. و قيل: بل أخذه بإذن أمه، و سار إلى مكة فقدمها ضحوة و الناس فى مجالسهم فجعلوا يقولون له: من هذا وراءك؟ فيقول: هذا عبدى. حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم. فقالت: من هذا [الذى] معك؟ قال: عبد لى. و اشترى له حلة فلبسها ثم خرج به العشى فجلس إلى مجلس بنى عبد مناف فأعلمهم أنه ابن أخيه، فكان بعد ذلك يطوف بمكة فيقال: هذا عبد المطلب، لقوله هذا عبدى. ثم أوقفه المطلب على ملك أبيه فسلمه إليه. فعرض له نوفل بن عبد مناف، و هو عمه الآخر، بعد موت المطلب، فى ركح له، و هو الفناء، فأخذه، فمشى عبد المطلب إلى رجالات قريش و سألهم النصرة على عمه، فقالوا له: ما ندخل بينك و بين عمك. فكتب إلى أخواله من بنى النجار يصف لهم حاله، فخرج أبو أسعد [١] بن عدس النجاري فى ثمانين راكبا حتى أتى الأبطح، فخرج عبد المطلب يتلقاه، فقال له: المنزل يا خال! قال: حتى ألقى نوفلا. و أقبل حتى وقف على رأسه فى الحجر مع مشايخ قريش، فسأل سيفه ثم قال: و رب هذه البيته لتردنى على ابن أختنا ركحه أو لأملأن منك السيف! قال: فإننى و رب هذه البيته أرد عليه ركحه، فأشهد عليه من حضر ثم قال لعبد المطلب:

[١] أبو سعيد.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢

(١) المنزل يا ابن أختى. فأقام عنده ثلاثا، فاعتمروا و انصرفوا.

فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف، فدعا بشر بن عمرو و ورقاء بن فلان «١» و رجالا من رجالات خزاعة فحالفهم فى الكعبة و كتبوا كتابا. و كان إلى عبد المطلب السقاية و الرفادة، و شرف فى قومه و عظم شأنه. ثم إنه حفر زمزم، و هى بئر إسماعيل بن إبراهيم، عليه السلام، التى أسقاه الله تعالى منها، فدفنتها جرهم، و قد تقدم ذكر ذلك.

[سبب حفر بئر زمزم]

و كان سبب حفره إياها أنه قال: بينا أنا نائم بالحجر إذ أتانى آت فقال:

احفر طيبة. قال: قلت: و ما طيبة؟ قال: ثم ذهب، فرجعت الغد إلى مضجعى فتمت فيه، فجاءنى فقال: احفر برة. قال: قلت: و ما برة؟ قال: ثم ذهب عنى، قال: فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فتمت فيه فجاءنى فقال: احفر المذنونة «٢». [قال: قلت: و ما المذنونة؟ قال:] فذهب عنى.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى [فتمت فيه فجاءنى] فقال: احفر زمزم، إنك إن حفرتها لا تندم. فقلت: و ما زمزم؟ قال: تراث من أبيك الأعظم، لا تتزف أبدا و لا تدم، تسقى الحجيج الأعظم، مثل نعام جافل لم يقسم، ينذر فيها ناذر لمنعم، يكون ميراثا و عقدا محكم، ليس كبعض ما قد تعلم، و هى بين الفرث و الدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

فلما بين له شأنها و دل على موضعها و عرف أنه قد صدق، غدا بمعوله و معه

(٢). المصورة. Bte A.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣

(١) ابنه الحارث ليس له ولد غيره، فحفر بين إساف و نائلة فى الموضع الذى تنحر [فيه] قريش لأصنامها، و قد رأى الغراب ينقر هناك. فلما بدا له الطوى كبر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: إنَّها بئر أبينا إسماعيل، و إنَّ لنا فيها حقًا فأشركنا معك. قال: ما أنا بفاعل، هذا أمر خصصت به دونكم. قالوا: فإنَّنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال: فاجعلوا بينى و بينكم من شتم. قالوا: كاهن بنى سعد بن هذيم، و كانت بمشارف الشام.

فركب عبد المطلب و معه نفر من بنى عبد مناف، و ركب من كل قبيلة من قريش نفر، حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز و الشام فنى ماء عبد المطلب و أصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فطلبوا الماء ممَّن معهم من قريش فلم يسقوهم. فقال لأصحابه: ما ذا ترون؟ فقالوا: رأينا تبع لرأيك فمرنا بما شئت. قال: فإنَّى أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة، فكلما مات واحد و أراه أصحابه حتى يكون آخركم موتا قد وارى الجميع، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب. قالوا: نعم ما رأيت. ففعلوا ما أمرهم به. ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: و الله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب فى الأرض و نبتغى لأنفسنا لعجز. فارتحلوا و من معه من قبائل قريش ينظرون إليهم، ثم ركب عبد المطلب، فلما انبعثت به راحلته انفجرت من تحت خفها عين عذبة من ماء، فكبر و كبر أصحابه و شربوا و ملئوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلموا إلى الماء فقد سقانا الله. فقال أصحابه: لا نسقيهم لأنهم لم يسقونا. فلم يسمع منهم و قال: فنحن إذا مثلهم! فجاء أولئك القرشيون فشربوا و ملئوا أسقيتهم و قالوا: قد و الله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب، و الله لا نخاصمك فى زمزم أبدا، إنَّ الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤

(١) فرجعوا إليه و لم يصلوا إلى الكاهنة و خلوا بينه و بينها.

فلما فرغ من حفرها وجد الغزالين اللذين دفتتهما جرحهم فيها، و هما من ذهب، و وجد فيها أسيافا قلعية و أدراعا. فقالت له قريش: يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك و حق. قال: لا و لكن هلم إلى أمر نصف بينى و بينكم، نضرب عليها بالقداح. فقالوا: فكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين و لكم قدحين و لى قدحين، فمن خرج قداحه على شىء أخذه، و من تخلف قداحه فلا شىء له. قالوا: أنصفت. ففعلوا ذلك و ضربت القداح عند هبل فخرج قدحا الكعبة على الغزالين، و خرج قدحا عبد المطلب على الأسياف و الأدرع، و لم يخرج لقريش شىء من القداح. فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة و جعل فيه الغزالين صفائح من ذهب، فكان أول ذهب حلت به الكعبة. و قيل: بل بقيا فى الكعبة و سرقا، على ما نذكره.

و أقبل الناس و الحجاج على بئر زمزم تبركا بها و رغبة فيها، و أعرضوا عمَّا سواها من الآبار [١]. و لما رأى عبد المطلب تظاهر قريش عليه نذر لله تعالى:

إن يرزقه عشرة من الولدان يبلغون أن يمنعه و يذبوا عنه نحر أحدهم قربانا لله تعالى.

و قد ذكر النذر فى اسم عبد الله أبى النبى، صلى الله عليه و سلم.

و عبد المطلب أول من خضب بالوسمة، و هو السواد، لأنَّ الشيب أسرع إليه.

[١] الآبار.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥

(١)

[عبد المطلب و جاره اليهودى]

و كان لعبد المطلب جار يهودى «١» يقال له أذينة يتجر و له مال كثير، فغاض ذلك حرب بن أمية، و كان نديم عبد المطلب، فأغرى به فتينا من قريش ليقتلوه و يأخذوا ماله، فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار و صخر بن عمرو بن كعب التيمي جد أبى بكر، رضى الله عنه، فلم يعرف عبد المطلب قاتليه، فلم يزل يبحث حتى عرفهما، و إذا هما قد استجارا بحرب بن أمية، فأتى حربا و لامة و طلبهما منه. فأخفاهما، فتغالطا فى القول حتى تنافرا «٢» إلى النجاشى ملك الحبشة، فلم يدخل بينهما، فجعللا- بينهما نفيل بن عبد العزى العدوى جد عمر بن الخطاب. فقال لحرب: يا أبا عمرو أ تنافر رجلا هو أطول منك قامه، و أوسم و سامه، و أعظم منك هامه، و أقل منك ملامه، و أكثر منك ولدا، و أجزل منك صفدا [١]، و أطول منك مددا، و إنى لأقول هذا و إنك لبعيد الغضب، رفيع الصوت فى العرب، جلد المريرة، لحبل [٢] العشرة، و لكنك نافرت منفرا، فغضب حرب و قال: من انتكاس الزمان أن جعلت «٣» حكما. فترك عبد المطلب منادمة حرب و نادى عبد الله بن جدعان التيمي، و أخذ من حرب مائة ناقة فدفعها إلى ابن عم اليهودى و ارتجع ماله إلا شيئا هلك فغرمه من ماله.

و هو أول من تحنّ بحراء، فكان إذا دخل شهر رمضان سعد حراء و أطمع المساكين جميع الشهر. و توفى و له مائة و عشرون سنة، و كان قد عمى «٤». و قيل غير ذلك.

[١] (الصّفد: العطاء).

[٢] لحبك.

(١). حليفا من اليهود. B.

(٢). سافرا. B.

(٣). تصوير. B.

(٤). B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٦

(١)

ابن هاشم

و اسم هاشم عمرو، و كنيته أبو نضلة «١»، و إنما قيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة و أطمعه [١]. قال ابن الكلبي: كان هاشم أكبر ولد عبد مناف، و المطلب أصغرهم، أمه عاتكة بنت مرّة السلمية، و نوفل، و أمه واقدة، و عبد شمس، فسادوا كلهم، و كان يقال لهم المجبرون [٢]. و هم أول من أخذ لقريش العصم [٣]، فانتشروا من الحرم، أخذ لهم هاشم جبلا [٤] من الروم و غسان بالشام، و أخذ لهم عبد شمس [جبلا [٤]] من النجاشى بالحبشة، و أخذ لهم نوفل جبلا [٤] من الأكاسرة بالعراق، و أخذ لهم المطلب جبلا [٤] من حمير باليمن، فاختلفت قريش بهذا السبب إلى هذه النواحي، فحجر الله بهم قريشا. و قيل: إن عبد شمس و هاشما توأمان، و إن أحدهما ولد قبل الآخر و إصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه فنحيت [٥]، فسال الدم، فقيل يكون بينهما دم.

و ولّى هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية و الرفاة، فحسده

[١] و أطعموه.

[٢] المخيرون.

[٣] (العصم: الحبال، و المراد بها اليهود).

[٤] خيلا. (و الحبل هنا: العهد).

[٥] فتنخبت.

(١). نفيلة. B، بضلة. A

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧

(١) أمية بن عبد شمس على رياسته و إطعامه، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنه، فشمت به ناس من قريش، فغضب و نال من هاشم و دعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسنه و قدره، فلم تدعه قريش حتى نافرته على خمسين ناقه و الجلاء عن مكة عشر سنين، فرضى أمية و جعل بينهما الكاهن الخزاعي، و هو جد عمرو بن الحمق، و منزله بعسفان، و كان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهرى، و كانت ابنته عند أمية، فقال الكاهن: و القمر الباهر، و الكوكب الزاهر، و الغمام الماطر، و ما بالجؤ من طائر، و ما اهتدى بعلم مسافر، من منجد و غائر [١]، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أول منه و آخر، و أبو همهمة بذلك خابر. فقضى لهاشم بالغبه، و أخذ هاشم الإبل فنحرها و أطعمها، و غاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين. فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم و أمية. و كان يقال لهاشم و المطلب البدران لجمالهما.

و مات هاشم بغزة و له عشرون سنة، و قيل: خمس و عشرون سنة، و هو أول من مات من بنى عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأبياد. ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق. ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن [٢]. و كانت الرفادة و السقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب لصغر ابنه عبد المطلب بن هاشم.

[١] و غابر.

[٢] ثم مات عبد المطلب بردمان من أرض العراق. (و التصحيح عن ياقوت كما ورد فى «ردمان»).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨

(١)

ابن عبد مناف

و اسمه المغيرة، و كنيته أبو عبد شمس، و كان يقال له القمر لجماله، و كانت أمه* حين ولدته «١» دفعته إلى مناف، صنم بمكة، تدينا بذلك، فغلب عليه عبد مناف.

و كان عبد مناف و عبد العزى و عبد الدار بنو قصي إخوة، أمهم حبي ابنة حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة، و هو الذى عقد الحلف بين قريش و الأحابيش، و الأحابيش بنو الحارث بن عبد مناف بن كنانة، و بنو المصطلق من خزاعة، و بنو الهون من خزيمه. و كان قصي يقول:

ولد لى أربعة بنين فسّميت ابنين يالهي، و هما عبد مناف و عبد العزى، و واحدا بدارى، و هو عبد الدار، و واحدا بى، و هو عبد قصي.

(حليل بضم الحاء المهملة، و فتح اللام الأولى. و حبشية بضم الحاء).

ابن قصى

و اسمه زيد، و كنيته أبو المغيرة، و إنما قيل له قصى لأن ربيعة بن حرام ابن ضنّة بن عبد بن كبير [١] بن عذرة بن سعد بن زيد تزوج أمّه فاطمة ابنة سعد ابن سيل (٢)، و اسمه جبر (٣)، بن جمالة بن عوف، و هى أيضا أم أخيه زهرة، و نقلها إلى بلاد عذرة من مشارف الشام و حملت معها قصيّا لصغره، و تخلف زهرة فى قومه لكبره، فولدت أمّه فاطمة لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة،

[١] ابن ضبة بن عبد بن كثير.

(١). حثية. B؛ حبي. A.

(٢). P. C. A.؛ سيل. P. C.

(٣). حر. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩

(١) فهو أخو قصى لأمه. و كان لربيعة ثلاثة نفر من امرأة أخرى، و هم حنّ بن ربيعة و محمود و جلهمة، و قيل: إن حنا «١» كان أخا قصى لأمه. فشبّ زيد فى حجر ربيعة فسّمى قصيّا لبعده عن دار قومه، و كان قصى ينتمى إلى ربيعة إلى أن كبر، و كان بينه و بين رجل من قضاة شىء، فعيره القضاةى بالغبية، فرجع قصى إلى أمّه و سألها عمّا قال، فقالت له: يا بنى أنت أكرم منه نفسا و أبا، أنت ابن كلاب بن مرة و قومك بمكّة عند البيت الحرام.

فصبر حتى دخل الشهر الحرام و خرج مع حاجّ قضاة حتى قدم مكّة و أقام مع أخيه زهرة، ثمّ خطب إلى حليل بن حبشية الخزاعى ابنته حبي، فزوّجه، و حليل يومئذ يلى الكعبة. فولدت أولاده: عبد الدار، و عبد مناف، و عبد العزى، و عبد قصى، و كثر ماله و عظم شرفه.

و هلك حليل و أوصى بولاية البيت لابنته حبي، فقالت: إنى لا أقدر على فتح الباب و إغلاقه، فجعل فتح الباب و إغلاقه إلى ابنه المحترش، و هو أبو غبشان «٢». فاشتري قصى منه ولاية البيت بزقّ خمر و بعود، فضربت به العرب المثل فقالت: أخسر صفقة من أبى غبشان.

فلما رأت ذلك خزاعة كثروا على قصى، فاستنصر أخاه رزاحا، فحضر هو و إخوته الثلاثة فيمن تبعه من قضاة إلى نصرته، و مع قصى قومه بنو النضر، و تهيأ لحرب خزاعة و بنى بكر، و خرجت إليهم خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا، فكثرت القتلى فى الفريقين و الجراح، ثمّ تداعوا إلى الصلح على أن يحكموا بينهم عمرو بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، ففضى بينهم بأن قصيّا أولى بالبيت و مكّة من خزاعة، و أنّ كلّ دم أصابه من خزاعة

(١). حيان. B.

(٢) و قيل ان اسم أبى سليم ابن عمرو بن لؤى بن. H. Bte. Aci. dda. Bte. ملكان و الأول أصح فى اسمه و نسبه.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠

(١) و بنى بكر موضوع فيشده تحت قدميه، و أنّ كلّ دم أصابت خزاعة و بنو بكر من قريش و بنى كنانة ففى ذلك الديق مؤداه، فسّمى بعمرو الشداخ بما شدخ من الدماء و ما وضع منها. فولى قصى البيت و أمر مكّة.

و قيل: إن حليل بن حبشية أوصى قصيّا بذلك و قال: أنت أحقّ بولاية البيت من خزاعة. فجمع قومه و أرسل إلى أخيه يستنصره،

فحضر فى قضاة فى الموسم و خرجوا إلى عرفات و فرغوا من الحجّ و نزلوا منى و قصى مجمع على حريهم، و إنما ينتظر فراغ الناس من حجّهم.

فلما نزلوا منى و لم يبق إلّا الصدر، و كانت صوفة «١» تدفع بالناس من عرفات و تجيزهم إذا تفرّقوا من منى، إذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار، و رجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى، فإذا فرغوا من منى أخذت [١] صوفة بناحيى العقبة و حبسوا الناس، فقالوا: أجزى صوفة، فإذا نفرت صوفة و مضت خلّى سبيل «٢» الناس فانطلقوا بعدهم. فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت لها العرب ذلك، فهو دين فى أنفسهم، فأتاهم قصى و من معه من قومه و من قضاة فمنعهم و قال: نحن أولى بهذا منكم. فقاتلوه و قاتلهم قتالا شديدا، فانهزمت صوفة و غلبهم قصى على ما كان بأيديهم و انحازت عند ذلك خزاعة و بنو بكر و عرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة. فلما انحازوا عنه بادأهم «٣» فقاتلهم، فكثر القتل فى الفريقين و أجلي خزاعة عن البيت، و جمع قصى قومه إلى مكة من الشعاب و الأودية و الجبال، فسّمى مجمعا، و نزل بنى

(١) و صوفة أيضا أبو حى من مضر و هو الغوث بن مر بن أد بن طابخة كانوا: B. gramni. dda. يخدمون الكعبة و يجيزون الحاج فى الجاهلية أى يفيضون بهم من عرفات و كان أحدهم يقوم و يقول:

أجزى صوفة.

(٢). دخلوا. B.

(٣). نادىهم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١

(١) بغيض بن عامر بن لؤى و بنى تيم الأدرم بن غالب بن فهر و بنى محارب بن فهر و بنى الحارث بن فهر، إلّا بنى هلال بن أهيب رهط أبى عبيدة بن الجراح و إلّا رهط عياض بن غنم، بظواهر مكة، فسّموا قريش الظواهر، و تسمى سائر بطون [قريش] قريش البطاح، و كانت قريش الظواهر تغير و تغزو، و تسمى قريش البطاح الضبّ للزومها الحرم.

فلما ترك قصى قريشا بمكة و ما حولها ملكوه عليهم. فكان أول ولد كعب بن لؤى أصاب ملكا أطاعه به قومه، و كان إليه الحجابة و السقاية و الرفادة و الندوة و اللواء، فحاز شرف قريش كله، و قسّم مكة أرباعا بين قومه، فبنوا المساكن و استأذنوه فى قطع الشجر، فمنعهم، فبنوا و الشجر فى منازلهم، ثم إنهم قطعوه بعد موته.

و تيمنت قريش بأمره فما تنكح امرأة و لا رجل إلّا فى داره، و لا يتشاورون فى أمر ينزل بهم إلّا فى داره، و لا يعقدون لواء للحرب إلّا فى داره، يعقده بعض ولده، و ما تدرع جاريه إذا بلغت أن تدرع إلّا فى داره، و كان أمره فى قومه كالدّين المتّبع فى حياته و بعد موته. فاتخذ دار الندوة و بابها فى المسجد، و فيها كانت قريش تقضى أمورها.

فلما كبر قصى و رق، و كان ولده عبد الدار أكبر ولده، و كان ضعيفا، و كان عبد مناف قد ساد فى حياة أبيه و كذلك إخوته، قال قصى لعبد الدار:

و الله لألحقنك بهم! فأعطاه دار الندوة و الحجابة، و هى حجابة الكعبة، و اللواء، و هو كان يعقد لقريش أوليتهم، و السقاية، كان يسقى الحاج، و الرفادة، و هى خرج تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى بن كلاب فيصنع منه طعاما للحاج يأكله الفقراء، و كان قصى قد قال لقومه: إنكم جيران الله و أهل بيته، و إن الحاجّ ضيف الله و زوّار بيته، و هم أحقّ الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما و شرابا أيام الحجّ. ففعلوا فكانوا يخرجون من أموالهم فيصنع به

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢

(١) الطعام أيام منى، فجرى الأمر على ذلك فى الجاهلية و الإسلام إلى الآن، فهو الطعام الذى يصنعه الخلفاء كل عام بمنى.

فأما الحجابة فهي فى ولده إلى الآن، وهم بنو شيبه بن عثمان بن أبى طلحة ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار.
و أما اللواء فلم يزل فى ولده إلى أن جاء الإسلام، فقال بنو عبد الدار:
يا رسول الله اجعل اللواء فينا.
فقال: الإسلام أوسع من ذلك.
فبطل.

و أما الرفاضة والسقاية فإن بنى عبد مناف بن قصي: عبد شمس، و هاشم، و المطلب، و نوفل، أجمعوا أن يأخذوها من بنى عبد الدار لشرفهم عليهم و فضلهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف، و طائفة مع بنى عبد الدار لا يرون تغيير ما فعله قصي، و كان صاحب أمر بنى عبد الدار عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.
فكان بنو أسد «١» بن عبد العزى و بنو زهرة بن كلاب و بنو تيم بن مرة و بنو الحارث بن فهر مع بنى عبد مناف، و كان بنو مخزوم و بنو سهم و بنو جمح و بنو عدى مع بنى عبد الدار، فتحالف كل قوم حلفا مؤكدا، و أخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها عند الكعبة و تحالفوا و جعلوا أيديهم فى الطيب، فسموا المطيبين. و تعاقد بنو عبد الدار و من معهم و تحالفوا فسموا الأحلاف، و تعبوا للقتال، ثم تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية و الرفاضة، فرضوا بذلك و تحاجز الناس عن الحرب و اقترعوا عليها، فصارت لهاشم بن عبد مناف، ثم بعده للمطلب بن عبد مناف، ثم لأبى طالب بن عبد المطلب، و لم يكن له مال فآذان من أخيه العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف مالا فأنفقه، ثم عجز عن الأداء فأعطى العباس السقاية

(١). عبد الأسد. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣

(١) و الرفاضة عوضا عن دينه، فوليها، ثم ابنه عبد الله، ثم علي بن عبد الله، ثم محمد بن علي، ثم داود بن علي بن سليمان بن علي، ثم وليها المنصور و صار يليها الخلفاء.
و أما دار الندوة فلم تزل لعبد الدار، ثم لولده حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية فجعلها دار الإمارة بمكة، و هى الآن فى الحرم معروفة مشهورة.
ثم هلك قصي فأقام أمره فى قومه من بعده ولده، و كان قصي لا يخالف سيرته و أمره، و لما مات دفن بالحجون، فكانوا يزورون قبره و يعظمونه.

و حفر بمكة بئرا سماها العجول، و هى أول بئر حفرتها قريش بمكة.

(سيل بفتح السين المهملة، و الباء المثناة التحتيّة. و حرام بفتح الحاء و الراء المهملتين. و رزاح بكسر الراء، و فتح الزاى، و بعد الألف حاء مهملة. و حبي بضم الحاء المهملة، و تشديد الباء الموحدة. و ملكان بكسر الميم، و سكون اللام.
و أما ملكان بن حزم بن ريان، و ملكان بن عباد بن عياض، فهما بفتح الميم و اللام).

ابن كلاب

و يكتنى أبا زهرة، و أمّ كلاب هند بنت سرير «١» بن ثعلبة بن الحارث ابن فهر بن مالك، و له أخوان لأبيه من غير أمه، و هما تيم و يقظة، أمهما أسماء بنت جارية «٢» البارقيّة، و قيل: يقظة لهند بنت سرير أمّ كلاب.
(يقظة بالياء تحتها نقطتان، و بفتح القاف و الظاء المعجمة) «٣».

(١). مرّة. B، سرين. A.

(٢). حارثة. B.

(٣). Bte. A. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤

(١)

ابن مرّة

و يكتنى أبا يقظة، و أمّ مرّة محشية [١] ابنة شيبان بن محارب بن فهر، و أخواه لأبيه و أمّه هصيص و عدى، و قيل: أمّ عدى رقاش بنت ركبّة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تميم «١» بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان.
هصيص بضمّ الهاء، و فتح الصاد المهملة بعدها ياء تحتها نقطتان، و صاد ثانية).

ابن كعب

و يكتنى أبا هصيص، و أمّ كعب ماوية «٢» ابنة كعب بن القين بن جسر القضاعية، و له أخوان لأبيه و أمّه، أحدهما عامر، و الآخر سامة، و لهم من أبيهم أخ كان يقال له عوف، أمّه الباردة ابنة عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان، و انتمى ولده إلى غطفان، و كان خرج مع أمّه الباردة إلى غطفان، فتزوجها سعد بن ذبيان، فتبتاه سعد.
و لكعب أيضا أخوان من غير أمّه، أحدهما خزيمه، و هو [٢] عائذة قريش، و عائذة أمّه، و هى ابنة الحمس «٣» بن قحافة من خثعم، و الآخر سعد، و يقال

[١] (ورد فى ابن هشام: وحشية، و فى الطبرى: وحشية أو محشية).

[٢] و هم.

(١). تيم. P.C.

(٢). مارية. B.

(٣). الخمس. B، الحسن. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٥

(١) له بنانة، و بنانة أمّه، فأهل البادية منهم فى بنى سعد بن همام فى بنى شيبان ابن ثعلبة، و الحاضرة ينتمون إلى قريش.
و كان كعب عظيم القدر عند العرب، فلهذا أرخوا لموته إلى عام الفيل، ثم أرخوا بالفيل، و كان يخطب الناس أيام الحجّ، و خطبته مشهورة يخبر فيها بالنبى، صلى الله عليه و سلّم.
جسر بفتح الجيم، و سكون السين المهملة، و آخره راء).

ابن لؤى

و يكتنى أبا كعب، و أمّ لؤى عاتكة ابنة يخلد بن النضر بن كنانة، و هى أولى العواتك اللواتى و لدن رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، من قريش.

وله أخوان، أحدهما تيم الأدرم، و الدرم نقصان فى الذقن، قيل: إنه كان ناقص اللحي، و الآخر قيس، و لم يبق منهم أحد، و آخر من مات منهم فى زمن خالد بن عبد الله القسرى «١»، فبقى ميراثه لا يدري من يستحقه.
وقيل: إن أمهم سلمى بنت عمرو بن ربيعة، و هو يحيى بن حارثة الخزاعى.
(يخلد بفتح الياء تحتها نقطتان، و سكون الخاء المعجمة، و بعد اللام دال مهملة).

(١). القشيري. ddoC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٦

(١)

ابن غالب

و يكنى أبا تيم «١»، و أم غالب ليلى ابنة الحارث بن تيم «٢» بن سعد بن هذيل، و إخوته من أبيه و أمه: الحارث و محارب و أسد و عوف و جون و ذئب «٣»، و كانت محارب و الحارث من قريش الظواهر، فدخلت الحارث الأبطح.

ابن فهر

و يكنى أبا غالب، و فهر هو جماع قريش، فى قول هشام، و أمه جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاخ الجرهيمى، و قيل غير ذلك.
و كان فهر رئيس الناس بمكة، و كان حسان فيما قيل أقبل من اليمن مع حمير و غيرهم يريد أن ينقل أحجار الكعبة إلى اليمن، فنزل بنخلة، فاجتمع قريش و كنانة و خزيمه و أسد و جذام و غيرهم، و رئيسهم فهر بن مالك، فاقتتلوا قتالا شديدا، و أسر حسان و انهزمت حمير و بقى حسان بمكة ثلاث سنين، و افتدى نفسه و خرج فمات بين مكة و اليمن.

ابن مالك

و كنيته أبو الحارث، و أمه عاتكة بنت عدوان، و هو الحارث بن قيس عيلان، و لقبها [١] عكرشة، و قيل غير ذلك.

[١] و لقبه.

(١). شيم. A.

(٢). تميم. A. Bte

(٣). و زينب. P.C ; B. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧

(١) و قيل: إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشا. و قيل: لما جمعهم قصى قيل لهم قريش، و التقرش التجمع. و قيل: لما ملك قصى الحرم و فعل أفعالا جميلة قيل له القريشى، و هو أول من سمي به، و هو من الاجتماع أيضا، أى لاجتماع خصال الخير فيه، و قد قيل فى تسمية قريش قريشا أقوال كثيرة لا حاجة إلى ذكرها.

و قصى أول من أحدث و قود النار بالمزدلفة، و كانت توقد على عهد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و من بعده.

ابن النضر

و يكتنى أبا يخلد، كتنى بابنه يخلد، و اسم النضر قيس، و إنما قيل له النضر لجماله، و أمه برة ابنة مر بن أد بن طابخة أخت تميم بن مر، و إخوته لأبيه و أمه نصير «١» و مالك و ملكان و عامر و الحارث و عمرو «٢» و سعد و عوف و غنم و مخزومة و جرول و غزوان و جدال، و أخوهم لأبيهم عبد مناة، و أمه فكيهة، و هى الذفراء، ابنة هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاة، و أخو عبد مناة لأمه على بن مسعود بن مازن الغسانى، و كان قد حضن أولاد أخيه عبد مناة فنسبوا إليه، فقيل لبني عبد مناة بنو على، و إياهم عنى الشاعر بقوله:

لله در بنى على أيم «٣» منهم و ناكح و قيل: تزوج امرأة عبد مناة فولدت له و حضن بنى عبد مناة فغلب على نسبهم، ثم وثب مالك بن كنانة على على بن مسعود فقتله، فواراه أسد بن خزيمه.

(١). نصير. A. Bte

(٢). عمير. B.

(٣). إثم. A.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨

(١)

ابن كنانة

و يكتنى أبا النضر، و أم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس «١» عيلان، و قيل: هند ابنة عمرو بن قيس. و إخوته لأبيه أسد و أسدة، و يقال: إنه أبو جذام و الهون، و أمهم برة بنت مر، و هى أم النضر، خلف عليها بعد أبيه.

ابن خزيمه

و يكتنى أبا أسد، و أمه سلمى ابنة أسلم بن الحاف بن قضاة، و أخوه لأمه تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف، و أخو خزيمه لأبيه و أمه هذيل، و قيل: أمهما سلمى بنت أسد بن ربيعة. و خزيمه هو الذى نصب هبل على الكعبة، فكان يقال هبل خزيمه. (أسلم، بضم اللام).

ابن مدركة

و اسمه عمرو، و يكتنى أبا هذيل، و قيل: أبا خزيمه، و أمه خندف، و هى ليلى ابنة حلوان بن عمران، و أمها ضريه ابنة ربيعة بن نزار، و بها سمى حمى ضريه. و إخوة مدركة لأبيه و أمه: عامر، و هو طابخه، و عمير، و هو

(١). بن. dda .ddoC

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩

(١) قمعة، يقال: إنه أبو خزاعة.

قال هشام: خرج إلياس [١] فى نجعة له فنفرت إبله من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها فسمي مدركة، وأخذها عامر فطبخها فسمي طابخة، و انقمع عمير فى الخباء فسمي قمعة، و خرجت أمهم ليلي تمشى فقال لها إلياس [١]: أين تخندفين؟ فسميت خندف، و الخندفة: ضرب من المشى.

ابن إلياس

و كان يكتنى أبا عمرو، و أمه الرباب ابنه جندة «١» بن معد، و أخوه لأبيه و أمه الناس، بالنون، و هو عيلان «٢»، و سمي عيلان لفرس له كان يدعى عيلان، و قيل: لأنه ولد فى أصل جبل يسمي عيلان، و قيل غير ذلك. و لمّا توفي حزن عليه خندف حزنا شديدا فلم تقم حيث مات و لم يظّلها سقف حتى هلكت، فضرب بها المثل. و توفي يوم الخميس، فكانت تبكى كلّ خميس من غدوة إلى الليل.

ابن مضر

و أمه سودة بنت عكّ، و أخوه لأبيه و أمه إياد، و لهما أخوان من أبيهما: ربيعة و أنمار، أمهما جدالة ابنه و علان من جرهم.

[١] الناس.

(١). خندة.P.C.

(٢). tnebah.عيلان. ddoC.euqibueref

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠

(١) و ذكر أن نزار بن معدّ لما حضرته الوفاة أوصى بنيه و قسم ماله بينهم فقال: يا بني هذه القبّة، و هى من آدم حمراء، و ما أشبهها من مالى لمضر، فسمي مضر الحمراء، و هذا الخباء الأسود و ما أشبهه من مالى لربيعة، و هذه الخادم و ما أشبهها من مالى لإياد، و كانت شمطاء، فأخذ البلق و التقد من غنمه، و هذه البدره [١] و المجلس لأنمار يجلس عليه، فأخذ أنمار ما أصابه، فإن أشكل فى ذلك عليكم شىء و اختلفتم فى القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي.

فاختلفوا فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمي، فبينما هم يسيرون فى مسيرهم إذ رأى مضر كلاً قد رعى فقال: إنّ البعير الذى قد رعى هذا الكلاً لأعور.

و قال ربيعة: هو أزور. و قال إياد: هو أبت. و قال أنمار: هو شرود. فلم يسيروا إلّا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال مضر: هو أعور؟ قال: نعم. قال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم. و قال إياد:

هو أبت؟ قال: نعم. و قال أنمار: هو شرود؟ قال: نعم، هذه صفة بعيرى، دلّونى عليه، فحلفوا له ما رأوه، فلزمهم، و قال: كيف أصدّقكم و هذه صفة بعيرى! فساروا جميعا حتى قدموا نجران فزلوا على الأفعى الجرهمي، فقصّ عليه صاحب البعير حديثه، فقال لهم الجرهمي: كيف وصفتموه و لم تروه؟ قال مضر: رأيت يرمى جانبا و يدع جانبا فعرفت أنّه أعور. و قال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة و الأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنّه أزور. و قال إياد: عرفت أنّه أبت باجتماع بعرة و لو كان أذنب «١» لمصع به. و قال أنمار: عرفت أنّه

شروء

[١] البردة. (و البردة من المال: كمية عظيمة منه).

(١). أ.ز.ب. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١

(١) لأنه يرعى المكان الملتف نبتة ثم يجوز به إلى مكان أرق منه نبتا وأخبث. فقال الجرهمي: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه. ثم سألهم من هم، فأخبروه، فرحب بهم وقال: أحتاجون أنتم إليّ و أنتم كما أرى؟ و دعا لهم بطعام فأكلوا و شربوا، فقال مضر: لم أر كاليوم خمرا أجود لو لا أنها نبتت على قبر. و قال ربيعة: لم أر كاليوم لحما أطيب لو لا أنه ربي بلبن كلبه. و قال إياد: لم أر كاليوم رجلا أسرى لو لا أنه لغير أبيه الذى يتسمى إليه. و قال أنمار: لم أر كاليوم كلاما أنفع لحاجتنا «١».

و سمع الجرهمي الكلام فعجب، فأتى أمه و سألهما، فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له، فكرهت أن يذهب الملك فأمكنه رجلا من نفسها فحملت به، و سأل القهرمان عن الخمر، فقال: من حبله «٢» [١] غرستها على قبر أبيك، و سأل الراعى عن اللحم فقال: شاء أَرْضعتها لبن كلبه.

فقيل لمضر: من أين عرفت الخمر؟ فقال: لأنى أصابنى عطش شديد.

و قيل لربيعة فيما قال، فذكر كلاما، و أتاهم الجرهمي و قال: صفوا لى صفتكم، فقضوا عليه قصتهم، فقضى بالقبه الحمراء و الدنانير و الإبل، و هى حمر، لمضر، و قضى بالخباء الأسود و الخيل الدهم لربيعة، و قضى بالخادم، و كانت شمطاء، و الماشية البلق لإياد، و قضى بالأرض و الدراهم لأنمار.

و مضر أول من حدا، و كان سبب ذلك أنه سقط من بعيره فانكسرت يده فجعل يقول: يا يداه يا يداه، فأنته الإبل من المرعى، فلما صلح و ركب حدا، و كان من أحسن الناس صوتا. و قيل: بل انكسرت يد مولى له فصاح،

[١] (الحبله: شجرة الكرم).

(١). من حاجتنا. B، فى حاجتنا. A.

(٢). شجرة. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢

(١) فاجتمعت الإبل، فوضع مضر الحدا و زاد الناس فيه.

و هو أول من قال حينئذ: بصبصن إذ حدين [بالأذنان]، فذهب مثلا.

و

روى أن النبى، صلى الله عليه و سلم، قال: لا تسبوا مضر و ربيعة فإنهما مسلمان.

ابن نزار

و قيل: كان يكنى أبا إياد، و قيل: أبا ربيعة، أمه معانة ابنة جوشم بن جلهمة بن عمرو بن جرهم، و إخوته لأبيه و أمه قنص و قناصة «١» و سالم و جندة و جناد و جنادة و القحم و عبيد الرياح و الغرف و العوف و شكك و قضاة، و به كان يكنى معد، و عدة درجوا.

ابن معدّ

و أمه مهدة ابنة اللّهمّ، و يقال اللّهمّ، و يقال اللّهمّ بن جلعب [١] بن جديس، و قيل بن طسم، و إخوته من أبيه الريث، و قيل: الريث [هو] عكّ، و قيل:

عكّ بن الريث، و عدن بن عدنان، قيل: هو صاحب عدن و أبين و إليه تنسب أبين، و درج نسله و نسل عدن، و أدّ و أبى بن عدنان، و درج «٢»، و الضحّاك و الغنّى.

فلحق ولد عدنان باليمن عند حرب بخت نصير، و حمل إرميا و برخيا معدّا إلى حزان فأسكناه بها. فلما سكنت الحرب ردّاه إلى مكّة فرأى إخوته قد لحقوا باليمن. الكامل فى التاريخ ج ٢ ٣٢ ابن معد ص : ٣٢

[١] حلجب.

(١). فيض و فياضة. B.

(٢). و روح. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣

(١)

ابن عدنان

و لعدنان أخوان يدعى أحدهما نبثا «١» و الآخر عامرا، فنسب النّبىّ، صلّى الله عليه و سلّم، لا يختلف الناسون فيه إلى معدّ بن عدنان، على ما ذكرت، و يختلفون فيما بعد ذلك اختلافا عظيما لا يحصل منه على غرض، فتارة يجعل بعضهم بين عدنان و بين إسماعيل، عليه السلام، أربعة آباء، و يجعل آخر بينهما أربعين أبا، و يختلفون أيضا فى الأسماء أشدّ من اختلافهم فى العدد، فحيث رأيت الأمر كذلك لم أعزج على ذكر شىء منه، و منهم من يروى عن النّبىّ، صلّى الله عليه و سلّم، فى نسبه حديثا يصله بإسماعيل، و لا يصحّ فى ذلك الحديث.

ذكر الفواطم و العواتك

و أما الفواطم اللاتى و لدن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فخمس:

قرشيتة و قيسيتان و يماتيتان.

أما القرشيتة فأمّ أبيه عبد الله بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومية.

و أما القيسيتان فأمّ عمرو بن عائذ بن فاطمة ابنة عبد الله بن رزاح بن ربيعة ابن جحوش بن معاوية بن بكر بن هوازن، و أمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة «٢» بن سليم بن منصور.

(١). ثبثا. A، بينا. P.C.

(٢). فهته. B، يهته. A، يهثم. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤

(١) و أميا اليمانيان فأم قصي بن كلاب فاطمة بنت سعد بن سيل بن أزد شنوءة، و أم «١» حبي بنت حليل بن حبشيه بن كعب بن سلول، و هي أم ولد قصي فاطمة بنت نصر بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعية.

و أما العواتك فاثنتا عشرة: اثنتان من قريش، و واحدة من بنى يخلد ابن النضر، و ثلاث من سليم، و عدويان، و هذلي، و قضاعية، و أسديّة.

فأما القرشيتان فأم أمه آمنه بنت وهب برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، و أم برة أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى، و أم أسد ريطه «٢» بنت كعب بن سعد بن تيم، و أمه أميمه بنت عامر الخزاعية، و أمها عاتكة بنت هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهم، و أم هلال هند بنت هلال ابن عامر بن صعصعة، و أم أهيب بن ضبة عاتكة بنت غالب بن فهر، و أمها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة.

و أما السليميات فأم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج ابن ذكوان بن بهثة بن سليم بن منصور، و أم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن فالج، و الثالثة أم جدّه لأمه وهب، و هي عاتكة بنت الأوقص بن مرة ابن هلال.

قلت: هكذا ذكر بعض العلماء عواتك سليم، و جعل أم عبد مناف عاتكة بنت مرة، و ليس بشيء، فإن أم عبد مناف حبي بنت حليل الخزاعية، و قال غيره: أم هاشم عاتكة بنت مرة، و أم مرة بن هلال عاتكة بنت جابر ابن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، و أم هلال ابن فالج عاتكة بنت عصية بن خفاف بن امرئ القيس.

P.C.(١)

(٢). غيطه. A. sitcnpenis. B. ريصله. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥

(١) و أما العدويان فمن جهه أبيه عبد الله، فإن أم عبد الله فاطمة بنت عمرو، و أم فاطمة تخمر بنت عبد قصي، و أمها هند بنت عبد الله بن الحارث بن وائلة بن الظرب، و أمها زينب بنت مالك بن ناصره بن كعب الفهمية.

و أما عاتكة بنت عامر بن الظرب بن عمرو بن عبّاد بن بكر بن الحارث، و هو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، و أم مالك بن النضر عاتكة، فهي عكرشه، و هي الحصان بنت عدوان.

و أما الأزديّة فأم النضر بن كنانة بنت مرة بن أد أخت تميم، و أمها ماوية من بنى ضبيعه بن ربيعة بن نزار، و أمها عاتكة بنت الأزدي بن الغوث، و قد ولدته هذه الأزديّة مرة أخرى من قبل غالب بن فهر، فإن أم غالب ليلي بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، و أمها سلمى بنت طابخة بن إلياس ابن مضر، و أمها عاتكة بنت الأزدي هذه.

و أما الهذليّة فعاتكة بنت سعد بن سيل، هي أم عبد الله بن رزام جد عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم لأمه، و عمرو جد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أبو أمه.

و أما القضاعية فأم كعب بن لؤي ماوية بنت القين بن جسر بن شيع الله ابن أسد بن وبره، و أمها وحشية بنت ربيعة بن حرام بن ضنة العذرية، و أمها عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جهينة.

و أميا الأسديّة فأم كلاب بن مرة هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كلاب، و أمها عاتكة بنت دودان بن أسد بن خزيمه.

(و عائذ بن عمران بالياء المثناة من تحتها، و الذال المعجمة. و سعد بن سيل بفتح السين المهملة، و الياء المثناة من تحتها المفتوحة. و

حبي «١» بضم الحاء

(١). orperorrE حَبِي mutpircs.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦

(١) المهملة، و بالياء المثناة من تحتها، و تشديد الياء الممالئة. و حليل بضم الحاء المهملة، و بالياء المثناة من تحتها. و جسر بفتح الجيم، و تسكين السين المهملة.

و حارثة بالحاء المهملة، و الثاء المثلثة. و وائلة بن الضرب بالياء المثناة من تحتها. و ضبئة بن الحارث بالضاد المعجمة المفتوحة، و الباء المشددة الموحدة. و شيع الله بالشين المعجمة المفتوحة، و الياء المثناة من تحتها الساكنة. و حرام بفتح الحاء المهملة، و الراء المهملة. و ضنة العذرى بكسر الضاد المعجمة، و النون المشددة. و عصية بالعين المهملة المضمومة، و فتح الصاد و الياء المثناة من تحتها).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧

(١)

عدنا إلى ذكر النبي

إشارة

توفى عبد المطلب بعد الفيل بثمانى سنين، و أوصى أبا طالب برسول الله، صلى الله عليه و سلم. فكان أبو طالب هو الذى قام بأمر النبى، صلى الله عليه و سلم، بعد جده، ثم إن أبا طالب خرج إلى الشام، فلما أراد المسير لزمه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فزق له و أخذه معه، و لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، تسع سنين. فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، و بها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له، و كان ذا علم فى النصرانية، و لم يزل بتلك الصومعة راهب يصير إليه علمهم، و بها كتاب يتوارثونه. فلما رأهم بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا، و ذلك لأنه رأى على رسول الله غمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتى نزلوا فى ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الشجرة و قد هصرت أغصانها حتى استظل بها، فنزل إليهم من صومعته و دعاهم.

فلما رأى بحيرا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، جعل يلحظه لحظا شديدا و ينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها من صفته. فلما فرغ القوم من الطعام و تفرقوا، سأل النبى، صلى الله عليه و سلم، عن أشياء من حاله فى يقظته و نومه فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه، ثم قال بحيرا لعمه أبى طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى. قال: ما ينبغى أن يكون أبوه حيا. قال: فإنه ابن أخى مات أبوه و أمه حبلت به. قال: صدقت، ارجع به إلى بلدك و احذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه عرفوا منه ما عرفت لبيغته شرا، فإنه كائن له شأن عظيم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨

(١) فخرج به عمه حتى أقدمه مكة.

وقيل: بينما هو يقول لعمه فى إعادته إلى مكة و تخوفهم عليه من الروم إذ أقبل سبعة نفر من الروم، فقال لهم بحيرا: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءنا [١] أن هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلّا بعث إليها ناس، و إنّا بعثنا إلى طريقك. قال: أ رأيتم أمرا أراد الله هل يستطيع أحد من الناس ردّه؟

قالوا: لا. و تابعوا بحيرا و أقاموا عنده.

و

قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: ما هممت بشىء مما كان الجاهلية يعملونه غير مرتين، كل ذلك يحول الله بينى و بينه، ثم ما

هممت به حتى أكرمنى برسالته، قلت ليلة لغلام يرعى معى بأعلى مكة: لو أبصرت لى غمنى حتى أدخل مكة و أسمر بها كما يسمر الشباب. فقال: أفعل. فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذنى فنمت، فما أيقظنى إلا حرّ الشمس، فعدت إلى صاحبى فسألنى فأخبرته. ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك و دخلت مكة، فأصابنى مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بسوء.

[١] جئنا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩

(١)

ذكر نكاح النبى، صلى الله عليه و سلم، خديجة

و نكح رسول الله، صلى الله عليه و سلم، خديجة بنت خويلد، و هو ابن خمس و عشرين سنة، و خديجة يومئذ ابنة أربعين سنة. و سبب ذلك أن خديجة بنت خويلد بن أسد [١] بن عبد العزى بن قصى كانت امرأة تاجرة ذات شرف و مال تستأجر الرجال فى مالها و تضاربهم إياه بشىء تجعله لهم منه، و كانت قريش تجارا، فلما بلغها عن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، صدق الحديث و عظم الأمانة و كرم الأخلاق أرسلت إليه ليخرج فى مالها إلى الشام تجارا و تعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره مع غلامها ميسرة. فأجابها و خرج معه ميسرة حتى قدم الشام، فنزل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال: من هذا؟ قال ميسرة: هذا رجل من قريش. فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي. ثم باع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و اشترى و عاد، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة يرى ملكين يظللانه من الشمس و هو على بعيره. فلما قدم مكة ربحت خديجة ربعا كثيرا، و حدثها ميسرة عن قول الراهب و ما رأى من إضلال الملكين إياه. و كانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراده الله من كرامتها، فأرسلت إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فعرضت عليه نفسها، و كانت

[١] سعد.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠

(١) وسط نساء قريش نسبا و أكثرهن مالا و شرفا، و كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه. فلما أرسلت إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، قال لأعمامه، و خرج و معه حمزة بن عبد المطلب و أبو طالب و غيرهما من عمومته حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه، فتروجها فولدت له أولاده كلهم، إلا إبراهيم: زينب، و رقية، و أم كلثوم، و فاطمة، و القاسم، و به كان يكنى، و عبد الله، و الطاهر، و الطيب. و قيل: إن عبد الله ولد فى الإسلام هو و الطاهر و الطيب، فأما القاسم و الطاهر و الطيب فهلكوا فى الجاهلية، و أما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن و هاجرن معه.

و قيل: إن الذى زوجها عمها عمرو بن أسد، و إن أباه مات قبل الفجار «١».

قال الواقدي: و هو الصحيح، لأن أباهم توفى قبل الفجار.

و كان منزل خديجة يومئذ المنزل الذى يعرف بها اليوم، فيقال: إن معاوية اشتراه و جعله مسجدا يصلّى فيه.

و كان الرسول بين خديجة و بين النبى، صلى الله عليه و سلم، نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية، و أسلمت يوم الفتح، فبرها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أكرمها.

(منية بالنون الساكنة، و الياء المشناة من تحتها).

(١). التجارة P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤١

(١)

ذكر حلف الفضول

قال ابن إسحاق: و كان نفر من جرهم و قطوراء يقال لهم: الفضيل «١» ابن الحارث الجرهمي، و الفضيل بن وداعة القطورى، و المفصل بن فضالة الجرهمي، اجتمعوا فتحالفوا أن لا- يقرّوا ببطن مكّة ظالما، و قالوا: لا ينبغي إلّا ذلك لما عظم الله من حقّها، فقال عمرو بن عوف الجرهمي:

إنّ الفضول تحالفوا و تعاقدوا إلّا يقرّ ببطن مكّة ظالم

أمر عليه تعاهدوا و توثقوا فالجار و المعترّ [١] فيهم سالم ثم درس ذلك فلم يبق إلّا ذكره فى قريش.

ثمّ إنّ قبائل من قريش تداعت إلى ذلك الحلف فتحالفوا فى دار عبد الله ابن جدعان لشرفه و سنّه «٢»، و كانوا بنى هاشم و بنى المطّلب و بنى أسد بن عبد العزى و زهرة بن كلاب و تيم بن مرّة، فتحالفوا و تعاقدوا أن لا- يجدوا بمكّة مظلوما من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلّا قاموا معه و كانوا على ظلمه حتى تردّ عليه مظلّمته، فسّمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، و شهده رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم،

فقال حين أرسله الله تعالى: لقد شهدت مع عمومى حلفا فى دار عبد الله بن جدعان ما أحبّ أن لى به حمر النعم، و لو دعيت به فى الإسلام لأجبت.

قال: و قال محمّد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: كان بين الحسين بن

[١] و المعبر. (المعترّ: المتعرض للمعروف من غير أن يسأل).

(١). الفضل B.

(٢). نسبة B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢

(١) عليّ بن أبى طالب و بين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان منازعة فى مال كان بينهما، و الوليد يومئذ أمير على المدينة لعمّه معاوية، فتحامل الوليد لسلطانه. فقال له الحسين: أقسم بالله لتنصفنى أو لآخذنّ سيفى ثمّ لأقومنّ فى مسجد رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، ثمّ لأدعونّ بحلف الفضول. فقال عبد الله بن الزبير، و كان حاضرا: و أنا أحلف بالله لو دعا به لأجبت حتى ينصف من حقّه أو نموت. و بلغ المسور بن مخزوم الزهرى فقال مثل ذلك، و بلغ عبد الرحمن ابن عثمان بن عبد الله التيمي فقال مثل ذلك. فلمّا بلغ الوليد ذلك أنصف الحسين من نفسه حتى رضى.

ذكر هدم قريش الكعبة و بنائها

و فى سنة خمس و ثلاثين من مولده، صلّى الله عليه و سلّم، هدمت قريش الكعبة.

و كان سبب هدمهم إيها أنّها كانت رضية فوق القامة، فأرادوا رفعها و تسقيفها، و ذلك أن نفرا من قريش و غيرهم سرقوا كنزها و فيه غزالان من ذهب، و كانا فى بئر فى جوف الكعبة.

و كان أمر غزالى الكعبة أنّ الله لما أمر إبراهيم و إسماعيل ببناء الكعبة ففعلا ذلك، و قد تقدّم ذكره، و أقام إسماعيل بمكة و كان يلى البيت حياته، و بعده وليه ابنه نبت. فلما مات نبت و لم يكثر ولد إسماعيل غلبت جرهم على ولاية البيت، فكان أول من وليه منهم مضا، ثم ولده من بعده حتى بغت جرهم و استحلوا حرمة البيت فظلموا من دخل مكة حتى قيل: إن إسافا [١] و نائلة زنيا

[١] أسفا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣

(١) فى البيت فمسخا حجرين.

و كانت خزاعة قد أقامت بتهماء بعد تفزق أولاد عمرو بن عامر من اليمن، فأرسل الله على جرهم الرعاف أفناهم، فاجتمعت خزاعة على إجلاء من بقى منهم، و رئيس خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارث، فاقتلوا. فلما أحس عامر بن الحارث الجرهمى بالهزيمة خرج بغزالى الكعبة و الحجر الأسود يلتمس التوبة و هو يقول:

لاهمّ إن جرهما عبادك الناس طرف و هم تلادك

بهم قديما عمرت بلادك

فلم تقبل توبته، فدفن غزالى الكعبة ببئر زمزم و طمها و خرج بمن بقى من جرهم إلى أرض جهينة، فجاءهم سيل فذهب بهم أجمعين، و قال عمرو بن الحارث:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العواثر و لى البيت بعد جرهم عمرو بن ربيعة، و قيل: وليه عمرو بن الحارث الغساني، ثم خزاعة بعده، غير أنه كان فى قبائل مضر ثلاث خلال «١»:

الإجازة بالحج من عرفه، و كان ذلك إلى الغوث بن مر بن أد، و هو صوفه، و الثانية الإفاضة من جمع إلى منى، و كانت إلى بنى زيد بن عدوان، و آخر من لى ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الأعزل بن خالد، و الثالثة النسيء للشهور الحرم، فكان ذلك إلى القلمس «٢» [١]، و هو حذيفة بن فقيم «٣» بن

[١] المقلس.

(١). خصال. B.

(٢). الملتمس. B.

(٣). وثيم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤

(١) كنانة، ثم إلى بنيه من بعده، ثم صار ذلك إلى أبى ثمامة، و هو جنادة بن عوف بن قلع بن حذيفة، و قام الإسلام و قد عادت الأشهر الحرم إلى أصلها فأبطل الله، عزّ و جلّ، النسيء.

ثم وليت البيت بعد خزاعة قريش، و قد ذكرنا ذلك عند ذكر قصي بن كلاب. ثم حفر عبد المطلب زمزم فأخرج الغزالين، كما تقدّم. و كان الذى وجد الغزالان عنده دويك، مولى لبنى مليح بن خزاعة، فقطعت قريش يده، و كان فيمن أتهم فى ذلك: عامر بن الحارث

بن نوفل، و أبو هارب بن عزيز، و أبو لهب بن عبد المطلب.

و كان البحر قد ألقى سفينة إلى جدّة لتاجر رومى فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدّوه لسقفها، فتهيأ لهم بعض ما يصلحها. و كانت حية تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى لها كلّ يوم فتشرف على جدار الكعبة، و كان لا يدنو منها أحد إلا كشت و فتحت فاهها، فكانوا يهابونها، فبينما هى يوماً على جدار الكعبة اختطفها طائر فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لندرجو أن يكون الله، عزّ و جلّ، قد رضى ما أردناه.

و كان ذلك و رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، ابن خمس و ثلاثين سنه، و بعد الفجار بخمس عشرة سنه. فلما أرادوا هدمها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول حجراً من الكعبة فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها إلا طيباً و لا تدخلوا فيه مهر بغى و لا [بيع] ربا [١] و لا مظلمة أحد. و قيل: إن الوليد بن المغيرة قال هذا.

[١] زناء.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥

(١) ثم إن الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدأكم به، فأخذ المعول فهدم، فتربص الناس به تلك الليلة و قالوا: ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً، فأصبح الوليد سالماً و غدا إلى عمله فهدم و الناس معه حتى انتهى الهدم إلى الأساس ثم أفضوا «١» إلى حجارة خضر أخذ بعضها ببعض، فأدخل رجل من قريش عتله بين حجرين منها ليقلع به أحدهما. فلما تحرك الحجر انتفضت [١] مكّة بأسرها، ثم جمعوا الحجارة لبنائها ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن، فأرادت كل قبيلة رفعه إلى موضعه حتى تحالفوا و تواعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنه مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم و بنو عدى على الموت و أدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فسّموا لعقه الدم بذلك، فمكثوا على ذلك أربع ليال ثم تشاوروا.

فقال أبو أمية بن المغيرة، و كان أسنّ قريش: اجعلوا بينكم حكماً أوّل من يدخل من باب المسجد يقضى بينكم، فكان أوّل من دخل رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم. فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا به، و أخبروه الخبر، فقال: هلموا إلى ثوبا، فأتى به، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال:

لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا. فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه.

[١] (فى ابن هشام: تنقضت أى اهترت، و هو الأرجح).

(١). انضوى.P.C

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦

(١)

ذكر الوقت الذى أرسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

إشارة

بعث الله نبيه محمداً، صلّى الله عليه و سلّم، لعشرين سنه مضت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، و كان على الحيرة

إياس بن قبيصة الطائى عاملا للفرس على العرب.

قال ابن عباس من رواية حمزة وعكرمة عنه و أنس بن مالك و عروة ابن الزبير: إن النبى، صلى الله عليه و سلم، بعث و أنزل عليه الوحي و هو ابن أربعين سنة. و قال ابن عباس من رواية عكرمة أيضا عنه و سعيد بن المسيب:

إنه أنزل عليه، صلى الله عليه و سلم، و هو ابن ثلاث و أربعين سنة، و كان نزول الوحي عليه يوم الاثنين بلا خلاف. و اختلفوا فى أى الأثنين كان ذلك، فقال أبو قلابه الجرمى: أنزل الفرقان على النبى، صلى الله عليه و سلم، لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان، و قال آخرون: كان ذلك لتسع عشرة مضت من رمضان.

و كان، صلى الله عليه و سلم، قبل أن يظهر له جبرائيل يرى و يعاين آثارا من آثار من يريد الله إكرامه بفضله. و كان من ذلك ما ذكرت من شق الملكين بطنه و استخراجهما ما فى قلبه من الغل و الدنس، و من ذلك أنه كان لا يمر بحجر و لا شجر إلا سلم عليه، فكان يلتفت يمينا و شمالا فلا يرى أحدا، و كانت الأمم تتحدث بمبعثه و تخبر علماء كل أمه قومها بذلك.

قال عامر بن ربيعة: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: إنا لنتنظر نبيا من ولد إسماعيل، ثم من بنى عبد المطلب، و لا أرانى أدركه، و أنا أو من

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧

(١) به و أصدقه و أشهد أنه نبى، فإن طالت بك حياة و رأيته فأقرئه منى السلام، و سأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك. قلت: هلّم. قال: هو رجل ليس بالطويل و لا بالقصير، و لا بكثير الشعر و لا بقليله، و لا تفارق عينيه حمرة، و خاتم النبوة بين كتفيه، و اسمه أحمد، و هذا البلد مولده و مبعثه، ثم يخرج قومه و يكرهون ما جاء به، و يهاجر إلى يثرب فيظهر بها أمره، فإياك أن تتخذ عنه، فإنى طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكل من أسأله من اليهود و النصارى و المجوس يقول: هذا الدين وراءك، و ينعته مثل ما نعته لك، و يقولون: لم يبق نبى غيره.

قال عامر: فلما أسلمت أخبرت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قول زيد و أقرأته السلام. فردّ عليه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و ترخّم عليه و قال: قد رأيته فى الجنة يسحب ذيو لا.

و قال جبير بن مطعم: كنا جلوسا عند صنم بوانة «١» [١] قبل أن يبعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بشهر. نحرنا جزورا، فإذا صائح يصيح من جوف الصنم: اسمعوا إلى العجب، ذهب استراق [٢] الوحي و نرمى بالشهب لنبى بمكة اسمه أحمد مهاجره إلى يثرب. قال: فأمسكنا و عجبنا، و خرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

و الأخبار عن دلائل نبوته كثيرة، و قد صنّف العلماء فى ذلك كتبا كثيرة ذكروا فيها كل عجيبة، ليس هذا موضع ذكرها.

[١] سوانة.

[٢] إشراق.

(١). سوابه. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨

(١)

ذكر ابتداء الوحي إلى النبى صلى الله عليه و سلم

قالت عائشة، رضى الله عنها: كان أول ما ابتدئ [به] رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل

فلق الصبح، ثم حَبَّب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتعَيَّد فيه الليالى ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزوَّد لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه جبرائيل فقال: يا محمد أنت رسول الله. قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: فجثوت لركبتي ثم رجعت ترجف بوادرى [١] فدخلت على خديجة فقلت: زملونى زملونى! ثم ذهب عنى الزوع، ثم أتانى فقال: يا محمد أنت رسول الله. قال: فلقد هممت أن أطرح نفسى من حلق، فتبدى لى حين هممت بذلك فقال: يا محمّد أنا جبرائيل و أنت رسول الله، قال: اقرأ. قلت: و ما أقرأ؟ قال: فأخذنى فغتنى «١» ثلاث مرّات حتى بلغ منى الجهد ثم قال: اقرأ باسم ربك الذى خلق [٢]، فقرأت. فأتيت خديجة، فقلت: لقد أشفقت على نفسى، و أخبرتها خبرى، فقالت: أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، و تصدق الحديث، و تؤدى الأمانة، و تحمل الكل، و تفرى الضيف، و تعين على نوائب الحق. ثم انطلقت بى إلى ورقة بن نوفل، و هو ابن عمها، و كان

[١] (البوادر، جمع بادرة: لحمه بين المنكب و العنق).

[٢] (سورة العلق، ٩٦، الآية ١).

(١). فغينى A.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩

(١) قد تنصّر و قرأ الكتب و سمع من أهل التوراة و الإنجيل، فقالت: اسمع من ابن أخيك. فسألنى فأخبرته خبرى. فقال: هذا الناموس الذى أنزل على موسى بن عمران، ليتنى كنت حين يخرجك قومك. قلت: أخرجى هم؟ قال: نعم، إنه لم يجرى أحد بمثل ما جئت به إلّا عودى، و لئن أدركنى يومك لأنصركنك نصرا مؤزرا. ثم إن أول ما نزل عليه من القرآن بعد اقرأ: ن و الْقَلَمِ و ما يَسْطُرُونَ «١» و يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ «٢» و الضُّحَى «٣».

و قالت خديجة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيما تثبته فيما أكرمه الله به من نبوته: يا ابن عمّ أ تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم. فجاءه جبرائيل، فأعلمها. فقالت: قم فاجلس على فخدى اليسرى، فقام، صلى الله عليه وسلم، فجلس عليها. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحوّل فاقعد على فخدى اليمنى. فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. فتحصّرت فألقت خمارها، و رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فى حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا ابن عمّ اثبت و أبشر، فوالله إنه ملك، و ما هو بشيطان!

و قال يحيى بن أبى كثير: سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن، قال: نزلت يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ أول. قال: قلت: إنهم يقولون اقرأ باسم ربك. قال: سألت جابر بن عبد الله قال: لا أحدثك إلّا ما حدّثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فسمعت صوتا فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا و نظرت عن يسارى فلم أر شيئا و نظرت خلفى و أمامى فلم أر شيئا، فرفعت رأسى فإذا هو، يعنى

(١). ١. ٤٨. roc. sv,

(٢). ١. ٧٤. roc. sv,

(٣). ١، ٩١. roc. الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠

(١) الملك، جالس على عرش بين السماء و الأرض، فخشيت «١» منه فأتيت خديجة فقلت: دثرونى دثرونى، و صبوا على ماء، ففعلوا،

فتزلت:

يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، هذا حديث صحيح.

قال هشام بن الكلبي: أتى جبرائيل النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أول ما أتاه ليلة السبت و ليلة الأحد، ثم ظهر له برسالة الله يوم الاثنين فعلمه الوضوء و الصلاة، و علمه: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، و كان لرسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أربعون سنة. قال الزهري: فتر الوحي عن رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فترة، فحزن حزنا شديدا و جعل يغدو إلى رءوس الجبال ليتردى منها، فكلما رقى ذروة «٢» جبل تبدى له جبرائيل فيقول: إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. فيسكن لذلك جأشه و ترجع نفسه. فلما أمر الله نبيه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن ينذر قومه عذاب الله على ما هم عليه من عبادة الأصنام دون الله الذي خلقهم و رزقهم و أن يحدث بنعمه ربه عليه، و هي النبوة في قول ابن إسحاق، فكان يذكر ذلك سرا لمن يطمئن إليه من أهله، فكان أول من آمن به و صدقه من خلق الله تعالى خديجة بنت خويلد زوجته.

قال الواقدي: أجمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة استجاب لرسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خديجة.

ثم كان أول شيء فرض الله من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد و البراءة من الأوثان الصلاة، و ان الصلاة لما فرضت عليه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أتاه جبرائيل و هو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت فيه عين، فتوضأ جبرائيل و هو ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ

(١). فحييت. P.C.

(٢). أوفى بذروة. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥١

(١) رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مثله، ثم قام جبرائيل فصلى به و صلى النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بصلاته، ثم انصرف. و جاء رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى خديجة فعلمها الوضوء، ثم صلى بها فصلت بصلاته.

ذكر المعراج برسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اختلف الناس في وقت المعراج، فقيل: كان قبل الهجرة بثلاث سنين، و قيل: بسنة واحدة، و اختلفوا في الموضوع الذي أسرى برسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منه، فقيل: كان نائما بالمسجد في الحجر فأسرى به منه، و قيل: كان نائما في بيت أم هانئ بنت أبي طالب، و قائل هذا يقول: الحرم كله مسجد. و قد روى حديث المعراج جماعة من الصحابة بأسانيد صحيحة.

قالوا: قال رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتاني جبرائيل و ميكائيل فقالا: بأيهم أمرنا؟ فقالا: أمرنا بسيدهم، ثم ذهبا ثم جاء من القابلة و هم ثلاثة فألقوه [١] و هو نائم فقلبه لظهره و شقوا بطنه و جاءوا بماء زمزم فغسلوا ما كان في بطنه من غل و غيره، و جاءوا بطست مملوءة إيمانا و حكمة فملئ قلبه و بطنه إيمانا و حكمة. قال: و أخرجني جبرائيل من المسجد و إذا أنا بدائته، و هي البراق، و هي فوق الحمار و دون البغل،* يقوع خطوه [٢] عند منتهى طرفه، فقال: اركب، فلما وضعت يدي عليه تشامس و استصعب. فقال جبرائيل: يا براق ما ركبك نبي أكرم على الله من محمد، فانصب عرقا و انخفض

[١] فألقوه.

[٢] ثم مثل البراق خطوه. (و قاع يقوع: تمايل في مشيته).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢

(١) لى حتى ركبته، و سار بى جبرائيل نحو المسجد الأقصى، فأتيت بإناءين أحدهما لبن و الآخر خمر، فقيل لى: اختر أحدهما، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لى:

أصبت الفطرة، أما إنك لو شربت الخمر لغوت أمتك بعدك.

ثم سرنا فقال لى: انزل فصل، فنزلت فصلت، فقال: هذه طيبة و إليها المهاجر.

ثم سرنا فقال لى: انزل فصل، فنزلت فصلت، فقال: هذا طور سيناء حيث كلم الله موسى. ثم سرنا فقال: انزل فصل، فنزلت فصلت، فقال:

هذا بيت لحم حيث ولد عيسى. ثم سرنا حتى أتينا بيت المقدس، فلما انتهينا إلى باب المسجد أنزلنى جبرائيل و ربط البراق بالحلقة التى كان يربط بها الأنبياء.

فلما دخلت المسجد إذا أنا بالأنبياء حوالى [١]، و قيل: بأرواح الأنبياء الذين بعثهم الله قبلى، فسلموا على، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: إخوانك من الأنبياء، زعمت قريش أن لله شريكا، و زعمت النصارى أن لله ولدا، سل هؤلاء النبيين هل كان لله، عز و جل، شريك أو ولد، فذلك قوله تعالى:

وَسِئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَلْجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ «١»، فأقروا بالوحدانية لله، عز و جل، ثم جمعهم جبرائيل و قدمنى فصلت بهم ركعتين.

ثم انطلق بى جبرائيل إلى الصخرة فصعد بى عليها، فإذا معراج إلى السماء لا ينظر الناظرون إلى شىء أحسن منه و منه تعرج الملائكة، أصله فى صخرة بيت المقدس و رأسه ملتصق بالسماء، فاحتملنى جبرائيل و وضعنى على جناحه و صعد

[١] حيوا لى.

(١). ٤٥. ٢٠٢. ٤٣، SV

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣

(١) بى إلى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: و من معك؟ قال: محمد. قيل: و قد بعث إليه؟ قال: نعم. قيل:

مرحبا به و نعم المجرىء جاء! ففتح، فدخلنا فإذا أنا برجل تام الخلقه عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة و عن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، فإذا نظر إلى الباب الذى عن يمينه ضحك، و إذا نظر إلى الباب الذى عن يساره بكى. فقلت: من هذا؟

و ما هذان البابان؟ فقال: هذا أبوك آدم، و الباب الذى عن يمينه باب الجنة، فإذا نظر إلى من يدخلها من ذريته ضحك، و الباب الذى عن يساره* باب جهنم «١»، إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته بكى و حزن.

ثم صعد بى إلى السماء الثانية فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل.

قيل: و من معك؟ قال: محمد. قيل: و قد بعث إليه؟ قال: نعم. قيل:

حياه الله، مرحبا به و نعم المجرىء جاء! ففتح لنا. فدخلنا فإذا بشائين، فقلت: يا جبرائيل من هذان؟ فقال: هذان عيسى بن مريم و يحيى بن زكريا.

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل.

قيل: و من معك؟ قال: محمد. قيل: [و قد بعث إليه؟ قال: نعم]. قيل:

مرحبا به و نعم المجرىء جاء! فدخلنا، فإذا أنا برجل قد فضل الناس بالحسن.

قلت: من هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا أخوك يوسف.
ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل.
قيل: و من معك؟ قال: محمّد. قيل: و قد بعث إليه؟ قال: نعم. قيل:
مرحبا به و نعم المجرىء جاء! فدخلنا، فإذا أنا برجل، فقلت: من هذا؟ قال:
إدريس رفعه الله مكانا عليّنا.
ثم صعد بي إلى السماء الخامسة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل.

(١). النار. B. الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤

(١) قيل: و من معك؟ قال: محمّد. قيل: و قد بعث إليه؟ قال: نعم. قيل:

مرحبا به و نعم المجرىء جاء! فدخلنا، فإذا رجل جالس و حوله قوم يقصّ عليهم. قلت: من هذا؟ قال: هذا هارون و الذين حوله بنو إسرائيل.

ثم صعد بي إلى السماء السادسة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل.

قيل: و من معك؟ قال: محمّد. قيل: و قد بعث إليه؟ قال: نعم. قيل:

مرحبا به و نعم المجرىء جاء! فدخلنا، فإذا أنا برجل جالس فجاوزناه، فبكى الرجل، فقلت: يا جبرائيل من هذا؟ قال: هذا موسى. قلت:
فما باله يبكى؟ قال: يزعم بنو «١» إسرائيل أنى أكرم على الله من آدم، و هذا الرجل من بنى آدم قد خلفنى وراءه.

قال: ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال:

جبرائيل. قيل: و من معك؟ قال: محمّد. قيل: و قد بعث إليه؟ قال:

نعم. قيل: مرحبا به و نعم المجرىء جاء! فدخلنا، فإذا رجل أشمط جالس على كرسى على باب الجنّة و حوله قوم بيض الوجوه أمثال القراطيس و قوم فى ألوانهم شىء، فقام الذين فى ألوانهم شىء فاغتسلوا فى نهر و خرجوا و قد صارت وجوههم مثل وجوه أصحابهم. فقلت: من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم، و هؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، و أمّا الذين فى ألوانهم شىء فقوم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا [١] فتابوا فتاب الله عليهم، و إذا إبراهيم مستند إلى بيت، فقال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه.

قال: و أخذنى جبرائيل فانتھينا إلى سدره المنتهى و إذا نبقها مثل قلال هجر يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، و نهران ظهران، فأما

[١] شيئا.

(١). لبنى. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥

(١) الباطنان فى الجنّة، و أمّا الظاهران فالنيل و الفرات، قال: و غشيها «١» من نور الله ما غشيها «٢»، و غشيها الملائكة كأنهم جراد من ذهب من خشية الله، و تحوّلت حتى ما يستطيع أحد أن ينعته، و قام جبرائيل فى وسطها، فقال جبرائيل:
تقدّم يا محمّد. فتقدّمت و جبرائيل معى إلى حجاب، فأخذ بي ملك و تخلف عنى جبرائيل، فقلت: إلى أين؟ فقال: و ما منّا إلّا له مقام معلوم [١]، و هذا منتهى الخلائق.

فلم أزل كذلك حتى وصلت إلى العرش فأتضع كل شىء عند العرش و كل لسانى من هيبه الرحمن، ثم أنطق «٣» الله لسانى فقلت: التحيات المباركات و الصلوات الطيبات لله، و فرض الله على و على أمتى فى كل يوم و ليلة خمسين صلاة. و رجعت إلى جبرائيل فأخذ بيدي و أدخلنى الجنة فرأيت القصور من الدرّ و الياقوت و الزبرجد، و رأيت نهرا يخرج من أصله ماء أشدّ بياضا من اللبن و أحلى من العسل، يجرى على رضراض من الدرّ و الياقوت و المسك، فقال:

هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، ثم عرض على النار، فنظرت إلى أغلالها و سلاسلها و حياتها و عقاربها و ما فيها من العذاب. ثم أخرجنى، فأنحدرنا حتى أتينا موسى، فقال: ما ذا فرض عليك و على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: فإننى قد بلوت بنى إسرائيل قبلك و عالجتهم أشدّ المعالجة على أقلّ من هذا فلم يفعلوا، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف. فرجعت إلى ربى و سألته، فخفف عني عشرا. فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع و أسأله التخفيف. فرجعت فخفف عني عشرا، فلم أزل بين ربى و موسى حتى جعلها خمسا، فقال: ارجع فأسأله التخفيف، فقلت:

[١] (سورة الصافات ٣٧، الآية ١٦٤).

(١-٢). و غشينا. P.C.

(٣). أطلق. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦

(١) إننى قد استحييت من ربى و ما أنا براجع، فنوديت: إننى قد فرضت عليك و على أمتك خمسين صلاة و الخمس بخمسين، و قد أمضيت فريضتى و خففت عن عبادى.

ثم انحدرت أنا و جبرائيل إلى مضجعى، و كان كل ذلك فى ليلة واحدة.

فلما رجعت إلى مكة علم أن الناس لا يصدّقونه، فقعد فى المسجد مغموما، فمرّ به أبو جهل، فقال له كالمستهزئ: هل استفدت الليلة شيئا؟ قال: نعم، أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ فقال:

نعم. فخاف أن يخبر بذلك عنه فيجحدته النبى، فقال: أ تخبر قومك بذلك؟

فقال: نعم. فقال أبو جهل: يا معشر بنى كعب بن لؤى هلموا فأقبلوا.

فحدّثهم النبى، صلى الله عليه و سلّم، فمن بين مصدق و مكذب [و مصفق] و واضح يده على رأسه. و ارتدّ الناس ممّن كان آمن به و صدّقه.

و سعى رجال من المشركين إلى أبى بكر فقالوا: إن صاحبك يزعم كذا و كذا! فقال: إن كان قال ذلك فقد صدق، إنى لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحه، فسّمى أبو بكر الصديق من يومئذ.

قالوا: فانعت لنا المسجد الأقصى. قال: فذهبت أنعت حتى التبس على، قال: فجىء بالمسجد* و إنى انظر إليه «١»، فجعلت أنعته. قالوا: فأخبرنا عن عيرنا. قال: قد مررت على عير بنى فلان بالزوحاء و قد أضلّوا بعيرا لهم و هم فى طلبه، فأخذت قدحا فيه ماء فشربته، فسلوهم عن ذلك، و مررت بعير بنى فلان و فلان و فلان فرأيت راكبا و قعودا بذى مرفنر بكرهما منى فسقط فلان فانكسرت يده، فسلوهما. قال: و مررت بعيركم بالتنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم من طلوع الشمس.

(١). حتى رأيت. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٧

(١) فخرجوا إلى الثنية فجلسوا ينظرون طلوع الشمس لكذبوه إذ قال قائل:

هذه الشمس قد طلعت. فقال آخر: والله هذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورك كما قال. فلم يفلحوا وقالوا: إن هذا سحر مبين.

ذكر الاختلاف فى أول من أسلم

اختلف العلماء فى أول من أسلم مع الاتفاق على أن خديجه أول خلق الله إسلاما، فقال قوم: أول ذكر آمن على.

روى عن علي، عليه السلام، أنه قال: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدى إلا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قبل الناس بسبع سنين.

وقال ابن عباس: أول من صلى على. وقال جابر بن عبد الله: بعث النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين و صلى على يوم الثلاثاء. وقال زيد بن أرقم: أول من أسلم مع النبي، صلى الله عليه وسلم، علي. وقال عفيف الكندي: كنت امرأة تاجرا فقدمت مكة أيام الحج فأتيت العباس، فبينما نحن عنده إذ خرج رجل فقام تجاه الكعبة يصلى، ثم خرجت «١» امرأة تصلى معه، ثم خرج غلام فقام يصلى معه. فقلت: يا عباس ما هذا الدين؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخى، زعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى و قيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة آمنت به، وهذا الغلام علي بن أبى طالب آمن به، و ايم الله ما أعلم على ظهر الأرض أحدا على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة! قال عفيف: ليتنى كنت رابعا.

وقال محمد بن المنذر و ربيعة بن أبى عبد الرحمن و أبو حازم المدني و الكلبي:

(١). قامت P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٨

(١) أول من أسلم على. قال الكلبي: كان عمره تسع سنين، وقيل: إحدى عشرة سنة.

وقال ابن إسحاق: أول من أسلم على و عمره إحدى عشرة سنة.

و كان من نعمه الله عليه أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، و كان أبو طالب ذا عيال كثيرة،

فقال يوما رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لعمة العباس: يا عم إن أبأ طالب كثير العيال فانطلق بنا نخفف عن عيال أبى طالب، فانطلقا إليه و أعلماه ما أرادا، فقال أبو طالب: اتركا لى عقيلًا و اصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليًا، و أخذ العباس جعفرًا، فلم يزل على عند النبي، صلى الله عليه وسلم، حتى أرسله الله فاتبعه.

و

كان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا أراد الصلاة انطلق هو و على إلى بعض الشعاب بمكة فيصليان و يعودان. فعثر عليهما أبو طالب فقال: يا ابن أخى ما هذا الدين؟ قال: دين الله و ملائكته و رسله، و دين أينا إبراهيم، بعثنى الله تعالى به إلى العباد، و أنت أحق من دعوته إلى الهدى و أحق من أجبني. قال: لا أستطيع أن أفارق دينى و دين آبائى، و لكن و الله لا تخلص قريش إليك بشيء تكرهه ما حييت.

فلم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم و استغنى عنه.

قال: و قال أبو طالب لعلي: ما هذا الدين الذى أنت عليه؟ قال: يا أبه! آمنت بالله و برسوله و صليت معه. فقال: أما إنّه لا يدعوننا إلا إلى الخير فالزمه.

وقيل: أول من أسلم أبو بكر، رضى الله عنه. قال الشعبي: سألت ابن عباس عن أول من أسلم، فقال: أما سمعت قول حسان بن ثابت:

إذا تذكّرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاهما و أعدلهما بعد النبى و أوفاهما بما حملا

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٩

(١)

الثانى التالى المحمود مشهده «١» و أول الناس منهم صدق الرسلا و

قال عمرو بن عبسة: أتيت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بعكاظ فقلت: يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر؟ قال: تبعنى عليه حر و عبد، أبو بكر و بلال. فأسلمت عند ذلك، فلقد رأيتنى ربيع [١] الإسلام.

و كان أبو ذر يقول: لقد رأيتنى ربيع الإسلام لم يسلم قبلى إلا النبى و أبو بكر و بلال. و قال إبراهيم النخعى: أبو بكر أول من أسلم. و قيل: أول من أسلم زيد بن حارثة. قال الزهرى و سليمان بن يسار و عمران بن أبى أنس و عروة بن الزبير: أول من أسلم زيد بن حارثة و كان هو و على يلزمان النبى، صلى الله عليه و سلم، و كان، صلى الله عليه و سلم، يخرج إلى الكعبة أول النهار و يصلى صلاة الضحى، و كانت قريش لا تنكرها، و كان إذا صلى غيرها قعد على و زيد بن حارثة يرصدانه.

و قال ابن إسحاق: أول ذكر أسلم بعد النبى على و زيد بن حارثة، ثم أسلم أبو بكر و أظهر إسلامه، و كان مانعا لقومه محببا فيهم، و كان أعلمهم بأنسب قريش و ما كان فيها، و كان تاجرا يجتمع إليه قومه، فجعل يدعو من يثق به من قومه، فأسلم على يديه عثمان بن عفان و الزبير بن العوام و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبى وقاص و طلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، حين استجابوا له فأسلموا و صلوا. و كان هؤلاء نفرهم الذين سبقوا إلى الإسلام، ثم تتابع الناس فى الإسلام حتى فشا ذكر الإسلام بمكة و تحدث به الناس.

[١] رابع.

(١). مشهده P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٦٠

(١) قال الواقدى: و أسلم أبو ذر، قالوا رابعا أو خامسا، و أسلم عمرو بن عبسة السلمي رابعا أو خامسا، و قيل: إن الزبير أسلم رابعا أو خامسا، و أسلم خالد بن سعيد بن العاص خامسا. و قال ابن إسحاق: أسلم هو و زوجته همينه بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خزاعة بعد جماعة كثيرة.

ذكر أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم، بإظهار دعوته

ثم إن الله تعالى أمر النبى، صلى الله عليه و سلم، بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما يؤمر، و كان قبل ذلك فى السنين الثلاث مستترا بدعوته لا يظهرها إلا لمن يثق به، فكان أصحابه إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعب فاستخفوا، فبينما سعد بن أبى وقاص و عمارة و ابن مسعود و خباب و سعيد [١] بن زيد يصلون فى شعب أطلع عليهم نفر من المشركين، منهم: أبو سفيان بن حرب، و الأخنس ابن شريق، و غيرهما، فسبواهم و عابواهم حتى قاتلواهم، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحى جمل فشجبه، فكان أول دم أريق فى الإسلام فى قول.

قال ابن عباس: لما نزلت: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ «١» خرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فصعد على الصفا فهتف: يا صباحاه! فاجتمعوا إليه، فقال: يا بنى فلان، يا بنى فلان، يا بنى عبد المطلب، يا بنى عبد مناف! فاجتمعوا إليه. فقال: أ رأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح الجبل أ كنتم مصدقنى؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا. قال: فإننى نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب:

تبا لك! أما جمعنا إلّا لهذا؟ ثم قام، فنزلت:

[١] و سعد.

(١). ٢١٤.٢٠C.٢٦، sv

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٦١

(١) تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ السُّورَةُ

«١».

و

قال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم: لما أنزل الله على رسوله: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، اشتد ذلك عليه و ضاق به ذرعا، فجلس فى بيته كالمريض، فأنته عماته يعدنه، فقال: ما اشتكيت شيئا و لكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين. فقلن له: فادعهم و لا تدع أبا لهب فىهم فإنه غير مجيبك. فدعاهم، صلى الله عليه و سلم، فحضروا و معهم نفر من بنى المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة و أربعين رجلا فبادره أبو لهب و قال: هؤلاء هم عمومك و بنو عمك فتكلم و دع الصبابة، و اعلم أنه ليس لقومك فى العرب قاطبة طاقة، و أن أحق من أخذك فحبسك بنو أبيك، و إن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يشب بك بطون قريش و تمدمهم العرب، فما رأيت أحدا جاء على بنى أبيه بشر مما جئتهم به. فسكت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و لم يتكلم فى ذلك المجلس، ثم دعاهم ثانية و قال: الحمد لله، أحمده و أستعينه و أومن به و أتوكل عليه و أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، و الله الذى لا إله إلّا هو إني رسول الله إليكم خاصة و إلى الناس عامة، و الله لتموتن كما تنامون، و لتبعثن كما تستيقظون، و لتحاسبن بما تعملون، و إنها الجنة أبدا و النار أبدا.

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك و أقبلنا لنصيحتك و أشدّ تصديقنا لحديثك، و هؤلاء بنو أبيك مجتمعون، و إنما أنا أحدهم، غير أنى أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به فو الله لا أزال أحوطك و أمنعك، غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب.

فقال أبو لهب: هذه و الله السوأة! خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم.

فقال أبو طالب: و الله لنمنعته ما بقينا.

(١). ١١١.٢٠C.١، sv

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٦٢

(١) و

قال على بن أبي طالب: لما نزلت: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ دعانى النبى، صلى الله عليه و سلم، فقال: يا على إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فضقت ذرعا و علمت أنى متى أبادرهم بهذا الأمر أر منهم ما أكره، فصمت عليه حتى جاءنى جبرائيل فقال: يا محمد إلّا تفعل ما تؤمر به يعدبك ربك. فاصنع لنا صاعا من طعام و اجعل عليه رجل شاة و املا لنا عسا من لبن و اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أكلهم و أبلغهم ما أمرت به. ففعلت ما أمرنى به، ثم دعوتهم، و هم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، فىهم أعمامه أبو طالب و حمزة و العباس و أبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعتهم لهم. فلما وضعت تناول رسول الله، صلى الله عليه و سلم، حزة من اللحم ففتفها «١» بأسنانه ثم ألقاها فى نواحي الصفحة، ثم قال:

خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة، و ما أرى إلّا مواضع أيديهم، و ايم الله الذى نفس على بيده إن كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدمت لجميعهم! ثم قال: اسق القوم، فجتتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا، و ايم الله إن كان الرجل الواحد ليشرب مثله! فلما أراد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال:

لهدّ [١] ما سحركم به صاحبكم. فتفرّق القوم و لم يكلمهم، صلى الله عليه و سلم، فقال: الغد يا على، إن هذا الرجل سبقنى إلى ما سمعت من القول فتفرّقوا قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلى.

ففعل مثل ما فعل بالأمس، فأكلوا، و سقيتهم ذلك العس، فشربوا حتى رووا جميعا و شبعوا، ثم تكلم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقال: يا بنى

[١] لعل. (لهدّ: كلمة يتعجب بها).

(١). فشقها. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٦٣

(١) عبد المطلب إنى و الله ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جتتكم به، قد جتتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعا، و قلت، و إنى لأحدثهم سنا و أرمصهم عينا و أعظمهم بطنا و أحمشهم ساقا: أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال:

إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم، فاسمعوا له و أطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون فيقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع.

و أمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يصدع بما جاءه من عند الله و أن ييادئ الناس بأمره و يدعوهم إلى الله، فكان يدعو فى أوّل ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفيا إلى أن أمر بالظهور للدعاء، ثم صدع بأمر الله و بادأ قومه بالإسلام، فلم يبعدوا منه و لم يردّوا عليه إلّا بعض الردّ، حتى ذكر آلهتهم و عابها. فلما فعل ذلك أجمعوا على خلافه إلّا من عصمه الله منهم بالإسلام، و هم قليل مستخفون. و حذب عليه عمّه أبو طالب و منعه و قام دونه، و مضى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على أمر الله مظهرا لأمره لا يردّه شىء.

فلما رأت قريش أنّه، صلى الله عليه و سلم، لا يعتبه من شىء يكرهونه، و أنّ أبأ طالب قد قام دونه و لم يسلمه لهم، مشى رجال من أشرفهم إلى أبى طالب: عتبه و شبيهه ابنا ربيعه، و أبو البخترى بن هشام، و الأسود بن المطلب، و الوليد بن المغيرة، و أبو جهل بن هشام، و العاص بن وائل، و نبيه و متهه ابنا الحجاج، و من مشى منهم، فقالوا: يا أبأ طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا و عاب ديننا و سفّه أحلامنا و ضلل آباءنا، فأقيا أن تكفّه عنا و إمّا أن تخلى بيننا و بينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه. فقال لهم أبو طالب قولوا جميلا و ردّهم ردّا رفيقا، فانصرفوا عنه، و مضى رسول الله، صلى

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٦٤

(١) الله عليه و سلم، لما هو عليه.

ثم شرى [١] الأمر بينه و بينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا و أكثرت قريش ذكر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و تذا مروا [٢] فيه، فمشوا إلى أبى طالب مرّة أخرى فقالوا: يا أبأ طالب إن لك سنا و شرفا، و إنّا قد اشتهيناك أن تنهى ابن أخيك فلم تفعل، و إنّا و الله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا و آبائنا و تسفيه أحلامنا حتى تكفّه عنا أو ننازله و إيتاك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، أو كما قالوا، ثم انصرفوا عنه.

فعظم على أبى طالب فراق قومه و عداوتهم له و لم تطب نفسه بإسلام رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و خذلانه، و بعث إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأعلمه ما قالت قريش و قال له: أبق على نفسك و على و لا تحملى من الأمر ما لا أطيع. فظن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أنه قد بدا لعمه [بدو] و أنه خذله و قد ضعف عن نصرته، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: يا عمّاه لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته. ثم بكى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قام. فلما ولى ناداه أبو طالب، فأقبل عليه و قال: اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدا.

فلما علمت قريش أن أبا طالب لا يخذل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أنه يجمع لعداوتهم مشوا بعمارة بن الوليد فقالوا: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد فتى قريش و أشعرهم و أجملهم، فخذة فلك عقله و نصرته فاتخذة ولدا، و أسلم لنا ابن أخيك هذا الذى سفّه أحلامنا و خالف دينك و دين

[١] سرى. (و شرى الأمر: اشتدّ و استطال).

[٢] و قد توامروا. (و تذامر القوم: تلاوموا، تحاضوا على القتال).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٦٥

(١) آباءك و فرّق جماعة قومك نقتله، فإنما رجل برجل. فقال: و الله لبئس ما تسوموننى، أ تعطوننى ابنكم أغذوه لكم و أعطيكم ابنى تقتلونه؟ هذا و الله لا يكون أبدا! فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف: و الله لقد أنصفك قومك و ما أراك تريد أن تقبل منهم! فقال أبو طالب: و الله ما أنصفونى و لكنك قد أجمعت خذلانى و مظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك.

فاشتدّ الأمر عند ذلك و تنابذ القوم و اشتدّت قريش على من فى القبائل من الصحابة الذين أسلموا، فوثبت كلّ قبيلة على من فيها من المسلمين يعدّونهم و يفتنونهم عن دينهم، و منع الله رسوله بعمه أبى طالب، و قام أبو طالب فى بنى هاشم فدعاهم إلى منع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأجابوا إلى ذلك و اجتمعوا إليه إلّا ما كان من أبى لهب.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه أقبل يمدحهم و يذكر فضل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فيهم. و قد مشت قريش إلى أبى طالب عند موته و قالوا له: أنت كبيرنا و سيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكفّ عن شتم آلهمنا و ندعه و إلهه.

فبعث إليه أبو طالب، فلما دخل عليه قال له: هؤلاء سروات قومك يسألونك أن تكفّ عن شتم آلهمنا و يدعوك و إلهك. قال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: أى عمّ! أو لا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب و يملكون رقاب العجم؟ فقال أبو جهل: ما هى و أيبك لنعطيكها و عشر أمثالها قال: تقولون لا إله إلّا الله، فنفروا و تفرّقوا و قالوا: سل غيرها. فقال: لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم غيرها. قال: فغضبوا و قاموا من عنده غضابى و قالوا: و الله لنشتمنك و إلهك الذى يأمرك بهذا! و أنطلق الملمأ منهم أن ائشوا و اضبروا على آلهمنا، إلى قوله: إلّا اختلاق (١)، و أقبل على عمه فقال:

(١). ٧، ٦، ٣٨، ٥٧، ٦٦، الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٦٦

(١) قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لو لا أن تعيبكم بها العرب و تقول جزع من الموت لأعطيتكها، و لكن على ملأه (١) الأشياخ، فنزلت:

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

«٢».

و هم الذين سبقوا إلى الإسلام و لا عشائر لهم تمنعهم و لا قوّة لهم يمنعون بها، فأما من كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفار إليه، فلما رأوا امتناع من له عشيرة وثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفى المسلمين فجعلوا يحبسونهم و يعذبونهم بالضرب و الجوع و العطش و رمضاء مكّة و النار ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدّة البلاء و قلبه مطمئن بالإيمان، و منهم من يتصلّب فى دينه و يعصمه الله منهم.

فمنهم: بلال بن رباح الحبشى مولى أبى بكر، و كان أبوه من سبى الحبشة، و أمه حمامة سبيّة أيضا، و هو من مولدى السراة، و كنيته أبو عبد الله، فصار بلال لأميّة بن خلف الجمحى، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهره يلقى فى الرمضاء على وجهه و ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره، و يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمّد و تعبد اللات و العزى، فكان ورقة بن نوفل يمرّ به و هو يعذب و هو يقول: أحد أحد. فيقول: أحد أحد و الله يا بلال. ثم يقول لأميّة: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذته حنانا. فرآه أبو بكر يعذب فقال لأميّة بن خلف الجمحى: ألا تتقى الله فى هذا المسكين؟ فقال: أنت أفسدته فأبعدته. فقال: عندى غلام على دينك

(١). مكة. P.C.

(٢). ٥٦. ٢٨. ٢٠٢٠. SV.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٦٧

(١) أسود أجد من هذا أعطيكه به. قال: قبلت. فأعطاه أبو بكر غلامه و أخذ بلالا فأعتقه، فهاجر و شهد المشاهد كلّها مع رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم.

و منهم: عمّار بن ياسر أبو اليقظان العنسى، و هو بطن من مراد- و عنس هذا بالنون-، أسلم هو و أبوه و أمه و أسلم قديما و رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فى دار الأرقم بن أبى الأرقم بعد بضعة و ثلاثين رجلا، أسلم هو و صهيب فى يوم واحد، و كان ياسر حليفا لبني مخزوم، فكانوا يخرجون عمّارا و أباه و أمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّ الرمضاء، فمرّ بهم النبى، صلّى الله عليه و سلّم، فقال: صبرا آل ياسر فإنّ موعدكم الجنة. فمات ياسر فى العذاب و أغلظت امرأته سميه «١» القول لأبى جهل، فطعنها فى قبلها بحربة فى يديه فماتت، و هى أوّل شهيد فى الإسلام، و شدّدوا العذاب على عمّار بالحرّ تارة و بوضع الصخر على صدره أخرى و بالتغريق أخرى،

فقالوا: لا نتركك حتى تسبّ محمّدا و تقول فى اللات و العزى خيرا، ففعل، فتركوه، فأتى النبى، صلّى الله عليه و سلّم، يبكى. فقال: ما وراءك؟ قال: شرّ يا رسول الله، كان الأمر كذا و كذا. قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئنا بالإيمان. فقال: يا عمّار إن عادوا فعد، فأنزل الله تعالى: **إِلَّا مَنْ أْكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**

«٢»، فشهد المشاهد كلّها مع رسول الله و قتل بصفيين مع علىّ و قد [١] جاوز التسعين، قيل بثلاث، و قيل بأربع سنين.

و منهم: خبّاب بن الأرت، كان أبوه سواديا من كسكر، فسباه قوم من ربيعة و حملوه إلى مكّة فباعوه من سباع بن عبد العزى الخزاعى حليف بنى زهرة، و سباع هو الذى بارزه حمزة يوم أحد، و خبّاب تميمى، و كان

[١] و هو.

(١). شميا. A؛ سميا. P.C.

(٢). ١٠٦. ١٦. ٢٠C. SV.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٦٨

(١) إسلامه قديماً، قيل سادس سنّة قبل دخول رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، دار الأرقم، فأخذه الكفار و عذّبوه عذاباً شديداً، فكانوا يعزّونه و يلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف، و هي الحجارة المحمّاة بالنار، و لووا رأسه، فلم يجبهم إلى شيء ممّا أرادوا منه، و هاجر و شهد المشاهد كلّها مع رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، و نزل الكوفة، و مات سنّة ستّ «١» و ثلاثين.

و منهم: صهيب بن سنان الروميّ، و لم يكن روميّاً، و إنّما نسب إليهم لأنّهم سبوه و باعوه، و قيل: لأنّه كان أحمر اللون، و هو من النمر بن قاسط، كناه رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، أبا يحيى قبل أن يولد له، و كان ممّن يعذّب في الله، فعذّب عذاباً شديداً. و لما أراد الهجرة منعته قريش، فافتدى نفسه منهم بماله أجمع، و جعله عمر بن الخطّاب عند موته يصلّي بالناس إلى أن يستخلف بعض أهل الشورى، و توفّي بالمدينة في شوال من سنّة ثمان و ثلاثين و عمره سبعون سنّة.

و أمّا عامر بن فهيرة فهو مولى الطفيل بن عبد الله الأردّي، و كان الطفيل أخا عائشة لأُمّها أمّ رومان، أسلم قديماً قبل دخول رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، دار الأرقم، و كان من المستضعفين يعذّب في الله، فلم يرجع عن دينه، و اشتراه أبو بكر و أعتقه، فكان يرعى غنما له، و كان يروح بغنم أبي بكر إلى النبيّ، صَلَّى الله عليه و سلم، و إلى أبي بكر لما كانا في الغار، و هاجر معهما إلى المدينة يخدمهما، و شهد بدرًا و أحداً، و استشهد يوم بئر معونة و له أربعون سنّة. و لما طعن قال: فزت و ربّ الكعبة! و لم توجد جثته لتدفن مع القتلى، فقيل: إنّ الملائكة دفنته.

و منهم: أبو فكيهة، و اسمه أفلح، و قيل يسار، و كان عبداً لصفوان

(١). سبع. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٦٩

(١) ابن أميّة بن خلف الجمحيّ، أسلم مع بلال، فأخذه أميّة بن خلف و ربط في رجله حبلاً و أمر به فجزّ ثمّ ألقاه في الرمضاء، و مرّ به جعل فقال له أميّة:

أليس هذا ربّك؟ فقال: الله ربّي و ربّك و ربّ هذا، فخنقه خنقاً شديداً، و معه أخوه أبي بن خلف يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمّد فيخلّصه بسحره، و لم يزل على تلك الحال حتى ظنّوا أنّه قد مات، ثمّ أفاق، فمرّ به أبو بكر فاشتراه و أعتقه.

و قيل: إنّ بني عبد الدار كانوا يعذّبونه، و إنّما كان مولى لهم، و كانوا يضعون الصخرة على صدره حتى دلّع لسانه فلم يرجع عن دينه، و هاجر و مات قبل بدر.

و منهم: لبيبة «١» جارية بني مؤمّل بن حبيب بن عدّي بن كعب، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطّاب، و كان عمر يعذّبها حتى تفتن ثمّ يدعها، و يقول:

إنّي لم أدعك إلّا سامةً، فتقول: كذلك يفعل الله بك إن لم تسلم، فاشترها أبو بكر فأعتقها.

و منهم: زئيرة، و كانت لبني عدّي، و كان عمر يعذّبها، و قيل: كانت لبني مخزوم، و كان أبو جهل يعذّبها حتى عميت، فقال لها: إنّ اللات و العزّى فعلا- بك. فقالت: و ما يدري اللات و العزّى من يعبدهما؟ و لكنّ هذا أمر من السماء و ربّي قادر على ردّ بصرى، فأصبحت من الغد و قد ردّ الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمّد، فاشترها أبو بكر فأعتقها.

(زئيرة بكسر الزاي، و تشديد النون، و تسكين الياء المشناة من تحتها، و فتح الراء).

و منهم: النهدية، مولاة لبني نهد، فصارت لامرأة من بني عبد الدار

(١). أمينة. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٧٠

(١) فأسلمت، و كانت تعذبها و تقول: و الله لا أقلعت عنك أو يبتاعك بعض أصحاب محمد، فابتاعها أبو بكر فأعتقها. و منهم: أم عبيس، بالبلاء الموحدة، و قيل عبيس، بالنون، و هى أمه لبني زهرة، فكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها، فابتاعها أبو بكر فأعتقها.

و كان أبو جهل يأتى الرجل الشريف و يقول له: أترك دينك و دين أبيك و هو خير منك! و يقبح رأيه و فعله و يسفه حلمه و يضع شرفه، و إن كان تاجرا يقول: ستكسد تجارتك و يهلك مالك، و إن كان ضعيفا أغرى به حتى يعذب.

ذكر المستهزين و من كان أشد الأذى للنبي، صلى الله عليه و سلم

و هم جماعة من قريش، فمنهم: عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب، كان شديدا عليه و على المسلمين، عظيم التكذيب له، دائم الأذى، فكان يطرح العذرة و التنن «١» على باب النبي، صلى الله عليه و سلم، و كان جاره، فكان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يقول: أى جوار هذا يا بنى عبد المطلب! فرآه يوما حمزة فأخذ العذرة و طرحها على رأس أبي لهب [١]، فجعل يفضها [٢] عن رأسه و يقول: صاحبى أحق! و أقصر عما كان يفعله لکنه يضع من يفعل ذلك.

و مات أبو لهب [٣] بمكة عند وصول الخبر بانضمام المشركين بيد بمرض

[١] أبى جهل.

[٢] يفضه.

[٣] أبو جهل.

(١). التنن. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٧١

(١) يعرف بالعدسة «١».

و منهم: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، و هو ابن خال النبي، صلى الله عليه و سلم، و كان من المستهزين، و كان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى.

و كان يقول للنبي، صلى الله عليه و سلم: أما كلمت اليوم من السماء يا محمد! و ما أشبه ذلك. فخرج من أهله فأصابه السموم فاسود وجهه، فلما عاد إليهم لم يعرفوه و أغلقوا الباب دونه، فرجع متحيرا حتى مات عطشا. و قيل: إن جبرائيل أوما إلى السماء فأصابته الأكلة فامتلا قيحا فمات.

و منهم: الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم السهمى، كان أحد المستهزين الذين يؤذون رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و هو ابن الغيظة، و هى أمه، و كان يأخذ حجرا يعبده، فإذا رأى أحسن منه ترك الأول و عبد الثانى. و كان يقول: قد غر محمد أصحابه و وعدهم أن يحيوا بعد الموت، و الله ما يهلكنا إلا الدهر، و فيه نزلت: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه «٢»، و أكل حوتا مملوفا فلم يزل يشرب الماء حتى مات، و قيل: أخذته الذبحة، و قيل: امتلا رأسه قيحا فمات.

و منهم: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، و كان الوليد يكنى أبا عبد شمس، و هو العدل، لأنه كان عدل قريش كلها، لأن

قريشا كانت تكسو البيت جميعها و كان الوليد يكسوه وحده، و هو الذي جمع قريشا و قال: إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: ساحر، و يقول هذا: كاهن، و يقول هذا: شاعر، و يقول هذا: مجنون، و ليس يشبه واحدا ممّا يقولون، و لكن أصلح ما قيل فيه ساحر لأنه يفرق بين المرء و أخيه و زوجته. و قال أبو جهل: لئن سب محمد آلهتنا سبنا

(١). بالعديبة. B.

(٢). ٢٣، ٢٠C، ٤٥، SV.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٧٢

(١) إلهه، فأنزل الله تعالى: وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ «١». و مات بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر و هو ابن خمس و تسعين «٢» سنة، و دفن بالحجون، و كان مَرَّ رجل من خزاعة يريش نبلا- له فوطى على سهم منها فخدشه، ثم أوما جبرائيل إلى ذلك الخدش بيده فانتقض و مات منه، فأوصى إلى بنيه أن يأخذوا ديتته من خزاعة، فأعطت خزاعة ديتته. و منهم: أمية و أبي ابنا خلف، و كانا على شتر ما عليه أحد من أذى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و تكذبه، جاء أبي إليه، صلى الله عليه و سلم، بعظم فخذ ففته في يده و قال: زعمت أن ربك يحيى هذا العظم، فنزلت: قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ «٣». و صنع عقبه بن أبي معيط طعاما و دعا إليه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقال: لا أحضره حتى تشهد أن لا إله إلا الله، ففعل، فقام معه. فقال له أمية بن خلف:

أقلت كذا و كذا؟ فقال: إنما قلت ذلك لطعامنا، فنزلت: وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ

«٤». و قتل أمية يوم بدر كافرا، قتله خبيب و بلال، و قيل: قتله رفاعه بن رافع الأنصارى. و أما أخوه أبي فقتله رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يوم أحد، رماه بحربة فقتله. و منهم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، و كان ممن يؤذى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و يعين أبا جهل على أذاه، قتله حمزة يوم بدر.

و منهم: العاص بن وائل السهمي، والد عمرو بن العاص، و كان من المستهزين، و هو القائل لما مات القاسم «٥» [١] ابن النبي، صلى الله عليه و سلم:

[١] إبراهيم.

(١). ١٠٨، ٦، ٢٠C، SV.

(٢). و سبعين. P. C.

(٣). ٧٨، ٣٦، ٢٠C، SV.

(٤). ٢٧، ٢٥، ٢٠C، SV.

(٥). عبد الله. P. C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٧٣

(١) إن محمدا أبترا لا يعيش له ولد ذكر، فأنزل: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ «١».

فركب حمارا له فلما كان بشعب من شعاب مكة رضى به حماره فلدغ في رجله فانتفخت حتى صارت كعق البعير، فمات منها بعد

هجرة النبى، صلى الله عليه وسلم، ثانى شهر دخل المدينة و هو ابن خمس و ثمانين سنة.

و منهم: النضر بن الحارث بن علقمة بن كدة بن عبد مناف بن عبد الدار، يكتى أبا قائد، و كان أشد قريش فى تكذيب النبى، صلى الله عليه وسلم، و الأذى له و لأصحابه. و كان ينظر فى كتب الفرس و يخالط اليهود و النصارى، و سمع بذكر النبى، صلى الله عليه وسلم، و قرب مبعثه، فقال: إن جاءنا نذير لنكوننَّ أهدى من إحدى الأمم، فنزلت: وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ «٢»، الآية. و كان يقول: إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين، فنزل فيه عدة آيات. أسره المقداد يوم بدر و أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بضرب عنقه، فقتله على بن أبى طالب صبورا بالأثيل.

و منهم: أبو جهل بن هشام المخزومى، كان أشد الناس عداوة للنبى، صلى الله عليه وسلم، و أكثرهم أذى له و لأصحابه، و اسمه عمرو، و كنيته أبو الحكم، و أما أبو جهل فالمسلمون كئوه به، و هو الذى قتل سمية أمّ عمار بن ياسر، و أفعاله مشهورة، و قتل ببدر، قتله ابنا عفراء، و أجهز عليه عبد الله بن مسعود.

و منهم: نبيه و متبه ابنا الحجاج السهميان، و كانا على ما كان عليه أصحابهما من أذى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و الطعن عليه، و كانا يلقياه فيقولان له: أما وجد الله من يبعثه غيرك؟ إن هاهنا من هو أسن منك و أيسر. فقتل متبه، قتله على بن أبى طالب ببدر، و قتل أيضا

(١). ٣. ١٠٨. rOC. sv

(٢). ١٠٩. ٦. rOC. sv

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٧٤

(١) العاص بن متبه بن الحجاج، قتله أيضا على ببدر، و هو صاحب ذى الفقار، و قيل متبه بن الحجاج صاحبه، و قيل نبيه.

(نبيه بضم النون، و فتح الباء الموحدة).

و منهم: زهير بن أبى أمية أخو أم سلمة لأبيها، و أمه عاتكة بنت عبد المطلب، و كان ممن يظهر تكذيب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و يرد ما جاء به و يطعن عليه إلا أنه ممن أعان على نقض الصحيفة. و اختلف فى موته فقيل: سار إلى بدر فمرض فمات، و قيل: أسر ببدر فأطلقه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلما عاد مات بمكة، و قيل: حضر وقعة أحد فأصابه سهم فمات منه، و قيل: سار إلى اليمن بعد الفتح فمات هناك كافرا.

و منهم: عقبه بن أبى معيط، و اسم أبى معيط أبان بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس، و يكتى أبا الوليد، و كان من أشد الناس أذى لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، و عداوة له و للمسلمين، عمد إلى مكمل فجعل فيه عذرة و جعله على باب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فبصر به طليب بن عمير بن وهب بن عبد مناف بن قصي، و أمه أروى بنت عبد المطلب، فأخذ المكمل منه و ضرب به رأسه و أخذ بأذنيه، فشكاه عقبه إلى أمه فقال: قد صار ابنك ينصر محمدا. فقالت: و من أولى به منا؟ أموالنا و أنفسنا دون محمد. و أسر عقبه ببدر فقتل صبورا، قتله عاصم بن ثابت الأنصارى، فلما أراد قتله قال: يا محمد من للصبي؟ قال: النار.

قتل بالصفراء، و قيل بعرق الطيبة، و صلب، و هو أول مصلوب فى الإسلام.

و منهم: الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، و كان من المستهزين، و يكتى أبا زمعة، و كان و أصحابه يتغامزون «١» بالنبى، صلى الله

(١). يخامرون. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٧٥

(١) عليه و سلم، و أصحابه و يقولون: قد جاءكم ملوك الأرض و من يغلب على كنوز كسرى و قيصر، و يصفرون به و يصفقون، فدعا عليه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يعمى و يثكل ولده، فجلس في ظل شجرة فجعل جبرائيل يضرب وجهه و عينيه بورقة من ورقها و بشوكها حتى عمى، و قيل: أوماً إلى عينيه فعمى فشغله عن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قتل ابنه معه بيدر كافراً، قتله أبو دجانة، و قتل ابن ابنه عتيب، قتله حمزة و عليّ اشتركا في قتله، و قتل ابن ابنه الحارث بن زمعة بن الأسود، قتله عليّ، و قيل: هو الحارث بن الأسود، و الأوّل أصحّ، و هو القائل:

أ تبكى أن يضلّ لها بعير و يمنعها من النوم السهود و مات و الناس يتجهزون إلى أحد و هو يحرض الكفار و هو مريض.
و منهم: طعيمة بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، يكنى أبا الريان، و كان ممن يؤذى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و يشتمه و يسمّعه و يكذّبه، و أسر بيدر، و قتل كافراً صبياً، قتله حمزة.

و منهم: مالك بن الطلالة «١» بن عمرو بن غبشان من المستهزين، و كان سفيهاً، فدعا عليه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأشار جبرائيل إلى رأسه فامتلاً قيحا فمات.

و منهم: ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، كان شديد العداوة، لقي النبي، صلى الله عليه و سلم، فقال: يا ابن أخي بلغني عنك أمر و لست [١] بكذاب «٢»، فإن صرعتني علمت أنك صادق، و لم يكن يصرعه أحد، فصرعه

[١] و لكن.

(١). B. s. tra

(٢). بكتاب B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٧٦

(١) النبي، صلى الله عليه و سلم، ثلاث مرّات، و دعاه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى الإسلام، فقال: لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة. فقال لها رسول الله، صلى الله عليه و سلم: أقبلي، فأقبلت تحدّ الأرض. فقال ركانة: ما رأيت سحراً أعظم من هذا، مرها فلترجع، فأمرها فعادت. فقال: هذا سحر عظيم. هؤلاء أشدّ عداوة لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، و من عداهم من رؤساء قريش كانوا أقلّ عداوة من هؤلاء، كعتبة و شيبة و غيرهما، و كان جماعة من قريش من أشدّ الناس عليه فأسلموا، تركنا ذكرهم لذلك. منهم: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و عبد الله بن أبي أمية المخزوميّ أخو أم سلمة لأبيها، و كانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أبو سفيان بن حرب، و الحكم بن أبي العاص، و والد مروان، و غيرهم، أسلموا يوم الفتح.

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

و

لما رأى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ما يصيب أصحابه من البلاء و ما هو فيه من العافية بمكانه من الله، عزّ و جلّ، و عمه أبي طالب و أنّه لا يقدر على أن يمنعهم قال: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده، حتى يجعل الله لكم فرجاً و مخرجاً ممّا أنتم فيه.

فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة و فراراً إلى الله بدينهم، فكانت أوّل هجرة في الإسلام، فخرج عثمان بن عفّان و

زوجته رقية ابنة النبى، صلى الله عليه وسلم، و أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة و معه امرأته سهلة بنت سهيل، و الزبير بن العوام، و غيرهم تمام عشرة رجال، و قيل:

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٧٧

(١) أحد عشر رجلا و أربع نسوة، و كان مسيرهم فى رجب سنة خمس من النبوة، و هى السنة الثانية من إظهار الدعوة، فأقاموا شعبان و شهر رمضان.

و قدموا فى شوال سنة خمس من النبوة، و كان سبب قدمهم إلى النبى، صلى الله عليه وسلم، [أنه] لما رأى مبعده قوم له شق عليه و تمنى أن يأتيه الله بشيء يقاربهم به، و حدث نفسه بذلك، فأنزل الله: «وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١)»، فليما وصل إلى قوله: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعَزَىٰ وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢)»، ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه: تلك الغرائق العلى، و إن شفاعتهن لترتجى. فلما سمعت ذلك قريش سرهم و المسلمون مصدقون بذلك لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا يتهمونه و لا يظنون به سهوا و لا خطأ. فلما انتهى إلى سجدة سجد معه المسلمون و المشركون إلّا الوليد بن المغيرة، فإنه لم يطق السجود لكبره، فأخذ كفا من البطحاء فسجد عليها. ثم تفرق الناس. و بلغ الخبر من الحبشة من المسلمين أن قريشا أسلمت، فعاد منهم قوم و تخلف قوم، و أتى جبرائيل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما قرأ، فحزن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و خاف، فأنزل الله تعالى:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْتِيهِ (٣)، فذهب عنه الحزن و الخوف.

و اشتدت قريش على المسلمين، فلما قرب المسلمون الذين كانوا بالحبشة من مكة بلغهم أن إسلام أهل مكة باطل، فلم يدخل أحد منهم إلّا بجوار أو مستخفيا، فدخل عثمان فى جوار أبى أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، فأمن بذلك، و دخل أبو حذيفة بن عتبة بجوار أبيه، و دخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة، ثم قال: أكون فى ذمة مشرك! جوار الله أعز، فردّ عليه جواره، و كان ليبد بن ربيعة ينشد قريشا قوله:

(١). ١. sv، ٥٣. roC.

(٢). ٢٠، ١٩. ssv. bI.

(٣). ٥٢. sv، ٢٢. roC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٧٨

(١)

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان بن مظعون: صدقت، فلما قال:

و كل نعيم لا محالة زائل

قال: كذبت! نعيم الجنة لا يزول، فقال ليبد: يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا و لا كان السفه من شأنكم. فأخبروه خبره و خبر ذمته «١»، فقام بعض بنى المغيرة فلطم عين عثمان، فضحك الوليد شماتة به حيث ردّ جواره، و قال لعثمان: ما كان أغناك عن هذا! فقال: [إن] عيني الأخرى لمحتاجة* إلى مثل ما نالت هذه [١]. فقال له: هل لك أن تعود إلى جوارى؟ قال: لا أعود إلى جوار غير الله. فقام سعد بن أبى وقاص إلى الذى لطم عين عثمان فكسر أنفه، فكان أول دم أريق فى الإسلام فى قول.

و أقام المسلمون بمكة يؤذون، فلما رأوا ذلك رجعوا مهاجرين إلى الحبشة ثانيا، فخرج جعفر بن أبى طالب و تتابع المسلمون إلى الحبشة، فأكمل بها تمام اثنين و ثمانين رجلا، و النبى، صلى الله عليه وسلم، مقيم بمكة يدعو إلى الله سرا و جهرا، فلما رأت قريش أنه لا سبيل لها إليه رموه بالسحر و الكهانة و الجنون و أنه شاعر، و جعلوا يصدون عنه من خافوا أن يسمع قوله، و كان أشد ما بلغوا

منه ما

ذكره عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: حضرت قريش يوماً بالحجر فذكروا النبي، صلى الله عليه وسلم، و ما نال منهم و صبرهم عليه، فبينما هم كذلك إذ طلع النبي، صلى الله عليه وسلم، و مشى حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً، فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك فى وجهه،

[١] إلى ما نال لمثل هذا.

(١). دينه. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٧٩

(١) ثم مضى فلما مرّ بهم الثانية غمزوه مثلها ثم الثالثة، فقال: أ تسمعون يا معشر قريش؟ و الذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح. قال: فكأنما على رءوسهم الطير واقع حتى إن أشدهم فيه ليرفؤه بأحسن ما يجد. و انصرف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد يقولون له: أنت الذى تقول كذا و كذا؟ فيقول: أنا الذى أقول ذلك، فأخذ عقبه ابن أبى معيط بردائه، و قام أبو بكر الصديق دونه يقول و هو يبكى: ويلكم! أ تفتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟ [١] ثم انصرفوا عنه. هذا أشد ما بلغت عنه.

ذكر إرسال قريش إلى النجاشى فى طلب «١» المهاجرين

لما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة و أمنوا، و أن النجاشى قد أحسن صحبتهم، ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص و عبد الله بن أبى أمية «٢» و معهما هديّة إليه و إلى أعيان أصحابه، فسارا حتى وصلا الحبشة، فحملا إلى النجاشى هديته و إلى أصحابه هداياهم و قالوا لهم: إن ناسا من سفهائنا فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا فى دين الملك و جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن

[١] (سورة غافر ٤٠، الآية ٢٨).

(١). إرسال. P.C.

(٢). عبد الله بن أبى ربيعة: mahcsiHnbI

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨٠

(١) و لا أنتم، و قد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم، و خافا إن يسمع النجاشى كلام المسلمين أن لا يسلمهم. فوعدهما أصحاب النجاشى المساعدة على ما يريدان. ثم إنهما حضرا عند النجاشى فأعلماه ما قد قالاه، فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما. فغضب من ذلك و قال: لا و الله لا أسلم قوما جاورونى و نزلوا بلادى و اختارونى على من سواى حتى أدعوهم و أسألهم عمّا يقول هذان، فإن كانا صادقين سلّمتهما إليهما، و إن كانوا [١] على غير ما يذكر هذان منعتهم و أحسنت جوارهم.

ثم أرسل النجاشى إلى أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، فدعاهم فحضروا، و قد أجمعوا على صدقه فيما ساءه و سرّه، و كان

المتكلم عنهم جعفر بن أبى طالب. فقال لهم النجاشى: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا فى دينى و لا دين أحد من الملل؟ فقال جعفر: أيها الملك كنا أهل جاهليّة نعبد الأصنام و نأكل الميتة و نأتى الفواحش و نقطع الأرحام و نساء الجوار و يأكل القوى منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفاه فدعانا لتوحيد الله و أن لا نشرك به شيئا و نخلع ما كنا نعبد من الأصنام، و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و حسن الجوار و الكفّ عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش و قول الزور و أكل مال اليتيم، و أمرنا بالصلاة و الصيام. و عدّد عليه أمور الإسلام، قال: فآمنا به و صدّقناه و حرّمنا ما حرّم علينا و حلّلنا ما أحلّ لنا، فتعدّى علينا قومنا فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان، فلمّا قهرونا و ظلمونا و حالوا بيننا و بين

[١]. كان.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨١

(١) ديننا خرجنا إلى بلادك و اخترناك على من سواك و رجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشى: هل معك ممّا جاء به عن الله شىء؟ قال: نعم، فقرأ عليه سطرا من كهيعص، فبكى النجاشى و أسأفته، و قال النجاشى: إنّ هذا و الذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، انطلقا [١]، و الله لا أسلمهم إليكما أبدا! فلمّا خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: و الله لآتيته غدا بما يبئد «١» خضراء هم. فقال له عبد الله بن أبى أمية، و كان أتقى الرجلين: لا تفعل فإنّ لهم أرحاما. فلمّا كان الغد قال للنجاشى: إنّ هؤلاء يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما. فأرسل النجاشى فسألهم عن قولهم فى المسيح. فقال جعفر: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا: هو عبد الله و رسوله و روحه و كلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشى عودة من الأرض و قال: ما عدا عيسى ما قلت هذا العود.

فنخرت «٢» [٢] بطارقتة، فقال: و إن نخرتم. و قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم آمنون، ما أحبّ أن لى جبلا من ذهب و أننى آذيت رجلا منكم. و ردّ هديّة قريش و قال: ما أخذ الله الرشوة منى حتى آخذها منكم، و لا أطاع الناس فى حتى أطيعهم فيه. و أقام المسلمون بخير دار.

و ظهر ملك من الحبشة فنازع النجاشى فى ملكه، فعظم ذلك على المسلمين، و سار النجاشى إليه ليقاتله، و أرسل المسلمون الزبير بن العوّام ليأتيهم بخبره،

[١] انطلقوا.

[٢] فتناخرت.

(١). ينبذ. B.

(٢). فتشاجرت. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨٢

(١) و هم يدعون له، فاقتتلوا، فظفر النجاشى، فما سرّ المسلمون بشىء سرورهم بظفره.

قيل: إنّ معنى قوله إنّ الله لم يأخذ الرشوة منى، أنّ أبا النجاشى لم يكن له ولد غيره، و كان له عمّ قد أولد اثنى عشر ولدا، فقالت الحبشة: لو قتلنا أبا النجاشى و ملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، و كان أخوه و أولاده يتوارثون الملك دهرا. فقتلوا أباه و ملكوا عمّه و مكثوا على ذلك حيناً، و بقى النجاشى عند عمّه، و كان عاقلا، فغلب على أمر عمّه، فخافت الحبشة أن يقتلهم جزاء لقتل أبيه،

فقالوا لعمه: إِمَّا أَنْ تَقْتُلَ النَّجَاشِيَّ وَ إِمَّا أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا فَقَدْ خَفِنَاهُ. فَأَجَابَهُمْ إِلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ بِلَادِهِمْ عَلَى كَرِهٍ مِنْهُ، فَخَرَجُوا إِلَى السُّوقِ فَبَاعُوهُ مِنْ تَاجِرٍ «١» بِسِتْمَائَةِ دَرَاهِمٍ. فَسَارَ بِهِ التَّاجِرُ فِي سَفِينَتِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ الْعِشَاءَ هَاجَتِ سَحَابَةٌ فَأَصَابَتْ عَمَّهُ بِصَاعِقَةٍ، فَفَزَعَتِ الْحَبْشَةَ إِلَى أَوْلَادِهِ، فَإِذَا هُمْ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، فَهَرَجَ عَلَى الْحَبْشَةَ أَمْرَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

وَاللَّهِ لَا يَقِيمُ أَمْرَكُمْ إِلَّا النَّجَاشِيَّ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِالْحَبْشَةَ رَأْيٌ فَأَدْرِكُوهُ.

فَخَرَجُوا فِي طَلْبِهِ حَتَّى أَدْرِكُوهُ وَ مَلِكُوهُ. وَ جَاءَ التَّاجِرُ وَقَالَ لَهُمْ: إِمَّا أَنْ تَعْطُونِي مَالِي وَ إِمَّا أَنْ أَكَلِمَهُ. فَقَالُوا: كَلِمَهُ. فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، ابْتِغِ غَلَامًا بِسِتْمَائَةِ دَرَاهِمٍ ثُمَّ أَخْذُوا الْغَلَامَ وَ الْمَالَ. فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: إِمَّا أَنْ تَعْطُوهُ دَرَاهِمَهُ وَ إِمَّا أَنْ يَضَعَ الْغَلَامُ يَدَهُ فِي يَدِهِ فَلْيَذْهَبَنَّ بِهِ حَيْثُ شَاءَ. فَأَعْطُوهُ دَرَاهِمَهُ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ. فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا عَلِمَ مِنْ عَدْلِهِ وَ دِينِهِ.

قَالَ: وَ لَمَّا مَاتَ النَّجَاشِيَّ كَانُوا لَا يَزَالُونَ يَرُونَ عَلَى قَبْرِهِ نُورًا.

(١). مستأجر. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨٣

(١)

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب

ثُمَّ إِنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، وَ هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ الصَّفَا، فَأَذَاهُ وَ شَتَمَهُ وَ نَالَ مِنْهُ وَ عَابَ دِينَهُ، وَ مَوْلَاةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي مَسْكَنِهَا تَسْمَعُ ذَلِكَ. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَجَلَسَ فِي نَادَى قَرِيشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْ أَقْبَلَ مِنْ قَنْصِهِ مَتَوَشِّحًا قَوْسَهُ، وَ كَانَ إِذَا رَجَعَ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَ كَانَ يَقِفُ عَلَى أُنْدِيَةِ قَرِيشٍ وَ يَسَلِّمُ عَلَيْهِمْ وَ يَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ، وَ كَانَ أَعَزَّ قَرِيشٍ وَ أَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً. فَلَمَّا مَرَّ بِالمَوْلَاةِ، وَ قَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، وَ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ، قَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا عِمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ فَإِنَّهُ سَبَّهُ وَ آذَاهُ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَ لَمْ يَكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ. قَالَ: فَاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الْغَضَبَ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا لَا يَقِفُ عَلَى أَحَدٍ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ يَرِيدَ الطَّوَافِ بِالْكَعْبَةِ مَعْدًا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يَقَعُ بِهِ، حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَرَأَاهُ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ وَ ضَرَبَ رَأْسَهُ بِالْقَوْسِ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، وَ قَالَ:

أَتَشْتَمُهُ وَ أَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ؟ فَارْدَدَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ.

وَ قَامَتِ رِجَالُ بَنِي مُخَزُومٍ إِلَى حَمْزَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ:

دَعُوا أَبَا عِمَارَةَ فَإِنِّي سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا. وَ تَمَّ حَمْزَةَ عَلَى إِسْلَامِهِ.

فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةَ عَرَفَتْ قَرِيشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، قَدْ عَزَّ، وَ أَنَّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ، فَكَفَّوْا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ. وَ اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: مَا سَمِعْتَ قَرِيشَ الْقُرْآنِ يَجْهَرُ لَهَا بِهِ، فَمَنْ رَجُلٌ يَسْمَعُهُمْ؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَا. فَقَالُوا: نَخْشَى عَلَيْكَ إِنَّمَا نَرِيدُ مِنْ لَهْ عَشِيرَةٍ يَمْنَعُونَهُ. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي. فَغَدَا عَلَيْهِمْ فِي الضُّحَى حَتَّى أَتَى الْمَقَامَ وَ قَرِيشٌ فِي أُنْدِيَتِهَا ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ وَ قَرَأَ سُورَةَ الرَّحْمَنِ، فَلَمَّا عَلِمَتْ

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨٤

(١) قَرِيشٌ أَنَّهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَامُوا إِلَيْهِ يَضْرِبُونَهُ وَ هُوَ يَقْرَأُ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَ قَدْ أَثَرُوا بِوَجْهِهِ، فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ. فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمْ الْيَوْمَ، وَ لَنْ شَتَمَ لِأَعْدَائِهِمْ. قَالُوا: حَسْبُكَ قَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ.

ذكر إسلام عمر بن الخطاب

ثم أسلم عمر بعد تسعة و ثلاثين رجلا و ثلاث و عشرين امرأة، و قيل:

أسلم بعد أربعين رجلا و إحدى عشرة امرأة، و قيل: أسلم بعد خمسة و أربعين رجلا و إحدى و عشرين امرأة، و كان رجلا جلدا منيعا، و أسلم بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة. و كان أصحاب النبى، صلى الله عليه و سلم، لا يقدرّون يصلّون عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عندها و صلى معه أصحاب النبى، صلى الله عليه و سلم. و كان قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطلب، فقوى المسلمون بهما، و علموا أنّهما سيمنعان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و المسلمين.

قالت أمّ عبد الله بنت أبى حنمة، و كانت زوج عامر بن ربيعة: إنّنا لنرحل إلى أرض الحبشة، و قد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ أقبل عمر و هو على شركه حتى وقف علىّ، و كُنّا نلقى منه البلاء أذى و شدة، فقال: أ تنطلقون يا أمّ عبد الله؟ قالت: قلت: نعم و الله لنخرجنّ فى أرض الله، فقد آذيتونا و قهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجا. قالت: فقال: صحبكم الله، و رأيت له رقة و حزنا.

قالت: فلما عاد عامر أخبرته و قلت له: لو رأيت عمر و رفته و حزنه علينا! قال: أ طمعت فى إسلامه؟ قلت: نعم. فقال: لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب، لما كان يرى من غلظته و شدّته على المسلمين، فهداه الله تعالى

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨٥

(١) فأسلم فصار على الكفار أشدّ منه على المسلمين.

و كان سبب إسلامه أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن زيد ابن عمرو العدوى، و كانا مسلمين يخفیان إسلامهما من عمر، و كان نعيم بن عبد الله النخام العدوى قد أسلم أيضا و هو يخفى إسلامه فرقا من قومه، و كان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن، فخرج عمر يوما و معه سيفه يريد النبى، صلى الله عليه و سلم، و المسلمين، و هم مجتمعون فى دار الأرقم عند الصفا، و عنده من لم يهاجر من المسلمين فى نحو أربعين رجلا، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا الذى فرق أمر قريش و عاب دينها فأقتله. فقال نعيم: و الله لقد غرّتك نفسك، أ ترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض و قد قتلت محمدا؟ أ فلا ترجع إلى أهلِكَ فتقيم أمرهم؟ قال: و أى «١» أهلى؟ قال: ختنك و ابن عمك سعيد بن زيد و أختك فاطمة، فقد و الله أسلما.

فرجع عمر إليهما و عندهما خباب بن الأرت يقرئهما القرآن. فلما سمعوا حسّ عمر تعيب خباب و أخذت فاطمة الصحيفة فألقتهما تحت فخذيها، و قد سمع عمر قراءة خباب. فلما دخل قال: ما هذه الهينة؟ قال: ما سمعت شيئا؟ قال: بلى، قد أخبرت أنّكما تابعتما محمدا، و بطش بختنك سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته لتكفّه، فضربها فشجّها، فلما فعل ذلك قالت له أخته: قد أسلمنا و آمنّا بالله و رسوله، فاصنع ما شئت.

و لما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم و قال لها: أعطيني هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون فيها الآن حتى انظر إلى ما جاء به محمّد. قالت: إنّنا نخشاك عليها، فحلف أنّه يعيدها. قالت له، و قد طمعت فى إسلامه: إنّك نجس على شركك و لا يمسه إلا المطهرون، فقام فاغتسل. فأعطته الصحيفة و قرأها،

(١). من P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨٦

(١) و فيها: طه، و كان كاتبها، فلما قرأ بعضها قال: ما أحسن هذا الكلام و أكرمه! فلما سمع خباب خرج إليه و قال: يا عمر إنّى و الله لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه، فإنّى سمعته أمس و هو

يقول: اللهم أيد الإسلام بعمر ابن الخطاب أو بأبى الحكم بن هشام، فالله الله يا عمر! فقال عمر عند ذلك: فدلنى يا خُباب على محمد حتى آتية فأسلم. فدله خُباب، فأخذ سيفه وجاء إلى النبى، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه فضرب عليهم الباب، فقام رجل منهم فنظر من [خلل] الباب، فرآه متوشحاً سيفه، فأخبر النبى، صلى الله عليه وسلم، بذلك، فقال حمزة: ائذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن أراد شراً قتلناه بسيفه.

فأذن له، فنهض إليه النبى، صلى الله عليه وسلم، حتى لقيه فأخذ بمجامع رداءه ثم جذبه جذبه شديدة وقال: ما جاء بك؟ ما أراك تنتهى حتى ينزل الله عليك قارعه. فقال عمر: يا رسول الله جئت لأومن بالله و برسوله، فكبر، صلى الله عليه وسلم، تكبيراً عرف من فى البيت أن عمر أسلم.

فلما أسلم قال: أى قریش أنقل للحديث؟ قيل: جميل بن معمر الجمحى، فجاءه فأخبره بإسلامه، فمشى إلى المسجد و عمر وراءه و صرخ: يا معشر قریش ألا إن ابن الخطاب قد صبأ. فيقول عمر من خلفه: كذب و لكنى أسلمت، فقاموا، فلم يزل يقاتلهم و يقاتلونه حتى قامت الشمس و أعياء، ففعد و هم على رأسه، فقال: افعلوا ما بدا لكم، فلو كنا ثلاثمائة نفر [١] تركناها لكم أو تركتموها لنا، يعنى مكة.

فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ عليه حلّة فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فما ذا تريدون؟ أ ترون بنى عدى

[١] لقد.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨٧

(١) يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل. و كان الرجل العاص بن وائل السهمى.

قال عمر: لما أسلمت أتيت باب أبى جهل بن هشام فضربت عليه بابه، فخرج إلى و قال: مرحبا ببن أخى! ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أنى قد أسلمت و آمنت بمحمد، صلى الله عليه وسلم، و صدقت ما جاء به. قال: فضرب الباب فى وجهى و قال: قبحك الله و قبح ما جئت به! و قيل فى إسلامه غير هذا.

ذكر أمر الصحيفة

و لما رأت قریش الإسلام يفشو و يزيد، و أن المسلمين قووا بإسلام حمزة و عمر، و عاد إليهم عمرو بن العاص و عبد الله بن أبى أمية من النجاشى بما يكرهون من منع المسلمين عنهم، و أمنهم عنده، ائتمروا فى أن يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على أن لا ينكحوا بنى هاشم و بنى المطلب و لا ينكحوا إليهم و لا يبيعوهم و لا يتبعوا منهم شيئاً. فكتبوا بذلك صحيفة و تعاهدوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا لذلك الأمر على أنفسهم، فلما فعلت قریش ذلك انحازت بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه و اجتمعوا.

و خرج من بنى هاشم أبو لهب بن عبد المطلب إلى قریش، فلقى هنداً بنت عتبة فقال: كيف رأيت نصرى اللات و العزى؟ قالت: لقد أحسنت.

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا لا يصل إلى أحد منهم شىء إلا سراً.

و ذكروا أن أباً جهل لقى حكيم بن حزام بن خويلد و معه قمح يريد به

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨٨

(١) عمته خديجة، و هى عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فى الشعب، فتعلق به و قال: و الله لا تبرح حتى أفضحك. فجاء أبو

البخترى بن هشام فقال:

ما لك و له؟ عنده طعام لعمته أ فتمنعه أن يحمله إليها؟ خل سبيله. فأبى أبو جهل، فقال منه. فضربه أبو البخترى بلحى جمل فشجّه و وطئه وطأ شديدا، و حمزة ينظر إليهم، و هم يكرهون أن يبلغ النبى، صلى الله عليه و سلم، ذلك فيشمت بهم هو و المسلمون. و رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يدعو الناس سراً و جهراً، و الوحى متتابع إليه، فبقوا كذلك ثلاث سنين.

و قام فى نقض الصحيفة نفر من قريش، و كان أحسنهم بلاء فيه هشام بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن لؤى، و هو ابن أخى نضله بن هشام بن عبد مناف لأمه، و كان يأتى بالبعير قد أقره طعاما ليلا و يستقبل به الشعب و يخلع خطامه فيدخل الشعب. فلما رأى ما هم فيه و طول المدّة عليهم مشى إلى زهير ابن أبى أمية بن المغيرة المخزومى، أخى أم سلمة، و كان شديد الغيرة على النبى، صلى الله عليه و سلم، و المسلمين، و كانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير أ رضيت أن تأكل الطعام و تلبس الثياب و تنكح النساء و أخوالك حيث علمت؟ أما إنى أحلف بالله لو كانوا [١] أخوال أبى الحكم، يعنى أبا جهل، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ما أجابك أبدا. فقال: فما ذا أصنع؟ و إنما أنا رجل واحد، و الله لو كان معى رجل آخر لنقضتها. فقال: قد وجدت رجلا.

قال: و من هو؟ قال: أنا. قال زهير: ابغنا ثالثا، فذهب إلى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف فقال له: أ رضيت أن يهلك بطنان من بنى عدى ابن عبد مناف و أنت شاهد ذلك موافق فيه؟ أما و الله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا. قال: ما أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. قال:

قد وجدت ثانيا. قال: من هو؟ قال: أنا. قال: ابغنا ثالثا. قال: قد فعلت.

[١] كان.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٨٩

(١) قال: من هو؟ قال: زهير بن أبى أمية. قال: ابغنا رابعا. فذهب إلى أبى البخترى بن هشام و قال له نحو ما قال للمطعم، قال: و هل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أنا و زهير و المطعم. قال: ابغنا خامسا. فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلّمه و ذكر له قربتهم، قال: و هل على هذا الأمر معين؟ قال: نعم، و سمى له القوم، فاتعدوا خطم الحجون الذى بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك و تعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة. فقال زهير: أنا أبدأكم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، و غدا زهير فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أ نأكل الطعام و نلبس الثياب و بنو هاشم هلكى لا يتعاونون و لا يتتبع منهم؟ و الله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة «١». قال أبو جهل: كذبت و الله لا تشقّ. قال زمعة بن الأسود: أنت و الله أكذب، ما رضينا بها حين كتبت. قال أبو البخترى: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها. قال المطعم بن عدى: صدقتما و كذب من قال غير ذلك. و قال هشام ابن عمرو نحو من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل و أبو طالب فى ناحية المسجد.

فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان:

باسمك اللهم، كانت تفتح بها كتبها، و كان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة «٢»، فشلت يده.

وقيل: كان سبب خروجهم من الشعب أن الصحيفة لما كتبت و علقت بالكعبة اعتزل الناس بنى هاشم و بنى المطلب، و أقام رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أبو طالب و من معهما بالشعب ثلاث سنين، فأرسل الله الأرضة

(١). الضالة. P.C.

(٢). عمرو من بنى عبد الدار. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٩٠

(١) و أكلت ما فيها من ظلم و قطيعة رحم و تركت ما فيها من أسماء الله تعالى، فجاء جبرائيل إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فأعلمه بذلك، فقال النبى، صلى الله عليه و سلم، لعمة أبى طالب، و كان أبو طالب لا يشكك فى قوله، فخرج من الشعب إلى الحرم، فاجتمع الملائكة من قريش، و قال: إن ابن أخى أخبرنى أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم و ظلم و تركت اسم الله تعالى، فأحضروها، فإن كان صادقاً علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، و إن كان كاذباً علمنا أنكم على حق و أنا على باطل.

فقاموا سراعاً و أحضروها، فوجدوا الأمر كما قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قويت نفس أبى طالب و اشتد صوتته و قال: قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم و القطيعة. فنكسوا رؤوسهم ثم قالوا: إنما تأتوننا بالسحر و البهتان، و قام أولئك نفر فى نقضها كما ذكرنا، و قال أبو طالب فى أمر الصحيفة و أكل الأرضة ما فيها من ظلم و قطيعة رحم أبياتا منها:

و قد كان فى أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب
محا الله منهم كفرهم و عقوقهم و ما نقموا من ناطق الحق معرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا و من يخلق ما ليس بالحق يكذب

ذكر وفاة أبى طالب و خديجة و عرض رسول الله، صلى الله عليه و سلم، نفسه على العرب

توفى أبو طالب و خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين و بعد خروجهم من الشعب، فتوفى أبو طالب فى شوال أو فى ذى القعدة و عمره بضع و ثمانون سنة، و كانت خديجة ماتت قبله بخمسة و ثلاثين يوماً، و قيل: كان بينهما خمسة و خمسون

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٩١

(١) يوماً، و قيل: ثلاثة أيام، فعظمت المصيبة على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بهلاكهما، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: ما نالت قريش منى شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب، و ذلك أن قريشا وصلوا من أذاه بعد موت أبى طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه فى حياته حتى ينثر بعضهم التراب على رأسه، و حتى

إن بعضهم يطرح عليه رحم الشاة و هو يصلى، و كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يخرج ذلك على العود و يقول: أى جوار هذا يا بنى عبد مناف!
ثم يلقى بالطريق.

فلما اشتد عليه الأمر بعد موت أبى طالب خرج و معه زيد بن حارثة إلى ثقيف يلتمس منهم النصر. فلما انتهى إليهم عمد إلى ثلاثة نفر منهم، و هم يومئذ سادة ثقيف، و هم إخوة [ثلاثة]: عبد ياليل و مسعود و حبيب بنو عمرو بن عمير، فدعاهم إلى الله و كلمهم فى نصرته على الإسلام و القيام معه على من خالفه، فقال أحدهم: ما رد يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. و قال آخر: أما وجد الله من يرسله غيرك! و قال الثالث: و الله لا أكلمك كلمة أبداً، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك، و لئن كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك.

فقام رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قد يئس من خير ثقيف، و قال لهم: إذا أبيتم فاكنتموا على ذلك، و كره أن يبلغ قومه، فلم يفعلوا و أغروا به سفهاءهم. فاجتمعوا إليه و ألجئوه إلى حائط لعتبة و شيبه ابنى ربيعة، و هو البستان، و هما فيه، و رجع السفهاء عنه، و جلس إلى ظل حبله «١» و

قال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتى و قلة حيلتى و هوانى على الناس، اللهم يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين و أنت ربى، إلى

من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي! و لكن عافيتك

(١). نخلة. B. الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٩٢

(١) هي أوسع، أتى أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات و صلح عليه أمر الدنيا و الآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك.

فلما رأى ابنا ربيعة ما لحقه تحرّكت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا اسمه عدّاس فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب و اذهب به إلى ذلك الرجل، ففعل. فلما وضعه بين يدي رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، وضع يده فيه و قال: بسم الله، ثم أكل، فقال عدّاس: و الله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة. فقال له النبي، صلى الله عليه و سلّم: من أيّ بلاد أنت و ما دينك؟ قال: أنا نصراني من أهل نينوى. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلّم: أمن قريه الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له: و ما يدريك ما يونس؟ قال رسول الله، صلى الله عليه و سلّم: ذلك أخي كان نبيا و أنا نبي، فأكبّ عدّاس على يدي رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، و رجله يقبلها فعاد. فيقول ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أمّا غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عدّاس قال له: ويحك ما لك تقبل يديه و رجله؟ قال: ما في الأرض خير من هذا الرجل. قالوا: ويحك إن دينك خير من دينه!

ثم انصرف رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، راجعا إلى مكّة حتى إذا كان في جوف الليل قام قائما يصلي، فمرّ به نفر من الجنّ، و هم سبعة نفر من جنّ نصيبين، راثحين إلى اليمن فاستمعوا له، فلما فرغ من صلواته وّلوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا و أجابوا.

و ذكر بعضهم أنّ رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، لما عاد من ثقيف أرسل إلى المطعم بن عدى ليجيريه «١» حتى يبلغ رسالته ربّه، فأجاره، و أصبح

(١). ليخبره. ddoC. الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٩٣

(١) المطعم قد لبس سلاحه هو و بنوه و بنو أخيه فدخلوا المسجد، فقال له أبو جهل:

أ مجير أم متابع؟ قال: بل مجير. قال: قد أجرنا من أجرت. فدخل النبي، صلى الله عليه و سلّم، مكّة و أقام بها. فلما رآه أبو جهل قال: هذا نبيكم يا عبد مناف. فقال عتبة بن ربيعة: و ما ينكر أن يكون منّا نبي و ملكك؟ فأخبر رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، بذلك، فأتاهم فقال: أمّا أنت يا عتبة فما حميت لله و إنّما حميت لنفسك، و أمّا أنت يا أبا جهل فو الله لا يأتي عليك غير بعيد حتى تضحك قليلا. و تبكى كثيرا، و أمّا أنتم يا معشر قريش فو الله لا يأتي عليكم غير كثير حتى تدخلوا فيما تنكرون و أنتم كارهون، فكان الأمر كذلك.

و كان رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، فأتى كندة في منازلهم [١] و فيهم سيّد لهم يقال له مليح، فدعاهم إلى الله و عرض نفسه عليهم، فأبوا عليه. فأتى كلبا إلى بطن منهم يقال لهم [بنو] عبد الله فدعاهم إلى الله و عرض نفسه عليهم، فلم يقبلوا ما عرض عليهم. ثمّ إنّه أتى بني حنيفه و عرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح ردّا عليه منهم. ثمّ أتى بني عامر فدعاهم إلى الله و عرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم: أ رأيت إن نحن تابعناك فأظهرك الله على من خالفك أ يكون لنا الأمر من بعدك؟

قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال له: أ فنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك.

فلما رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم كبير فأخبروه خبر النبي، صلى الله عليه و سلّم، و نسبه، وضع يده على رأسه ثمّ قال: يا بني عامر هل من تلاف؟

و الذى نفسى بيده ما تقولها إسماعيلى قَطّ و إنّها لحقّ، و أين كان رأيكم عنه!

[١] فنازلهم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٩٤

(١) و لم يزل رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، يعرض نفسه على كلّ قادم له اسم و شرف و يدعوه إلى الله. و كان كلّما أتى قبيلة يدعوه إلى الإسلام تبعه عمّه أبو لهب، فإذا فرغ رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، من كلامه يقول لهم أبو لهب: يا بنى فلان، إنّما يدعوكم هذا إلى أن تسلخوا [١] اللات و العزى من أعناقكم و حلفاءكم من الجنّ إلى ما جاء به من الضلالة و البدعة فلا تطيعوه و لا تسمعوا له.

ذكر أول عرض رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم نفسه على الأنصار و إسلامهم

فقدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف بطن من الأوس مكّة حاجًا و معتمرا، و كان يسمّى الكامل لجلده و شعره و نسبه، و هو القائل:

ألا ربّ من تدعو صديقا و لو ترى مقالته بالغيب ساءك ما يفرى

مقالته كالشحم ما [٢] كان شاهداو بالغيب مأثور على ثغرة النحر

يسرّك «١» باديه «٢» و تحت أديمه نيممة غشّ تبتري «٣» عقب الظهر

تبين لك العينان ما هو كاتم و ما جنّ «٤» بالبغضاء و النظر الشّزر

فرشنى بخير طالما قد بريتنى فخير الموالى من يریش و لا يبرى فتصدّى له رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فدعاه إلى الإسلام، و قرأ

[١] تستحلّوا. (و التصحيح عن ابن هشام).

[٢] كالسحر إذ.

(١). يغرّك. B.

(٢). نادية. P. C.

(٣). يفتري. P. C.

(٤). و يلحن. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٩٥

(١) عليه القرآن، فلم يبعد منه و قال: إن هذا القول حسن، ثمّ انصرف و قدم المدينة، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قتل يوم بعث، فكان قومه يقولون:

قتل و هو مسلم.

(بعث بالباء الموحّدة المضمومة، و العين المهملة، و هو الصحيح).

و قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكّة مع فتية من بنى عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من

الخزرج، فأتاهم النبى، صلّى الله عليه و سلّم، و

قال لهم: هل لكم فيما هو خير لكم ممّا جئتم له؟

و دعاهم إلى الإسلام، و قرأ عليهم القرآن، فقال إياس، و كان غلاما حدثا:
 هذا و الله خير ممّا جئنا له. فضرب وجهه أبو الحيسر بحفنة «١» من البطحاء و قال:
 دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا. فسكت إياس، و قام رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و لم يلبث إياس أن هلك، فسمعه قومه يهتفون بالله
 و يكبره حتى مات، فما يشكون أنه مات مسلما.

ذكر بيعة العقبة الأولى و إسلام سعد بن معاذ

فلما أراد الله إظهار دينه و إنجاز وعده خرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى الموسم الذى لقي فيه نفر من الأنصار، فعرض
 نفسه على القبائل كما كان يفعله، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج فدعاهم إلى الله و عرض عليهم الإسلام، و قد كانت
 يهود معهم ببلادهم، و كان هؤلاء أهل أوثان، فكانوا إذا كان بينهم شرّ تقول اليهود: إن نبيا يبعث الآن نتبعه* و نقتلكم معه قتل «٢»
 عاد و ثمود. فقال أولئك نفر بعضهم لبعض: هذا و الله

(١). بحصبة. B.

(٢). و متلكم معه مثل B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٩٦

(١) النبى الذى توعدكم به اليهود، فأجابوه و صدّقوه و قالوا له: إن بين قومنا شرّا، و عسى الله أن يجمعهم بك، فإن اجتمعوا عليك
 فلا رجل أعزّ منك.

ثم انصرفوا عنه، و كانوا سبعة نفر من الخزرج: أسعد بن زرارة بن عدس أبو أمامة، و عوف بن الحارث بن رفاعه، و هو ابن عفراء،
 كلاهما من بنى النخجار، و رافع بن مالك بن عجلان «١»، و عامر بن عبد حارثة بن ثعلبة بن غنم، كلاهما من بنى زريق، و قطبة بن
 عامر بن حديدة بن سواد من بنى سلمة - سلمة هذا بكسر اللام - و عقبه بن عامر بن نابى من بنى غنم، و جابر بن عبد الله بن رباب
 من بنى عبيدة «٢».

(رياب بكسر الراء و الياء المعجمة باثنتين من تحت و بالياء الموحدة).

فلما قدموا المدينة ذكروا لهم النبى، صلى الله عليه و سلم، و دعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، حتى إذا كان العام المقبل وافى
 الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا، فلقوه بالعقبة، و هى العقبة الأولى، فبايعوه بيعة النساء، و هم: أسعد بن زرارة، و عوف و معاذ ابنا
 الحارث، و هما ابنا عفراء، و رافع بن مالك بن عجلان، و ذكوان بن عبد قيس من بنى زريق، و عبادة بن الصامت من بنى عوف بن
 الخزرج، و يزيد بن ثعلبة بن خزمة أبو عبد الرحمن من بلى حليف لهم، و عباس بن عبادة بن نضلة من بنى سالم، و عقبه بن عامر بن
 نابى، و قطبة بن عامر بن حديدة، و هؤلاء من الخزرج، و شهدها من الأوس أبو الهيثم بن التيهان، حليف لبنى عبد الأشهل، و عويم بن
 ساعدة حليف لهم. الكامل فى التاريخ ج ٢ ٩٦ ذكر بيعة العقبة الأولى و إسلام سعد بن معاذ ص: ٩٥

فانصرفوا عنه، و بعث، صلى الله عليه و سلم، معهم مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار و أمره أن يقرئهم القرآن و
 يعلمهم الإسلام،

(١). P .C. I .h .doCte .IIXXXCC .f431

(٢). عبد. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٩٧

(١) فنزل بالمدينة على أسعد بن زرارة، فخرج به أسعد بن زرارة فجلس في دار بنى ظفر، واجتمع عليهما رجال ممن أسلم. فسمع به سعد بن معاذ و أسيد ابن حضير و هما سيّدا بنى عبد الأشهل، و كلاهما مشرك، فقال سعد لأسيد: انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فانهما، فإنه لو لا أسعد بن زرارة، و هو ابن خالتي، كفيتك ذلك. فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما، فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا عنا. فقال مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته و إن كرهته كفّ عنك ما تكره! فقال: أنصفت.

ثم جلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، فقال: ما أحسن هذا و أجله! كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل و تطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين، ففعل ذلك و أسلم. ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن تبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه، و سأرسله إليكما، سعد ابن معاذ.

ثم انصرف إلى سعد و قومه، فلما نظر إليه سعد قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم! فقال له سعد: ما فعلت؟ قال:

كلمت الرجلين، و الله ما رأيت بهما بأسا، و قد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه. فقام سعد مغضبا مبادرا لخوفه ممّا ذكر له، ثم خرج إليهما، فلما رآهما مطمئنين عرف ما أراد أسيد، فوقف عليهما و قال لأسعد بن زرارة: لو لا ما بيني و بينك من القرابة ما رمت هذا مني. فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته و إن كرهته عزلنا عنك ما تكره! فجلس فعرض عليه مصعب الإسلام و قرأ عليه القرآن فقال لهما:

كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ فقالا له ما قالا لأسيد، فأسلم و تطهر ثم عاد إلى نادى قومه و معه أسيد بن حضير، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيّدنا و أفضلنا. قال: فإنّ كلام رجالكم و نساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله و رسوله. قال: فو الله

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٩٨

(١) ما أمسى في دار عبد الأشهل رجل و لا امرأة إلّا مسلما أو مسلمة.

و رجع مصعب إلى منزل أسعد و لم يزل يدعو إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلّا و فيها رجال و نساء مسلمون، إلّا ما كان من بنى أمية ابن زيد و وائل و واقف، فإنهم أطاعوا أبا قيس بن الأسلت، فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر النبي، صلى الله عليه و سلم، و مضت بدر و أحد و الخندق. و عاد مصعب إلى مكة.

(أسيد بضمّ الهمزة، و فتح السين. و حضير بضمّ الحاء المهملة، و فتح الضاد المعجمة، و تسكين الياء تحتها نقطتان، و في آخره راء).

ذكر بيعة العقبة الثانية

لما فشا الإسلام في الأنصار اتفق جماعة منهم على المسير إلى النبي، صلى الله عليه و سلم، مستخفين لا يشعر بهم أحد، فساروا إلى مكة في الموسم في ذى الحجة مع كفّار قومهم و اجتمعوا به و واعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة.

فلما كان الليل خرجوا بعد مضى ثلثة مستخفين يتسلّلون حتى اجتمعوا بالعقبة، و هم سبعون رجلا، معهم امرأتان: نسيبة بنت كعب أمّ عمارة و أسماء أمّ عمرو بن عدى من بنى سلمة، و جاءهم رسول الله و معه عمّه العباس ابن عبد المطلب، و هو كافر أحبّ أن يتوثق لابن أخيه، فكان العباس أول من تكلم فقال: يا معشر الخزرج، و كانت العرب تسمّى الخزرج و الأوس به، إن محمدا منا حيث قد علمتم في عزّ و منعة، و إنّه قد أبى إلّا الانقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنّكم وافون [١] له بما دعوتموه إليه و مانعوه «١» فأنتم و ذلك،

[١] تفون.

(١). و تبايعوه. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٩٩

(١) و إن كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن فدعوه فإنه فى عزّ و منعه.

فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يا رسول الله و خذ لنفسك و ربك ما أحببت.

فتكلّم و تلا القرآن و رغب فى الإسلام ثم قال: تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم و أبناءكم.

ثم أخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: و الذى بعثك بالحقّ لنمنعك ممّا نمنع منه أزرنا «١»، فبايعنا يا رسول الله فنحن و الله أهل الحرب.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا و بين الناس حبالاً و إنّنا قاطعوها، يعنى اليهود، فهل عسيت إن أظهرك الله عزّ و جلّ أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟

فتبسّم رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، و قال: بل الدم الدم و الهدم الهدم، أنتم منى و أنا منكم، أسالم من سالمتم و أحارب من حاربتهم. و قال رسول الله، صلى الله عليه و سلّم: أخرجوا إلى اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم، فأخرجوهم تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس.

و قال لهم العباس بن عباد بن نضلة الأنصارى: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ تبايعونه على حرب الأحمر و الأسود، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت «٢» أموالكم مصيبة و أشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فهو و الله خزي الدنيا و الآخرة، و إن كنتم ترون أنكم وافون له فخذوه فهو و الله خير الدنيا و الآخرة.

قالوا: فإننا نأخذ على مصيبة الأموال و قتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول

(١). ذرارينا. B.

(٢). نهبت. B. الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠٠

(١) الله قال: الجنة. قالوا: بسط يدك، فبايعوه.

و ما قال العباس بن عباد ذلك إلّا ليشدّ العقد له عليهم. و قيل: بل قاله ليؤخر الأمر ليحضر عبد الله بن أبى بن سلول فيكون أقوى لأمر القوم.

فكان أول من بايعه أبو أمامة أسعد بن زرار، و قيل: أبو الهيثم بن التيهان، و قيل: البراء بن معرور. ثم تتابع [١] القوم فبايعوا، فلما بايعوه صرخ الشيطان من رأس العقبة: يا أهل الجبابج [٢]، هل لكم فى مذمّم و الصبابة معه قد اجتمعوا على حربكم؟

فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلّم: أما و الله لأفرغنّ لك أى عدوّ الله! ثم قال: ارفضوا إلى رحالكم. فقال له العباس ابن عباد: و الذى بعثك بالحقّ نبياً لئن شئت لنميلنّ غدا على أهل منى بأسيافنا. فقال: لم تؤمر بذلك، فرجعوا.

فلما أصبحوا جاءهم جله قريش فقالوا: قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه و تبايعونه على حربنا، و إنّه و الله ما من حى من أحياء العرب أبغض إلينا أن تنشب بيننا و بينهم الحرب منكم. فحلف من هناك من مشركى الأنصار ما كان من هذا شىء.

فلما سار الأنصار من مكة قال البراء بن معرور: يا معشر الخزرج! قد رأيت أن لا أستدبر الكعبة فى صلاتى. فقالوا له: إن رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، يستقبل الشام، فنحن لا نخالفه، فكان يصلّى إلى الكعبة، فلما قدم مكة سأل رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، عن ذلك فقال: لقد كنت على قبله لو صبرت عليها. فرجع إلى قبله رسول الله. فلما بايعوه و رجعوا إلى المدينة، كان قدومهم فى ذى

الحجّة، فأقام رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[١] بايع. (و السياق يقتضى ما أثبتنا).

[٢] (الجباب: المنازل).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠١

(١) و سلم، بمكة بقيّة ذى الحجّة و المحرم و صفر، و هاجر إلى المدينة فى شهر ربيع الأوّل، و قدمها لاثنتى عشرة ليلة خلت منه. و قد كانت قريش لما بلغهم إسلام من أسلم من الأنصار اشتدوا على من بمكة من المسلمين و حرصوا على أن يفتنهم، فأصابهم جهد شديد، و هى الفتنة الآخرة، و أما الأولى فكانت قبل هجرة الحبشة. و كانت البيعة فى هذه العقبة على غير الشروط فى العقبة الأولى، فإن الأولى كانت على بيعة النساء، و هذه البيعة كانت على حرب الأحمر و الأسود.

ثم أمر النبى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكان أول من قدمها أبو سلمة بن عبد الأسد، و كانت هجرته قبل البيعة بسنة، ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة حليف بنى عدى مع امرأته ليلى ابنة أبى حشمة «١»، ثم عبد الله بن جحش و معه أخوه أبو أحمد و جميع أهله، فأغلقت دارهم و تتابع الصحابة، ثم هاجر عمر بن الخطاب و عياش بن أبى ربيعة فتزلا فى بنى عمرو بن عوف، و خرج أبو جهل بن هشام و الحارث بن هشام إلى عياش ابن أبى ربيعة بالمدينة، و كان أخاهما لأمهما، فقالا له: إن أمك قد نذرت أنها لا تستظلّ و لا تمتشط. فرق لها و عاد و تتابع الصحابة بالهجرة إلى أن هاجر رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

ذكر هجرة النبى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ

لما تتابع أصحاب رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، بالهجرة أقام هو بمكة ينتظر ما يؤمر به من ذلك، و تخلف معه على بن أبى طالب و أبو بكر

(١). غنم. A. خيشمة. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠٢

(١) الصديق. فلمّا رأت قريش ذلك حذروا خروج رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فاجتمعوا فى دار الندوة، و هى دار قصى بن كلاب، و تشاوروا فيها، فدخل معهم إبليس فى صورة شيخ و قال: أنا من أهل نجد سمعت بخبركم فحضرت و عسى أن لا تعدموا منى رأيا.

و كانوا عتبة و شيبة و أبى [١] سفيان و طعيمة بن عدى و حبيب بن مطعم و الحارث بن عامر و النضر بن الحارث و أبى [١] البخترى بن هشام و ربيعة بن الأسود و حكيم بن حزام و أبى [١] جهل و نبيها و متبها ابنى الحجاج [٢] و أمية بن خلف و غيرهم. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان، و ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه، فأجمعوا فيه رأيا، فقال بعضهم: احبسوه فى الحديد و أغلقوا عليه بابا ثم تریصوا به ما أصاب الشعراء قبله. فقال النجدى:

ما هذا لكم برأى، لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فلاؤشكوا أن يشوا عليكم فينتزعوه [٣] من أيديكم. فقال آخر: نخرجه و ننفيه من بلدنا و لا نبالى أين وقع إذا غاب عنا. فقال النجدى: ألم تروا حسن حديثه و حلاوة منطقه؟ لو فعلتم ذلك لحلّ على حى من أحياء العرب فيغلب عليهم بحلاوة منطقه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم و يأخذ أمركم من أيديكم. فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى نسيبا و نعطي كل فتى منهم سيفا ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فإذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى

القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا و رضوا منا بالعقل. فقال النجدى:
القول ما قال الرجل، هذا رأى، فتفرقوا على ذلك.

[١] و أبو.

[٢] و نبيه و متبه ابنا الحجاج.

[٣] فينزعونه.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠٣

(١) فأتى جبرائيل النبى، صلى الله عليه و سلم، فقال: لا تبت الليلة على فراشك.

فلما كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رآهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قال لعلى بن أبى طالب:
نم على فراشى و اتشح ببردى الأخضر، فم فيه فإنه لا يخلص إليك شىء تكرهه،

و أمره أن يؤدى ما عنده من وديعة و أمانة و غير ذلك. و خرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأخذ حفنة من تراب فجعله على
رءوسهم و هو يتلو هذه الآيات من يس و القرآن الحكيم، إلى قوله: فهُمْ لَا يُبْصِرُونَ «١».

ثم انصرف فلم يروه، فأتاهم آت فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدا. قال:

خبيكم الله، خرج عليكم و لم يترك أحدا منكم إلّا جعل على رأسه التراب و انطلق لحاجته! فوضعوا أيديهم على رءوسهم فأرأوا
التراب و جعلوا ينظرون فيرون عليا نائما و عليه برد النبى، صلى الله عليه و سلم، فيقولون: إن محمدا لنايم، فلم يبرحوا كذلك حتى
أصبحوا. فقام على عن الفراش، فعرفوه، و أنزل الله فى ذلك: و إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ «٢»
الآية.

و

سأل أولئك الرهط عليا عن النبى، صلى الله عليه و سلم، فقال: لا أدري، أمرتموه بالخروج فخرج.

فضربوه و أخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه، و نجى الله رسوله من مكربهم و أمره بالهجرة، و قام على يؤدى أمانة النبى،
صلى الله عليه و سلم، و يفعل ما أمره.

و

قالت عائشة: كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لا يخطئه أحد طرفى النهار أن يأتى بيت أبى بكر إماما بكرة أو عشيء، حتى كان
اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله بالهجرة فأتانا بالهجرة، فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء هذه

(١). ٩-١٠. roC. ٣٦، ssv

(٢). ٣٠. roC. ٨، sv، الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠٤

(١) الساعة إلّا لأمر حدث. فلما دخل جلس على السرير و قال: أخرج من عندك.

قال: يا رسول الله إنما هما ابتائى، و ما ذاك؟ قال: إن الله قد أذن لى فى الخروج. فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله! قال: الصحبة،
فبكى أبو بكر من الفرح،

فاستأجرا عبد الله بن أرقد، من بنى الدليل بن بكر، و كان مشركا، يدلهما على الطريق، و لم يعلم بخروج رسول الله، صلى الله عليه و سلم،
غير أبى بكر و على و آل أبى بكر، فأما على فأمره رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يتخلف عنه حتى يؤدى عن رسول الله،
صلى الله عليه و سلم، الودائع التى كانت عنده ثم يلحقه.

و خرجا من خوخة فى بيت أبى بكر فى ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بشور فدخلاه، و أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يستمع لهما بمكة نهاره ثم يأتيهما ليلا، و أمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ثم يأتيهما بها ليلا، و كانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بطعامهما مساء، فأقاما فى الغار ثلاثا. و جعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم.

و كان عبد الله بن أبى بكر إذا غدا من عندهما اتبع [عامر بن فهيرة] أثره بالغنم حتى يعفى عليه. فلما مضت الثلاث و سكن الناس أتاهما دليلهما ببيعيريهما، فأخذ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أحدهما بالثمن فركبه، و أتتهما أسماء بنت أبى بكر بسفرتيهما و نسيت أن تجعل لها [١] عصاما فحلت نطاقها فجعلته عصاما و علقت السفره به، و كان يقال لأسماء ذات النطاقين لذلك. ثم ركبا و سارا، و أردف أبو بكر مولاة عامر بن فهيرة يخدمهما فى الطريق، فساروا ليلتهم و من الغد إلى الظهر، و رأوا صخرة طويلة، فسوى أبو بكر عندها مكانا ليقيل فيه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و ليستظل بظلها، فنام

[١] لهما.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠٥

(١) رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و حرسه أبو بكر حتى رحلوا بعد ما زالت الشمس.

و

كانت قريش قد جعلت لمن يأتى بالنبي، صلى الله عليه و سلم، دية، فتبعهم سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى فلحقهم و هم فى أرض صلبة، فقال أبو بكر: يا رسول الله أدر كنا الطلب! فقال لا تحزن إن الله معنا [١]، و دعا عليه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فارتطمت «١» [٢] فرسه إلى بطنها و ثار من تحتها مثل الدخان. فقال: ادع لى يا محمد ليخلصنى الله و لك على أن أرد عنك الطلب، فدعا له فتخلص، فعاد يتبعهم، فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه فى الأرض أشد من الأولى، فقال: يا محمد قد علمت أن هذا من دعائك على، فادع لى و لك عهد الله أن أرد عنك الطلب. فدعا له فخلص و قرب من النبي، صلى الله عليه و سلم، و قال له: يا رسول الله خذ سهما من كنانتى و إن إبلى بمكان كذا فخذ منها ما أحببت. فقال: لا حاجة لى فى إبلك. فلما أراد أن يعود عنه قال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: كيف بك يا سراقه إذا سورت بسوارى كسرى؟ قال: كسرى بن هرمز؟ قال:

نعم. فعاد سراقه فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب إلا قال: كفيتم ما هاهنا، و لا يلقى أحدا إلا رده.

قالت أسماء بنت أبى بكر: لما هاجر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبى بكر فقالوا: أين أبوك؟

[١] (سورة التوبة ٩، الآية ٤٠).

[٢] (ارتطمت: احتبست).

(١). فانظمت. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠٦

(١) قلت: لا أدري، فرفع أبو جهل يده فلطم خدى لطمه طرح قرطى، و كان فاحشا خبيثا. و مكثنا مليا لا ندرى أين توجه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، حتى أتى رجل من الجن من أسفل مكة و الناس يتبعونه يسمعون صوته و لا يرون شخصه و هو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالهدى و اغتديا به فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهنئ بنى كعب مكان فتاتهم ومقعدا للمؤمنين بمرصد قالت: فلما سمعنا قوله عرفنا أن وجهه كان إلى المدينة.

وقدم بهما دليلهما قباء فنزل على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حين كادت الشمس تعتدل،

فنزل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على كلثوم بن الهمد، أخى بنى عمرو بن عوف، وقيل: نزل على سعد بن خيثمة، وكان عزبا،

و كان ينزل عنده العزاب من أصحاب النبى، صلى الله عليه وسلم، و كان يقال لبيته بيت العزاب، و الله أعلم.

و نزل أبو بكر على خبيب بن إساف بالسنع، وقيل: نزل على خارجة ابن زيد أخى بنى الحارث بن الخزرج.

و أميا على فإنه لما فرغ من الهدى أمره به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هاجر إلى المدينة، فكان يسير الليل و يكمن النهار حتى

قدم المدينة و قد تفتّرت قدماه،

فقال النبى، صلى الله عليه وسلم: ادعوا لى عليا. قيل: لا يقدر أن يمشى. فأتاه النبى، صلى الله عليه وسلم، و اعتنقه و بكى رحمه لما

بقدميه من الورم و تفل فى يديه و أمرهما على قدميه، فلم يشتكهما بعد حتى قتل.

و نزل بالمدينة على امرأة لا زوج لها، فرأى إنسانا يأتيها كل ليلة و يعطيها شيئا،

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠٧

(١) فاستراب بها، فسألها عنه فقالت: هو سهل بن حنيف، قد علم أنى امرأة لا زوج لى فهو يكسر أصنام قومه و يحملها إلى و يقول:

احتطبي بهذه. فكان على يذكر ذلك عن سهل بن حنيف بعد موته.

و أقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بقباء يوم الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس، و أسس مسجدهم، ثم خرج يوم الجمعة، و

قيل:

أقام عندهم أكثر من ذلك. و الله أعلم. و أدركت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلّاها فى

المسجد الذى ببطن الوادى، فكانت أول جمعة صلّاها بالمدينة.

قال ابن عباس: ولد النبى، صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين، و استتبى يوم الاثنين، و رفع الحجر الأسود يوم الاثنين، و هاجر يوم

الاثنين، و قبض يوم الاثنين.

و اختلف العلماء فى مقامه بمكة بعد أن أوحى إليه، فقال أنس و ابن عباس [١]، رضى الله عنهما، من روايته ٠ أبى سلمة عنه و عائشة:

إنه أقام بمكة عشر سنين، و مثلهم قال من التابعين ابن المسيب و الحسن و عمرو بن دينار، و قيل: أقام ثلاث عشرة سنة، قاله ابن عباس

من روايته أبى جمره و عكرمة أيضا عنه، و لعل الذى قال أقام عشر سنين أراد بعد إظهار الدعوة، فإنه بقى سنين يسيرة، و ممّا يقوى

هذا القول قول صرمة بن أبى أنس «١» الأنصارى، شعر:

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

[١] أنس بن عباس.

(١). ddoC؛ صرمة بن قيس. doC. spU. IIXXXCC. lof. ٧١٦١؛ ٣٥٠. gap, mahcsiH -nbI. أبى قيس بن أبى ضربة

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠٨

(١) فهذا يدل على مقامه ثلاث عشرة سنة لأنه قد زاد على عشر سنين، فلو كان خمس عشرة لصح الوزن، و كذلك ست عشرة و سبع

عشرة، و حيث لم يستقم الوزن بأن يقول ثلاث عشرة قال بضع عشرة، و لم ينقل فى مقام زيادة على عشر سنين إلا ثلاث عشرة و

خمس عشرة.

و قد روى عن قتادة قول غريب جدًا، و ذلك أنه قال: نزل القرآن على النبى، صلى الله عليه و سلم، بمكة ثمانى سنين، و لم يوافقه غيره.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٠٩

(١)

١ ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة

فمن ذلك تجميعه، صلى الله عليه و سلم، بأصحابه الجمعة فى اليوم الذى نزل فيه من قباء فى بنى سالم فى بطن واد لهم، و هى أول جمعة جمّعها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى الإسلام و خطبهم، و هى أول خطبة.

و كان رحل من قباء يريد المدينة فركب ناقته و أرخى زمامها، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلّا قالوا [١]: هلم يا رسول الله إلى العدد و العدة و المنعة.

فيقول: خلوا سبيلها فإنها مأمورة،

حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، فبركت على باب مسجده، و هو يومئذ مربد «١» لغلامين يتيمين فى حجر معاذ ابن عفراء، و هما سهل و سهيل ابنا عمرو من بنى النجار، فلما بركت لم ينزل عنها، ثم وثبت فسارت غير بعيد و رسول الله، صلى الله عليه و سلم، واضع لها زمامها لا- يثنيها به، فالتفت خلفها ثم رجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه و وضعت جرانها، فنزل عنها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و احتمل أبو أيوب الأنصارى رحله، و سأل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عن المربد فقال معاذ بن عفراء: هو ليتين لى و سارضيها من ثمنه، فأمر به رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يبنى مسجدا، و أقام عند أبى أيوب حتى بنى مسجده و مساكنه.

[١] قال.

(١). ملك. A. Bte

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١١٠

(١) و

قيل: إن موضع المسجد كان لبنى النجار فيه نخل و حرث و قبور المشركين، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: ثامنونى به. فقالوا: لا يبغي به إلّا ما عند الله. فأمر به فبنى مسجده، و كان قبله يصلى حيث أدركته الصلاة، و بناه هو و المهاجرون و الأنصار، و هو الصحيح.

و فيها بنى مسجد قباء.

و فيها أيضا توفى كلثوم بن الهدم. و توفى بعده أسعد بن زرارة، و كان نقيب بنى النجار،

فاجتمع بنو النجار و طلبوا من رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يقيم لهم نقيبا، فقال لهم: أنتم إخوانى و أنا نقيبكم، فكان فضيلة لهم. و فيها مات أبو أحيحة بالطائف، و الوليد بن المغيرة، و العاص بن وائل السهمى بمكة مشركين.

و فيها بنى النبى، صلى الله عليه و سلم، بعائشة بعد مقدمه المدينة «١» بثمانية أشهر، و قيل بسبعة أشهر فى ذى القعدة، و قيل فى شوال،

و كان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة و هي ابنة ست سنين، و قيل ابنة سبع سنين. و فيها هاجرت سودة بنت زمعة زوج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و بناته ما عدا زينب، و هاجر أيضا عيال أبي بكر و معهم ابنه عبد الله و طلحة بن عبيد الله. و فيها زيد في صلاة العصر ركعتان [١] بعد مقدمه المدينة بشهر. و فيها ولد عبد الله بن الزبير، و قيل في السنة الثانية في شوال، و كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، و كان النعمان بن بشير أول مولود للأنصار بعد الهجرة،

[١] ركعتين.

(١). العقد عليها.P.C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ١١١

(١) و قيل: إن المختار بن أبي عبيد و زياد ابن أبيه ولدا فيها.

و فيها على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لعمه حمزة لواء أبيض في ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعرضوا غير قريش، فلقى أبا جهل في ثلاثمائة رجل فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، و كان يحمل اللواء أبو مرثد، و هو أول لواء عقده. و فيها أيضا عقد لواء لعبيدة بن الحارث ابن المطلب، و كان أبيض يحمله مسطح بن أثاثة، فالتقى هو و المشركون، فكان بينهم الرمي دون المسايقة، و كان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله، و كان المقداد بن عمرو و عتبة بن غزوان مسلمين و هما بمكة، فخرجا مع المشركين يتوصلان بذلك، فلما لقيهم المسلمون انحازوا إليهم. و قال بعضهم: كان لواء أبي عبيدة أول لواء عقده، و إنما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض، و كان على المشركين أبو سفيان بن حرب، و قيل مكرز بن حفص ابن الأخيف، و قيل عكرمة بن أبي جهل.

(و الأخيف بالخاء المعجمة و الياء المثناة من تحتها).

و فيها عقد لواء لسعد بن أبي وقاص و سيره إلى الأبواء «١»، و كان يحمل اللواء المقداد بن الأسود، و كان مسيره في ذي القعدة و جميع من معه من المهاجرين فلم يلق حربا.

جعل الواقدي هذه السرايا جميعها في السنة الأولى من الهجرة، و جعلها ابن إسحاق في السنة الثانية، فقال: على رأس اثني عشر شهرا من مقدم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، المدينة خرج غازيا و استخلف على المدينة سعد بن عباد فبلغ ودان يريد قريشا و بنى ضمرة من كنانة، و هي غزاة الأبواء، بينهما ستة أميال، فوادعته فيها بنو ضمرة، و رئيسهم مخشي بن عمرو، ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيدا، و ذكر ابن إسحاق بعد هذه الغزوة غزوة عبيدة بن

(١). الحراز.P.C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ١١٢

(١) الحارث، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب.

و فيها كان غزاة بواط، خرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، في مائتين من أصحابه في شهر ربيع الآخر، يعني سنة اثنتين، يريد قريشا حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، و كان في غير قريش أمية بن خلف الجمحي في مائة رجل و معهم ألفان و خمسمائة بعير، فرجع و لم يلق كيدا، و كان يحمل لواء رسول الله، صلى الله عليه و سلم، سعد بن أبي وقاص، و استخلف على المدينة سعد ابن معاذ. (بواط بفتح الباء الموحدة و بالطاء المهملة).

و فيها غزا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، غزوة العشيرة من ينبع في جمادى الأولى يريد قريشا حين ساروا إلى الشام، فلما وصل

العشيرة و ادع بنى مدلج و حلفاءهم من ضمرة و رجع و لم يلق كيدا، و استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، و كان يحمل لواءه حمزة، و فى هذه الغزوة كنى النبي، صلى الله عليه و سلم، علينا أبا تراب فى قول بعضهم. و فيها أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر، و فاته كرز، و كان لواءه مع علي، و استخلف على المدينة زيد [١] بن حارثة. و فيها بعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، سعد بن أبى وقاص فى سرية ثمانية رهط فرجع و لم يلق كيدا.

و فيها جاء أبو قيس بن الأسلت إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فعرض عليه الإسلام، فقال: ما أحسن ما تدعو إليه! سأنظر فى أمرى ثم أعود.

فلقبه عبد الله بن أبى المنافق فقال: كرهت قتال «١» الخزرج. فقال أبو قيس: لا أسلم إلى سنه، فمات فى ذى القعدة.

[١] يزيد.

(١). قتلك. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١١٣

(١)

٢ ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة

إشارة

فى هذه السنة غزا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى قول بعض أهل السير، غزوة الأبواء، و يقال [١] ودان، و بينهما ستة أميال، و استخلف رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على المدينة سعد بن عباد، و كان لواءه أبيض مع حمزة بن عبد المطلب، و قد تقدم ذكرها.

و فيها زوج علي بن أبى طالب فاطمة فى صفر.

ذكر سرية عبد الله بن جحش

أمر رسول الله أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز للغزو، فتجهز، فلما أراد المسير بكى صبابه إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فبعث مكانه عبد الله بن جحش فى جمادى الآخرة «١» معه ثمانية رهط من المهاجرين، و قيل اثنا عشر رجلا، و كتب له كتابا، و أمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به و لا يكره أحدا من أصحابه، ففعل ذلك، ثم قرأ الكتاب و فيه يأمره بنزول نخلة بين مكة و الطائف فيرصد قريشا و يعلم أخبارهم،

[١] و قال.

(١). رجب. R.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١١٦

(١)

ذكر غزوة بدر الكبرى

وفى السنة الثانية كانت وقعة بدر الكبرى فى شهر رمضان فى السابع عشر، وقيل التاسع عشر، وكانت يوم الجمعة. وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمي وإقبال أبى سفيان بن حرب فى عير لقريش عظيمه من الشام و فيها أموال كثيرة و معها ثلاثون رجلا أو أربعون، وقيل: قريبا من سبعين رجلا من قريش، منهم: مخرمه بن نوفل الزهرى، و عمرو بن العاص، فلما سمع بهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ندب المسلمين إليهم و قال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها.

فانتدب الناس، فحف بعضهم و ثقل بعضهم، و ذلك لأنهم لن يظنوا أن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يلقي حربا. و كان أبو سفيان قد سمع أن النبى، صلى الله عليه و سلم، يريد، فحذر و استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة يستنفر قريشا و يخبرهم الخبر، فخرج ضمضم إلى مكة.

و كانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفرعتها فقصتها على أخيها [١] العباس و استكتمته خبرها، قالت: رأيت راكبا على بعير له [حتى] وقف [٢] بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث! قالت: فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد، فمثل بعيره على الكعبة، ثم صرخ مثلها، ثم مثل بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ مثلها، ثم أخذ صخرة عظيمة و أرسلها، فلما كانت بأسفل

[١] أخيه.

[٢] وقفا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١١٧

(١) الوادى ارفضت فما بقى بيت من مكة إلا دخله فلقه منها.

فخرج العباس فلقى الوليد بن عتبة [١] بن ربيعة، و كان صديقه، فذكرها له و استكتمه ذلك، فذكرها الوليد لأبيه عتبة [١]، ففشا الخبر، فلقى أبو جهل العباس فقال له: يا أبا الفضل أقبل إلينا. قال: فلما فرغت من طوافى أقبلت إليه، فقال لى: متى حدثت فيكم هذه النبئية؟ و ذكر رؤيا عاتكة، ثم قال:

ما رضيتم أن تتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم! فستربص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقا و إلا كتبنا عليكم أنكم أكذب أهل بيت فى العرب.

قال العباس: فما كان منى إليه إلا أنى جحدت ذلك و أنكرته، فلما أمسيت أتانى نساء بنى عبد المطلب و قلن لى: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم و قد تناول نساءكم و لم تنكر عليه ذلك! قال قلت: و الله كان ذلك، و لأتعرضن له، فإن عاد كفيتموه. قال: فغدوت اليوم الثالث من رؤيا عاتكة و أنا مغضب أحب أن أدركه فرأيته فى المسجد فمشيت نحوه أتعرض له ليعود فأوقع به، فخرج نحو باب المسجد يشتد، قال قلت: ما باله قاتله الله! أكل هذا فرقا من أن أشاتم! و إذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عمرو و هو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدعه و حوّل رحله و شق قميصه و هو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبى سفيان، قد عرض له محمد و أصحابه، لا أدرى إن تدركوها، الغوث الغوث! فشغلنى عنه و شغله عنى.

قال: فتجهز الناس سراعا و لم يتخلف من أشرافهم أحد إلا أبا لهب و بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، و عزم أمية بن خلف

الجمحى على القعود، فإنه كان شيخا ثقيلا بطيئا، فأتاه عقبه بن أبى معيط بمجمرة فيها نار و ما يتبخّر به و قال: يا أبا على استجمر، فإنما أنت من النساء. فقال:

[١] عقبه.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١١٨

(١) قبحك الله و قبح ما جئت به! و تجهز و خرج معهم. و عزم عقبه بن ربيعة أيضا على القعود فقال له أخوه شيبه: إن فارقنا قومنا كان ذلك سبب [١] علينا، فامض مع قومك، فمشى معهم.

فلما أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم و بين بكر بن عبد مناة بن كنانة ابن الحارث فخافوا أن يؤتوا من خلفهم، فجاءهم «١» إبليس فى صورة سراقه بن جعشم المدلجى، و كان من أشرف كنانة، و قال: أنا جار لكم فاخرجوا سراعا. و كانوا تسعمائة و خمسين رجلا، و قيل: كانوا ألف رجل، و كانت خيلهم مائة فرس، فنجا [٢] منها سبعون فرسا و غنم المسلمون ثلاثين فرسا، و كان مع المشركين سبعمائة بعير.

و كان مسير رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لثلاث ليال خلون من شهر رمضان فى ثلاثمائة و ثلاثه عشر رجلا، و قيل أربعة عشر، و قيل بضعة عشر رجلا، و قيل ثمانية عشر، و قيل كانوا سبعة و سبعين من المهاجرين، و قيل ثلاثة و ثمانون و الباقيون من الأنصار، فليل: جميع من ضرب له رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بسهم من المهاجرين ثلاثة و ثمانون رجلا، و من الأوس أحد و سبعون رجلا، و من الخزرج مائة و سبعون رجلا، و لم يكن فيهم غير فارسين، أحدهما المقداد بن عمرو الكندى، و لا خلاف فيه، و الثانى قيل كان الزبير بن العوام، و قيل كان مرثد بن أبى مرثد، و قيل المقداد وحده، و كانت الإبل سبعين بعيرا، فكانوا يتعاقبون عليها البعير بين الرجلين و الثلاثة و الأربعة، فكان بين النبى، صلى الله عليه و سلم، و على و زيد بن حارثة بعير، و بين أبى بكر و عمر و عبد الرحمن بن عوف بعير، و على مثل هذا.

[١] سيئه.

[٢] فنجوا.

(١). فتبدي لهم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١١٩

(١) و كان فرس المقداد اسمه سبحة [١]، و فرس الزبير اسمه السيل، و كان لواؤه مع مصعب بن عمير بن عبد الدار، و رأيته مع على بن أبى طالب، و على الساقه قيس بن أبى صعصعة الأنصارى.

فلما كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو و عدى بن أبى الزغباء الجهتين يتجسسان الأخبار عن أبى سفيان، ثم ارتحل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و ترك «١» الصفراء يسارا، و عاد إليه بسبس بن عمرو يخبره أن العير قد قاربت بدرا، و لم يكن عند رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و المسلمين علم بمسير قريش لمنع «٢» غيرهم، و كان قد بعث عليا و الزبير و سعدا «٣» يلتمسون له الخبر بيدر،

فأصابوا راوية لقريش فيهم أسلم غلام بنى الجحجاج [٢] و أبو يسار غلام بنى العاص. فأتوا بهما النبى، صلى الله عليه و سلم، و هو قائم يصلى، فسألوهما، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما و ضربوهما ليخبروهما عن أبى سفيان. فقالا: نحن لأبى سفيان، فتركوهما. و فرغ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من الصلاة و قال: إذا صدقاكم ضربتموهما و إذا كذباكم

تركتموهما، صدقا، إنهما لقريش، أخبرانى أين قريش؟ قالوا: هم وراء هذا الكتيب الذى ترى بالعدوة القصوى. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: كم القوم؟ قالوا: كثير.

قال: كم عدتكم؟ قالوا: لا ندرى. قال: كم ينحرون؟ قالوا: يوما تسعا و يوما عشرة. قال: القوم بين تسعمائة إلى الألف.

ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد و أبو البختري بن هشام، و حكيم بن حزام، و الحارث بن عامر،

[١] سنجة.

[٢] الحجاج.

(١). و نزل. ddoC.

(٢). يمنع. B.

(٣). و أسعد. ddoC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢٠

(١) و طعيمة بن عدى، و النضر بن الحارث، و زمعة بن الأسود، و أبو جهل، و أمية بن خلف، و نبيه و متبه ابنا الحجاج، و سهيل بن عمرو، و عمرو ابن عبد ود.

فأقبل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على أصحابه و قال: هذه مكة قد ألت إليكم أفلاذ كبدها. ثم استشار أصحابه، فقال أبو بكر فأحسن، ثم قال عمر فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، و الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون «١»، و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد «٢»، يعنى مدينة الحبشة، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فدعا لهم بخير ثم قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أشيروا على أيها الناس، و إنما يريد الأنصار لأنهم كانوا عدد الناس، و خاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة و ليس عليهم أن يسير بهم.

فقال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. قال: قد آمنا بك و صدقناك و أعطيناك عهدنا، فامض يا رسول الله لما أمرت، فوالذى بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضه معك و ما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غدا، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله! فصار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: أبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين، و الله لكأننى انظر إلى مصارع القوم. ثم انحط على بدر فنزل قريبا منها.

(١). ٢٤. ٥. rOC. sv.

(٢). تل العماد. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢١

(١) و كان أبو سفيان قد ساحل و ترك بدرا يسارا ثم أسرع فنجأ، فلما رأى أنه قد أحرز غيره أرسل إلى قريش، و هم بالجحفة: إن الله قد نجى غيركم و أموالكم فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: و الله لا نرجع حتى نرد بدرا، و كان بدر موسما من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كل عام، فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزر و نطعم الطعام و نسقى الخمر و نسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا. فقال الأحنس بن شريق الثقفى، و كان حليفا لبنى زهرة و هم بالجحفة:

يا بنى زهرة قد نجي الله أموالكم و صاحبكم فارجعوا. فرجعوا، فلم يشهدا زهرى و لا عدوى، و شهدا سائر بطون قريش. و لما كانت قريش بالجحفه رأى جهيم بن الصيملت بن مخرمه بن المطلب ابن عبد مناف رؤيا فقال: إني رأيت فيما يرى النائم رجلا أقبل على فرس و معه بعير له فقال: قتل عتبه و شيبه و أبو جهل و غيرهم ممن قتل يومئذ، و رأيت ضرب لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خباء إلا أصابه من دمه.

فقال أبو جهل: و هذا أيضا نبى من بنى المطلب، سيعلم غدا من المقتول.

و كان بين طالب بن أبى طالب، و هو فى القوم، و بين بعض قريش محاوره، فقالوا: و الله قد عرفنا أن هواكم مع محمّد. فرجع طالب إلى مكّه فيمن رجع، و قيل: إنما كان خرج كرها، فلم يوجد فى الأسرى و لا فى القتلى و لا فيمن رجع إلى مكّه، و هو الذى يقول: يا ربّ إمّا يغزوّنّ طالب فى مقنب من هذه المقانب

فليكن المسلوب غير السالب و ليكن المغلوب غير الغالب «١» و مضت قريش حتى نزلت بالعدوه القصوى من الوادى، و بعث الله

(١). المطلوب غير الطالب.P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢٢

(١) السماء، و كان الوادى دهسا [١]، فأصاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أصحابه منه ما لبث لهم الأرض و لم يمنعهم المسير، و أصاب قريشا منه ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه.

فخرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزله، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح: يا رسول الله! أهدنا منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره؟ أم هو الرأى و الحرب و المكيدة؟ قال: بل هو الرأى و الحرب و المكيدة. قال:

يا رسول الله فإنّ هذا ليس لك بمنزل، انهض [٢] بالناس حتى نأتى أدنى ماء سواه من القوم فننزله ثم نعور [٣] ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا و نملؤه ماء فنشرب ماء و لا يشربون ثم نقاتلهم. ففعل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ذلك.

فلما نزل جاءه سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله نبني لك عريشا من جريد فتكون فيه و نترك عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله و أظهرنا الله عليهم كان ذلك مميا أحببناه، و إن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بما وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشدّ حبا لك منهم، و لو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك و يحاربون معك. فأثنى عليه خيرا، ثم بنى لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، عريش، و أقبلت قريش بخيلائها و فخرها، فلما رآها قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها و فخرها تحادّك «١» [٤] و تكذّب رسولك! اللهم فنصرك

[١] (الدّهس: كلّ مكان لئين لم يبلغ أن يكون رملا).

[٢] انحض.

[٣] (نعور: ندفن).

[٤] (تحادّك: تعاديك).

(١). تحاربك.B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢٣

(١) الذى وعدتنى! اللهم أحهمهم «١» الغداة. و رأى عتبه بن ربيعه على جمل أحمر فقال: إن يكن عند أحد من القوم خير فعند صاحب

الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا.

و كان خفاف بن إيماء بن رخصة الغفارى أو أبوه إيماء بعث إلى قريش حين مزوا به ابنا له بجزائر أهداها لهم و عرض عليهم المدد بالرجال و السلاح، فقالت قريش: إن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف، و إن كنا نقاتل الله كما زعم محمد فما لأحد بالله طاقة. فلما نزلت قريش أقبل جماعة، منهم حكيم بن حزام، حتى وردوا حوض النبى، صلى الله عليه و سلم، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: اتركوهم، فما شرب منه رجل إلا قتل يومئذ إلا حكيم نجا على فرس له يقال له الوجيه و أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، و كان يقول إذا اجتهد فى يمينه: لا و الذى نجاني يوم بدر.

و لما اطمانت قريش بعثوا عمرو «٢» بن وهب الجمحى ليحزر المسلمين، فجال بفرسه حولهم ثم عاد فقال: هم ثلاثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون، و لقد رأيت الولايا «٣» [١] تحمل المنايا، نواضح [٢] يثرب تحمل الموت الناقع، ليس لهم منعة إلا سيوفهم، و الله لا يقتل رجل منهم إلا يقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك، فروا رأيكم. فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى القوم فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش و سيدها، هل لك أن لا تزال تذكر فيها بخير

[١] (الولايا، جمع وليئة: البرذعة).

[٢] (النواضح: الإبل التى يستقى عليها الماء).

(١). أجنبهم. B.

(٢). عمير: p ,mahcsiH -nbI.٤٤١

(٣). ٤٤٩. rfcta ,IIiinadieM .p؛ البلايا: ٤٤١. doc. spU .dual .f. ٢٠٠. v. ,mahcsiH -nbIte .p

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢٤

(١) إلى آخر الدهر؟ قال: و ما ذاك؟ قال: ترجع بالناس و تحمل دم حليفك عمرو ابن الحضرمى. قال: قد فعلت، على دمه و ما أصيب من ماله، فأت ابن الحنظليئة، يعنى أبا جهل، فلا أخشى أن يفسد أمر الناس غيره. فقام عتبة فى الناس فقال: إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمدا و أصحابه شيئا، و الله لئن أصبتموهم لا يزال رجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو «١» ابن خاله أو رجلا من عشيرته. قال حكيم بن حزام: فانطلقت إلى أبى جهل فوجدته قد نثل درعا و هو يهينها، فأعلمته ما قال عتبة، فقال: انتفخ و الله سحره «٢» حين رأى محمدا و أصحابه، و الله لا- نرجع حتى يحكم الله بيننا و بين محمدا، و ما بعتبه ما قال و لكن رأى ابنه أبا حذيفة فيهم و قد خافكم عليه.

ثم بعث إلى عامر [بن] الحضرمى فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع إلى مكة بالناس، و قد رأيت تارك بعينك فأنشد خفرتك و مقتل أخيك. فقام عامر و صرخ: وا عمراه وا عمراه! فحميت الحرب و استوسق [١] الناس على الشر.

فلما بلغ عتبة قول أبى جهل: انتفخ سحره «٣»، قال: سيعلم المصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو! ثم التمس بيضة يدخلها رأسه فما وجد من عظم هامته، فاعتجر ببرد له.

و خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى، و كان سيى الخلق، فقال:

أعاهد الله لأشربن من حوضهم و لأهدمنه أو لأموتن دونه. فخرج إليه حمزة فضربه فأطن قدمه بنصف ساقه فوقع على الأرض، ثم حبا إلى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه، و تبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض.

[١] استوثق. (و استوسق الناس: اجتمع أمرهم).

(١). قتل. ddoC.

(٢-٣). منخره. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢٥

(١) ثم خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم عوف و معوذ ابنا عفراء و عبد الله بن رواحة كلهم من الأنصار فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار.

فقالوا: أكفاء كرام، و ما لنا بكم من حاجة، ليخرج إلينا أكفأونا من قومنا. فقال النبي، صلى الله عليه و سلم:

قم يا حمزة، قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا علي، فقاموا و دنا بعضهم من بعض، فبارز عبيدة بن الحارث بن المطلب، و كان أمير القوم، عتبة، و بارز حمزة شيبه، و بارز علي الوليد، فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، و أما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، و اختلف عبيدة و عتبة بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه، و كرز حمزة و علي على عتبة فقتلاه و احتملا عبيدة إلى أصحابه، و قد قطعت رجله، فلما أتوا به النبي، صلى الله عليه و سلم، قال: أ لست شهيدا يا رسول الله؟ [قال: بلى].

قال: لو رأني أبو طالب لعلم [أننا] أحق منه بقوله:

و نسلمه حتى نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل ثم مات، و تراحف القوم و دنا بعضهم من بعض، و أبو جهل يقول:

اللهم أقطعنا للرحم و آتانا بما لم نعرف فأحنه الغداة، فكان هو المستفتح على نفسه.

و كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قد أمر أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، و

قال: إن اكتفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل. و نزل فى العريش و معه أبو بكر و هو يدعو و يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا- تعبد فى الأرض، اللهم أنجز لى ما وعدتنى. و لم يزل حتى سقط رداؤه، فوضعه عليه أبو بكر ثم قال له: كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. و أغفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى العريش إغفاءه، و انتبه ثم قال: يا أبا بكر أذاك نصر الله، هذا جبرائيل آخذ بعنان فرسه يقوده

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢٦

(١) على ثناياه النقع، و أنزل الله: إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ «١» الآية.

و

خرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و هو يقول: سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ وَ يُؤَلَّوْنَ الدُّبُرَ [١]، و حرض المسلمين و قال: و الذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة.

فقال عمير بن الحمام الأنصارى و بيده تمرات يأكلهن: بخ بخ! ما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء! ثم ألقى التمرات من يده و قاتل حتى قتل. ورمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل، فكان أول قتيل.

ثم رمى حارثة بن سراقة الأنصارى فقتل، و قاتل عوف بن عفراء حتى قتل، و اقتتل الناس قتالا شديدا.

فأخذ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، حفنة من التراب «٢» ورمى بها قريشا و قال: شاهت الوجوه. و قال لأصحابه: شدوا عليهم. فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من المشركين و أسر من أسر منهم.

و لما كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى العريش و سعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحا بالسيف فى نفر من الأنصار يحرسون رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يخافون عليه كره العدو،

ف رأى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس من الأسر، فقال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم،

سَلَّمَ: لكأنك تكره ذلك يا سعد؟ قال: أجل يا رسول الله، أوّل وقعة أوقعها الله بالمشرّكين كان الإثخان أحبّ إليّ من استبقاء الرجال.

و كان أوّل من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح و قريش محيطه به

[١] (سورة القمر ٥٤، الآية ٤٥).

(١). sv، ٨، roC.٩

(٢). الحصباء. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢٧

(١) يقولون لا يخلص إلى أبى الحكم، قال معاذ: فجعلته من شأنى، فلمّا أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أظنت قدمه بنصف ساقه، و ضربنى ابنه عكرمة فطرح يدى من عاتقى، فتعلقت بجلده من جثتى، فقالت عامّة يومى و إنى لأسحبها خلفى، فلمّا آذنتنى جعلت عليها رجلى ثمّ تمطّيت حتى طرحتها.

و عاش معاذ إلى زمان عثمان، رضى الله عنه.

ثمّ مرّ بأبى جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته و تركه و به رمق، ثمّ مرّ به ابن مسعود، و قد أمر رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، أن يلتمس فى القتلى، فوجده بأخر رمق، قال: فوضعت رجلى على عنقه ثمّ قلت: هل أخزأك الله يا عدوّ الله؟ قال: و بما ذا أخزانى؟ أعمد من رجل قتلتموه، أخبرنى لمن الدائرة؟ قلت: لله و لرسوله. فقال له أبو جهل: لقد ارتقيت يا روى الغنم مرتقى صعبا! قال: فقلت: إنى قاتلك. قال: ما أنت بأول عبد قتل سيّده، أما إن أشدّ شىء لقيته «١» اليوم قتلك إرباى و ألما قتلنى رجل من المطيّبين الأحلاف. فضربه عبد الله فوق رأسه بين رجليه «٢»، فحمله إلى رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فسجد شكرا لله.

و كان عبد الرحمن بن عوف قد غنم أدرعا، فمرّ بأمية بن خلف و ابنه على، فقالا له: نحن خير لك من هذه الأدراع. فطرح الأدراع و أخذ بيده و بيد ابنه و مشى بهما، فقال له أمية: من الرجل المعلم بريشة نعامة فى صدره؟ قال: حمزة بن عبد المطلب. قال أمية: هو الذى فعل بنا الأفاعيل.

و رأى بلال أمية و كان يعدّبه بمكة فيخرج به إلى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره و يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمّد، فيقول بلال: أحد أحد، فلمّا رآه بلال قال: أمية!

(١). لقيناه. A. Bte

(٢). يديه. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢٨

(١) رأس الكفر! لا- نجوت إن نجا! ثمّ صرخ: يا أنصار الله رأس الكفر رأس الكفر أمية بن خلف، لا- نجوت إن نجا! فأحاط بهم المسلمون، و قتل أمية و ابنه على، و كان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالا، ذهبت أدراعى و فجعنى بأسيرى. و قتل حنظلة بن أبى سفيان بن حرب، قتله على بن أبى طالب.

و لما انهزم المشركون أمر النبى، صلّى الله عليه و سلّم، أن لا يقتل أبو البختري بن هشام لأنّه كان أكفّ القوم عن [١] رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و هو بمكة، و كان ممّن اهتمّ فى نقض الصحيفة، فلقية المجذّر بن زياد البلوى حليف الأنصار و معه زميل له، فقال له: إن رسول الله قد نهى عن قتلك. فقال: و زميلى؟ فقال المجذّر: لا و الله. قال: إذا و الله لأموتنّ أنا و هو و لا تتحدّث نساء

قريش أنى تركت زميلى حرصا على الحياة. فقتله، ثم أخبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بخبره. و جىء بالعباس، أسره أبو اليسر، و كان مجموعا، و كان العباس جسيما، فقيل لأبى اليسر: كيف أسرته؟ قال: أعاننى عليه رجل ما رأيتيه قبل ذلك، بهيئة كذا و كذا، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لقد أعانك عليه ملك كريم. و لما أمسى العباس مأسورا بات رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ساهرا أول ليلة، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما لك لا تنام؟ فقال: سمعت تصوّر العباس فى وثاقه فمنع منى النوم. فقاموا إليه فأطلقوه، فنام رسول الله، صلى الله عليه وسلم. و قد كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لأصحابه يومئذ: قد عرفت رجلا من بنى هاشم و غيرهم أخرجوا كرها، فمن لقي منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله، و من لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنه أخرج

[١] كان أخفّ القوم على. (و ما أثبتناه عن سيرة ابن هشام).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٢٩

(١) كرها. فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتل أبناءنا و آباءنا و إخواننا و نترك العباس؟ و الله لئن لقيته لألحمته بالسيف. فبلغ النبى، صلى الله عليه وسلم، فقال لعمر: يا أبا حفص أما تسمع قول أبى حذيفة؟ أ يضرب وجه عمّ رسول الله بالسيف؟ فقال أبو حذيفة: لا أزال خائفا من تلك الكلمة و لا يكفرها عنى إلّا الشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيدا. و قد كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لأصحابه: قد رأيت جبرائيل و على ثناياه النقع. فقال رجل من بنى غفار: أقلت أنا و ابن عمّ لى فصعدنا جبلا يشرف بنا على بدر، و نحن مشركان، ننظر لمن تكون الدائرة فننتهب، فذنت منا سحابة فسمعت فيها حمحمه الخيل و سمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم، قال: فأما ابن عمى فمات مكانه، و أما أنا فكذت أهلك فتماسكت. و قال أبو داود المازنى: إنى لأتبع رجلا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل سيفى إليه، فعرفت أنه قتله غيرى. و قال سهل بن حنيف:

كان أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

فلما هزم الله المشركين و قتل منهم من قتل و أسر من أسر أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن تطرح القتلى فى القليب، فطرحوا فيه إلّا أمية ابن خلف فإنه انتفخ فى درعه فملاها، فذهبوا به ليخرجوه فتقطع، و طرحوا عليه من التراب و الحجارة ما غيبه، و لما ألقوا فى القليب وقف عليهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و

قال: يا أهل القليب، بئس عشيرة النبى كنتم لنيكم! كذبتمونى و صدقنى الناس! ثم قال: يا عتبة، يا شيبه، يا أمية ابن خلف، يا أبا جهل بن هشام، و عدد من كان فى القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا. فقال له أصحابه:

أ تكلم قوما موتى؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم و لكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى. و لما قال، صلى الله عليه وسلم، لأهل القليب ما قال رأى فى

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣٠

(١) وجه أبى حذيفة بن عتبة الكراهية و قد تغير، فقال: لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء؟ قال: لا و الله يا رسول الله ما شككت فى أبى و فى مصرعه، و لكنّه كان له عقل و حلم و فضل فكنت أرجو له الإسلام، فلما رأيت ما مات عليه من الكفر أجزنى ذلك، فدعا له رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بخير.

ثم إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أمر فجمع ما فى العسكر، فاختلف المسلمون، فقال من جمعه: هو لنا. و قال الذين كانوا

يقاتلون العدو:

[و الله] لو لا نحن ما أصبتموه، نحن شغلنا القوم عنكم [حتى أصبتم ما أصبتم]. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو فى العريش: والله ما أنتم بأحقّ به منّا، لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ولكن خفنا كره العدو على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقمنا دونه. فترع الله الأنفال من أيديهم وجعلها إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقسّمها بين المسلمين على سواء.

و بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن رواحة بشيرا إلى أهل العالیه، وزيد بن حارثة بشيرا إلى أهل السافلّة من المدينة، فوصل زيد و قد سوّوا التراب على رقيّة بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكانت زوجة عثمان بن عفان، خلفه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليها و قسم له.

فلما عاد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لقيه الناس يهتّونه بما فتح الله عليه،

فقال سلمة بن سلامة بن وقش الأنصارى: إن لقينا إلّا عجائز صلعا كالبدن المعقلّة فحربناها. فتبسّم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و قال: يا بن أخى أولئك الملاء من قريش.

و كان فى الأسرى النضر بن الحارث و عقبه بن أبى معيط، فأمر على ابن أبى طالب بقتل النضر فقتله بالصّفاء، و أمر عاصم بن ثابت بقتل عقبه بن

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣١

(١) أبى معيط، فلما أرادوا قتله جزع من القتل و قال: ما لى أسوء بهؤلاء؟ يعنى الأسرى، ثم

قال: يا محمّد من اللّصبيّة؟ قال: النار، فقتله بعرق الطّيبه «١» صبرا.

و كان فى الأسرى سهيل بن عمرو أسره مالك بن الدّخشم الأنصارى، فلما أتى به النبى، صلى الله عليه وسلم،

قال عمر بن الخطّاب: [دعنى] أنزع ثنيتيه يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيبا أبدا، و كان سهيل أعلم الشفة السفلى [١]، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دعه يا عمر فسيقوم مقاما تحمده عليه،

فكان مقامه ذلك عند موت النبى، صلى الله عليه وسلم، و سندّ كره عند خبر الرّدة إن شاء الله. و

لما قدم به المدينة قالت له سودة بنت زمعة، زوج النبى، صلى الله عليه وسلم، أعطيتم «٢» بأيديكم كما تفعل النساء، ألّا مّمّ كراما! فسمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قولها فقال لها: يا سودة أ على الله و على رسوله [تحرضين]! فقالت: يا رسول الله ما ملكت نفسى حين رأيت أن قلت ما قلت.

و قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، استوصوا بالأسرى خيرا، و كان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه.

فكان أول من قدم مكّة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعى، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة و شيبه و أبو الحكم و نبيه و متبه ابنا الحجاج، و عدّد أشراف قريش. فقال صفوان بن أميّة: و الله إن يعقل فاسألوه عنى. فقالوا: ما فعل صفوان؟ قال: هو ذاك جالس فى الحجر،

[١] (هكذا جاء فى الأصل، و الأعم، كما فى المعاجم: المشقوق الشفة العليا).

(١). الظهيره. P.C.

(٢). لاعبتم. ddoC.

(١) و قد رأيت أباه و أخاه حين قتلا.

و مات أبو لهب بمكة بعد وصول خبر مقتل قريش بتسعة «١» أيام، و ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيشمت محمّد و أصحابه، و لا تبعثوا فى فداء أسراكم لا يشتطّ عليكم محمّد. و كان الأسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة و عقيل و الحارث، و كان يحبّ أن يبكى على بنيه.

فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة فقال لغلامه، و قد ذهب بصره: انظر هل أحلّ البكاء لعلّى أبكى على زمعة فإنّ جوفى قد احترق. فرجع إليه و قال له: إنّما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلّته، فقال:

أ تبكى أن يضلّ لها بعير و يمنعها من النوم السهود

و لا تبكى على بكر و لكن على بدر تقاصرت الجود

على بدر سراة بنى هصيص [١] و مخزوم و رهط أبى الوليد «٢»

و بكى [٢] إن بكيت على عقيل و بكى حارثا أسد الأسود

و بكيهم [٣] و لا تسمى [٤] جميعا لأبى حكيم من نديد

ألا قد ساد بعدهم أناس و لو لا يوم بدر لم يسودوا يعنى أبا سفيان.

ثم

إنّ قريشا أرسلت فى فداء الأسارى، فأؤل من فدى أبو وداعة السهمي، فداه ابنه المطّلب، و فدى العباس نفسه و عقيل بن أبى طالب

[١] هضيض.

[٢] و أبكى.

[٣] و تبكيهم.

[٤] (تسمى: مسهل تسامى).

(١). بسبعة. B.

(٢). عظامهم همود. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣٣

(١) و نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب و حليفه عتبة بن عمرو بن جحدم، أمره رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، بذلك فقال: لا مال لى. فقال له رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم: أين المال الذى وضعت عند أم الفضل و قلت لها إن أصبت فللفضل كذا و لعبد الله كذا و لعبيد الله كذا؟ قال: و الذى بعثك بالحقّ ما علم به أحد غيرى و غيرها، و إننى لأعلم أنّك رسول الله! و فدى نفسه و ابنى أخويه و حليفه، و كان قد أخذ «١» مع العباس عشرون أوقية من ذهب، فقال: احسبها [١] فى فدائى. فقال النبىّ، صلّى الله عليه و سلّم: لا، ذاك شىء أعطانا الله، عزّ و جلّ.

و كان فى الأسارى عمرو بن أبى سفيان، أسره علىّ، فقيل لأبيه: أقد عمرا. فقال: لا أجمع علىّ دمي و مالي، يقتل ابني حنظلة و أفدى عمرا! فتركه و لم يفكه. ثمّ إنّ سعد بن النعمان الأنصارى خرج إلى مكة معتمرا، فأخذه أبو سفيان، و كانت قريش لا تعرض لحاجّ و لا معتمر. فحبسه أبو سفيان ليفدى به عمرا ابنه، و قال:

أرھط ابن أکال أجيوا دعاه تعاقدتم [٢] لا تسلّموا السید الکھلا

فإنّ بنى عمرو لثام أدلّ لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا فمشى بنو عمرو بن عوف إلى النبىّ، صلّى الله عليه و سلّم، فطلبوا منه عمرو

بن أبى سفيان ففادوا به سعدا.

و كان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج

[١] أحبسها.

[٢] تفاقدم.

(١). وجد. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣٤

(١) زينب بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و كان من أكثر رجال مكة مالا و أمانة و تجارة، و كانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة زوجة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فسألته أن يزوجه زينب، ففعل قبل أن يوحى إليه، فلما أوحى إليه آمنت به زينب، و كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مغلوبا بمكة لم يقدر أن يفترق بينهما، فلما خرجت قريش إلى بدر خرج معهم فأسر، فلما بعثت قريش فى فداء الأسارى بعثت زينب فى فداء أبى العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها معها، فلما رآها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رق لها رقة شديدة و قال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها و تردوا عليها الذى لها فافعلوا. فأطلقوا لها أسيرها و ردوا القلادة.

و أخذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليه أن يرسل زينب إليه بالمدينة، و سار إلى مكة، و أرسل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، زيد ابن حارثة مولاه و رجلا من الأنصار ليصحبها زينب من مكة، فلما قدم أبو العاص أمرها باللحاق بالنبي، صلى الله عليه وسلم، فتجهزت سرا، و أركبها كنانة بن الربيع، أخو أبى العاص، بعيرا و أخذ قوسه و خرج بها نهارا. فسمعت بها قريش فخرجوا فى طلبها فلحقوها بنذى طوى، و كانت حاملا فطرح حملها لما رجعت لخوفها، و نثر كنانة أسهمه ثم قال: و الله لا يدنو منى أحد إلا وضعت فيه سهما! فأتاه أبو سفيان بن حرب و قال: خرجت بها علانية فيظن الناس أن ذلك عن ذل و ضعف منا، و لعمري ما لنا فى حبسها حاجة، فارجع بالمرأة ليتحدث الناس أننا رددناها. ثم أخرجها ليلا و سلمها إلى زيد ابن حارثة و صاحبه، فقدا بها على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأقامت عنده.

فلما كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا إلى الشام بأمواله و أموال رجال من قريش، فلما عاد لقيته سريته لرسول الله، صلى الله عليه وسلم،

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣٥

(١) فأخذوا ما معه و هرب منهم، فلما كان الليل أتى المدينة فدخل على زينب، فلما كان الصبح خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الصلاة فكبر و كبر الناس، فنادت زينب من صفة النساء: أيها الناس إنى قد أجزت أبا العاص.

فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، و الذى نفسى بيده ما علمت بشيء من ذلك، و إنه ليجير على المسلمين أذناهم. و قال لزينب: لا يخلص إليك فلا- يحل لك. و قال للسريه الذين أصابوه: إن رأيتم أن تردوا عليه الذى له فإننا نحب ذلك، و إن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاءه عليكم و أنتم أحق به. قالوا:

يا رسول الله بل نرده عليه، فردوا عليه ماله كله حتى الشظاظ

[١]، ثم عاد إلى مكة فرد على الناس مالهم و قال لهم: أشهد أن لا- إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله، و الله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا [أنى] إنما أردت أكل أموالكم. ثم خرج فقدم على النبي، صلى الله عليه وسلم، فرد عليه أهله بالنكاح الأول، و قيل بنكاح جديد.

و جلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية بعد بدر، و كان شيطاناً ممن كان يؤذى النبى و أصحابه، و كان ابن وهب فى الأسارى، فقال صفوان: لا خير فى العيش بعد من أصيب ببدر. فقال عمير: صدقت و لو لا دين على و عيال أخشى ضيعتهم لركبت إلى محمد حتى أقتله. فقال صفوان: دينك على و عيالك مع عيالى أسوتهم. فسار إلى المدينة فقدمها، فأمر النبى، صلى الله عليه و سلم، عمر بن الخطاب بإدخاله عليه، فأخذ عمر بحمالة سيفه و قال لرجال معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و احذروا هذا الخبيث. فلما رآه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قال لعمر: اتركه، ثم قال: ادن يا عمير، ما جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير. قال: اصدقنى. قال: ما جئت إلّا لذلك. قال:

[١] الشطاط. (و الشطاط: خشبة عفاء تدخل فى عروة الجواثق).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣٦

(١)

بل قعدت أنت و صفوان و جرى بينكما كذا و كذا. فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، هذا الأمر لم يحضره إلّا أنا و صفوان، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: فقها أخاكم فى دينه و علموه القرآن و أطلقوا له أسيره، ففعلوا. فقال: يا رسول الله كنت شديد الأذى للمسلمين فأحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعو إلى الله و أؤذى الكفار فى دينهم كما كنت أؤذى أصحابك. فأذن له، فكان صفوان يقول: أبشروا الآن بوقعة تأتكم تنسيكم وقعة بدر. فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الله، فأسلم معه ناس كثير، و كان يؤذى من خالفه. و قدم مكرز بن حفص بن الأخياف فى فداء سهيل بن عمرو، و كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يشاور أبا بكر و عمر و عليا فى الأسارى، فأشار أبو بكر بالفداء، و أشار عمر بالقتل، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى القتل «١»، فأنزل الله تعالى: ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض إلى قوله: لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ «٢»، و كان الأسرى سبعين، فقتل من المسلمين عقوبة بالمفاداة يوم أحد سبعون، و كسرت رباعية رسول الله، و هشمت البيضة على رأسه، و سال الدم على وجهه و انهزم أصحابه، فأنزل الله تعالى: أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا «٣». و كان جميع من قتل من المسلمين ببدر أربعة عشر رجلا، ستة من المهاجرين، و ثمانية من الأنصار. و رد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، جماعة استصغروهم، منهم: عبد الله بن عمر، و رافع بن خديج، و البراء

(١). الفداء. B.

(٢). ٦٨، ٦٧. rOC. ٨، SSV.

(٣). ١٦٥. rOC. ٣، SV.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣٧

(١) ابن عازب، و زيد بن ثابت، و أسيد بن حضير.

و ضرب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لثمانية نفر بسهم فى الأنفال لم يحضروا الوقعة، منهم: عثمان بن عفان، كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، خلفه على زوجته رقية بنت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لمرضها، و طلحة بن عبيد الله، و سعيد بن زيد، كان أرسلهما يتجسسان خبر العير، و أبو لبابة، خلفه على المدينة، و عاصم بن عدى، خلفه على العالية، و الحارث بن حاطب، رده إلى بنى عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، و الحارث بن الصيمم، كسر بالزوحاء، و خوات بن جبير، كسر فى بدر أسفل سيفه ذى الفقار، و

كان لمتبه بن الحجاج، وقيل كان للعاص ابن متبه، قتله على صبرا وأخذ سيفه ذا الفقار، فكان للنبي، صلى الله عليه وسلم، فوهبه لعلى.

(رحضة بفتح الراء المهملة، والحاء المهملة، والضاد المعجمة. والحبار بضم الحاء المهملة، والباء الموحدة. وأسيد بن حضير بضم الهمزة، والضاد المعجمة. وخديج بفتح الخاء المعجمة، وكسر الدال المهملة).

ذكر غزوة بنى قينقاع

لما عاد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه و بغوا و نقضوا العهد، و كان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجرا.

فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بنى قينقاع فقال لهم: احذروا ما نزل بقريش و أسلموا، فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل. فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة.

فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه، فبينما هم على مجاهرتهم و كفرهم

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣٨

(١) إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلى لها، فجاء رجل منهم فخل «١» درعها إلى ظهرها، و هى لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها، فضحكوا منها، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله، و نبذوا العهد إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و تحصنوا فى حصونهم، فغزاهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و حاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا على حكمه، فكتفوا، و هو يريد قتلهم، و كانوا حلفاء الخزرج،

فقام إليه عبد الله بن أبى ابن سلول فكلمه فيهم، فلم يجبه، فأدخل يده فى جيب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فغضب رسول الله و قال: ويحك أرسلنى. فقال: لا- أرسلك حتى تحسن إلى موالى، أربعمئة حاسر و ثلاثمئة دارع قد منعونى من الأحمر و الأسود [تحصدهم فى غداة واحدة]، و إنى و الله لأخشى الدوائر.

فقال النبى، صلى الله عليه وسلم: هم لك، خلّوهم لعنهم الله و لعنه معهم.

و غنم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و المسلمون ما كان لهم من مال، و لم يكن لهم أرضون إنما كانوا صاغه، و كان اللى أخرجهم عبادة بن الصامت الأنصارى، فبلغ بهم ذباب، ثم ساروا إلى أذرعات من أرض الشام، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى هلكوا.

و كان قد استخلف على المدينة أبا لبابة، و كان لواء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مع حمزة، و قسم الغنيمه بين أصحابه و خمسها، و كان أول خمس أخذه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فى قول. ثم انصرف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و حضر الأضحى و خرج إلى المصلّى فصلّى بالمسلمين، و هى أول صلاة عيد صلاها، و ضحى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بشاتين، و قيل بشاة، و كان أول أضحى رآه المسلمون، و ضحى

(١). فحل. ddoC

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٣٩

(١) معه ذوو اليسار. و كانت الغزاة فى شوال بعد بدر، و قيل: كانت فى صفر سنة ثلاث، و جعلها بعضهم «١» بعد غزوة الكدر. (ذباب بكسر الدال المعجمة، و باء ين موحدتين).

ذكر غزوة الكدر

قال ابن إسحاق: كانت فى شؤال سنة اثنتين، وقال الواقدي: كانت فى المحرم سنة ثلاث، و كان قد بلغ النبى، صلى الله عليه و سلم، اجتماع بنى سليم على ماء لهم يقال له الكدر، فسار رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى الكدر فلم يلق كيدا، و كان لواؤه مع على بن أبى طالب، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم و عاد و معه النعم و الرعاء، و كان قدومه، فى قول، لعشر ليال مضمين من شؤال. و بعد قدومه أرسل غالب بن عبد الله الليثى فى سرية إلى بنى سليم و غطفان، فقتلوا فيهم و غنموا النعم، و استشهد من المسلمين ثلاثة نفر و عادوا منتصف شؤال.

(الكدر بضم الكاف، و سكون الدال المهملة).

ذكر غزوة السويق

كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا، فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه حتى جاء المدينة ليلا و اجتمع بسلام بن مشكم سيد النصير فعلم منه خبر الناس، ثم خرج فى

(١). ابن إسحاق. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤٠

(١) ليلته فبعث رجالا- من قريش إلى المدينة، فأتوا العريض فحرقوا فى نخلها و قتلوا رجلا- من الأنصار و حليفا له، و اسم الأنصارى معبد بن عمرو، و عادوا، و رأى أن قد بر فى يمينه. و جاء الصريح، فركب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أصحابه فأعجزهم، و كان أبو سفيان و أصحابه يلقون جرب السويق يتخففون منها [للنجاة]، و كان ذلك عامه زادهم، فلذلك سميت غزوة السويق.

و

لما رجع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و المسلمون قالوا: يا رسول الله أ تطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: نعم. و قال أبو سفيان بمكة، و هو يتجهز:

كزوا على يثرب و جمعهم فإن ما جمعوا لكم [١] نفل

إن يك يوم القليب كان لهم فإن ما بعده لكم دول

آليت لا أقرب النساء و لا يمس رأسى و جلدى الغسل

حتى تبيروا قبائل الأوس والخزرج، إن الفؤاد يشتعل فأجابه كعب بن مالك بقوله:

يا لهف أم المسبحين على جيش ابن حرب بالحره الفشل

إذ يطرحون الرجال من سئم الطير ترقى «١» لقتة الجبل «٢» [٢]

جاءوا بجمع لو قيس مبركة [٣] ما كان إلّا كمفحص الدئل [٤]

عار من النصر و الثراء «٣» و من أبطال أهل البطحاء و الأسل

[١] لكل.

[٢]

إذ يطرحون الرجال من شيم الطير و يرقى لقيه الجبل

[٣] مبركة.

[٤] الدؤل.

(١). ورمى. A.

(٢). الحمل. B، لقتة. P.C.

(٣). الثرى. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤١

(١) و فى ذى الحجة منها مات عثمان بن مظعون فدفن بالبقيع و جعل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على رأس القبر حجرا علامة لقبره.

وقيل: إن الحسن بن على ولد فيها. وقيل: إن على بن أبى طالب بنى بفاطمة على رأس اثنين و عشرين شهرا، فإن كان هذا صحيحا فالأول باطل.

و فى هذه السنة كتب المعقله و قربه «١» بسيفه [١].

(سَلَامٌ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ. وَ مَشْكَمٌ بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَ سَكُونِ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَ فَتْحِ الْكَافِ. وَ الْعَرِيضُ بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ، وَ فَتْحِ الرَّاءِ، وَ آخِرُهُ ضَادٌ مُعْجَمَةٌ: وَادٌ بِالْمَدِينَةِ).

[١] (هذه العبارة محرّفة، و قد جاءت فى الطبرى: «فى هذه السنة كتب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، المعقل، فكان معلقا بسيفه». و المعقل، جمع معقله:

الديّة. و لعله أراد أن كتاب الديات كان معلقا بسيفه).

(١). فريه. ISOF و فرته. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤٢

(١)

٣ و دخلت السنة الثالثة من الهجرة

إشارة

فى المحرم سنة ثلاث سمع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن جمعا من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان و بنى محارب بن حفص تجمّعوا ليصيبوا من المسلمين، فسار إليهم فى أربعمائه و خمسين رجلا، فلما صار بذى القصية «١» لقى رجلا من ثعلبة فدعاه إلى الإسلام، فأسلم و أخبره أن المشركين أتاهم خبره فهربوا إلى رءوس الجبال، فعاد و لم يلق كيدا، و كان مقامه اثنى عشرة ليلة. و فيها، فى جمادى الأولى، غزا بنى سليم ببحران، و سبب هذه الغزوة أن جمعا من بنى سليم تجمّعوا ببحران من ناحية الفرع، فبلغ ذلك النبى، صلى الله عليه و سلم، فسار إليهم فى ثلاثمائه، فلما بلغ بحران وجدهم قد تفرّقوا فانصرف و لم يلق كيدا، و كانت غيبته عشر ليال، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

(القصّة بفتح القاف، و الصاد المهملة. و بحران بالباء الموحدة، و الحاء المهملة الساكنة).

(١). طوى. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤٣

(١)

ذكر قتل كعب بن الأشرف اليهودى

وفى هذه السنة قتل كعب بن الأشرف، وهو أحد بنى نبهان من طيى، وكانت أمه من بنى النضير، وكان قد كبر عليه قتل من قتل بيدر من قريش، فسار إلى مكة وحرّض على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبكى أصحاب بدر، وكان يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم،

فلما عاد إلى المدينة قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من لى من ابن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصارى: أنا لك به، أنا أقتله. قال: فافعل إن قدرت على ذلك. قال:

يا رسول الله لا بد لنا ما نقول. قال: قولوا ما بدا لكم، فأنتم فى حلّ من ذلك.

فاجتمع محمد بن مسلمة و سلكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة، والحارث بن أوس بن معاذ، وكان أخا كعب من الرضاعة، و عبّاد بن بشر، وأبو عبس بن جبر «١»، ثم قدّموا إلى ابن الأشرف أبا نائلة، فتحدّث معه ثم قال له: يا ابن الأشرف إنى قد جئتك لحاجة فآكتمها علىّ. قال:

أفعل. قال: كان قدوم هذا الرجل شؤما على العرب، قطع عنّا السبيل حتى ضاعت العيال و جهدت البهائم. فقال كعب: قد كنت أخبرتك بهذا. قال أبو نائلة: وأريد أن تبيعنا طعاما و نرهنك و نوثق لك و تحسن فى ذلك. قال:

ترهوننى أبناءكم؟ قال: أردت أن تفضحننا، إنّ معى أصحابى على مثل رأىي تبيعهم و تحسن و نجعل عندك رهنا من الحلقة ما فيه وفاء، و أراد أبو نائلة بذكر الحلقة، و هى السلاح، أن لا ينكر السلاح إذا جاء مع أصحابه. فقال: إنّ فى الحلقة لوفاء.

فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم، فأخذوا السلاح و ساروا إليه،

(١). جبير. B، جزا. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤٤

(١) و شيعهم النبى، صلى الله عليه وسلم، إلى بقيق الغرقد و دعا لهم. فلما انتهوا إلى حصن كعب هتف به أبو نائلة، و كان كعب قريب عهد بعرس، فوثب إليه، و تحدّثوا ساعة، و سار معهم إلى شعب العجوز. ثم إنّ أبا نائلة أخذ برأس كعب و شمّ بيده و قال: ما رأيت كالليله طيبا أعرف «١» قطّ. ثم مشى ساعة و عاد لمثلها حتى اطمأنّ كعب، ثم مشى ساعة و أخذ بفود رأسه ثم قال:

اضربوا عدوّ الله! فاختلفت عليه أسياهم فلم تغن شيئا. قال محمد بن مسلمة:

فذكرت مغولا فى سيفى فأخذته، و قد صاح عدوّ الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلّا أوقدت عليه نار، قال: فوضعت فى ثنودته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته و وقع عدوّ الله.

و قد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ، أصابه بعض أسيافنا، قال:

فخرجنا على بعث و قد أبطأ علينا صاحبنا فوقفنا له ساعة و قد نزفه الدم، ثم أتانا فاحتملناه و جئنا به النبى، صلى الله عليه وسلم، فأخبرناه بقتل عدوّ الله، و تفل على جرح صاحبنا و عدنا إلى أهلينا فأصبحنا و قد خافت يهود، ليس بها يهودى إلّا و هو يخاف على نفسه.

قال: و قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه.

فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنيته اليهودي و هو من تجار يهود، فقتله، و كان يبايعهم، فقال له أخوه حويصة، و هو مشرك: يا عدو الله قتلته! أما و الله لرب شحم فى بطنك من ماله! و ضربه، فقال محيصة: لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك. قال: فو الله إن كان لأول إسلام حويصة. فقال: إن دينا بلغ بك ما أرى لعجب. ثم أسلم.

(عبس بن جبر بفتح العين المهملة، و سكون الباء الموحدة. و جبر

(١). عطر. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤٥

(١) بالجيم، و الباء الموحدة. و سنيته تصغير سنّ).

و فى ربيع الأول منها تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت النبى، صلى الله عليه و سلم، و بنى بها فى جمادى الآخرة. و فيها ولد السائب بن زيد ابن أخت نمير «١». و قال الواقدي: و فيها غزا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، غزوة أنمار يقال لها دوام، و قد ذكرنا قول ابن إسحاق قبل ذلك.

و فيها كان غزوة الفردة، و كان أميرها زيد بن حارثة، و هى أول سرية خرج فيها زيد أميراً.

و كان من حديثها أن قريشا خافت من طريقها التى كانت تسلك إلى الشام بعد بدر، فسلخوا طريق العراق، فخرج منهم جماعة فيهم صفوان بن أمية و أبو سفيان. و كان عظيم تجارتهم الفضة، و كان دليلهم فرات بن حيان من بكر بن وائل، فبعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، زيدا، فلقبهم على ماء يقال له الفردة، فأصاب العير و ما فيها، و أعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و كان الخمس عشرين ألفا، و قسم الأربعة الأحماس على السويى، و أتى بفرات بن حيان أسيرا فأسلم، فأطلقه رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

(الفردة: ماء بنجد، و قد اختلف العلماء فى ضبطه، فقليل فردة بالفاء المفتوحة و الراء الساكنة، و به مات زيد الخيل، و يرد ذكره، و ضبطه ابن الفرات فى غير موضع قرده بالقاف، و قال ابن إسحاق: و سير زيد بن حارثة إلى الفردة، ماء من مياه نجد، ضبطه ابن الفرات أيضا بفتح الفاء و الراء، فإن كانا مكانين و إلا فقد ضبط ابن الفرات أحدهما خطأ).

(١). نمر. ddoC

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤٦

(١)

ذكر قتل أبى رافع

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة قتل أبو رافع سلام بن أبى الحقيق اليهودي، و كان يظهر كعب بن الأشرف على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فلما قتل كعب بن الأشرف، و كان قتلته من الأوس، قالت الخزرج:

و الله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و كانا يتصاولان تصاول الفحلين، فتذاكر الخزرج من يعادى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، كابن الأشرف، فذكروا ابن أبى الحقيق، و هو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى قتله، فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج عبد الله ابن عتيك و مسعود بن سنان و عبد الله بن أنيس و أبو قتادة و خزاعي بن الأسود حليف لهم و أمر عليهم عبد الله بن عتيك، فخرجوا حتى قدموا خيبر فأتوا دار أبى رافع ليلا، فلم يدعوا بابا فى الدار إلا أغلقوه على أهله، و

كان فى عليّ فاستأذنوا عليه، فخرجت امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: نفر من العرب يلتمسون الميرة. قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه، فدخلوا. فلما دخلوا أغلقوا باب العليّة ووجدوه على فراشه وابتدروه، فصاحت المرأة، فجعل الرجل منهم يريد قتلها، فيذكر [١] نهى النبيّ، صلى الله عليه و سلم، إياهم عن قتل النساء و الصبيان، فيمسك [٢] عنها، و ضربوه بأسيافهم، و تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه، ثم خرجوا من عنده. و كان عبد الله بن عتيك سيّ البصر، فوقع من الدرجة فوثت رجله و ثأ شديدا، فاحتملوه و اختفوا، و طلبتهم يهود فى كلّ وجه فلم يروهم، فرجعوا إلى

[١] فذكر.

[٢] فمسكوا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤٧

(١) صاحبهم، فقال المسلمون: كيف نعلم أنّ عدوّ الله قد مات؟ فعاد بعضهم و دخل فى الناس فرأى الناس حوله و هو يقول: لقد عرفت صوت ابن عتيك، ثم قلت: أين ابن عتيك؟ ثم صاحت امرأته و قالت: مات و الله. قال: فما سمعت كلمة ألدّ إلى نفسى منها. ثم عاد إلى أصحابه و أخبرهم الخبر و سمع صوت الناعى يقول: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز. و ساروا حتى قدموا على النبيّ، صلى الله عليه و سلم، و اختلفوا فى قتله.

فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: هاتوا أسيافكم، فجاءوا بها، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله ابن أنيس: هذا قتله، أرى فيه أثر العظام

[١].

و قيل فى قتله: إنّ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بعث إلى أبى رافع اليهودى، و كان بأرض الحجاز، رجالا من الأنصار و أمر عليهم عبد الله بن عتيك، و كان أبو رافع يؤذى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فلما دنوا منه غربت الشمس و راح الناس بسرجهم، فقال عبد الله بن عتيك لأصحابه:

أقيموا مكانكم فإنى أنطلق و أتلف للبوّاب لعلّى أدخل. فانطلق فأقبل حتى دنا من الباب فتقّع بثوبه كأنه يقضى حاجته، فهتف به البوّاب: إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنى أريد أن أغلق الباب، فدخل و أغلق الباب و علّق المفاتيح على و تد، قال: فقامت فأخذتها ففتحت بها الباب، و كان أبو رافع يسمر عنده فى علائى له. فلما أراد النوم ذهب عنه السّمّار، فصعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقتة علىّ من داخل، فقلت: إن علموا بى لم يخلصوا إلىّ حتى أقتله. قال: فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو.

فقلت: أبا رافع! قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فضربتة ضربة بالسيف و أنا دهش، فما أغنى عنى شيئا و صاح، فخرجت من البيت غير بعيد ثم دخلت عليه فقلت: ما هذا الصوت؟ قال: لأمك الويل! إنّ رجلا فى البيت

[١] الطعام.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤٨

(١) ضربنى بالسيف. قال: فضربتة فأثخته فلم أقتله، ثم وضعت حدّ السيف فى بطنه حتى أخرجته من ظهره، فعرفت أنّى قتلتها فجعلت أفتح الأبواب و أخرج حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلى و أنا أظنّ أنّى انتهيت إلى الأرض، فوقع فى ليله مقمرة و انكسرت ساقى فعصبتها بعمامتى و جلست عند الباب فقلت: و الله لا أبرح حتى أعلم أقتله أم لا. ف

لما صاح الديك قام الناعى فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابى فقلت: النجاء! قد قتل الله أبا رافع، فانتهيت

إلى النبى، صلى الله عليه وسلم، فحدثته.
 فقال: ابسط رجلك. فبسطتها فمسحتها فكأننى لم أشتكها قط.
 قيل: كان قتل أبى رافع فى ذى الحجة سنة أربع من الهجرة، والله أعلم.
 (سلام بتشديد اللام. وحقيق بضم الحاء المهملة، وفتح القاف الأولى، تصغير حق).
 وفيها تزوج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حفصة بنت عمر بن الخطاب فى شعبان، وكانت قبله تحت خنيس (بضم الخاء المعجمة، وبالنون المفتوحة، وبالياء المعجمة باثنتين من تحت، وبالسين المهملة) وهو ابن حذافة السهمي، فتوفى فيها.

ذكر غزوة أحد

وفيها فى شوال لسبع ليال خلون منه كانت وقعة أحد، وقيل للنصف منه، وكان الذى هاجها وقعة بدر، فإنه لما أصيب من المشركين من أصيب ببدر مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل و صفوان بن أمية وغيرهم ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بها، فكلّموا أبا سفيان ومن كان له

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٤٩

(١) فى تلك العير تجارة وسألوهم أن يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليدركوا ثأرهم منهم، ففعلوا وتجهّز الناس وأرسلوا أربعة نفر، وهم: عمرو بن العاص، وهيرة بن أبى وهب، وابن الزبيرى، وأبو عزة الجمحي، فساروا فى العرب ليستنفروهم، فجمعوا جمعا من ثقيف وكنانة وغيرهم، واجتمعت قريش بأحبيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة «١» و تهامة، ودعا جبير بن مطعم غلامه وحشى بن حرب، وكان حبشيا يقذف بالحربة قل ما يخطئ، فقال له: اخرج مع الناس فإن قتلت عمّ محمد بعنى طعيمة بن عدى فأنت عتيق.

وخرجوا معهم بالظعن لئلا يفزوا، وكان أبو سفيان قائد الناس، فخرج بزوجه هند بنت عتبة، وغيره من رؤساء قريش خرجوا بنسائهم، خرج عكرمة بن أبى جهل بزوجه أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث ابن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد، وخرج صفوان بن أمية ببريرة، وقيل برزة بنت مسعود الثقفية أخت عروة بن مسعود، وهى أم ابنه عبد الله بن صفوان، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت مته بن الحجاج، وهى أم ولده عبيد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبى طلحة بسلافة بنت سعد، وهى أم بنيه مسافع والجلال و كلاب وغيرهم. وكان مع النساء الدفوف يبكين على قتلى بدر يحرضن «٢» بذلك المشركين.

وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الأنصارى، وكان خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومعه خمسون غلاما من الأوس، وقيل كانوا خمسة عشر، وكان يعد قريشا أنه لو لقي محمدا لم يتخلف عنه من الأوس رجلا. فلما التقى الناس بأحد كان أبو عامر أول من لقي فى

P.C.(١)

(٢). و ينحن عليهم فعرض (B).cis

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥٠

(١) الأحابيش و عبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر. فقالوا:

فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق! فقال: لقد أصاب قومي بعدى شر، ثم قاتلهم قتالا شديدا حتى راضخهم بالحجارة. وكانت هند كلما مرّت بوحشى أو مرّ بها قالت له: يا أبا دسمة أشف و استشف، و كان يكنى أبا دسمة.

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادى ممّا يلي المدينة.

فلما سمع بهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والمسلمون قال: إنى رأيت بقرا فأولتها خيرا، ورأيت فى ذباب سيفى ثلما، ورأيت أنى أدخلت يدي فى درع حصينه فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة و تدعوهم فإن أقاموا أقاموا بشر [مقام] وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها. و كان رأى عبد الله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يكره الخروج، و أشار بالخروج جماعة ممن استشهد يومئذ.

و أقامت قريش يوم الأربعاء والخميس والجمعة، و خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين صلى الجمعة فالتقوا يوم السبت نصف شوال.

فلما لبس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سلاحه و خرج ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج إلى قريش و قالوا: استكرهنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و نشير عليه، فالوحي يأتيه فيه، فاعتذروا إليه و قالوا: اصنع ما شئت. فقال: لا ينبغي لنبى أن يلبس لأمة فيضعها حتى يقاتل.

فخرج فى ألف رجل، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فلما كان بين المدينة و أحد عاد عبد الله بن أبى بثلث الناس، فقال: أطاعهم و عصانى، و كان من تبعه أهل النفاق و الريب، و اتبعهم عبد الله بن حرام أخو بنى سلمة يذكرهم الله أن لا يخذلوا نبيهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، و انصرفوا. فقال: أبعدكم الله أعداء الله! فسيغنى الله عنكم! و بقى رسول

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥١

(١) الله، صلى الله عليه وسلم، فى سبعمائة، فسار فى حرّة بنى حارثه و بين أموالهم، فمرّ بمال رجل من المنافقين يقال له مربع بن قيطى «١»، و كان ضرير البصر،

فلما سمع حس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و من معه قام يحثى التراب فى وجوههم و يقول: إن كنت رسول الله فأنى لا أحل لك أن تدخل حائطى، و أخذ حفنة من تراب فى يده و قال: لو أعلم أنى لا أصيب غيرك لضربت به وجهك. فابتدوه ليقتلوه، فقال النبى، صلى الله عليه وسلم: لا تفعلوا فهذا الأعمى أعمى البصر و القلب. فضربه سعد بن زيد بقوس فشجّه. و ذبّ فرس بذنبه فأصاب كلاب سيف صاحبه، فاستلّه،

فقال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: سيوفكم، فأنى أرى السيوف ستسل «٢» اليوم.

و سار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى نزل بعدوة الوادى و جعل ظهره و عسكره إلى أحد، و كان المشركون ثلاثة آلاف، منهم سبعمائة دارع، و الخيل مائتى فرس و الظعن خمس عشرة امرأة، و كان المسلمون مائة دارع و لم يكن من الخيل غير فرسين، فرس لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، و فرس لأبى بردة بن نيار، و عرض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المقاتلة فردّ زيد بن ثابت و ابن عمر و أسيد بن حضير و البراء بن عازب و عرابة ابن أوس و أبى سعيد الخدرى و غيرهم، و أجاز جابر بن سمرة و رافع بن خديج.

و أرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول: خلوا بيننا و بين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة بنا إلى قتالكم. فردّوا عليه بما يكره.

و تعبأ المشركون فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، و على ميسرتهم

(١). قنطى. B. قبطى. P. C.

(٢). فاسبله. A. Bte.

(١) عكرمة بن أبى جهل، و كان لواؤهم مع بنى عبد الدار، فقال لهم أبو سفيان:

إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، فإمّا أن تكفونا و إمّا أن تخلّوا بيننا و بين اللواء، يحرضهم بذلك. فقالوا: ستعلم إذا التقينا كيف نصنع، و ذلك أراد.

و

استقبل رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، المدينة و ترك أحدا خلف ظهره و جعل وراءه الرّماء، و هم خمسون رجلا، و أمر عليهم عبد الله بن جبير، أخا خوات بن جبير، و قال له: انضح عنّا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا و اثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا. و ظاهر رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، بين درعين و أعطى اللواء مصعب بن عمير، و أمر الزبير على الخيل و معه المقداد، و خرج حمزة بالجيش بين يديه.

و أقبل خالد و عكرمة فلقيهما الزبير و المقداد فهزما المشركين، و حمل النبى، صلّى الله عليه و سلّم، و أصحابه فهزموا أبا سفيان، و خرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين و

قال: يا معشر أصحاب محمّد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم. إلى النار و يعجلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل أحد منكم يعجله سيفى إلى الجنّة أو يعجلنى سيفه إلى النار؟ فبرز إليه على بن أبى طالب، فضربه علىّ فقطع رجله، فسقط و انكشفت عورته، فناشده الله [و الرّحم] فتركه، فكبر رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و قال لعلىّ: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إنّه ناشدنى الله و الرّحم فاستحييت منه.

و كان بيد رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، سيف، فقال: من يأخذه بحقه؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة فقال: و ما حقه يا رسول الله؟ قال: تضرب به العدو حتى تتخن. قال: أنا آخذه. فأعطاه إياه.

و كان شجاعا، و كان إذا أعلم بعصابه له حمراء علم الناس أنّه يقاتل، فعصّب رأسه بها و أخذ السيف و جعل يتبختر بين الصّفين. فقال رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم: إنّها مشية يبغضها الله إلّا فى هذا الموطن،

فجعل لا يرتفع

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥٣

(١) له شيء إلّا حطّمه حتى انتهى إلى نسوة «١» فى سفح الجبل [معهنّ دفوف لهنّ] فيهنّ امرأة تقول:

نحن بنات طارق نمشى على التّمارق «٢»

إن تقبلوا نعانق و نفرش التّمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق و تقول أيضا:

إيها بنى عبد الدّار إيها حماة الدّيار

ضربا بكلّ بتار

فرغ السيف ليضربها، ثمّ أكرم سيف رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، أن يضرب به امرأة. و كانت المرأة هند، و النساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن.

و اقتتل الناس قتالا شديدا، و أمعن فى الناس حمزة و علىّ و أبو دجانة فى رجال من المسلمين، و أنزل الله نصره على المسلمين، و كانت الهزيمة على المشركين، و هرب النساء مصعدات فى الجبل، و دخل المسلمون عسكرهم ينهبون. فلما نظر بعض الرماة إلى العسكر حين انكشف الكفّار عنه أقبلوا يريدون التّهب، و ثبتت طائفة و قالوا [١]: نطيع رسول الله و نثبت مكاننا، فأنزل الله:

مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ «٣»، يعنى

[١] و ثبت طائفة و قال.

(١). ستوره. B

(٢). الفارق. B

(٣). ١٥٢. ٣. rOC. sv

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥٤

(١) اتبوع أمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

قال ابن مسعود: و ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يريد الدنيا حتى نزلت الآية.

فلما فارق بعض الرماء مكانهم رأى خالد بن الوليد قلة من بقى من الزماء، فحمل عليهم فقتلهم، و حمل على أصحاب النبى، صلى الله عليه و سلم، من خلفهم. فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم و قتلوهم، و قد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء، فبقى مطروحا لا يدنو منه أحد، فأخذته عمره بنت علقمة الحارثية فرفعت، فاجتمعت قريش حوله، و أخذها صواب فقتل عليه، و كان الذى قتل أصحاب اللواء على،

قاله أبو رافع، قال: فلما قتلهم أبصر النبى، صلى الله عليه و سلم، جماعة من المشركين، فقال لعلى: احمل عليهم، ففرقهم و قتل فيهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له: [احمل عليهم]، فحمل عليهم و فرقهم و قتل فيهم، فقال جبرائيل: يا رسول الله هذه المؤاساة! فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: إنه منى و أنا منه. فقال جبرائيل: و أنا منكما. قال: فسمعوا صوتا: لا سيف إلا ذو الفقار، و لا فتى إلا على.

و كسرت رباعية رسول الله، صلى الله عليه و سلم، السفلى و شقت شفته و كلم فى وجنته و جبهته فى أصول شعره، و علاه ابن قمئة بالسيف، و كان هو الذى أصابه، و قيل: أصابه عتبة بن أبى وقاص، و قيل: عبد الله ابن شهاب الزهرى جد محمد بن مسلم. و قيل: إن عتبة بن أبى وقاص، و ابن قمئة اللبثى الأدرمى، من بنى تميم [١] ابن غالب، و كان أدرم ناقص الذقن، و أبى بن خلف الجمحى، و عبد الله

[١] تميم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥٥

(١) ابن حميد «١» الأسدى، أسد قريش، تعاقدا على قتل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته، و أما عتبة فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى و شق شفته، و أما ابن قمئة فكلم وجنته و دخل من حلق المغفر فيها و علاه بالسيف فلم يطق أن يقطع فسقط رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فجحشت ركبته، و أما أبى بن خلف فشد عليه بحربة، فأخذها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، منه و قتله بها، و قيل: بل كانت حربة الزبير أخذها منه، و قيل: أخذها من الحارث بن الصمة، و أما عبد الله بن حميد فقتله أبو دجانة الأنصارى.

و لما جرح رسول الله، صلى الله عليه و سلم، جعل الدم يسيل على وجهه و هو يمسحه و

يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم و هو يدعوهم إلى الله! و قاتل دونه نفر خمسة من الأنصار فقتلوا، و ترس أبو دجانة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بنفسه، فكان يقع النبل فى ظهره و هو منحن «٢» عليه، و رمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فكان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يناوله السهم و يقول: ارم فداك أبى و أمى.

و أصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، فردها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بيده، فكانت أحسن عينيه. و قاتل مصعب بن عمير و

معه لواء المسلمين فقتل، قتله ابن قمئة الليثي، و هو يظن أنه النبي، صلى الله عليه و سلم، فرجع إلى قريش و قال: قتلت محمداً. فجعل الناس يقولون: قتل محمداً، قتل محمداً.

و لما قتل مصعب أعطى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، اللواء على

(١). جميل. P.C.

(٢). مدجن. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥٦

(١) ابن أبى طالب. و قاتل حمزة حتى مَرَّ به سباع بن عبد العزى الغيشاني، فقال له حمزة: هلمَّ إليَّ يا ابن مقطعة البطور! و كانت أمه أم أنمار ختانه بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله، قال وحشى: إنى و الله لأنظر إلى حمزة و هو يهد الناس بسيفه [هَذَا] ما يلقي شيئاً يمرَّ به إلَّا قتله، و قتل سباع بن عبد العزى.

قال: فهزرت حربتي و دفعتها عليه فوَقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه و أقبل نحوى فغلب فوقع، فأمهلت حتى مات فأخذت حربتي ثمَّ تنحيت إلى العسكر، فرضى الله عن حمزة و أرضاه.

و قتل عاصم بن ثابت مسافع بن طلحة و أخاه كلاب بن طلحة بسهمين، فحملا إلى أمهما سلافه [١] و أخبرها أن عاصمًا قتلها، فنذرت إن أمكنها الله من رأسه أن تشرب فيه الخمر.

و

برز عبد الرحمن بن أبى بكر، و كان مع المشركين، و طلب المبارزة، فأراد أبو بكر أن يبرز إليه، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: شم سيفك و أمتعنا بك.

و انتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر و طلحة فى رجال من المهاجرين قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجسكم؟ قالوا: قد قتل النبي، صلى الله عليه و سلم. قال: فما تصنعون بالحياة بعده! موتوا على ما مات عليه.

ثمَّ استقبال القوم فقاتل حتى قتل، فوجد به سبعون ضربة و طعنة، و ما عرفه إلَّا أخته، عرفته بحسن بنانه.

و قيل: إن أنس بن النضر سمع نفرًا من المسلمين يقولون، لما سمعوا أن النبي، صلى الله عليه و سلم، قتل: ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبى بن سلول ليأخذ لنا أمانًا من أبى سفيان قبل أن يقتلونا. فقال لهم أنس: يا قوم إن

[١] سلامة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥٧

(١) كان محمداً قد قتل فإنَّ ربَّ محمداً لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمداً.

اللهمَّ إنى أعتذر إليك ممَّا يقول هؤلاء و أبرأ إليك ممَّا جاء به هؤلاء! ثمَّ قاتل حتى قتل.

و كان أول من عرف رسول الله، صلى الله عليه و سلم، كعب بن مالك، قال: فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا! هذا رسول الله حتى لم يقتل، فأشار إليه: أنصت. فلما عرفه المسلمون نهضوا نحو الشعب و معه على و أبو بكر و عمر و طلحة و الزبير و الحارث بن الصيمم و غيرهم. فلما أسند إلى الشعب أدركه أبى بن خلف و هو يقول: يا محمداً لا نجوت إن نجوت! فعطف عليه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فطعنه بالحربة فى عنقه، و كان أبى يقول بمكة لرسول الله، صلى الله عليه و سلم: إن عندى العود أعلفه كلَّ يوم فرقا «١» [١] من ذرة أقتلك عليه.

فيقول له النبي، صلى الله عليه و سلم: بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى.

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خدشا غير كبير قال: قتلنى محمد. قالوا: والله ما بك بأس. قال: إنه قد كان قال لى أنا أقتلك، فوالله لو بصق علىّ لقتلنى! فمات عدو الله بسرف.

وقاتل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوم أحد قتالا شديدا، فرمى بالنبل حتى فنى نبله وانكسرت سيه قوسه وانقطع وتره. ولما جرح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جعل علىّ ينقل له الماء فى درقته من المهراس [٢] و يغسله،

[١] (الفرق: مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع).

[٢] (المهراس: ماء بجبل أحد).

(١). مدا. B. الكامل فى التاريخ ج ٢ ١٥٨ ذكر غزوة أحد ص : ١٤٨

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥٨

(١) فلم ينقطع الدم، فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي، وأحرق حصييرا وجعلت على الجرح من رماده فانقطع الدم.

و

رمى مالك بن زهير الحشمى النبى، صلى الله عليه وسلم، فاتقاه طلحة بيده فأصاب السهم خصره، وقيل: رماه حبان بن العرقه، فقال:

حس [١]، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لو قال: باسم الله، لدخل الجنة،

والناس ينظرون إليه، وقيل: إن يده شلت إلا السبابة والوسطى، والأول أثبت.

و

صعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين فى الجبل، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ليس لهم أن يعلونا، فقاتلهم عمر و جماعة من المهاجرين حتى أهبطوهم، ونهض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الصخرة ليعلوها، وكان عليه درعان، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة حتى صعد، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أوجب طلحة.

وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين، فيهم عثمان بن عفان وغيره، إلى الأعوص، فأقاموا به ثلاثا ثم أتوا النبى، صلى الله عليه وسلم، فقال لهم حين رأهم: لقد ذهبتم فيها عريضة.

و

التقى حنظلة بن أبى عامر، غسيل الملائكة، وأبو سفيان بن حرب، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود وهو ابن شعوب، فدعاه أبو سفيان، فأناه، فضرب حنظلة فقتله، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إنه لتغسله الملائكة. فسلوا أهله فسئلت صاحبه فقالت: خرج وهو جنب، سمع الهائعة، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لذلك غسلته الملائكة.

وقال أبو سفيان يذكر صبره ومعاونة ابن شعوب إياه على قتل حنظلة:

[١] حسن. (و حس: كلمه كانوا يقولونها عند مسّ الألم).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٥٩

(١)

ولو شئت نجتني كميتم طمره ولم أحمل النعماء لابن شعوب
فما زال مهري مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدعى يال غالب وأدفعهم عنى بركن صليب

فبكى و لا ترعى مقاله عاذل و لا تسأى من عبرة و نجيب
أباك و إخوانا لنا قد تابعا [١] و حق لهم من عبرة بنصيب
و سلى الذى قد كان فى النفس أننى قتلت من النجار كل نجيب
و من هاشم قرنا «١» نجيبا و مصعبا و كان لدى الهيجاء غير هيب
و لو أننى لم أشف منهم قرونتى [٢] لكانت شجا فى القلب ذات ندوب فأجابه حسان بقوله:
ذكرت القروم الصيد من آل هاشم و لست لزور قلته بمصيب
أ تعجب أن أقصدت حمزة منهم عشاء و قد سميت بنجيب
أ لم يقتلوا عمرا و عتبه و ابنه و شيبه و الحجاج و ابن حبيب
غداة دعا العاصى علينا فراعهم بضربه غضب بله بخضيب و وقعت هند و صواحباتها على القتلى يمثلن بهم، و اتخذت هند من آذان
الرجال و آناهم خدما «٢» [٣] و قلائد، و أعطت خدما «٣» و قلائدها وحشيتا، و بقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها
فلفظتها.

[١] قد تابعا. (و ما أثبتناه عن ابن هشام).

[٢] قرونه. (و قرونتى: نفسى).

[٣] (الخدم، جمع خدمة: الخلال).

(١). قرما. B

(٢). خزما. B

(٣). خزمها. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٦٠

(١) ثم

أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال: أ فى القوم محمّد؟ [ثلاثا]، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: لا تجيوه.
[ثم قال: أ فى القوم ابن أبى قحافة؟ ثلاثا]. ثم قال: أ فى القوم ابن الخطاب؟ ثلاثا. ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا.
فقال عمر: كذبت أى عدوّ الله قد أبقى الله لك ما يخزيك. فقال: أعل هبل، أعل هبل.
فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: قولوا لله أعلى و أجل. فقال أبو سفيان: إنا لنا العزى و لا عزى لكم. فقال رسول الله، صلى الله
عليه و سلم: قولوا لله مولانا و لا- مولى لكم. فقال أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أ قتلنا محمّدا؟ قال عمر: اللهم لا، و إنه ليسمع
كلامك.

فقال: أنت أصدق من ابن قمئة! ثم قال: هذا يوم بدر، و الحرب سجال، أما إنكم ستجدون فى قتلاكم مثلا، و الله ما رضيت و لا
سخطت و لا نهيت و لا أمرت.

و اجتاز به الحليس بن زيان سيد الأحابيش و هو يضرب فى شدة حمزة بزج الرمح و يقول: ذق عقق! فقال الحليس: يا بنى كنانة هذا
سيد قريش يصنع ببن عمه كما ترون. فقال أبو سفيان: اكنمها [١] [عنى] فإنها زلة.

و

كانت أم أيمن حاضنة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و نساء من الأنصار يسقين الماء، فرماها حبان بن العرقه [٢] بسهم فأصاب

ذيلها، فضحك، فدفع النبى، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، إلى سعد بن أبى وقاص سهما و قال:
ارمه. فرماه فأصابه، فضحك النبى، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و قال: استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك و سدّد رميتك.
ثم انصرف أبو سفيان و من معه و قال: إنّ موعدكم العام المقبل. ثم
بعث رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، عليّتا فى أثرهم و قال: انظر فإن

[١] اكنمه.

[٢] حفانهُ بن العرفة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٦١

(١)

جنبوا الخيل و امتطوا الإبل فإنهم يريدون مكّة، و إن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة، فوالذى نفسى بيده لئن أرادوها لأناجزتهم.
قال عليّ: فخرجت فى أثرهم، فامتطوا الإبل و جنبوا الخيل يريدون مكّة، فأقبلت أصيح [١] ما أستطيع أن أكنتم،
و كان رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، أمره بالكتمان.

و أمر رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، رجلا- أن ينظر فى القتلى، فرأى سعد بن الربيع الأنصارى و به رمق، فقال للذى رآه: أبلغ
رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، عنى السلام و قل له جزاك الله خير ما جزى نبيا عن أمته، و أبلغ قومى السلام و قل لهم لا عذر لكم
عند الله إن خلص إلى رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، أذى و فيكم عين تطرف. ثم مات.

و

وجد حمزة ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده و مثل به، فحين رآه رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، قال: لو لا أن تحزن صفية أو
تكون سنّة بعدى لتركته حتى يكون فى أجواف السّباع و حواصل الطير، و لئن أظهرنى الله على قريش لأمثلنّ بثلاثين رجلا منهم. و
قال المسلمون: لنمثلنّ بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب، فأنزل الله فى ذلك: وَ إِنِ عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ الْآيَةُ «١»، فعفا
رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و صبر و نهى عن المثلة.

و

أقبلت صفية بنت عبد المطلب، فقال رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، لابنها الزبير ليردّها لئلا ترى ما بأخيها حمزة، فلقبها الزبير فأعلمها
بأمر النبى، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، فقالت: إنّه بلغنى أنّه مثل بأخى و ذلك فى الله قليل! فما أرضاها بما كان من ذلك! لأحتسبنّ و
لأصبرنّ. فأعلم الزبير النبى،

[١] أصفح.

(١). ١٢٦. ١٦. ٢٠C. sv،

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٦٢

(١) صَلَّى اللهُ عليه و سلم، بذلك، فقال: خلّ سيلها،

فأته و صلّت عليه و استرجعت، و أمر رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، به فدفن.

و كان فى المسلمين رجل اسمه قرمان، و كان رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلم، يقول إنّه من أهل النار، فقاتل يوم أحد قتالا شديدا،
فقتل من المشركين ثمانية أو تسعة، ثم جرح فحمل إلى داره، و قال له المسلمون:

أبشر قزمان! قال: بم أبشر، و أنا ما قاتلت إلّا عن أحساب قومي؟ ثمّ اشتدّ عليه جرحه فأخذ سهما فقطع رواهشه فنزف الدم، فمات، فأخبر رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فقال: أشهد أنّى رسول الله.

و كان ممّن قتل يوم أحد مخيريق اليهودى، قال ذلك اليوم ليهود: يا معشر يهود، لقد علمتم أنّ نصر محمد عليكم حقّ. فقالوا: إنّ اليوم السبت. فقال: لا سبت، و أخذ سيفه و عدّته و قال: إنّ قتلت فمالى لمحمد يصنع به ما يشاء، ثمّ غدا فقاتل حتى قتل، فقال رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم: مخيريق خير يهود.

و قتل اليمان أبو حذيفة، قتله المسلمون، و كان رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، رفعه و ثابت بن قيس بن وقش مع النساء، فقال أحدهما لصاحبه، و هما شيخان: ما نتظر؟ أفلا نأخذ أسيفنا فلنحق برسول الله، صلّى الله عليه و سلّم؟ لعلّ الله أن يرزقنا الشهادة. ففعلا- و دخلا- فى الناس و لا يعلم بهما، فأما ثابت فقتله المشركون، و أما اليمان فاختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه و لا يعرفونه، فقال حذيفة: أبى أبى! فقالوا: و الله ما عرفناه. فقال: يغفر الله لكم. و أراد رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، أن يديه، فتصدّق حذيفة بديته على المسلمين.

و احتمل بعض الناس قتلاهم إلى المدينة، فأمر رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، بدفنهم حيث صرعوا، و أمر أن يدفن الاثنان و الثلاثة فى القبر

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٦٣

(١) الواحد، و أن يقدّم «١» إلى القبلة أكثرهم قرآنا، و صلّى عليهم، فكان كلّما أتى بشهيد جعل حمزة معه و صلّى عليهما، و قيل: كان يجمع تسعة من الشهداء و حمزة عاشرهم فيصلّى عليهم، و نزل فى قبره علىّ و أبو بكر و عمر و الزبير، و جلس رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، على حفرة و

أمر أن يدفن عمرو ابن الجموح و عبد الله بن حرام فى قبر واحد، و قال: كانا متصافيين فى الدنيا.

فلما دفن الشهداء انصرف رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فلقيته حمنة بنت جحش، فعنى لها أخاها عبد الله، فاسترجعت له، ثمّ نعى لها خالها [١] حمزة، فاستغفرت له، ثمّ نعى لها زوجها مصعب بن عمير، فولولت و صاحت، فقال: إنّ زوج المرأة منها لمكان.

و

مرّ رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، بدار من دور الأنصار فسمع البكاء و النوائح، فذرفت عيناه فبكى [٢] و قال: لكنّ حمزة لا بواكى له

! فرجع سعد بن معاذ إلى دار بنى عبد الأشهل فأمر نساءهم أن يذهبن فيبكين على حمزة.

و مرّ رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، بامرأة من الأنصار قد أصيب أبوها و زوجها، فلما نعى لها قالت: ما فعل رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم؟

قال: هو بحمد الله كما تحيين. قالت: أرونيه، فلما نظرت إليه قالت: كلّ مصيبة بعدك جليل.

و كان رجوعه إلى المدينة يوم السبت يوم الوقعة.

[١] أخاها. (و ما أثبتناه عن ابن هشام).

[٢] فذفرت عيناه بالبكاء.

(١). يذنبهم. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٦٤

(١) (نيار بالنون المكسورة، والياء تحتها نقطتان، و آخره راء. و جبير بضم الجيم، تصغير جبر. و خوات بالخاء المعجمة، و الواو المشددة، و بعد الألف تاء فوقها نقطتان. و حبان بكسر الحاء المهملة، و بالباء الموحدة، و آخره نون. و الحليس بضم الحاء المهملة، تصغير حلس. و زبان بالزاي، و الباء الموحدة، و آخره نون).

ذكر غزوة حمراء الأسد

لما كان الغد من يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بالغزو و قال: لا يخرج معنا إلّا من حضر بالأمس، فخرج ليظن الكفار به قوة، و خرج معه جماعة جرحى يحملون نفوسهم و ساروا حتى بلغوا حمراء الأسد، و هى من المدينة على سبعة أميال، فأقام بها الاثني عشر و الثلاثاء و الأربعاء، و مرّ به معبد الخزاعي، و كانت خزاعة مسلمهم و مشركهم عيبة نصح لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، بتهامة، و كان معبد مشركا، فقال:

[يا محمّد] لقد عزّ علينا ما أصابك. ثمّ خرج من عند النبى، صلى الله عليه و سلم، فلقى أبا سفيان و من معه بالزوحاء قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ليستأصلوا المسلمين بزعمهم، فلمّا رأى أبو سفيان معبدا قال: ما وراءك؟ قال: محمّد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله، قد جمع معه من تخلف عنه و ندموا على ما صنعوا، و ما ترحل حتى ترى نواصى الخيل. قال: فو الله قد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيتهم. قال: إنى أنهاك عن هذا، فثنى [ذلك] أبا سفيان و من معه.

و

مرّ بأبى سفيان ركب من عبد القيس فقال لهم: بلغوا عنى محمّدا رسالته و أحمل لكم إبلكم هذه زبيبا بعكاظ. قالوا: نعم. قال: أخبروه أنّا قد

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٦٥

(١) أجمعنا السير إليه و إلى أصحابه لنستأصلهم. فمروا بالنبى، صلى الله عليه و سلم، و هو بحمراء الأسد فأخبروه، فقال، صلى الله عليه و سلم: حسبنا الله و نعم الوكيل.

ثمّ عاد إلى المدينة و ظفر فى طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص، و بأبى عزة عمرو بن عبيد الله الجمحى، و كان قد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد، ساروا و تركوه نائما، و كان أبو عزة قد أسر يوم بدر، فأطلقه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بغير فداء لأنّه شكّا إليه فقرا و كثرة عيال، فأخذ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عليه العهود أن لا يقاتله و لا يعين على قتاله، فخرج معهم يوم أحد و حرّض على المسلمين، فلمّا أتى به رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قال له: يا محمّد امنن علىّ. قال: المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. و أمر به فقتل.

و أميا معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية، و هو الذى جدع أنف حمزة و مثل به مع من مثل به، و كان قد أخطأ الطريق، فلمّا أصبح أتى دار عثمان ابن عفّان، فلمّا رآه قال له عثمان: أهلكتنى و أهلكت نفسك. فقال: أنت أقربهم منى رحما و قد جئتك لتجيرنى. و أدخله عثمان داره، و قصد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ليشفع فيه،

فسمع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يقول: إن معاوية بالمدينة فاطلبوه،

فأخرجوه من منزل عثمان، و انطلقوا به إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فقال عثمان: و الذى بعثك بالحق ما جئت إلّا لأطلب له أمانا فهبه لى، فوهبه له و أجلّه ثلاثة أيام و أقسم لئن أقام بعدها ليقتلته، فجّهزه عثمان و قال له: ارتحل.

و سار رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى حمراء الأسد و أقام معاوية ليعرف أخبار النبى، صلى الله عليه و سلم، فلمّا كان اليوم

الرابع

قال النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مَعَاوِيَةَ أَصْبَحَ قَرِيبًا وَ لَمْ يَبْعُدْ، فَاطْلُبُوهُ، فَطَلَبَهُ زَيْدُ ابْنِ حَارِثَةَ وَ عَمَّارُ فَادْرَكَاهُ بِالْحِمَاءِ فَقَتَلَاهُ.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ١٦٦

(١) وَ هَذَا مَعَاوِيَةُ جَدُّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ لِأُمِّهِ.

وَ فِيهَا قِيلَ وَ لِدَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَ فِيهَا عُلِقَتْ فَاطِمَةُ بِالْحَسَنِ، وَ كَانَ بَيْنَ وَ لَادَتِهَا وَ حَمَلِهَا خَمْسُونَ يَوْمًا. وَ فِيهَا حَمَلَتْ جَمِيلَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي [بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي] عَامِرِ غَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ فِي سُؤَالٍ.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ١٦٧

(١)

٤ و دخلت السنة الرابعة من الهجرة ذكر غزوة الرجيع

إشارة

في هذه السنة في صفر كانت غزوة الرجيع.

وَ كَانَ سَبَبُهَا أَنَّ رَهْطًا مِنْ عَضَلِ وَ الْقَارَةَ قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا فَابْعَثْ لَنَا نَفْرًا يَفْقَهُونَنَا فِي الدِّينِ وَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ. فَبِعَثَ مَعَهُمْ سِتَّةَ نَفَرٍ وَ أَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَ قِيلَ: مَرْتَدُ بْنُ أَبِي مَرْتَدٍ، فَلَمَّا كَانُوا بِالْهَدَاءِ غَدَرُوا وَ اسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى مِنْ هَذَا يَلِيقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ «١»، فَبِعَثُوا لَهُمْ مِائَةَ رَجُلٍ، فَالْتَجَأَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلٍ فَاسْتَنْزَلُوهُمْ وَ أَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ، فَقَالَ عَاصِمٌ: وَ اللَّهُ لَا أَنْزَلَ [عَلَى] عَهْدِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ خَبِّرْ نَبِيَّكَ عَنَّا! وَ قَاتَلَهُمْ هُوَ وَ مَرْتَدُ وَ خَالِدُ بْنُ الْبَكِيرِ، وَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ ابْنُ الدَّثَنَةِ وَ خَبِيبُ بْنُ عَدِيِّ وَ رَجُلٌ آخَرٌ فَأَوْثَقُوهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَ اللَّهُ لَا أَتْبَعُكُمْ! فَاقْتُلُوهُ وَ انْطَلِقُوا بِخَبِيبِ وَ ابْنِ الدَّثَنَةِ فَبَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَأَخَذَ خَبِيبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَ كَانَ خَبِيبٌ هُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحَارِثَ بِأَحَدٍ، فَأَخَذُوهُ لِيَقْتُلُوهُ بِالْحَارِثِ، فَبَيْنَمَا خَبِيبٌ عِنْدَ بَنَاتِ الْحَارِثِ اسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِهِنَّ مُوسَى يَسْتَحِدُّ [١] بِهَا لِلْقَتْلِ، فَدَبَّ صَبِيًّا لَهَا فَجَلَسَ عَلَى فَخْذِ خَبِيبِ وَ الْمَوْسَى فِي

[١] (يستحد: يخلق شعر عانته).

(١). الجبان P.C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ١٦٨

(١) يده، فصاحت المرأة، فقال خبيب: أ تخشين أن أقتله؟ إن الغدر ليس من شأننا.

فكانت المرأة تقول: ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب، لقد رأيتته و ما بمكة ثمرة و إن في يده لقطفا من عنب يأكله ما كان إلّا رزقا رزقه الله خبيبا.

فلما خرجوا من الحرم بخبيب ليقتلوه قال: ردوني أصل ركعتين، فتركوه، فصلاهما، فجرت سنه لمن قتل صبيرا، ثم قال خبيب: لو لا أن تقولوا جزع لزدت، و قال أبياتا، منها:

و لست أبالي حين أقتل مسلما على أي شيء «١» كان في الله مصرعي

و ذلك في ذات الإله و إن يشأ يباركك على أوصال شلو ممزج اللهم أحصهم عددا، و اقتلهم بددا! ثم صلبوه.

و أما عاصم بن ثابت فإنهم أرادوا رأسه ليبيعه من سلافة بنت سعد، و كانت نذرت أن تشرب الخمر فى رأس عاصم لأنه قتل ابنيها بأحد، فجاءت النحل فمنعته، فقالوا: دعوه حتى يمسي فأنأخذة. فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما، و كان عاهد الله أن لا يمسن مشركا و لا يمسه مشرك، فمنعه الله فى مماته كما منع فى حياته.

و أما ابن الدثنة فإن صفوان بن أمية بعث به مع غلامه نسطاس إلى التنعيم ليقتله بابنيه، فقال نسطاس: أنشدك الله أ تحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه و أنك فى أهلك؟ قال: ما أحب أن محمدا الآن مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه و أنا جالس فى أهلى. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا. ثم قتله نسطاس.

(خبيب بضم الخاء المعجمة، و فتح الباء الموحدة، بعدها ياء تحتها نقطتان، و آخره باء موحدة أيضا. و البكير بضم الباء الموحدة، تصغير بكر).

(١). شق P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٦٩

(١)

ذكر إرسال عمرو بن أمية لقتل أبى سفيان

و لما قتل عاصم و أصحابه بعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عمرو بن أمية الضميرى إلى مكة مع رجل من الأنصار و أمرهما بقتل أبى سفيان بن حرب، قال عمرو: فخرجت أنا و معى بعير لى و برجل صاحبى علمه، فكنت أحمله على بعيرى حتى جئنا بطن يأجج، ففعلنا بعيرنا فى الشعب و قلت لصاحبى: انطلق بنا إلى أبى سفيان لنتقله، فإن خشيت شيئا فالحق بالبعير فاركه و الحق برسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أخبره الخبر و خلّ عنى.* و أوغل بالبلد يحث السياق «١».

فدخلنا مكة و معى خنجر [قد أعددت] إن عاقنى إنسان ضربته به، فقال لى صاحبى: هل لك أن نبدأ فنطوف و نصلى ركعتين؟ فقلت: إن أهل مكة يجلسون بأفئتهم و أنا أعرف بها. فلم نزل حتى أتينا البيت فطفنا و صلينا ثم خرجنا فمررنا بمجلس لهم، فعرفنى بعضهم فصرخ بأعلى صوته: هذا عمرو بن أمية! فثار أهل مكة إلينا و قالوا: ما جاء إلّا لشر، و كان فاتكا متشيطنا «٢» فى الجاهلية، فقلت لصاحبى: النجاء! هذا الذى كنت أحذر، أما أبو سفيان فليس إليه سبيل، فانج بنفسك. فخرجنا «٣» [نشدد] حتى صعدنا الجبل فدخلنا غارا فبتنا فيه ليلتنا ننتظر أن يسكن الطلب. قال: فوالله إننى لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك التيمى [يتخيل] بفرس له، فقام على باب الغار، فخرجت إليه فضربته بالخنجر، فصاح صيحة أسمع أهل مكة، فأقبلوا إليه و رجعت إلى مكانى، فوجدوه و به رمق، فقالوا: من ضربك؟ قال: عمرو بن أمية، ثم مات و لم يقدر يخبرهم بمكانى، و شغلهم قتل صاحبهم عن طلبى،

(١). فإنى عالم بالبلد P.C.

(٢). مبسطا B.

(٣). فعدنا B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧٠

(١) فاحتملوه و مكثنا فى الغار يومين حتى سكن [عنا] الطلب، ثم خرجنا إلى التنعيم، فإذا بخشبة خبيب و حوله حرس، فصعدت خشبته و احتملته على ظهري، فما مشيت به إلّا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بى فطرحته، فاشتدوا فى أثرى، فأخذت الطريق فأعيوا و رجعوا، و انطلق صاحبى فركب البعير و أتى النبى، صلى الله عليه و سلم، فأخبره. و أما خبيب فلم ير بعد ذلك و كأن الأرض ابتلعتة.

قال: و سرت حتى دخلت غارا بضجنان و معى قوسى و أسهمى، فبينا أنا فيه إذ دخل على رجل من بنى الدئل أعور طويل يسوق غنما فقال: من الرجل؟ قلت: من بنى الدئل، فاضطجع معى و رفع عقيرته يتغنى و يقول:

و لست بمسلم ما دمت حيا و لست أدين دين المسلمينا ثم نام فقتلته ثم سرت، فإذا رجلا بعثتهما قريش يتجسسان أمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فرميت أحدهما بسهم فقتلته و استأسرت الآخر، فقدمت على النبى، صلى الله عليه و سلم، و أخبرته الخبر، فضحك و دعا لى بخير.

و فى هذه السنة تزوج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، زينب بنت خزيمة أم المساكين من بنى هلال فى شهر رمضان، و كانت قبله عند الطفيل ابن الحارث فطلقها.

و ولى المشركون الحج فى هذه السنة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧١

(١)

ذكر بئر معونة

فى هذه السنة فى صفر قتل جمع من المسلمين ببئر معونة.

و كان سبب ذلك

أنّ أبى براء بن عازب بن عامر بن مالك بن جعفر ملاعب لأسنة، سيد بنى عامر بن صعصعة، قدم المدينة و أهدى للنبي، صلى الله عليه و سلم، هديّة فلم يقبلها و قال: يا أبى براء لا أقبل هديّة مشرك، ثمّ عرض عليه الإسلام فلم يبعد عنه و لم يسلم، و قال: إنّ أمرك هذا حسن، فلو بعثت رجلا من أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: أحشى عليهم أهل نجد. فقال أبو براء: أنا لهم جار.

فبعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، سبعين رجلا، فيهم: المنذر ابن عمرو الأنصارى المعنق [١] ليموت، و الحارث بن الصيّم، و حرام بن ملحان، و عامر بن فهيرة، و غيرهم، و قيل: كانوا أربعين، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة بين أرض بنى عامر و حرّة بنى سليم، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبى، صلى الله عليه و سلم، إلى عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر إلى الكتاب و عدا على حرام فقتله، فلما طعنه قال: الله أكبر فزت و ربّ الكعبة! و استصرخ بنى عامر، فلم يجيبوه و قالوا: لن نخفر أبى براء، فقد أجارهم، فاستصرخ بنى سليم: عصية و رعلا و ذكوان، فأجابوه و خرجوا حتى أحاطوا بالمسلمين فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلّا كعب بن زيد الأنصارى، فإنهم تركوه و به رمق، فعاش حتى قتل يوم الخندق.

و كان فى سرح القوم عمرو بن أمية و رجل من الأنصار، فرأيا الطير تحوم على

[١] (المعنق: المسرع. و إنّما سمى بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧٢

(١) العسكر فقالوا: إنّ لها لشأنا، فأقبلا ينظران، فإذا القوم صرعى، و إذا الخيل واقفة، فقال عمرو: نلحق برسول الله، صلى الله عليه و سلم، فنخبره الخبر. فقال الأنصارى: لا أرغب بنفسى عن موطن فيه المنذر بن عمرو، ثمّ قاتل القوم حتى قتل، فأخذوا عمرو بن أمية أسيرا. فلما علم عامر أنّه من سعد «١» أطلقه، و خرج عمرو حتى إذا كان بالقرقرة لقي رجلين من بنى عامر فنزلا معه و معهما عقد من رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و لم يعلم به عمرو فقتلها، ثمّ أخبر النبى، صلى الله عليه و سلم، الخبر، فقال له:

لقد قتلت *قتيلين لأديتهما «٢». ثم قال رسول الله: هذا عمل أبى براء، فشقّ عليه ذلك. و كان فيمن قتل عامر بن فهيرة، فكان عامر بن الطفيل يقول: من الرجل منهم لما قتل رفع بين السماء والأرض؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة، و قال حسان بن ثابت يحرض بنى أبى براء على عامر بن الطفيل:

بنيام البنين أ لم يركم و أنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبى براء ليخفره و ما خطأ كعمد فى أبيات له. فقال كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعا كل وجه خفارة ما أجار أبو براء فى أبيات أخرى.

فلما بلغ ربيعة بن أبى براء ذلك حمل على عامر بن الطفيل قطعنه، فخرّ عن فرسه، فقال: إن متّ فدمى لعمى. و أنزل الله، عزّ و جلّ، فى أهل بئر معونة قرآنا: بلغوا قومنا عنّا أنّا قد لقينا ربّنا فرضى عنّا و رضينا عنه، ثمّ نسخت.

(١). معدّ. B.

(٢). رجلين لا تعلم ذنبهما. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧٣

(١) (معونة بفتح الميم، و ضمّ العين المهملة، و بعد الواو نون. و حرام بالحاء المهملة، و الراء. و ملحان بكسر الميم، و بالحاء المهملة).

ذكر إجلاء بنى النضير

و كان سبب ذلك أنّ عامر بن الطفيل أرسل إلى النّبى، صلّى الله عليه و سلّم، يطلب دية العامريين اللذين قتلها عمرو بن أمية، و قد ذكرنا ذلك.

فخرج النّبى، صلّى الله عليه و سلّم، إلى بنى النضير يستعينهم فيها و معه جماعة من أصحابه فيهم أبو بكر و عمر و على، فقالوا: نعم نعينك على ما أحببت، ثمّ خلا بعضهم ببعض و تآمروا على قتله، و هو جالس إلى جنب جدار، فقالوا: من يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيقتله و يريحنا منه؟

فانتدب له عمرو بن جحاش، فنهاهم عن ذلك سلّم بن مشكم و قال: هو يعلم، فلم يقبلوا منه، و صعد عمرو بن جحاش، فأتى الخبر من السماء إلى رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، بما عزموا عليه، فقام و قال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم،

و خرج راجعا إلى المدينة، فلمّا أبطأ قام أصحابه فى طلبه، فأخبرهم الخبر و أمر المسلمين بحربهم، و نزل بهم، فتحصّوا منه فى الحصون، فقطع النخل و أحرق و أرسل إليهم عبد الله بن أبى و جماعة معه أن اثبتوا و تمّعوا فإنّا لن نسلمكم و إن قوتلتم قاتلنا معكم و إن خرجتم خرجنا معكم، و قذف الله فى قلوبهم الرعب، فسألوا النّبى، صلّى الله عليه و سلّم، أن يجليهم و يكفّ عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلّا السلاح، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا إلى خيبر و منهم من سار إلى الشام، فكان ممّن سار إلى خيبر كنانة بن الربيع و حبيّ بن أخطب، و كان فيهم يومئذ أمّ عمرو صاحبة عروة بن الورد التى ابتاعوا منه، و كانت غفاريّة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧٤

(١) فكانت [أموال] النضير لرسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، وحده يضعها حيث شاء، فقسمها على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلّا أنّ سهل بن حنيف و أبى دجاجة ذكرا فقرا فأعطاهما. و لم يسلم من بنى النضير إلّا يامين بن عمير ابن كعب، و هو ابن عمّ عمرو بن جحاش، و أبو سعيد بن وهب، و أحرزا أموالهما.

و استخلف [١] على المدينة ابن أمّ مكتوم، و كانت رايته مع على بن أبى طالب.

(سَلَامٌ بِتَشْدِيدِ [اللام]. و مشكم بكسر الميم، و سكون الشين المعجمة، و الكاف).

غزوة ذات الرقاع

أقام رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالمدينة بعد بنى النَّضِيرِ شهرى ربيع، ثم غزا نجدا يريد بنى محارب و بنى ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلا، و هى غزوة الرقاع، سَمَّيتَ بِذَلِكَ لِأَجْلِ جَبَلٍ كَانَتْ الْوَقْعَةُ بِهِ فِيهِ سَوَادٌ وَ بِيَاضٌ وَ حَمْرَةٌ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ، فَلَقِيَ الْمُشْرِكِينَ وَ لَمْ يَكُنْ قِتَالًا، وَ خَافَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، فَتَزَلَّتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ، وَ قَدْ اِخْتَلَفَ الرَّوَاةُ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ، وَ هُوَ مُسْتَقْصَى فِي كِتَابِ الْفَقْهِ.

و

جاء رجل من محارب إلى النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فطلب منه أن ينظر إلى سيفه، فأعطاه السيف، فلما أخذه و هزّه قال: يا محمد أ ما تخافنى؟

قال: لا. قال: أ ما تخافنى و فى يدى السيف؟ قال: لا، ينعنى الله منك، فردّ السيف إليه.

[١] (أى رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عند ما خرج لحرب بنى النضير).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧٥

(١) و أصاب المسلمون امرأة منهم، و كان زوجها غائبًا، فلما أتى أهله أخبر الخبر، فحلف لا ينتهى حتى يهريق فى أصحاب النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دما، و خرج يتبع أثر رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزل رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: من يحرسنا الليلة؟ فانتدب رجل من المهاجرين و رجل من الأنصار، فأقاما بقم شعب نزله رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و اضطجع المهاجرى و حرس الأنصارى أول الليل و قام يصلى، و جاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف أنه ربيئ القوم فرماه بسهم فوضعه فيه فانترعه و ثبت قائما يصلى، ثم رماه بسهم آخر فأصابه فنزعه و ثبت يصلى، ثم رماه بالثالث فوضعه فيه فانترعه ثم ركع و سجد، ثم أيقظ صاحبه و أعلمه، فوثب، فلما رآهما الرجل علم أنّهما علما به، فلما رأى المهاجرى ما بالأنصارى قال:

سبحان الله ألا أيقظتنى أول ما رماك؟ قال: كنت فى سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها، فلما تابع على الرمي أعلمتك، و ايم الله لو لا خوفى أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها.

وقيل: إن هذه الغزوة كانت فى المحرم سنة خمس من الهجرة.

ذكر غزوة بدر الثانية

و سَمَّيتَ أَيْضًا غَزْوَةَ السَّوِيقِ.

و فى شعبان منها خرج رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى بدر لميعاد أبى سفيان بن حرب حتى نزل بدرا فأقام عليها ثمانى ليال ينتظر أبى سفيان، و خرج أبو سفيان فى أهل مكة إلى مَرِّ الظَّهْرَانِ، و قيل: إلى عسفان، ثم رجع و رجعت قريش معه، فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون:

إنما خرجتم تشربون السويق.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧٦

(١) و استخلف رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على المدينة عبد الله بن رواحة.

و فيها تزوج رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أم سلمة.

و فيها أمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود.
و فيها، فى جمادى الأولى، مات عبد الله بن عثمان بن عفان، و أمه رقيّة بنت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و صلى الله عليه رسول
الله، صلى الله عليه و سلم، و كان عمره ست سنين. و فيها ولد الحسين بن على بن أبى طالب، فى قول. و ولى الحج فيها المشركون.
الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧٧
(١)

١٥ الأحداث فى السنة الخامسة من الهجرة

إشارة

فيها تزوج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، زينب بنت جحش، و هى ابنة عمته، كان زوجها مولاة زيد بن حارثة، و كان يقال له زيد
بن محمد.
فخرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يريد و على الباب ستر من شعر، فرفته الريح فرآها و هى حاسرة فأعجبته و كرهت إلى زيد،
فلم يستطع أن يقربها، فجاء إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فأخبره، فقال: أراك فيها شىء؟ قال: لا و الله. فقال له رسول الله، صلى
الله عليه و سلم: أمسكك عليك زوجك و اتق الله «١». ففارقها زيد و حلت، و أنزل الوحي على النبى، صلى الله عليه و سلم، فقال: من
يبشر زينب أن الله قد زوجنيها؟ و قرأ عليهم قوله تعالى: و إذ تقول للذى أنعم الله عليه «٢» الآية،
فكانت زينب تفخر على نساءه و تقول: زوجكن أهلوكن و زوجنى الله من السماء.
و فيها كانت غزوة دومة الجندل فى ربيع الأول، و سببها أنه بلغ النبى، صلى الله عليه و سلم، أن بها جمعا من المشركين، فغزاهم، فلم
يلق كيدا، و خلف على المدينة سباع بن عرفة الغفارى، و غنم المسلمون إبلا و غنما وجدت لهم.
و ماتت أم سعد بن عبادة و سعد مع النبى، صلى الله عليه و سلم، فى هذه

(١-٢). ٣٧.٣٣.٣٧. sv

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٧٨

(١) الغزاة. و فيها وادع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عينه بن حصن الفزارى [أن يرعى بتعلمين و ما والاها].
عينه بضم العين، تصغير عين).

ذكر غزوة الخندق و هى غزوة الأحزاب

و كانت فى سؤال، و كان سببها أن نفرا من يهود من بنى النضير، منهم: عبد الله بن سلام بن أبى الحقيق، و حى بن أخطب، و كنانة
ابن الربيع بن أبى الحقيق، و غيرهم، حزبوا الأحزاب على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقدموا على قريش بمكة فدعواهم إلى
حرب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قالوا: نكون معكم حتى نستأصله، فأجابوهم إلى ذلك، ثم أتوا على غطفان فدعواهم إلى
حرب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أخبروهم أن قريشا معهم على ذلك، فأجابوهم، فخرجت قريش و قائدها أبو سفيان بن
حرب، و خرجت غطفان و قائدها عينه بن حصن فى بنى فزارة، و الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرمى فى مرة، و مسعر بن ربيعة
الأشجعى فى الأشجع.

فلما سمع بهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أمر بحفر الخندق، و أشار به سلمان الفارسى، و كان أول مشهد شهده مع رسول الله،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ حَزْرٌ، فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَغْبَةً فِي الْأَجْرِ وَحُتًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَتَسَلَّلَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِغَيْرِ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا «١» الْآيَةَ. وَكَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا

(١). ٦٣. inaroc. ٢٤. sv.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ١٧٩

(١) نَابِتُهُ نَائِبَةٌ لِحَاجَةٍ لَا بَدَّ مِنْهَا يَسْتَأْذِنُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ يَعُودُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ «١» الْآيَةَ.

وَقَسَمَ الْخَنْدَقُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. فَاخْتَلَفَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فِي سَلْمَانَ كُلِّ يَدْعِيهِ أَنَّهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَلْمَانُ مَنَا، سَلْمَانُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ.

وَجَعَلَ لِكُلِّ عَشْرَةٍ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، فَكَانَ سَلْمَانُ وَحَدِيفَةُ وَالنَّعْمَانُ بْنُ مَقْرَنٍ وَعَمْرُو بْنُ عَوْفٍ وَسِتَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَعْمَلُونَ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ كَسَرَتْ الْمَعُولَ، فَأَعْلَمُوا النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَبَطَ إِلَيْهَا وَمَعَهُ سَلْمَانُ فَأَخَذَ الْمَعُولَ وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ ضَرْبَةً صَدَعَهَا، وَبَرَقَتْ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَتْ مَا بَيْنَ لَابَتِي الْمَدِينَةِ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ الثَّانِيَةَ كَذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ صَدَعَهَا،

فَسَأَلَهُ سَلْمَانُ عَمَّا رَأَى مِنَ الْبَرْقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَضَاءَتْ الْحَيْرَةَ وَقُصُورَ كَسْرَى فِي الْبَرْقَةِ الْأُولَى، وَأَخْبَرَنِي جِبْرَائِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، وَأَضَاءَ لِي فِي الثَّانِيَةِ الْقُصُورَ الْحَمْرَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَالرُّومِ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، وَأَضَاءَ لِي فِي الثَّلَاثَةِ قُصُورَ صَنْعَاءَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، فَأَبْشَرُوا، فَاسْتَبَشَرَ الْمُسْلِمُونَ.

وَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: أَلَا تَعْجَبُونَ؟ يَعْدُكُمْ الْبَاطِلُ، وَيَخْبِرُكُمْ أَنَّهُ يَنْظُرُ مِنْ يَثْرِبِ الْحَيْرَةَ وَمَدَائِنِ كَسْرَى، وَأَنَّهَا تَفْتَحُ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَبْرَزُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا «٢».

(١). ٢٤. inaroc. ٢٦. qqs

(٢). ١٢. inaroc. ٣٣. sv.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ١٨٠

(١) فَأَقْبَلَتْ قَرِيشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِمَجْمَعِ [١] الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ [٢] بَيْنَ الْجَرَفِ وَزَغَابَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيشِهِمْ وَمِنْ تَابِعِهِمْ مِنْ كِنَانَةَ وَتِهَامَةَ، وَأَقْبَلَتْ غُظْفَانَ وَمِنْ تَابِعِهِمْ حَتَّى نَزَلُوا إِلَى جَنْبِ أَحَدٍ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُسْلِمُونَ فَجَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، فَنَزَلَ هُنَاكَ وَرَفَعَ الذَّرَارِيَّ وَالنِّسَاءَ فِي الْآطَامِ. وَخَرَجَ حَيِّيُّ بْنُ أَخْطَبٍ حَتَّى أَتَى كَعْبَ ابْنَ أَسَدٍ سَيِّدَ قَرِيظَةَ، وَكَانَ قَدْ وَاذَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى قَوْمِهِ، فَأَغْلَقَ كَعْبُ حَصْنَهُ وَلَمْ يَأْذِنْ لَهُ وَقَالَ: إِنَّكَ أَمْرٌ مَشْتُومٌ، وَكَانَ قَدْ عَاهَدْتَ مَحْمِدًا وَلَمْ أَرْ مِنْهُ إِلَّا الْوَفَاءَ. قَالَ حَيِّيُّ: يَا كَعْبُ قَدْ جِئْتِكَ بَعْزَ الدَّهْرِ وَبِحَرِّ طَامٍ، جِئْتِكَ بِقَرِيشٍ وَقَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، وَغُظْفَانَ بِقَادَتِهَا، وَقَدْ عَاهَدُونِي أَنَّهُمْ لَا يَبْرَحُونَ حَتَّى يَسْتَأْصِلُوا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. قَالَ كَعْبُ: جِئْتَنِي بِذَلِّ الدَّهْرِ، وَبِجَهَامِ قَدْ هَرَّاقَ مَاءَهُ يَرْعُدُ وَيَبْرُقُ وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيَحْكُ يَا حَيِّيُّ! دَعْنِي [وَمَحْمِدًا]. وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ يَفْتَلُهُ فِي الدَّرُورَةِ وَالْغَارِبِ حَتَّى حَمَلَهُ عَلَى الْغَدْرِ بِالنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَعَلَ وَنَكَثَ الْعَهْدَ، وَعَاهَدَهُ حَيِّيُّ إِنْ عَادَتْ قَرِيشٌ وَغُظْفَانٌ وَلَمْ يَصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ أَدْخَلَ مَعَكَ فِي حَصْنِكَ حَتَّى يَصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ.

فعظم عند ذلك البلاء واشتدّ الخوف و أتاهم عدوّهم من فوقهم و من أسفل منهم، و نجم التّفاق من بعض المنافقين، و أقام رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و المشركون عليه بضعا و عشرين ليلة قريبا من شهر، و لم يكن بين القوم حرب إلّا الرمى [بالنبل]. فلما اشتدّ البلاء بعث رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، إلى عيينة بن حصن و الحارث بن عوف المرّى، قائدى غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار

[١] بمجمع.

[٢] روبة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨١

(١) المدينة على أن يرجعا [١] بمن معهما عن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فأجابا إلى ذلك، فاستشار رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، سعد بن معاذ و سعد بن عباد، فقالا: يا رسول الله شىء تحبّ أن تصنعه أم شىء أمرك الله به أو شىء تصنعه لنا؟ قال: بل [لكم]، رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم. فقال سعد بن معاذ: قد كنّا نحن و هم على الشرك و لا يطعمون أن يأكلوا منا ثمرة إلّا قرى أو يبعنا، فحين أكرمنا الله بالإسلام نعطيهم أموالنا! ما نعطيهم إلّا السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم. فترك ذلك رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم.

ثمّ إنّ فوارس من قريش، منهم: عمرو بن عبد وّد أحد بنى عامر بن لؤى، و عكرمة بن أبى جهل، و هبيرة بن أبى وهب، و نوفل بن عبد الله، و ضرار بن الخطّاب الفهرى، خرجوا على خيولهم و اجتازوا بنى كنانة و قالوا: تجهّزوا للحرب و ستعلمون من الفرسان. و كان عمرو بن عبد وّد قد شهد بدرا كافرا و قاتل حتى كثرت الجراح فيه، فلم يشهد أحدا و شهد الخندق معلما حتى يعرف مكانه، و أقبل هو و أصحابه حتى وقفوا على الخندق، ثمّ تيمّموا مكانا ضيقا فاقتحموه، فجالت بهم خيولهم فى السبخة بين الخندق و سلع، و

خرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين، فأخذوا عليهم الثغرة، و كان عمرو قد خرج معلما، فقال له على: يا عمرو إنك عاهدت أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خصلتين إلّا أخذت إحداهما؟ قال: أجل. قال له على: فإنى أدعوك إلى الله و الإسلام. قال: لا حاجة لى بذلك. قال: فإنى أدعوك إلى التّزال. قال: و الله ما أحبّ أن أقتلك. قال على: و لكنتى أحبّ أن أقتلك. فحمى عمرو عند ذلك فنزل عن فرسه و عقره ثمّ أقبل على على، فتجاولا، و قتله على، و خرجت خيلهم منهزمة، و قتل مع عمرو

[١] يرجعوا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨٢

(١) رجلان، قتل على أحدهما و أصاب آخر سهم فمات منه بمكة.

و رمى سعد بن معاذ بسهم قطع أكله، رماه حبان بن قيس بن العرقه ابن عبد مناف من بنى معيص من عامر بن لؤى، و العرقه أمّه [١]، و إنّما قيل لها العرقه لطيب ريح عرقها، و هى قلابه بنت سعد بن سهم، و هى أمّ عبد مناف بن الحارث. فلما رمى سعدا قال: خذها و أنا ابن العرقه. فقال النّبى، صلّى الله عليه و سلّم: عرق الله وجهك فى النار، و لم يقطع [الأكل] من أحد إلّا مات. فقال سعد: اللهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها، فإنّه لا قوم أحبّ إلى أن

أقاتلهم من قوم آذوا نبيك و كذبوه، اللهم و إن كنت وضعت الحرب بيننا فاجعله لى شهادة و لا تمتنى حتى تقرّ عينى من بنى قريظة. و كانوا حلفاءه و مواليه فى الجاهلية.

و قيل: إنّ الذى رمى سعدا هو أبو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم.

فلما قال سعد ما قال انقطع الدم.

و كانت صفة عمه النبي، صلى الله عليه و سلم، فى فارغ، حصن حسان ابن ثابت، و كان حسان فيه مع النساء لأنه كان جباناً، قالت: فأتانا آت من اليهود فقلت لحسان: هذا اليهودى يطوف بنا و لا نأمنه أن يدلّ على عوراتنا فانزل إليه فأقتله. فقال: و الله ما أنا بصاحب هذا. قالت: فأخذت عموداً و نزلت إليه فقتلته، ثم رجعت فقلت لحسان: انزل إليه فخذ سلبه فإننى يمنعنى منه أنه رجل. فقال: و الله ما لى بسلبه من حاجة.

ثم

إنّ نعيم بن مسعود الأشجعى أتى النبي، صلى الله عليه و سلم، فقال: يا رسول الله إنى قد أسلمت و لم يعلم قومى، فمرنى بما شئت. فقال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: إنما أنت رجل واحد فخذل عناً ما استطعت، فإنّ الحرب خدعة. فخرج حتى أتى بنى قريظة، و كان نديماً

[١] جدّة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨٣

(١) لهم فى الجاهلية، فقال لهم: قد عرفتم ودى إياكم. فقالوا: لست عندنا بمتهم. قال: قد ظاهرتم قريشا و غطفان على حرب محمد، و ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، به أموالكم و أبناءكم و نساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه، و إنّ قريشا و غطفان إن رأوا نهزة [١] و غنيمه أصابوها، و إن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم و خلوا بينكم و بين محمّد و لا- طاقة لكم به [إن خلا- بكم]، فلا- تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ثقة لكم حتى تناجزوا محمّداً. قالوا: أشرت بالنصح.

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان و من معه: قد عرفتم ودى إياكم و فراقى محمّداً، و قد بلغنى أنّ قريظة ندموا و قد أرسلوا إلى محمّد: هل يرضيك عناً أن نأخذ من قريش و غطفان رجلاً من أشرافهم فنعطيكهم [٢] فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم؟ فأجابهم: أن نعم، فإن طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: أنتم أهلى و عشيرتى. و قال لهم مثل ما قال لقريش و حذرهم.

فلما كان ليلة السبت من شوال [سنة خمس] كان ممّا صنع الله لرسوله [أن] أرسل أبو سفيان و رءوس غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان و قالوا لهم: إنّنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ و الحافر فاغدوا [٣] للقتال [حتى نناجز محمّداً]. فأرسلوا إليهم: إنّ اليوم السبت لا- نعمل فيه شيئاً و لسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ثقة لنا فإننا نخشى أن ترجعوا إلى بلادكم و تتركونا و الرجل و نحن ببلادهم. فلما أبلغتهم الرسل هذا الكلام قالت قريش و غطفان: و الله لقد صدق نعيم بن مسعود، فأرسلوا

[١] نزهة.

[٢] فنعطيكهم.

[٣] فأعدّوا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨٤

(١) إلى قريظة: [إنّا] والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا. فقالت قريظة عند ذلك: إنّ الذى ذكر نعيم بن مسعود لحقّ. وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم ريحا فى ليل شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وطرحت أبنيتهم. فلمّا انتهى إلى النبىّ، صلى الله عليه و سلم، اختلاف أمرهم دعا حذيفة ابن اليمان ليلا فقال: انطلق إليهم وانظر حالهم ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا.

قال حذيفة: فذهبت فدخلت فيهم والريح و جنود الله تفعل فيهم ما تفعل لا يقرّ لهم قدر ولا بناء ولا نار.

فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر الرجل أمر جليسه [١]، قال: فأخذت بيد الرجل الذى بجانبى فقلت: من أنت؟ قال:

أنا فلان، ثم قال أبو سفيان: والله لقد هلك الخفّ والحافر وأخلفتنا قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإنى مرتحل. ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم، ولو لا عهد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، [إلى أن] لا أحدث شيئا لقتلته.

قال حذيفة: فرجعت إلى النبىّ، صلى الله عليه و سلم، وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه، فأدخلنى بين رجله و طرح على طرف المرط، فلمّا سلّم خبرته الخبر.

و

سمعت غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين إلى بلادهم، فلمّا عادوا قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: الآن نغزوهم ولا يغزوننا. فكان كذلك حتى فتح الله مكّة.

[١] (فى ابن هشام: لينظر امرؤ من جليسه).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨٥

(١)

ذكر غزوة بنى قريظة

لما أصبح رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عاد إلى المدينة و وضع المسلمون السلاح و ضرب على سعد بن معاذ قبة فى المسجد ليعوده من قريب، فلمّا كان الظهر أتى جبرائيل النبىّ، صلى الله عليه و سلم، فقال: أ قد وضعت السلاح؟ قال: نعم. قال جبرائيل: ما وضعت الملائكة السلاح، إنّ الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة و أنا عامد إليهم. فأمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مناديا فنادى: من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلّا فى بنى قريظة. و قدّم علينا إليهم برايته و تلاحق الناس، و نزل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أتاه رجال بعد العشاء الأخيرة فصلّوا العصر بها، و ما عابهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم. و حاصر بنى قريظة شهرا أو خمسا و عشرين ليلة، فلمّا اشتدّ عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن تبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، و هو أنصاريّ من الأوس، نستشيره، فأرسله، فلمّا رآه قام إليه الرجال و بكى النساء و الصبيان، فرقّ لهم، فقالوا: ننزل على حكم رسول الله.

فقال: نعم، و أشار بيده إلى حلقه أنّه الذّبح. قال أبو لبابة: فما زالت قدماى حتى عرفت أنّى خنت الله و رسوله و قلت: و الله لا أقمت بمكان عصيت الله فيه. و انطلق على وجهه حتى ارتبط فى المسجد و قال: لا أبرح حتى يتوب الله علىّ. فتاب الله عليه و أطلقه رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

ثمّ نزلوا على حكم رسول الله، صلى الله عليه و سلم،

فقال الأوس:

يا رسول الله افعل فى موالينا مثل ما فعلت فى موالى الخزرج، يعنى بنى قينقاع، وقد تقدّم ذكرهم. فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ؟ قالوا:

بلى. فأتاه قومه فاحتملوه على حمار ثم أقبلوا معه إلى رسول الله، صلى الله

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨٦

(١) عليه و سلم، و هم يقولون: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك. فلما كثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم، فعلم كثير منهم أنه يقتلهم، فلما انتهى سعد إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قال: قوموا إلى سيدكم، أو قال: خيركم، فقاموا إليه و أنزلوه و قالوا: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك فقد ردّ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، الحكم فيهم إليك. فقال سعد: عليكم عهد الله و ميثاقه، إن الحكم فيهم إلى؟ قالوا:

نعم، فالتفت إلى الناحية الأخرى التى فيها النبى، صلى الله عليه و سلم، و غضّ بصره عن رسول الله إجلالا و قال: و على من هاهنا العهد أيضا؟ فقالوا:

نعم. و قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: نعم. قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة و تسبى الذرية و النساء و تقسم الأموال، فقال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: لقد حكمت [فيهم] بحكم الله من فوق سبعة أرقعة [١].

ثم استنزلوا فحبسوا فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجّار. ثم خرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فيها، و فيهم حبيى بن أخطب و كعب بن أسد سيدهم، و كانوا [٢] ستمائة أو سبعمائة، و قيل: ما بين سبعمائة و ثمانمائة، و أتى بحبيى بن أخطب و هو مكتوف، فلما رأى النبى، صلى الله عليه و سلم، قال: و الله ما لمت نفسى فى عداوتك و لكنّ من يخذل الله يخذل. ثم قال للناس: إنّه لا بأس بأمر الله، كتاب و قدر و ملحمة كتبت على بنى إسرائيل. فأجلس و ضربت عنقه. و لم تقتل منهم إلّا امرأة واحدة قتلت بحدث أحدثته، و قتلت أرفة بنت عارضه منهم.

[١] (الأرقعة، جمع رقيع: السموات).

[٢] و كان.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨٧

(١) و أسلم منهم ثعلبة بن سعية «١»، و أسيد بن سعية «٢»، و أسد بن عبيد.

ثم قسم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أموالهم، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفارس سهمان و لفارسه سهم، و للراجل مّمن ليس له فارس سهم، و كانت الخيل ستة و ثلاثين فرسا، و أخرج منها الخمس، و كان أوّل فىء وقع فيه السهمان و الخمس. و اصطفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة [١] من بنى قريظة، فأراد أن يتزوجها فقالت: اتركنى فى ملكك فهو أخفّ علىّ و عليك. فلما انقضى أمر قريظة انفجر جرح سعد ابن معاذ و استجاب الله دعاءه، و كان فى خيمته التى فى المسجد، فحضره رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أبو بكر و عمر، و قالت عائشة: سمعت بكاء أبى بكر و عمر عليه و أنا فى حجرتى، و أمّا النبى، صلى الله عليه و سلم، فكان لا يبكى على أحد، كان إذا اشتدّ وجده أخذ بلحيته.

و كان فتح قريظة فى ذى القعدة و صدر ذى الحجة، و قتل من المسلمين فى الخندق ستة نفر، و فى قريظة ثلاثة نفر.

[١] جنافة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨٨

(١)

٦ و دخلت سنة ست من الهجرة

ذكر غزوة بنى لحيان

فى جمادى الأولى منها خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع، خبيب بن عدى وأصحابه، و أظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غزوة، وأغد السير حتى نزل على غران منازل بنى لحيان، وهى بين أمج وعسفان، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال، فلمّا أخطأه ما أراد منهم خرج فى مائتى راكب حتى نزل بعسفان تخويفا لأهل مكة، وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم عاد قافلا.

(غران [١] بفتح الغين المعجمة، وفتح الراء، و بعد الألف نون. و أمج بفتح الهمزة، و الميم، و آخره جيم).

ذكر غزاة ذى قرد

ثم قدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المدينة فلم يقم إلّا أياما قلائل حتى أغار عيينة بن حصن الفزاريّ فى خيل غطفان على لقاح النبى، و أول من نذر بهم سلمة بن الأكوع الأسلمى، هكذا ذكرها أبو جعفر بعد

[١] (جاء فى معجم البلدان لياقوت: غران، بضم أوله و تخفيف ثانيه).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٨٩

(١) غزوة بنى لحيان عن ابن إسحاق، و الرواية الصحيحة عن سلمة: أنّها كانت بعد مقدمه المدينة منصرفا من الحديبية، و بين الوقعتين تفاوت.

قال سلمة بن الأكوع: أقبلنا مع النبى، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة بعد صلح الحديبية، فبعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بظهره [١] مع رباح غلامه و خرجت معه بفرس طلحة بن عبيد الله، فلمّا أصبحنا إذا عبد الرحمن ابن عيينة بن حصن الفزاريّ قد أغار على ظهر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فاستاقه أجمع و قتل راعيه، قلت: يا رباح [خذ] هذا الفرس فأبلغه طلحة و أخبر النبى، صلى الله عليه وسلم، أنّ المشركين قد أغاروا على سرحه، ثم استقبلت الأكمة فناديت ثلاثة أصوات: يا صباحاه! ثم خرجت فى آثار القوم أرميهم بالنبل و أرتجز و أقول:

[خذها] و أنا ابن الأكوع و اليوم يوم الرضع قال: فو الله ما زلت أرميهم و أعقر بهم، فإذا خرج إلى فارس قعدت فى أصل شجرة فرميتها فعقرت به، و إذا دخلوا فى مضايق الجبل رميتهم بالحجارة من فوقهم، فما زلت كذلك حتى ما تركت من ظهر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعيرا إلّا جعلته وراء ظهرى، و خلّوا بينى و بينه و ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا و ثلاثين برده يستخفون بها، لا يلقون شيئا إلّا جعلت عليه أماره، أى علامه، حتى يعرفه أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى [إذا] انتهوا إلى متضايق من ثنية أتاهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ممدا، فقعدوا يتضحون [٢]، فلمّا رآنى قال: ما هذا؟ قالوا: لقينا منه

[١] (الظهر: الإبل تعد للركوب أو حمل الثقل).

[٢] يصحون. (و يتضحون: أى يأكلون وقت الضحى).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩٠

(١) البرح وقد استنقذ كل ما بأيدينا [١]، فما برحت مكاني حتى أبصرت فوارس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يتخللون الشجر، أولهم الأخرم الأسدى واسمه محرز بن نضلة من أسد بن خزيمه و على أثره أبو قتاده و على أثرهما المقداد بن عمرو الكندى، فأخذت بعنان الأخرم و قلت:

احذر القوم لا يقتطعوك حتى تلحق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و أصحابه، فقال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله و اليوم الآخر فلا تحل بينى و بين الشهادة. قال: فخليته، فالتقى هو و عبد الرحمن بن عيينه، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه و طعنه عبد الرحمن فقتله، و تحوّل عبد الرحمن على فرس الأخرم، [و لحق أبو قتاده فارس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعبد الرحمن فطعنه]، فانطلقوا هاربين، قال سلمة: فوالذى كرم وجه محمد لأتبعنهم أعدو على رجلى حتى ما أرى من أصحاب محمد و لا غبارهم شيئا.

و عدلوا قبل غروب الشمس إلى غار فيه ماء يقال له ذو قرد يشربون منه و هم عطاش، فنظروا إلى أعدو فى آثارهم فخليتهم [٢] فما ذاقوا منه قطرة، قال: و اشتدوا فى ثيئه «١» [٣] ذى أبهر «٢» فأرشق بعضهم بسهم فيقع فى غض [٤] كنفه، فقلت: خذها و أنا ابن الأكوغ* و اليوم [يوم] الرضع.

و إذا فرسان على الثيئه فجئت بهما أقودهما إلى النبى، صلى الله عليه وسلم.

[١] يلينا.

[٢] فخليتهم. (و حليتهم: أى طردتهم و أجليتهم).

[٣] بيت.

[٤] بعض.

(١). يديه.P.C.

(٢). أبت.P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩١

(١) و لحقنى عمى عامر بسطيحه فيها مذقه من لبن و سطيحه فيها ماء، فتوضأت و صليت و شربت ثم جئت إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، و هو على الماء الذى حليتهم [١] عنه بذى قرد، و

إذا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قد أخذ تلك الإبل التى استنقذت من العدو و كل رمح و كل برده، و إذا بلال قد نحر لهم ناقه من الإبل و هو يشوى منها، فقلت: يا رسول الله خلنى أنتخب مائه رجل فلا يبقى منهم عين تطرف. فضحك و قال: إنهم ليقرون «١» [٢] بأرض غطفان.

فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزورا، فلما كشطوا عنها جلدها رأوا غبارا فقالوا: أتيتم، فخرجوا هاربين.

فلما أصبحنا

قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: خير فرساننا أبو قتاده، و خير رجالنا سلمة بن الأكوغ، ثم أعطانى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، سهم الفارس و سهم الراجل، ثم أردفنى وراءه على العضباء.

فبينما نحن نسير، و كان رجل من الأنصار لا يسبق شدا [٣]، فقال: ألا من مسابق؟ مرارا، فقلت: يا رسول الله بأبى أنت و أمى ائذن لى فلاسابق الرجل.

قال: إن شئت. قال: فطفرت و ربطت شرفا أو شرفين فألحقه فقلت: سبقتك و الله! فسبقته إلى المدينة، فلم نمكث بها إلّا ثلاثا حتى

خرجنا إلى خيبر.

و فى هذه الغزوة نودى: يا خيل الله اركبى، و لم يكن يقال قبلها.

(قرء بفتح القاف و الراء).

[١] جلاهم.

[٢] ليغزون.

[٣] يسبقه شىء.

(١). إنهم ليغبقون: P ,mahcsiH –nbI.٧٢٢

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩٢

(١)

ذكر غزوة بنى المصطلق من خزاعة

ذكرت هذه الغزوة بعد غزوة ذى قرد، و كانت فى شعبان من السنة [سنه ست]، و كان بلغ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن بنى المصطلق تجمعو له، و كان قائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية زوج النبى، صلى الله عليه و سلم، فلما سمع بهم خرج إليهم فلقبهم بماء لهم يقال له المريسيع بناحية قديد، فاقتلوا، فانهزم المشركون و قتل من قتل منهم و أصيب رجل من المسلمين من بنى ليث بن بكر اسمه هشام بن صبابه أخو مقيس بن صبابه، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت بسهم و هو يرى أنه من العدو فقتله خطأ، و أصاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، سبايا كثيرة فقسمها فى المسلمين، و فيهم جويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار، فوقع فى السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له،

فكاتبته عن نفسها، فأنت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فاستعانتها فى كتابتها، فقال لها: هل لك فى خير من ذلك؟ قالت: و ما هو يا رسول الله؟

قال: أفضى كتابتك و أتزوجك. قالت: نعم يا رسول الله. ففعل، و سمع الناس الخبر فقالوا: أصهار رسول الله، فأعتقوا أكثر من مائة بيت من أهل بنى المصطلق، فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها.

و بينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس، و مع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه، فزادهم هو و سنان الجهنى، حليف بنى عوف من الخزرج، على الماء، فاقتلوا فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار! و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبى بن سلول، و عنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن. فقال: أقد فعلوها! قد كاثرونا فى بلادنا! أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩٣

(١) لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ [١]! ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهم ببلادكم و قاسمتموهم أموالكم! و الله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم.

فسمع ذلك زيد، فمشى به إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، و ذلك عند فراغ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من غزوة، فأخبره الخبر، و عنده عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله مر به عبّاد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: كيف إذا تحدّث الناس أن محمدا يقتل أصحابه! و لكن أذن بالرحيل. فارتحل فى ساعة لم يكن يرتحل فيها ليقطع ما الناس فيه.

فلقية أسيد بن حضير فسلم عليه و قال: يا رسول الله لقد رحمت في ساعة لم تكن تروح فيها. فقال: أو ما بلغك ما قال عبد الله بن أبي؟ قال: وما ذا؟

قال: زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

قال أسيد:

فأنت والله تخرجه إن شئت فإنك العزيز وهو الذليل، ثم قال: يا رسول الله ارفق به فوالله لقد من الله بك، وإن قومه لينظمو له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا.

و سمع عبد الله بن أبي أن زيدا أعلم النبي، صلى الله عليه وسلم، قوله فمشى إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به. و

كان عبد الله فى قومه شريفا، فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أخطأ، و أنزل الله: إذا جاءك المنافقون «١»، تصديقا لزيد، فلما نزلت أخذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بأذن زيد و قال:

[١] (سورة المنافقين ٦٣، الآية ٨).

(١). sv، ٦٣inaroC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩٤

(١) هذا الذى أوفى الله بأذنه.

و بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ما كان من أمر أبيه فأتى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل أبى، فإن كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه، و أخشى أن تأمر غيرى بقتله فلا تدعنى نفسى انظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار.

فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: بل نرفق به و نحسن صحبته «١» ما بقى معنا «٢».

فكان بعد ذلك إذا أحدث حدثا عاتبه قومه و عَنفوه و توعَّده،

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم: كيف ترى ذلك يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله لأرعدت له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. فقال عمر: أمر رسول الله أعظم بركة من أمرى.

و فيها قدم مقيس بن صبابه مسلما فيما [١] يظهر، فقال: يا رسول الله جئت مسلما و جئت أطلب دية أخى، و كان قتل خطأ، فأمر له بدية أخيه هشام بن صبابه، و قد تقدّم ذكر قتله آنفا، فأقام عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتداً فقال:

شفى النفس أن قد بات فى القاع مسندا تضرّج ثوبيه «٣» دماء الأخادع

و كانت هموم النفس من قبل قتله تلمّ فتحمينى و طاء المضاجع

حللت به نذرى و أدركت ثورتى و كنت إلى الأصنام أول راجع (مقيس بكسر الميم، و سكون القاف، و فتح الياء تحتها نقطتان. و صبابه بصاد مهملة، و بياءين موحدتين بينهما ألف. و أسيد بهمزة مضمومة. و حضير بضم الحاء المهملة، و فتح الضاد).

[١] فلم.

(١). مجئيه P.C.

(٢). حيا B.

(٣). ثوبيه روى من B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩٥

(١)

حديث الإفك «١»

و كان حديث الإفك فى غزوة بنى المصطلق:

لما رجع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فكان ببعض الطريق قال أهل الإفك ما قالوا، و كان من حديثه ما روى عن عائشة، قالت: كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إذا أراد سفرا أفرع بين نسائه فأتيهنَّ خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بنى المصطلق أفرع بين نسائه فخرج سهمى فخرج بى معه، و كان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق [١] لم يتفكهن باللحم، و كنت إذا وصل بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون بعيرى فيحملون الهودج و أنا فيه فيضعونه على ظهر البعير ثم يأخذون برأس البعير و يسرون. قالت: فلما قفل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من سفره ذلك، و كان قريبا من المدينة، بات بمنزل بعض الليل ثم ارتحل هو و الناس، و كنت قد خرجت لبعض حاجتى و فى عنقى عقد لى من جزع ظفار انسل من عنقى و لا أدرى، فلما رجعت التمسست العقد فلم أجده، [و أخذ الناس بالرحيل]، فرجعت إلى المكان الذى كنت فيه ألتمسه فوجدته، و جاء القوم الذين يرحلون بعيرى فأخذوا الهودج و هم يظنون أنى فيه، فاحتملوه على عاداتهم و انطلقوا، و رجعت إلى المعسكر و ما فيه داع و لا مجيب، فتلففت بجلبابى و اضطجعت مكانى و عرفت أنهم يرجعون إلى إذا افتقدونى.

قالت: فو الله إنى لمضطجعه إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى، و كان

[١] (العلق: ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء).

(١). P.C. mo

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩٦

(١) تخلف عن المعسكر لحاجته، فلم يبيت مع الناس، فلما رأى سوادى أقبل حتى وقف على فعرفى، و كان رآنى قبل أن يضرب الحجاب، فلما رآنى استرجع و قال: ما خلفك؟ قالت: فما كلمته، ثم قرب البعير و قال: اركبى.

فركبت، و أخذ برأس البعير مسرعا.

فلما نزل الناس و اطمأنوا طلع الرجل يقودنى، فقال أهل الإفك [فى] ما قالوا، فارتعج [١] المعسكر و لم أعلم بشىء من ذلك، ثم قدما المدينة فاشتكت شكوى شديدة، و قد انتهى الحديث إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و إلى أبوى و لا يذكران لى منه شيئا، إلا أنى أنكرت من رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بعض لطفه، فكان إذا دخل على و أمى تمرضىنى قال: كيف تيكم؟ لا يزيد على ذلك، فوجدت فى نفسى ممّا رأيت من جفائه، فاستأذنته فى الانتقال إلى أمى لتمرضىنى، فأذن لى، و انتقلت و لا أعلم بشىء ممّا كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع و عشرين ليلة.

قالت: و كنّا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف نعافها و نكرهها، إنما كان النساء يخرجن كل ليلة، فخرجت ليلة لبعض حاجتى و معى أم مسطح ابنه أبى رهم بن المطلب، و كانت أمها خالة أبى بكر الصديق، قالت: فو الله إنها لتمشى إذ عثرت فى مرطها فقالت:

تعس مسطح. قالت:

قلت: لعمر الله بس ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا! قالت:

أو ما بلغك الخبر؟ قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذى كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى فرجعت فما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى، وقلت لأمنى: تحدّث الناس بما تحدّثوا ولا تذكرين لى من ذلك شيئا؟ قالت: أى بيته خفضى عليك، فوالله قلّ ما كانت امرأة حسناء

[١] فارتجع. (و ارتجع: تحرّك و اضطرب. و ما أثبتناه عن ابن هشام).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩٧

(١) عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن و كثر [١] الناس عليها. قالت: و قد قام رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى الناس فخطبهم و لا أعلم بذلك، ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى و يقولون عليهنّ غير الحقّ، و يقولون ذلك لرجل و الله ما علمت عليه إلّا خيرا و ما دخل بيتا من بيوتى إلّا معى.

و كان كبر ذلك عند عبد الله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج، مع الذى قال مسطح و حمته بنت جحش، و ذلك أن زينب أختها كانت عند رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارنى لأختها، فلما قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، تلك المقالة قال أسيد ابن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم [٢]، و إن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك. فقال سعد بن عباد: و الله ما قلت هذه المقالة إلّا و قد عرفت أنّهم من الخزرج، و لو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد: كذبت و لكنك منافق تجادل عن المنافقين. و تناور الناس حتى كاد يكون بينهم شرّ، و نزل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و دعا علىّ بن أبى طالب و أسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى خيرا و أما علىّ فقال:

إنّ النساء لكثير و سل الخادم تصدقك، فدعا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بريرة يسألها، فقام إليها علىّ فضربها ضربا شديدا و هو يقول: اصدقى رسول الله. فقالت: و الله ما أعلم إلّا خيرا، و ما كنت أعيب عليها إلّا أنّها كانت تنام عن عجينها فيأتى الداجن فيأكله [٣].

ثم دخل علىّ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و عندى أبواى و امرأه

[١] كبرن و كبر.

[٢] نكفيهم.

[٣] الداخن فيأكلها.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩٨

(١) من الأنصار و أنا أبكى و هى تبكى، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا عائشة إنّه قد كان ما بلغك من قول الناس، فإن كنت قارفت سوءا فتوبى إلى الله.

قالت: فوالله لقد تقلص دمعى حتى ما أحسّ منه شيئا، و انتظرت أبوى أن يجييا، فلم يفعلوا، فقلت: ألا تجييانه؟ فقالا: و الله ما ندرى بما ذا نجيبه! و ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل علىّ أبى بكر تلك الأيام. فلما استعجما بكيت ثم قلت: و الله لا أتوب إلى الله ممّا ذكرت أبدا، و الله لئن أقررت- و الله يعلم أنّى منه بريئة- لتصدّقنى، و لئن أنكرت لا تصدّقنى. ثم التمس اسم يعقوب فلم أجده فقلت: و لكنى أقول كما قال أبو يوسف:

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ [١]، و لشأنى كأتى أصغر فى نفسى أن ينزل الله فى قرآنا يتلى، و لكنى كنت أرجو أن

يرى رؤيا يكذب الله بها عنى.

قالت: فو الله ما برح رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من مجلسه حتى جاءه الوحى، فسجى بثوبه، فأما أنا فو الله ما فزعت و لا باليت، قد عرفت أنى بريئة و أن الله غير ظالمى، و أما أبواى فما سرى عن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا [من] أن يحقق الله ما قال الناس.

قالت: ثم سرى عن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و إته ليتحدّر عنه مثل الجمان، فجعل يمسح العرق عن جبينه و يقول: أبشرى يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك. فقلت: بحمد الله! ثم خرج إلى الناس فخطبهم و ذكر لهم ما أنزل الله فى القرآن، ثم أمر بمسطح بن أثاثه و حسان بن ثابت و حمنة بنت جحش، و كانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حدّهم، و حلف أبو بكر لا ينفق على مسطح أبدا، فأنزل الله: **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ**

[١] (سورة يوسف ١٢، الآية ١٨).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ١٩٩

(١) مِنْكُمْ «١» الآية، فقال أبو بكر: إنى أحب أن يغفر الله لى، و رجّع إلى مسطح نفقته. ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف فضربه، ثم قال:

تلقّ ذباب السيف عنى [١] فإننى غلام إذا هوجيت لست بشاعر فوثب ثابت بن قيس بن شماس فجمع يديه إلى عنقه و انطلق به إلى الحارث ابن الخزرج، فلقبه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ فقال: ضرب حسان و ما أراه إلّا قتله. فقال عبد الله: هل علم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بشىء ممّا صنعت؟ [قال: لا و الله]، قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل، فأطلقه، فذكر ذلك لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، فدعا حسان و صفوان بن المعطل، فقال صفوان: هجانى يا رسول الله و آذانى فضربته.

فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لحسان: أحسن يا حسان. قال:

هى لك يا رسول الله، فأعطاه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عوضا منها بيرحاء، و هى قصر بنى حديلة، بالحاء المهملة، و أعطاه شيرين، أمة قبطية، و هى أخت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، فولدت له ابنه عبد الرحمن، و كان صفوان حصورا لا يأتى النساء، ثم قتل بعد ذلك شهيدا.

(مسطح بكسر الميم، و سكون السين المهملة، و بالطاء و الحاء المهملتين).

[١] عنك.

(١). ٢٢. inaroc، sv،

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠٠

(١)

ذكر عمرة الحديبية

فى هذه السنة خرج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، معتمرا فى ذى القعدة لا يريد حربا و معه جماعة من المهاجرين و الأنصار و من تبعه من الأعراب ألف و أربعمائة، و قيل: ألف و خمسمائة، و قيل: ثلاثمائة، و ساق الهدى معه سبعين بدنه ليعلم الناس أنه إنما جاء زائرا للبيت. فلما بلغ عسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فاجتمعوا بذى طوى

يحلّفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً، وقد قدّموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم.

وقيل: إنَّ خالدًا كان مع النبيّ، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم، مسلماً، وإنّه أرسله، فلقى عكرمة بن أبى جهل فهزّمه، والأوّل أصحّ.

ولما بلغه بسر ما فعلت قريش قال رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم:

يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب! ما ذا عليهم لو خلّوا بينى وبين سائر الناس، فإن أصابونى كان الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله دخلوا فى الإسلام وافرين، والله لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفه.

ثم خرج على غير الطريق التى هم بها و سلك ذات اليمين حتى سلك ثبته لمرار على مهبط الحديدية، فبركت به ناقته، فقال الناس: خلأت. فقال:

ما خلأت و لكن حبسها حابس الفيل [عن مكّة]، لا تدعونى قريش اليوم إلى خطّة يسألونى فيها صلّة الرحم إلّا أعطيتهم إياها. ثم قال للناس: انزلوا.

فقالوا: ما بالوادي ماء. فأخرج سهما من كناتته فأعطاه رجلا من أصحابه، فنزل فى قلب من تلك القلب فغرز فى جوفه، فجاش الماء بالرّى حتى ضرب

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠١

(١) الناس عنه بعطن، و كان اسم الذى أخذ السهم ناحية بن عمير سائق بدن النبيّ، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم.

فبينما هم كذلك أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعيّ فى نفر من قومه خزاعة، و كانت خزاعة عيبة نصح رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم، من تهامة، فقال: تركت كعب بن لؤى و عامر بن لؤى [قد نزلوا] أعداد [١] مياه الحديدية و هم مقاتلون و صادوك عن البيت.

فقال النبيّ، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم: إنّا لم نأت لقتال أحد، و لكنّا جننا معتمرين، و إن شاءت قريش ماددناهم مدّة و يخلّوا بينى و بين الناس، و إن أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي.

فانطلق بديل إلى قريش فأعلمهم ما قال النبيّ، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم، فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال: إن هذا الرجل عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها، دعونى آته. فقالوا: آته. فأتاه و كلمه، فقال له: يا محمّد جمعت أو شاب [٢] الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفصّها بهم [٣]، إنّه قريش خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله أنك لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، و ايم الله لكأنى بهؤلاء قد تكشفوا عنك غداً.

فقال أبو بكر: امصص بظر اللات! أ نحن ننكشف عنه؟ [قال: من هذا يا محمّد؟] قال النبيّ، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم: هذا ابن أبى قحافة.

فقال: أما و الله لو لا يدلك عندى لكافأتك بها. ثم جعل يتناول لحيه رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم، و هو يكلمه و المغيرة بن شعبه واقف على رأس رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم، فى الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناولها و يقول له: اكفف

[١] عددًا. (و الأعداد، جمع عدّ: الماء الدائم الذى له مادّة لا انقطاع لها).

[٢] أو باش. (و الأوشاب: الأخطاط).

[٣] جئت بهم لبعض فعل بهم. (و ما أثبتناه عن ابن هشام).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠٢

(١)

يدك قبل أن لا تصل إليك. فقال [عروة]: من هذا؟ قال النبيّ، صَلَّى اللهُ عليه و سلّم: هذا ابن أخيك المغيرة. فقال: أى غدر! و هل غسلت سواك [إلّا] بالأمس؟

و كان المغيرة قد قتل ثلاثة عشر رجلا- من بنى مالك و هرب، فنهاج الحثيان بنو مالك رهط المقتولين و الأحلاف رهط المغيرة،

فودى عروءة للمقتولين ثلاث عشرة ديةً و أصلح ذلك الأمر.

و طال الكلام بينهما، فقال له النبى، صلى الله عليه و سلم، نحو مقالته لبديل، فقال له عروءة: يا محمّد أ رأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ و جعل يرمق أصحاب النبى، صلى الله عليه و سلم، فو الله لا يتنخّم النبى نخامة إلّا وقعت فى كفّ أحدهم فذلك بها وجهه و جلده، و إن أمرهم ابتدروا أمره، و إذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، و ما يحدّون النظر إليه تعظيما له.

فرجع عروءة إلى أصحابه و قال: أى قوم قد وفدت على كسرى و قيصر و النجاشى فو الله ما رأيت ملكا قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمّد محمّدا! و حدّثهم ما رأى و ما قال النبى، صلى الله عليه و سلم.

فقال رجل من كنانة اسمه الحليس بن علقمة، و هو سيد الأحابيش:

دعوني آته. [فقالوا: آته]. فلمّا رآه النبى، صلى الله عليه و سلم، قال: [هذا فلان و هو] من قوم يعظّمون البدن، فابعثوا الهدى فى وجهه، فلمّا رأى الهدى رجع إلى قريش و لم يصل إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فقال: يا قوم قد رأيت ما لا يحلّ صدّه، الهدى فى قلائده. فقالوا: اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك. فقال: و الله ما على هذا حالناكم أن تصدّوا عن البيت من جاء معظما له، و الذى نفسى بيده لتخلنّ بين محمّد و بين البيت أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد. قال: فقالوا: مه! كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠٣

(١) فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آته. فقالوا:

افعل. فلمّا أشرف على النبى، صلى الله عليه و سلم، قال لأصحابه: هذا رجل فاجر، فجعل يكلم النبى، صلى الله عليه و سلم، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، فلمّا جاء قال النبى: سهل أمركم.

و قال ابن إسحاق: إن قريشا إنّما بعثت سهيلا بعد رساله رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مع عثمان بن عفان، قال: لما رجع عروءة بن مسعود إلى قريش بعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، خراش بن أمية الخزاعى إلى قريش على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ عنه، فعقروا به جمل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أرادوا قتله، فمنعته الأحابيش و خلّوا سبيله حتى أتى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فدعا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عمر ليرسله [إلى مكة]، فقال: ليس بمكة من بنى عدى من يمنعى، و قد علمت قريش عداوتى لها و أخافها على نفسى فأرسل عثمان فهو أعزّ بها منى. [فدعا عثمان] فأرسله ليبلغ عنه، فانطلق، فلقيه أبان ابن سعيد بن العاص فأجاره، فأتى أبا سفيان و عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقالوا لعثمان حين فرغ من أداء الرسالة: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به النبى، صلى الله عليه و سلم.

فاحتبسته قريش عندها، فبلغ النبى، صلى الله عليه و سلم، أنه قد قتل، فقال: لا نبرح حتى نناجز القوم.

ثم دعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة، و هى سمرة، لم يتخلّف منهم أحد إلّا الجدّ بن قيس، و كان أول من بايعه رجل من بنى أسد يقال له أبو سنان. ثم أتى الخبر أن عثمان لم يقتل.

ثم

بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤى إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، ليصالحه على أن يرجع عنهم عامه ذلك، فأقبل

سهيل

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠٤

(١) إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، و أطال معه الكلام و تراجع، ثم جرى بينهم الصلح، فدعا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على بن أبى طالب، فقال:

اكتب باسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا نعرف هذا، و لكن اكتب:

باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو- فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك. فقال لعلى: امح رسول الله. فقال: لا أمحوك أبدا.

فأخذ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و ليس يحسن يكتب فكتب موضع رسول الله: محمد بن عبد الله، و قال لعلى: لتبليين بمثلها - اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، و أنه من أتى منهم رسول الله بغير إذن ولّيه ردّه إليهم، و من جاء قريشا ممّن مع رسول الله لم يردّه [عليه]، و من أحبّ أن يدخل فى عهد رسول الله دخل، و من أحبّ أن يدخل فى عهد قريش دخل، فدخلت خزاعة فى عهد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و دخلت بنو بكر فى عهد قريش، و أن يرجع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عنهم عامه ذلك، فإذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا و سلاح الراكب السيوف فى القرب. فيينا النبى، صلى الله عليه و سلم، يكتب الكتاب إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد قد انفلت إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و كان أصحاب النبى لا يشكّون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون.

فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل أخذه و قال: يا محمد قد تمت القضية بينى و بينك قبل أن يأتىك هذا. قال: صدقت، و أخذه ليردّه إلى قريش، فصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين أردّ إلى المشركين ليفتنوني عن ديني! فزاد الناس شرا إلى ما بهم، فقال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: احتسب فإن الله

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠٥

(١) جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجا، إنا قد أعطينا القوم عهدونا على ذلك فلا نغدر بهم.

قال: فوثب عمر بن الخطاب يمشى مع أبى جندل و يقول له: اصبر و احتسب فإنما هم المشركون و إنما دم أحدهم دم كلب! و أدنى قائم السيف منه رجاء أن يأخذه فيضرب به أباه، قال: فبخل الرجل بأبيه.

و شهد على الصلح جماعة من المسلمين فيهم أبو بكر و عمر و عبد الرحمن ابن عوف و غيرهم، و جماعة من المشركين.

فلما فرغ النبى، صلى الله عليه و سلم، من قضيته قال: قوموا فانحروا ثم احلقوا، فما قام أحد حتى قال ذلك مرارا «١»، فلما لم يقم أحد منهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك، فقالت: يا نبى الله اخرج و لا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك و تحلق شعرك، ففعل، فلما رأوا ذلك قاموا فانحروا و حلقوا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمّا.

فما فتح فى الإسلام قبله فتح كان أعظم منه، حيث أمن الناس كلهم فدخل فى الإسلام تينك الستين مثل ما دخل فيه قبل ذلك و أكثر.

فلما قدم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، المدينة جاءه أبو بصير عتبة ابن أسيد بن جارية الثقفى، و هو مسلم، و كان ممّن حيس بمكة، فكتب فيه الأزهر بن عبد عوف و الأحنس بن شريق و بعثا فيه رجلا من بنى عامر بن لؤى و معه مولى لهم، فقال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: قد علمت أنا قد أعطينا هؤلاء القوم عهدا و لا يصلح الغدر فى ديننا. فانطلق معهما إلى ذى الحليفة فجلسوا، و أخذ أبو بصير سيف أحدهما فقتله به و خرج المولى سريعا إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فأخبره بقتل صاحبه، ثم أقبل أبو بصير فقال: يا رسول الله قد وفّت ذمتك و أنجاني الله منهم. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: ويل امه مسعر حرب لو كان له رجال! فلما سمع

(١). ثلاثا. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠٦

(١) ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج أبو بصير حتى نزل بناحية ذى المروة على ساحل البحر على طريق قريش إلى الشام، و بلغ

المسلمين الذين كانوا [احتبسوا] بمكة ذلك فخرجوا إلى أبى بصير، منهم أبو جندل، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا، فضيقوا على قريش يعترضون العير تكون لهم، فأرسلت قريش إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، يناشدونه الله و الرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن، فأواهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

و فيها نزلت سورة الفتح، و هاجر إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، نسوة مؤمنات فيهن أم كلثوم ابنة عقبه بن أبى معيط، فجاء أخوها عماره و الوليد يطلبانها، فأنزل الله: فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ (١) الآية، فلم يرسل امرأة مؤمنة إلى مكة، و أنزل الله:

وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ (٢)، فطلعت عمر بن الخطاب امرأتين له، إحداهما قريبة بنت أبى أمية، و الثانية أم كلثوم بنت عمرو بن جرويل الخزاعى، و هما مشركتان، فتروج أم كلثوم أبو جهم بن حذيفة ابن غانم.

(بسر بضم الباء الموحدة، و سكون السين المهملة، و آخره راء. بصير بالباء الموحدة المفتوحة، و الصاد المهملة المكسورة، و الياء الساكنة تحتها نقطتان، و آخره راء أيضا. و أسيد بفتح الهمزة، و كسر السين. و جارية بالجيم، و آخره راء أيضا. و الحليس بضم الحاء المهملة، و فتح اللام، و بعده ياء تحتها نقطتان، و آخره سين مهملة).

و فيها كانت عدة من سرايا و غزوات:

منها سرية عكاشة بن محصن

(١). ١٠. inaroc. ٦٠، sv

(٢). naroc. dibi

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠٧

(١) فى أربعين رجلا- إلى العمق، فنذر بهم القوم فهربوا، فسعت الطلائع فوجدوا مائتى بعير فأخذوها إلى المدينة، و كانت فى ربيع الآخر. و منها سرية محمد ابن مسلمة، أرسله رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى عشرة فوارس فى ربيع الأول إلى بنى ثعلبة بن سعد، فكمن القوم له حتى نام هو و أصحابه و ظهروا عليهم، فقتل أصحابه و نجا هو وحده جريحا. و منها سرية أبى عبيدة ابن الجراح إلى ذى القصية فى ربيع الآخر فى أربعين رجلا، فهرب أهله منهم و أصابوا نعما و رجلا [واحدا] أسلم فتركه رسول الله، صلى الله عليه و سلم. و منها سرية زيد بن حارثة بالجقوم، فأصاب امرأة من مزينه اسمها حليلة، فدلتهم على محللة من محال بنى سليم، فأصابوا نعما و شاء و أسرى فيهم زوجها، فأطلقها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و زوجها معها.

و منها سرية زيد أيضا إلى العيص فى جمادى الأولى، و فيها أخذت الأموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع، و استجار بزینب بنت النبى، صلى الله عليه و سلم، فأجارته. و قد تقدم ذكره فى غزوة بدر. و منها سرية زيد أيضا إلى الطرف فى جمادى الآخرة إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا، فهربوا منه، و أصاب من نعمهم عشرين بعيرا. و منها سرية زيد بن حارثة إلى حسمى فى جمادى الآخرة. و سببها أن رفاعه بن زيد الجذامى ثم الضبى قدم على النبى، صلى الله عليه و سلم، فى هدنة الحديبية و أهدى لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، غلاما و أسلم فحسن إسلامه، و كتب له رسول الله، صلى الله عليه و سلم، كتابا إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا، ثم ساروا إلى حرة الرجلاء.

ثم إن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من الشام من عند قيصر، حتى إذا كان بأرض جذام أغار عليه الهنيد بن عوص و ابنه عوص من الهنيد الضليعيان، و هو بطن من جذام، فأخذ كل شىء معه، فبلغ ذلك نفرا من بنى الضبيب

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠٨

(١) قوم رفاعه مَمَّن كان أسلم، فنفروا إلى الهنيد و ابنه، فلقوهما و اقتتلوا، فظفر بنو الضَّيِّب و استنقذوا كلَّ شيء أخذ من دحية و ردَّوه عليه، فخرج دحية حتى قدم على النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فأخبره خبره و طلب منه دم الهنيد و ابنه عوص، فأرسل رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، إليهم زيد بن حارثة فى جيش، فأغاروا بالفضاض و جمعوا ما وجدوا من مال و قتلوا الهنيد و ابنه.

فلَمَّا سمع بذلك بنو الضَّيِّب رهط رفاعه بن زيد سار بعضهم إلى زيد بن حارثة فقالوا: إنا قوم مسلمون. فقال زيد: فاقروا أمَّ الكتاب، فقرأها حسان [بن مله]. فقال زيد: نادوا فى الجيش: إنَّ الله حَرَّمَ علينا ما أخذ «١» من طريق القوم التى جاءوا منها، و أراد أن يسلم إليهم سباياهم، فأخبره بعض أصحابه عنهم بما أوجب أن يحتاط [١]، فتوقف فى تسليم السبايا و قال: هم فى حكم الله، و نهى الجيش أن يهبطوا واديهم.

و عاد أولئك الركب الجذاميون إلى رفاعه بن زيد و هو بكرع ربَّة لم يشعر بشيء من أمرهم، فقال له بعضهم: إنَّك لجالس تحلب المعزى و نساء جذام أسارى قد غرهنَّ كتابك الذى جئت به.

فسار رفاعه و القوم معه إلى المدينة و عرض كتاب رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقالوا: لنا من كان حيا و من قتل فهو تحت أقدامنا، يعنون تركوا الطلب به.

فأجابهم إلى ذلك و أرسل معهم علي بن أبى طالب إلى زيد بن حارثة فردَّ على القوم ما لهم حتى كانوا ينتزعون لبد المرأة تحت الرحل، و أطلق الأسارى.

ربَّة بالراء و الباء الموحدة. و الضَّيِّب بضم الضاد المعجمة، تصغير ضبّ - و قيل: هو بفتح الضاد، و كسر الباء، و آخره نون «٢» - نسبة إلى ضبيبة.

[١] يختلط.

(١). أخف. P.C.

ciS!(٢)

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٠٩

(١) و منها سرية زيد أيضا إلى وادى القرى فى رجب. و منها سرية عبد الرحمن ابن عوف إلى دومة الجندل فى شعبان، فأسلموا، فتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبح رئيسهم، و هى أم أبى سلمة. و منها سرية علي بن أبى طالب إلى فدك فى شعبان فى مائة رجل، و ذلك أن رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، بلغه أن حيا من بنى سعد قد تجمَّعوا له يريدون أن يمدوا أهل خيبر، فسار إليهم علي فأصاب عينا لهم، فأخبره أنه سار إلى أهل خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر. و منها سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة فى رمضان، و كانت عجوزا كبيرة، فلقى زيد بن فزارة بوادى القرى فأصيب أصحابه و ارتت زيد من بين القتلى فنذر أن لا يمسن ماء من جنبه حتى يغزو فزارة، فبعته رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، إليهم، فلقبهم بوادى القرى فأصاب منهم و قتل و أسر أم قرفة، و هى فاطمة بنت ربيعة بن بدر، عجوز كبيرة، و بنتا لها، فربط أم قرفة بين بعيرين فشقَّها نصفين، و قدم على النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، و كانت لسلمة بن الأكوع، فأخذها رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، منه هبة و أرسلها إلى حرب «١» بن أبى وهب فولدت له عبد الله ابن حرب «٢».

و أمَّا

سلمة بن الأكوع فإنه جعل أمير هذه السرية أبا بكر، فروى عنه أنه قال: أمر رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، علينا أبا بكر، فغزونا ناسا من بنى فزارة، فسننا عليهم الغارة صلاة الصبح، فأخذت منهم جماعة و سقتهم إلى أبى بكر و فيها امرأة من بنى فزارة معها بنت لها من

أحسن العرب، فنفلنى أبو بكر بنتها، فقدمت المدينة فلقيت النبى، صلى الله عليه و سلم، بالسوق فقال لى: يا أبا سلمة لله أبوك هب لى المرأة. فقلت: و الله لقد أعجبتنى و ما كشفت لها ثوبا. فسكت ثم عاد من الغد فوهبتها له، فبعث بها إلى مكة ففادى

(١-٢). حرز.B الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١٠

(١) بها أسارى من المسلمين.

و منها سرية كرز بن جابر الفهرى إلى العربيين [١] الذين قتلوا راعى النبى، صلى الله عليه و سلم، و استاقوا الإبل فى شوال. [و بعثه رسول الله، صلى الله عليه و سلم] فى عشرين فارسا.

و فيها تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أفلح أخت عاصم، فولدت له عاصما، فطلقها و تزوجها بعده يزيد بن جارية فولدت له عبد الرحمن ابن يزيد، فهو أخو عاصم لأمه.

(جارية بالجيم و بعد الراء ياء تحتها نقطتان).

و فيها أجدب الناس جدبا شديدا فاستسقى رسول الله بالناس فى رمضان.

ذكر مكاتبة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، الملوك

و فيها بعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، الرسل إلى كسرى و قيصر و النجاشى و غيرهم، و أرسل حاطب بن أبى بلتعنة إلى المقوقس بمصر، و أرسل شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى، و أرسل دحية إلى قيصر، و أرسل سليط بن عمرو العامرى إلى هودنة بن على الحنفى، و بعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى، و أرسل عمرو بن أمية الضميرى إلى النجاشى، و أرسل العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى أخى عبد القيس، و قيل: إن إرساله كان سنة ثمان، و الله أعلم. فأما المقوقس فإنه قبل كتاب النبى، صلى الله عليه و سلم، و أهدى إليه

[١] العربيين.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١١

(١) أربع جوار، منهم مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

و أميا قيصر، و هو هرقل، فإنه قبل كتاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و جعله بين فخذه و خاصرته، و كتب إلى رجل برومية كان يقرأ الكتب يخبره شأنه، فكتب إليه صاحب رومية: إنه النبى الذى كتبنا لا شك فيه فاتبعه و صدقه. فجمع هرقل بطارقه الروم فى الدسكرة و غلقت أبوابها ثم أطلع عليهم من عليته و خافهم على نفسه و قال لهم: قد أتانى كتاب هذا الرجل يدعونى إلى دينه، و إنه و الله النبى الذى نجدته فى كتابنا، فهلتم فلنتبعه و نصدقه فتسلم لنا دنيانا و آخرتنا. فنخروا نخرة رجل واحد ثم ابتدروا الأبواب ليخرجوا، فقال: ردوهم على، و خافهم على نفسه و قال لهم: إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم فى دينكم، و قد رأيت منكم ما سرنى، فسجدوا له، و انطلق و قال لدحية: إنى لأعلم أن صاحبك نبى مرسل و لكنى أخاف الروم على نفسى، و لولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف الأعظم فى الروم و اذكر له أمر صاحبك و انظر ما يقول لك.

فجاء دحية و أخبره بما جاء به من رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقال له ضغاطر: و الله إن صاحبك نبى مرسل نعرفه بصفته و نجدته فى كتابنا.

ثم أخذ عصاه و خرج على الروم و هم فى الكنيسة فقال: يا معشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعوننا إلى الله، و إنى أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله. قال: فوثبوا عليه فقتلوه.

فرجع دحية إلى هرقل وأخبره الخبر. قال: قد قلت إنا نخافهم على أنفسنا.

وقال قيصر للروم: هلموا نعطيها الجزية، فأبوا، فقال: نعطيها أرض سورية، وهى الشام، ونصالحه، فأبوا، واستدعى هرقل أبا سفيان، وكان بالشام تاجرا، إلى الشام فى الهدنة، فحضر عنده ومعهم جماعة من قريش أجلسهم هرقل خلفه وقال: إني سأله فإن كذب فكذبوه. فقال أبو سفيان: لو لا أن يؤثر عني

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١٢

(١) الكذب لكذبت، فسأله عن النبى، قال: فصغرت له شأنه، فلم يلتفت إلى قولى وقال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو أوسطنا نسبا. قال: هل كان من أهل بيته من يقول مثل قوله؟ قلت: لا. قال: فهل له فيكم ملك سلبتموه إياه؟ قلت: لا. قال: فمن اتبعه منكم؟ قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث.

قال: فهل يحبه من يتبعه ويلزمه أو يقلبه ويفارقه؟ قلت: ما تبعه رجل ففارقه.

قال: فكيف الحرب بينكم وبينه؟ قلت: [سجال] يدال علينا وندال عليه.

قال: هل يغدر؟ قال: فلم أجد شيئا أغمز [١] به غيرها، قلت: لا، ونحن منه فى هدنة، ولا نأمن غدرة. قال: فما التفت إليها.

قال أبو سفيان: فقال لى هرقل: سألتك عن نسبه فرعمت أنه من أوسط الناس وكذلك الأنبياء، وسألتك هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فهو متشبه به فرعمت أن لا، وسألتك هل سلبتموه ملكه فجاء بهذا لتردوا عليه ملكه، فرعمت أن لا، وسألتك عن أتباعه فرعمت أنهم الضعفاء والمساكين، وكذلك أتباع الرسل، وسألتك عن من يتبعه أم يحبه أم يفارقه فرعمت أنهم يحبونه ولا يفارقونه، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبا فتخرج منه، وسألتك هل يغدر فرعمت أن لا، ولئن صدقتنى ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين، ولوددت أنى عنده فأغسل قدميه. انطلق لشأنك.

قال: فخرجت وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول: أى عباد الله لقد أمر أمر ابن أبى كبشة، أصبح ملوك الروم يهابونه فى سلطانهم.

قال: وقدم عليه دحية بكتاب النبى، صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من أتبع الهدى، أسلم تسلم، وأسلم يؤتتك الله أجرك مرتين، وإن توليت

[١] أغز.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١٣

(١) فإن إثم الأكارين عليك.

وأما الحارث بن أبى شمر الغسانى فأتاه كتاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مع شجاع بن وهب، فلما قرأه قال: أنا سائر إليه، فلما بلغ قوله رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: باد ملكه.

وأما النجاشى فإنه لما جاءه كتاب النبى، صلى الله عليه وسلم، آمن به واتبعه وأسلم على يد جعفر بن أبى طالب وأرسل إليه ابنه فى ستين من الحبشة فغرقوا فى البحر، وأرسل إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان، وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، فتتخير وتوفى بالحبشة، فخطبها النجاشى إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأجابت، وزوجها، وأصدقها النجاشى أربعمائه دينار، فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أم حبيبة قال: ذاك الفحل لا يقدر أنفه.

و

أما كسرى فجاءه كتاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مع عبد الله بن حذافة فمزق الكتاب، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:

مَزَقَ ملكه. و كان كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من أتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و شهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله، و إنى أدعوك بدعاء الله، و إنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا و يحقّ القول على الكافرين [١]، فأسلم تسلم، و إن توليت فإن إثم المجوس عليك.

فلما قرأه شقّه، قال: يكتب إلى بهذا و هو عبدى! ثم كتب إلى باذان، و هو باليمن: أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدتين

[١] (سورة يس ٣٦، الآية ٧٠).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١٤

(١) فليأتينى به.

فبعث باذان نابوه «١»، و كان كاتباً حاسباً، و رجلاً آخر من الفرس يقال له خرّخره، و كتب معهما يأمره بالمسير معهما إلى كسرى، و تقدّم إلى نابوه «٢» أن يأتيه بخبر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و سمعت قريش بذلك ففرحوا و قالوا: أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل. فخرجا حتى قدما على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قد حلقا لحاهما [و أعفيا] شواربهما، فكره [١] النظر إليهما و قال: و بلكما من أمركما بهذا؟ قالوا: ربنا، يعنينا [٢] الملك. فقال: لكنّ ربى أمرنى أن أعفى لحيتى و أقصّ شاربى، فأعلماه بما قدما له و قالوا: إن فعلت كتب باذان فيك إلى كسرى، و إن أبيت فهو يهلكك و يهلك قومك. فقال لهما رسول الله، صلى الله عليه و سلم: ارجعا حتى تأتيا غدا. و أتى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، الخبر من السماء: إن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله، فدعاهما رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أخبرهما بقتل كسرى و قال لهما: إن دنى و سلطانى سيبلغ ملك كسرى و ينتهى منتهى الخفّ و الحافر، و أمرهما أن يقولوا [٣] لباذان: أسلم، فإن أسلم أقره على ما تحت يده و أملكه على قومه.

ثم أعطى خرّخره منطقة ذهب و فضة أهداها له بعض الملوك.

و خرجا قدما على باذان و أخبراه الخبر، فقال: و الله ما هذا كلام ملك و إنى لأراه نبيا، و لننظرنّ فإن كان ما قال حقا فإنه لنبى مرسل، و إن لم يكن فرى فيه رأينا. فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبره

[١] فكّر.

[٢] يعنون.

[٣] يقول.

(١-٢). تابوة. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١٥

(١) بقتل كسرى و أنه قتله غضبا للفرس لما استحلّ من قتل أشرافهم، و يأمره بأخذ الطاعة له باليمن و بالكفّ عن النبى، صلى الله عليه و سلم، فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم و أسلم معه أبناء من فارس. و كانت حمير تسمى خرّخره صاحب المعجزة، و المعجزة بلغه حمير المنطقة.

و أمّا

هوذة بن على فكان ملك اليمامة، فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه إلى الإسلام، و كان نصرانيا، أرسل إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، وفدا فيهم مجاعة بن مرارة و الرّجال بن عنفوة يقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم و سار إليه و نصره، و إلا قصد حربته. فقال

رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم: لا و لا كرامة، اللهم اكفنيه
! فمات بعد قليل.

و أميا مجاعة و الرجال فأسلما، و أقام الرجال عند رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، حتى قرأ سورة البقرة و غيرها و تفقه و عاد إلى
اليمامة فارتد و شهد أن رسول الله أشرك مسيلمة معه، فكانت فتنته أشد من فتنه مسيلمة.
(مجاعة بضم الميم و تشديد الجيم. و الرجال بالجمع المشددة، و قيل بالحاء المهملة المشددة. و عنفوة بضم العين، و سكون النون، و
ضم الفاء، و فتح الواو).

و أما المنذر بن ساوى، والى البحرين، فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعو و من معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية، و كانت ولاية
البحرين للفرس، فأسلم المنذر بن ساوى و أسلم جميع العرب بالبحرين.
فأثريا أهل البلاد من اليهود و النصارى و المجوس فإنهم صالحوا العلاء و المنذر على الجزية من كل حالم دينار، و لم يكن بالبحرين
قتال إنما بعضهم أسلم و بعضهم صالح.
و ولى الحج فى هذه السنة المشركون.
و فى هذه السنة ماتت أم رومان، و هى أم عائشة زوجة النبي، صَلَّى الله عليه و سلم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١٦

(١)

٧ و دخلت سنة سبع

ذكر غزوة خيبر

لما عاد رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، من الحديبية أقام بالمدينة ذا الحجة و بعض المحرم و سار إلى خيبر فى ألف و أربعمائة
رجل معهم مائتا فارس، و كان مسيره إلى خيبر فى المحرم سنة سبع، و
استخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى، فمضى حتى نزل بجيشه بالرجيع ليحول بين أهل خيبر و غطفان لأنهم كانوا مظاهرين
لهم على رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، و قصدت غطفان خيبر ليظاهروا يهود [عليه]، ثم خافوا المسلمين أن يخلّفوهم فى أهليهم و
أموالهم، [فرجعوا] و نزلوا بين رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، و يهود، فسار رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، و قال فى مسيره لعامر
بن الأكوع، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: أحد [١] لنا، فنزل و حداهم يقول:
و الله لو لا الله ما اهتدينا و لا تصدقنا و لا صلينا
فأنزلن سكينه علينا و ثبت الأقدام إن لاقينا فقال له رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم: رحمك الله! فقال له عمر:
هلا أمتعتنا به يا رسول الله! و كان إذا قالها لرجل قتل، فلما نزلوا خيبر

[١] خذ.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١٧

(١) بارز عامر [١] فعاد عليه سيفه فجرحه جرحا شديدا، فمات منه، فقال الناس: إنه قتل نفسه. فقال سلمة ابن أخيه للنبي، صَلَّى الله عليه
و سلم، [ما قالوا] فقال: كذبوا بل له أجره مرتين. فلما أشرف عليها قال لأصحابه: قفوا. ثم قال: اللهم رب السموات و ما أظللن، و رب
الأرضين و ما أظللن، و رب الشياطين و ما أظللن، و رب الرياح و ما أذرين، نسألك خير هذه القرية و خير أهلها و نعوذ بك من شرها

و شرّ أهلها و شرّ ما فيها، أقدموا بسم الله.

و كان يقول ذلك لكلّ قرية يقدمها.

و

نزل على خيبر ليلا- و لم يعلم أهلها فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمساحيهم، فلمّا رأوه عادوا و قالوا: محمّد و الخميس، يعنون الجيش، فقال النبي، صلّى الله عليه و سلّم: الله أكبر، إنّنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنذرين [٢].

ثمّ حصرهم و ضيق عليهم و بدأ بالأموال يأخذها مالا مالا و يفتحها حصنا حصنا، فكان أول حصن افتتحه حصن ناعم، و عنده قتل محمود بن سلمة، ألقى عليه [منه] رحي فقتلته، ثمّ القموص حصن بنى أبى الحقيق، و أصاب منهم رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، سبايا، منهم صفية بنت حيي بن أخطب، و كانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، فاصطفاها رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، لنفسه، و فشت السبايا فى المسلمين، و أكلوا لحوم الحمر الإنسيّة، فنهاهم رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، عنها.

و كان الزبير بن باطا القرظي قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهليّة يوم بعث، فأطلقه، فلمّا كان الآن أتاه ثابت فقال له: أ تعرفنى؟

قال: و هل يجهل مثلى مثلك! قال: أريد أن أجزيك بيدك عندي. قال:

[١] عمرو.

[٢] (سورة الصافات ٣٧، الآية ١٧٧).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١٨

(١) إنّ الكريم يجزى الكريم. فأتى ثابت رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فقال: كان للزبير عندي يد أريد أن أجزيه بها فهبه لى. فوهبه له. فأتاه فقال له: إنّ النبي، صلّى الله عليه و سلّم، قد وهب لى دمك فهو لك. قال:

شيخ كبير لا- أهل له و لا ولد، فاستوهب ثابت أهله و ولده من رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فوهبهم له. فقال الزبير: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فاستوهب ثابت ماله من رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فوهبه له، فمنّ عليه بالجميع.

فقال الزبير: أى ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صقيلة يترأى فيها عذارى الحى كعب بن أسد؟ قال: قتل. قال: فما فعل سيد الحاضر و البادى حىي بن أخطب؟ قال: قتل. قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا و حاميتنا إذا كررنا عزّال بن سموال «١»؟ قال: قتل. قال:

فما فعل المجلسان؟ يعنى بنى كعب بن قريظة و بنى عمرو بن قريظة. قال: ذهبوا.

قال: فإننى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلّا ما ألحقتنى بهم، فو الله ما فى العيش بعدهم خير. فقتله.

ثمّ افتتح رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، حصن الصعب، و هو أكثرها طعاما و ودكا، ثمّ قصد حصنهم الوطيح و السّلام، و كانا آخر ما افتتح.

فخرج منه مرحب اليهوديّ و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السّلاح بطل مجزّب

أطعن أحيانا و حيناً أضرب إذا اللبوث أقبلت تلّهّب [١]

كان حماى كالحمى لا يقرب

[١] تلتهب.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢١٩

(١) و سأل المبارزة، فخرج إليه محمد بن مسلمة و قال: أنا و الله الموتور الثائر، قتلوا أخى بالأمس. فأقره رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بمبارزته و قال: اللهم أعنه عليه، فخرج إليه فتقاتلا طويلا، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه، فاتقاه بالدرفة، فوقع سيفه فيها، فعصت به فأمسكته [١]، و ضربه محمد بن مسلمة حتى قتله. ثم خرج بعده أخوه ياسر و هو يقول: قد علمت خير أئى ياسر شاكى السلاح بطل مغاور و طلب المبارزة، فخرج إليه الزبير بن العوام، فقتله الزبير. و قيل: إن الذى قتل مرحبا و أخذ الحصن على بن أبى طالب، و هو الأشهر و الأصح.

قال بريدة الأسلمى: كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ربما أخذته الشقيقة [٢] فيلبث اليوم و اليومين لا يخرج، فلما نزل خير أخذته فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر الراية من رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا، ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول، ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقال: أما و الله لأعطينها غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحب الله و رسوله، يأخذها عنوة. و ليس ثم على، كان قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه، فلما قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مقالته هذه تناولت لها قريش، فأصبح فجاء على بن بعير له حتى أناخ قريبا من خباء رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و هو أرمد قد عصب عينيه، فقال رسول الله، صلى الله عليه

[١] فغضب و أمسكه عليه.

[٢] (الشقيقة: صداع يعرض فى مقدم الرأس أو إلى أحد جانبيه).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢٠

(١) و سلم: ما لك؟ قال: رمدت بعدك. فقال له: ادن منى. فدنا منه، فتفل فى عينيه، فما شكا وجعا حتى مضى لسبيله. ثم أعطاه الراية، فنهض بها و عليه حلّة حمراء، فأتى خير، فأشرف عليه رجل من يهود فقال: من أنت؟ قال: أنا على بن أبى طالب. فقال اليهودى: غلبتم يا معشر يهود.

و خرج مرحب صاحب الحصن و عليه مغفر يمانى قد نقبه مثل البيضة على رأسه و هو يقول:

قد علمت خير أئى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب فقال على:

أنا الذى سمّنى أمى حيدرأ أكيلكم بالسيف كيل السندره

ليث بغابات شديد قسوره فاختلفا ضربتين، فبدره على فضربه فقد الحجة [١] و المغفر و رأسه حتى وقع فى الأرض، و أخذ المدينة. قال أبو رافع مولى رسول الله، صلى الله عليه و سلم: خرجنا مع على حين بعثه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، [برايته] إلى خير، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم فضربه يهودى فطرح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه [٢]، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقله. و كان فتحها فى صفر. الكامل فى التاريخ ج ٢ ٢٢٠ ذكر غزوة خير ص: ٢١٦

فلما فتحت خير جاء بلال بصفية و أخرى معها على قتلى يهود، فلما

[١] الحجر. (الحجة: الترس من جلد بلا خشب).

[٢] الله على يديه.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢١

(١) رأتهم التى مع صفية صرخت و صكت وجهها و حثت التراب على رأسها، فاصطفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، صفية و

أبعد الأخرى وقال:

إنها شيطانة، لأجل فعلها. وقال لبلال: أنزعت منك الرحمة؟ جئت بهما على قتلاهما!

و كانت صفتيه قد رأت فى منامها و هى عروس لكنانة بن أبى الحقيق أن قمرا وقع فى حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تتمنين محمدا. و لطم وجهها لطمه اخضرت عينها منها، فأتى بها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و بها أثر منها، و سألهما، فأخبرته، و دفع كنانة ابن أبى الحقيق إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود.

و حاصر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، حصنى أهل خيبر الوطيح و السلالم، فلما أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم و يحقن دماءهم، فأجابهم إلى ذلك، و كان قد حاز الأموال كلها، الشق و نطاء و الكتيبة و جميع حصونهم.

فلما سمع بذلك أهل فدك بعثوا إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يسألونه أن يسيرهم و يخلوا له الأموال. ففعل ذلك، و لما نزل أهل خيبر [على ذلك] سألو رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يعاملهم فى الأموال على النصف و أن يخرجهم إذا شاء، فساقاهم على الأموال على الشرط الذى طلبوا، و فعل مثل ذلك أهل فدك، و كانت خيبر فينا للمسلمين، و كانت فدك خالصة لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل و لا ركاب.

و

لما استقر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية مسمومة فوضعتها بين يديه، فأخذ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، منها مضغ فلم يسغها و معه بشر بن البراء ابن معرور، فأكل بشر منها، و قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم:

إن هذه الشاة تخبرنى أنها مسمومة، ثم دعا المرأة فاعترفت، فقال: ما

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢٢

(١) حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت: إن كان نبيا فسيخبر، و إن كان ملكا استرحنا منه. فتجاوز عنها.

و مات بشر من تلك الأكلة.

و

قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى مرضه الذى مات فيه:

هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى من أكله خيبر.

فكان المسلمون يرون أنه مات شهيدا مع كرامه النبوة.

[ذكر غزوة وادى القرى]

و

لما فرغ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من خيبر انصرف إلى وادى القرى فحاصر أهله ليالى فافتتحة عنوة، و فى حصاره قتل مدغم مولى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، الذى أهداه له رفاعه بن زيد الجذامى، فقال المسلمون: هنيئا له الجنة. و قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، كلاً، و الذى نفس محمد بيده إن شملته الآن لتشتعل عليه نارا، و كان غلها من فىء المسلمين يوم خيبر. فسمعه رجل فقال: [يا رسول الله] أصبت شراكين لنعلين [لى] كنت [١] أخذتهما. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم:

يقد لك مثلها من النار.

و ترك رسول الله، صلى الله عليه و سلم، النخل و الأرض فى أيدي أهل الوادى و عاملهم نحو ما عامل أهل خيبر، فبقوا كذلك إلى

أن ولى عمر الخلافة فأجلاهم، وقيل: إنه لم يجلبهم لأنها خارجة عن الحجاز.

[١] كانا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢٣

(١) وفى هذه السفرة، أعنى خير، نام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، والقصة مشهورة. وشهد معه نساء من نساء المسلمين فرضخ [١] لهن [من الفىء].

[قصة الحجاج بن علاط السلمى]

و

فى هذه السفرة قال الحجاج بن علاط السلمى لرسول الله، صلى الله عليه وسلم: لى بمكة مال عند صاحبتى أم شيبه ابنة أبى طلحة، و هى أم ابنه معرض بن الحجاج، و مال متفرق بمكة، فأذن لى يا رسول الله. فأذن له. فقال: إنه لا بد من أن أقول. قال: قل.

فقدم الحجاج مكة، فسأله أهل مكة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و ما صنع بخير، و لم يكونوا علموا بإسلامه، فقال لهم: إن يهود هزمته و أصحابه و قتل أصحابه قتلا ذريعا و أسر محمدا، و قالت يهود: لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه. فصاحوا بمكة بذلك، فقال: أعيونى فى جمع مالى حتى أقدم خير فأصيب من فل محمدا و أصحابه قبل [أن يسبقنى] التجار. فجمعوه كله كأحث شىء. فأتاه العباس و سأله عن الخير، فأخبره، بعد أن جمع ماله، بفتح خير و أن النبى، صلى الله عليه وسلم، أخذ صفية بنت حبي لنفسه، و أنه قدم لجمع ماله، و سأله أن يكتم عنه ثلاثا خوف الطلب. فكتم العباس الخبر ثلاثا بعد مسيره، ثم لبس حلة له و خرج فطاف بالكعبة، فلما رآته قريش قالوا: يا أبا الفضل هذا و الله التجلمد. قال: كلا و الله! لقد افتتح محمدا خير و أخذ ابنه ملكهم و أموالهم. و أخبرهم بخبر الحجاج. فقالوا: لو علمنا لكان له و لنا شأن.

[١] (رضخ: أعطى).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢٤

(١)

[ذكر مقاسم خير]

و قسم من أموال خير الشق و التطاء بين المسلمين، و كانت الكتيبة خمس الله و الرسول و سهم ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل، فطعم أزواج النبى، صلى الله عليه وسلم، و طعم رجال مشوا بين رسول الله و أهل فدك [بالصالح]، و قسمت خير على أهل الحديبية، فأعطى الفرس سهمين و الرجل سهما. و أقر النبى، صلى الله عليه وسلم، أهل خير بخير، و أبو بكر بعده، و عمر صدرا من إمارته حتى بلغه أن النبى، صلى الله عليه وسلم، قال فى مرضه الذى مات فيه: لا يجتمع بجزيرة العرب دينان، فأجلى عمر من يهود من لم يكن معه عهد من رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

(سلام بن مشكم بتشديد اللام، و مشكم بكسر الميم، و سكون الشين المعجمة. و الحقيق بضم الحاء المهملة، و بقافين. و أخطب بالخاء المعجمة، و آخره باء موحد. و معرور بالعين المهملة، و بعده راءان مهملتان. و علاط بكسر العين المهملة، و طاء مهملة).

ذكر فدي

لما انصرف رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، من خيبر بعث محيصة ابن مسعود إلى أهل فديك يدعوهم إلى الإسلام و رئيسهم يومئذ يوشع بن نون اليهودي، فصالحوا رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، على نصف الأرض، فقبل منهم ذلك، و كان نصف فديك خالصا لرسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم،

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢٥

(١) لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل، و لم يزل أهلها بها حتى استخلف عمر بن الخطاب، و أجلى يهود الحجاز، فبعث أبا الهيثم بن التيهان و سهل بن أبي خيثمة و زيد بن ثابت، فقوموا نصف تربتها بقيمة عدل، فدفعها إلى يهود و أجلاهم إلى الشام، و لم يزل رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، و أبو بكر و عمر و عثمان و علي يصنعون صنيع رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، بعد وفاته.

فلما ولي معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم، فوهبها مروان ابنه عبد الملك و عبد العزيز، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز و للوليد و سليمان ابن عبد الملك بن مروان، فلما ولي الوليد الخلافة و هب نصيبه عمر بن عبد العزيز، ثم ولي سليمان الخلافة فوهب نصيبه منها أيضا عمر بن عبد العزيز، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس و أعلمهم أمر فديك و أنه قد ردها إلى ما كانت عليه مع رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، و أبي بكر و عمر و عثمان و علي، فولياها أولاد فاطمة بنت رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، ثم أخذت منهم.

فلما كانت سنة عشر و مائتين ردها المأمون إليهم.

(محيصة بضم الميم، و فتح الحاء المهملة، و تشديد الياء المثناة من تحت و كسرهما، و آخره صاد مهملة. و التيهان بفتح التاء فوقها نقطتان، و تشديد الياء تحتها نقطتان و كسرهما).

و في هذه السنة رد رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع، زوجها، في المحرم. و فيها قدم حاطب من عند المقوقس بمارية أم إبراهيم ابن رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، و أختها شيرين، و بغلته دلدل، و حمارة يعفور، و كسوة، فأسلمت مارية و أختها قبل قدومهما

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢٦

(١) على رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، فأخذ مارية لنفسه و وهب شيرين حسان بن ثابت الأنصاري، فهي أم ابنه عبد الرحمن، فهو و إبراهيم ابنا خاله. و فيها اتخذ منبره، و قيل: إنه عمل سنة ثمان، و هو الثبت. و فيها بعث رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلا إلى عجز هوازن، فهربوا منه و لم يلق كيدا.

و فيها كانت سرية بشير بن سعد والد النعمان بن بشير الأنصاري إلى بني مرة بفديك في شعبان في ثلاثين رجلا أصيب أصحابه و ارتت في القتلى، ثم رجع إلى المدينة. و

فيها كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى أرض بني مرة، فأصاب مرداس بن نهيك حليفا لهم من جهينة قتله أسامة [بن زيد] و رجل من الأنصار. قال أسامة: لما غشيناها قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه، فلما قدمنا على النبي، صَلَّى الله عليه و سلم، أخبرناه الخبر فقال: كيف تصنع بلا إله إلا الله

! و فيها كانت سرية غالب بن عبد الله أيضا في مائة و ثلاثين راكبا إلى بني عبد بن ثعلبة، فأغار عليهم و استاق النعم إلى المدينة. و فيها كانت سرية بشير بن سعد إلى اليمن و الجنب في سؤال.

و كان سببها أن جليل بن نويرة «١» الأشجعي كان دليل رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، إلى خيبر، قدم على النبي، صَلَّى الله عليه و سلم،

سَلَّمَ، فأخبره أن جمعا من غطفان بالجناب قد أمدهم عيينة بن حصن و أمرهم بالمسير إلى المدينة، فبعث النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بشيرا فأصابوا نعمًا و قتلوا مولى لعيينة، ثم لقوا جمع عيينة، فهزمهم المسلمون، و انهزم عيينة، فلقى الحارث بن عوف منهزما، فقال له: قد آن لك أن تقصر* عما مضى «٢».

(حاطب بالحاء المهملة، و آخره باء موحدة، و بشير بفتح الباء الموحدة،

(١). بريرة. B.

(٢). عمارى. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢٧

(١) و كسر الشين المعجمة، و آخره راء، والد النعمان بن بشير. و عيينة بضم العين، و فتح الياء المثناة تحتها نقطتان، و سكون الياء الثانية، و بعدها نون، تصغير عين).

ذكر عمرة القضاء

لما عاد رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من خير أقال بالمدينة جماديين و رجب و شعبان و شوالا يبعث السرايا، ثم خرج في ذى الحجة معتمرا عمرة القضاء و ساق معه سبعين بدنه و خرج معه المسلمون ممن كان معه في عمرته الأولى.

فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه و تحدت قريش [بينها] أن النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و أصحابه في عسر و جهد، فاصطفوا له عند دار الندوة، فلما دخلها اضطجع بردائه فأخرج عضده اليمنى ثم قال:

رحم الله امرأ أراهم اليوم [من نفسه] قوة! ثم استلم الركن و خرج يهرول و يهرول أصحابه [معه]،
و كان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة أخذًا بخطام ناقته و هو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب إني مؤمن بقبيله أعرف حق الله في قبوله

نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله و

تزوج النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في سفره هذا بميمونة بنت الحارث و أقام بمكة ثلاثا، فأرسل المشركون إليه مع علي بن أبي طالب ليخرج عنهم.

فقال: ما عليهم لو أعرست بين أظهرهم و صنعنا لهم طعاما فحضره معنا؟

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢٨

(١) فقالوا: لا حاجة لنا في طعامه. فخرج عنهم و بنى بميمونة بسرف،

ثم انصرف إلى المدينة فأقام بها بقبيلة ذى الحجة و المحرم و صفر و شهر ربيع، و بعث جيشه الذي أصيب بمؤته، و ولي تلك الحجة المشركون.

و فيها كانت غزوة ابن أبي العوجاء السلمى إلى بنى سليم، فلقوه فأصيب هو و أصحابه، و قيل: بل نجا و أصيب أصحابه.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٢٩

(١)

٨ و دخلت سنة ثمان

إشارة

فيها توفيت زينب بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قاله الواقدي.

[غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوّح]

و فيها كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي الكلبّي، كلب الليث، إلى بني الملوّح، فلقية الحارث بن البرصاء الليثي فأخذه أسيرا، فقال: إنّما جئت لأسلم. فقال له غالب: إن كنت صادقا فلن يضرك رباط ليلة، وإن كنت كاذبا استوثقنا منك. و وكل به بعض أصحابه و قال له: إن نازعك فخذ رأسه، و أمره بالمقام إلى أن يعود، ثم ساروا حتى أتوا بطن الكديد فنزلوا بعد العصر و أرسلوا جندب بن مكيث الجهني ربيثه لهم، قال: فقصدت لثما هناك يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه، فخرج لي منهم رجل فرآني منبطحا، فأخذ قوسه و سهمين فرماني بأحدهما، فوضعه في جنبي، قال: فنزعته و لم أتحرّك، ثم رماني بالثاني فوضعه في رأس منكبّي، قال: فنزعته و لم أتحرّك. قال: أما و الله لقد خالطه سهماي و لو كان ربيثه لتحرّك. قال:

فأمهلناهم حتى راحت مواشيهم و احتلبوا فشننا عليهم الغارة فقتلنا منهم و استبقنا منهم النعم و رجعنا سراعا. و أتى صريخ القوم فجاءنا ما لا قبل لنا به حتى إذا لم يكن بيننا إلا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء سحابة ما رأينا

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣٠

(١) قبل ذلك مطرا مثله، فجاء الوادي بما لا يقدر أحد يجوزه، فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد يتقدّم، و قدمنا المدينة. و كان شعار المسلمين: أمت أمت، و كان عدّتهم بضعة عشر رجلا.

و فيها بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، العلاء بن الحضرمي إلى البحرين و بها المنذر بن ساوي، فصالح المنذر على أن على المجوس الجزية و لا تؤكل ذبائحهم و [لا] تنكح نساؤهم. و قيل: إن إرساله كان سنة ستّ من الهجرة مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الملوّك، و قد تقدّم ذلك. و فيها كانت سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر في ربيع الأوّل في أربعة عشر رجلا فأصابوا نعما، فكان سهم كلّ رجل منهم خمسة عشر بعيرا. و فيها كانت سرية عمرو بن كعب «١» الغفاري إلى ذات الأطلاق في خمسة عشر رجلا، فوجد بها جمعا كثيرا فدعاهم إلى الإسلام فأبوا أن يجيبوا و قتلوا أصحاب عمرو و نجا حتى قدم المدينة.

و ذات الأطلاق من ناحية الشام، و كانوا [من] قضاة و رئيسهم رجل يقال له سدوس.

[ذكر إسلام خالد بن الوليد و عمرو بن العاص و عثمان بن طلحة]

في هذه السنة في صفر قدم عمرو بن العاص مسلما على النبي، صلى الله عليه وسلم، و قدم معه خالد بن الوليد و عثمان بن طلحة العبدري.

(١). كعب بن عمير mahcsiH - nbI ٩٨٣

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣١

(١) و كان سبب إسلام عمرو أنّه قال: لما انصرفنا مع [١] الأحزاب [عن الخندق] قلت لأصحابي: إنّي أرى أمر محمّد يعلو علوا منكرا، و إنّي قد رأيت أن نلحق بالنجاشي، فإن ظهر محمّد على قومنا كئنا عند النجاشي، و إن ظهر قومنا على محمّد فنحن من قد عرفوا. قالوا:

إنّ هذا الرأى. قال: فجمعنا له أدمًا كثيرًا وخرجنا إلى النجاشى، فإنّا لعنده إذ وصل عمرو بن أمية الضميرى رسولاً من النبى، صلى الله عليه وسلم، فى أمر جعفر وأصحابه. قال: فدخلت على النجاشى وطلبت منه أن يسلم إلى عمرو بن أمية الضميرى لأقتله تقريباً إلى قريش بمكة.

فلما سمع كلامى غضب و ضرب أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره، يعنى النجاشى، فخفته ثم قلت: والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه. قال:

أ تسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله؟ قال: قلت: أيها الملك أ كذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أ طعنى و اتبعه فإنه و الله لعلى الحق و ليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون [و جنوده]. قال: فقلت: فبايعنى له على الإسلام. فبسط يده فبايعته ثم خرجت إلى أصحابى و كتمتهم إسلامى و خرجت عائداً إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و لقينى خالد بن الوليد، و ذلك قبل الفتح، و هو مقبل [من مكة]، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: و الله لقد استقام المنسم [٢]، إن الرجل لنبى، أذهب و الله أسلم فحتى متى! فقلت: ما جئت إلّا للإسلام، فقدمنا على النبى، صلى الله عليه وسلم، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم، ثم دنوت فأسلمت، و تقدم عثمان بن طلحة فأسلم.

[١] من.

[٢] الميسم. (و المنسم: المذهب و الوجه).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣٢

(١)

ذكر غزوة ذات السلاسل

و فيها

أرسل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عمرو بن العاص إلى أرض بلي و عذرة يدعو الناس إلى الإسلام، و كانت أمه من بلي، فتألفهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بذلك، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل، و به سميت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلما كان به خاف فبعث إلى النبى، صلى الله عليه وسلم، يستمده، فبعث إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر و عمر، و قال لأبى عبيدة حين وجهه: لا تختلفا. [فخرج أبو عبيدة]، فلما قدم عليه قال عمرو: إنما جئت مدداً إلى. فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: لا تختلفا، فإن عصيتنى أطعتك. قال: فأنا أمير عليك. قال: فدونك. فصلّى عمرو بالناس.

و فيها أرسل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عمرو بن العاص إلى جيفر و عياذ «١» ابنى الجلندى بعمان، فأما و صدقا. و أخذ الجزية من المجوس.

ذكر غزوة الخبط و غيرها

و فيها كانت غزوة الخبط، و أميرهم أبو عبيدة بن الجراح، فى ثلاثمائة من المهاجرين و الأنصار، و كانت فى رجب، و زودهم رسول الله، صلى الله عليهم وسلم، جراباً من تمر، فكان أبو عبيدة يقبض لهم قبضة ثم تمر

(١). حيفر و عباد. ddoC

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣٣

(١) تمره، فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء، فنقد ما فى الجراب، فأكلوا الخبط و جاعوا جوعا شديدا، فنحر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزائر فأكلوها، فنهاه أبو عبيدة، فانتهى.

ثم إن البحر ألقى إليهم حوتا ميتا فأكلوا منها حتى شبعوا، و نصب أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه، فيمّر الراكب تحته. فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبي، صلى الله عليه و سلم، فقال:

كلوا رزقا أخرج الله لكم، و أكل منه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و ذكروا صنيع قيس بن سعد، فقال: إن الجود من شيمه أهل ذلك البيت.

و فيها كانت سرية وجهها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى شعبان أميرها أبو قتادة و معه عبد الله بن أبى حردرد الأسلمى، و كان سببها أن رفاعه ابن قيس، أو قيس بن رفاعه، فى بطن عظيم من جشم نزل بالغابة يجمع لحرب النبي، صلى الله عليه و سلم، فبعث النبي، صلى الله عليه و سلم، أبا قتادة و من معه ليأتوا منه بخبر، فوصلوا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس، فكمن كل واحد منهم فى ناحية، و كانوا ثلاثة، و قيل: كانوا ستة عشر رجلا، قال عبد الله بن أبى حردرد: فكان لهم راع أبطأ عليهم، فخرج رفاعه بن قيس فى طلبه و معه سلاحه، فرمته بسهم فى فؤاده، فما تكلم، قال: فأخذت رأسه ثم شددت فى ناحية العسكر و كبرت و كبر صاحبى، فوالله ما كان إلّا النجاء، فأخذوا نساءهم و أبناءهم و ما خف عليهم و استقنا الإبل الكثيرة و الغنم فجئنا بها رسول الله و برأسه معى، فأعطانى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيرا، و كنت قد تزوجت و أخذت أهلى. و عدل البعير بعشر من الغنم.

و فيها أغزى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أبا قتادة أيضا إلى إضم و معه محم بن جثامه الليثى قبل الفتح، فلقيهم عامر بن الأضبط الأشجعى على بعير له و معه متاعه، فسلم عليهم بتحية الإسلام، فأمسكوا عنه، و حمل

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣٤

(١) عليه محم بن جثامه لشيء كان بينهما فقتله و أخذ بعيره، فلما قدمنا على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أخبره الخبر، فنزل: يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا «١»، الآية، و قيل: كانت هذه السرية حين خرج إلى مكة فى رمضان.

ذكر غزوة مؤتة

كان ينبغى أن نقدّم هذه الغزوة على ما تقدّم، و إنّما أخرناها لتتصل الغزوات العظيمة فيتلو بعضها بعضا.

و كانت فى جمادى الأولى من سنة ثمان، و

استعمل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عليهم زيد بن حارثة، و قال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة. فقال جعفر: ما كنت أذهب أن تستعمل [١] على زيدا. فقال: امض فإنك لا تدري أى ذلك خير.

فبكى الناس و قالوا: هلا متعتنا بهم يا رسول الله؟ فأمسك، و كان إذا قال:

فإن أصيب فلان فالأمير فلان، أصيب كل من ذكره.

فتجهز الناس، و هم ثلاثة آلاف، و ودّعهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و الناس. فلما ودّع عبد الله بن رواحة بكى عبد الله، فقال له الناس: ما يبكيك؟ فقال: ما بى حب الدنيا و لا صبابه بكم، و لكن سمعت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يقرأ آية، و هى: و إن

منكم

[١] استعمل.

(١). ٩٤. C. inarو sv،

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣٥

(١) إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا «١»، فلست أدري كيف لى بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله و ردكم إلينا سالمين.
فقال عبد الله:

لكننى أسأل الرحمن مغفرة و ضربه ذات فرغ تقذف الرّيدا

أو طعنه بيدي حرّان مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء و الكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثى أُرشدك «٢» الله من غاز و قد رشدا فلما ودّعهم رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و عاد قال عبد الله: خلف السلام على امرئ و دّعته فى النّخل خير مشيّع [١] و خليل ثم ساروا حتى نزلوا معان، فبلغهم أنّ هرقل سار إليهم فى مائة ألف من الروم و مائة ألف من المستعربة من لحم و جدام و بلقين و بلى، عليهم رجل من بلى يقال له مالك بن رافله [٢]، و نزلوا مآب من أرض البلقاء، فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون فى أمرهم، و قالوا: نكتب إلى رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، نخبره الخبر و ننتظر أمره، فشجّعهم عبد الله بن رواحه و قال:

يا قوم و الله إنّ الذى تكهون للذى خرجتم تطلبون، الشهادة، و ما نقاتل الناس بعدد و لا قوّة و لا نقاتلهم إلّا بهذا الدين، فانطلقوا فما هى إلّا إحدى الحسينين.

فقال الناس: صدق و الله، و ساروا، و سمعه زيد بن أرقم، و كان يتيما فى حجره، و قد أردفه فى مسيره ذلك على حقيبه، و هو يقول: إذا أدتني و حملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء

[١] مشيّع.

[٢] زافله.

(١). ٧٢. C. inarو sv،

(٢). أشهدك P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣٦

(١)

فشأنك فانعمى و خلاك ذمّو لا أرجع إلى أهلى ورائى

و جاء المسلمون و غادرونى بأرض الشّام مشتهى [١] الثّواء

و ردك كلّ ذى نسب قريب من الرّحمن منقطع الإخاء

هنالك لا أبالى طلع [٢] بعل و لا نخل أسافلها رواء فلما سمعها زيد بكى، فخفقه بالدّرة و قال: ما عليك يا لكع! يرزقنى الله الشهادة و ترجع بين شعبتى الرحل؟ ثم ساروا، فالتقتهم جموع الروم و العرب بقرية من البلقاء يقال لها مشارف، و انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، و كان على يمينه المسلمين قطبة بن قتادة العذرى، و على يسرهم عبايه [٣] بن مالك الأنصارى، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، حتى شاط فى رماح القوم، ثم أخذها جعفر بن أبى طالب فقاتل [بها] و هو يقول:

يا حَبْدَا الجِنَّة و اقترابها طيِّبَةً و باردا شرابها

و الزوم روم قد دنا عذابها، على، إذ لاقيتها، ضرابها فلما اشتد القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل، و كان جعفر أول من عقر فرسه فى الإسلام، فوجدوا به بضعا و ثمانين بين رمية و ضربة و طعنة، فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم، فتردد بعض التردد، ثم قال يخاطب نفسه:
أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لا لتكرهنه

[١] مشهور.

[٢] ضلع.

[٣] عبادة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣٧

(١)

إن أجلب الناس و شدوا الزنه ما لى أراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفه فى شنه و قال أيضا:
يا نفس إن لم تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليت
و ما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلى فعلهما هديت [١] ثم نزل عن فرسه، و أتاه ابن عم له بعرق [٢] من لحم فقال له: شد بهذا صلبك،
فقد لقيت ما لقيت. فأخذه فانتهش منه نهشه ثم سمع الحطمة فى ناحية العسكر فقال لنفسه: و أنت فى الدنيا! ثم ألقاه و أخذ سيفه و
تقدم فقاتل حتى قتل.

و

اشتد الأمر على المسلمين و كلب عليهم العدو، و قد كان قطبة بن قتادة قتل قبل ذلك مالك بن رافله قائد المستعربة. ثم إن الخبر جاء
من السماء فى ساعته إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فصعد المنبر و أمر فنودى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقال: باب خير! [٣]
(ثلاثا) [أخبركم] عن جيشكم هذا الغازى، إنهم لقوا العدو فقتل زيد شهيدا، فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل
شهيدا، فاستغفر له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، و صمت حتى تغيرت وجوه الأنصار و ظنوا أنه قد كان من عبد الله ما يكرهون،
ثم قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: فقاتل القوم حتى قتل شهيدا، ثم قال: لقد رفعوا إلى الجنة على سرر من ذهب، فرأيت فى
سرير ابن رواحة

[١]

و ما تمنيتيه قد أعطيتى إن تفعلى بقتلها هديتى

[٢] بعظم.

[٣] ثار خبر.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣٨

(١)

ازورارا عن سريرى صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل: مضيا، و تردد بعض التردد ثم مضى. و لما قتل ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم
الأنصارى و قال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: رضينا بك.

فقال: ما أنا بفاعل. فاصطلحوا على خالد بن الوليد، فأخذ الراية و دافع القوم و انحازوا عنه، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: ثم

أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، فعاد بالناس،
فمن يومئذ سمى خالد سيف الله.

و

قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: مرّ بى جعفر البارحة فى نفر من الملائكة له جناحان مختضب القوادم «١» بالدم.
قالت أسماء: أتانى النبى، صلى الله عليه وسلم، وقد فرغت من اشتغالى و غسلت أولاد جعفر و دهنتهم فأخذهم و شمّمهم و دمعت
عيناه، فقلت:

يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: نعم، أصيب هذا اليوم.

ثمّ عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاما، فهو أول ما عمل فى دين الإسلام. قالت أسماء بنت عميس: فقامت أصنع، و
اجتمع إلى النساء.

فلما رجع الجيش [و دنا من المدينة] لقيهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و المسلمون، فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه،
فجعل الناس يحثون التراب على الجيش و يقولون: يا فزار يا فزار! و يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ليسوا بالفزار و لكنهم
الكرار إن شاء الله تعالى.

(١). القوائم.B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٣٩

(١)

ذكر فتح مكة

و أقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة و رجباً، ثمّ إن بنى بكر بن عبد مناة عدت على خزاعة و هم
على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوثير، و كانت خزاعة فى عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و بكر فى عهد قريش فى صلح
الحديبية، و كان سبب ذلك أن رجلا من بنى الحضرمي اسمه مالك بن عباد و كان حليفا للأسود بن رزن الدثليّ ثمّ البكرى فى
الجاهلية خرج تاجرا، فلما كان بأرض خزاعة قتلوه و أخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة على بنى
الأسود بن رزن، و هم سلمى و كلثوم و ذؤيب، فقتلوهم بعرفة، و كانوا من أشراف بنى بكر، فبينما خزاعة و بكر على ذلك جاء
الإسلام و اشتغل الناس به، فلما كان صلح الحديبية و دخلت خزاعة فى عهد النبى، صلى الله عليه وسلم، و دخلت بكر فى عهد
قريش، اغتنمت بكر تلك الهدنة و أرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأرهم بقتل بنى الأسود، فخرج نوفل بن معاوية الدثليّ بمن تبعه من
بكر حتى بيّت [١] خزاعة على ماء الوثير.

وقيل: كان سبب ذلك أن رجلا من خزاعة سمع رجلا من بكر ينشد هجاء النبى، صلى الله عليه وسلم، فشجّه، فهاج الشرّ بينهم و
ثارت بكر بخزاعة حتى يبتوهم بالوثير، و أعانت قريش بنى بكر على خزاعة بسلاح و دوابّ و قاتل معهم جماعة من قريش مختلفين،
منهم صفوان بن أمية و عكرمة ابن أبى جهل و سهل بن عمرو، فانحازت خزاعة إلى الحرم و قتل منهم نفر.

فلما دخلت خزاعة الحرم قالت بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك!

[١] تبيت.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٠

(١) فقال: لا إله له اليوم، يا بنى بكر أصيبوا بأركم، فلعمري إنكم لتسرفون فى الحرم، أ فلا تصيبون بأركم فيه؟ فلما نقضت بكر و قريش العهد الذى بينهم وبين النبى، صلى الله عليه و سلم، خرج عمرو بن سالم الخزاعى ثم الكعبى حتى قدم على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، المدينة فوقف عليه ثم قال:

لا همم إتنى ناشد محمدا حلف أبينا و أبيه الأتلدا
فوالدا كتنا و كنت ولدائمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصرنا أعتداو ادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا أبيض مثل البدر ينمى صعدا [١]
إن سيم خسفا وجهه تربدافى فيلق كالبحر يجرى مزيدا
إن قريشا أخلفوك الموعداو نقضوا ميثاقك المؤكدا
و جعلوا لى فى كداء رصداو زعموا أن لست أدعو أحدا [٢]
و هم أذل و أقل عدداهم بيتونا بالوتير هجدا
فقتلونا ركعا و سجدا

فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: قد نصرت يا عمرو بن سالم! ثم عرض لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، عنان من السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب.
و كان بين عبد المطلب و خزاعة حلف قديم، فلهذا قال عمرو بن سالم:
حلف أبينا و أبيه الأتلدا.

ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على النبى،

[١] أبيض مثل اليد تيمى صعدا.

[٢]

و جعلوا فى كداء و رصداو زعموا أن كنت تدعو أحدا

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤١

(١)

صلى الله عليه و سلم، المدينة فنادوه و هو يغتسل فقال: يا لئبيكم! و خرج إليهم، فأخبروه الخبر ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، و كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قد قال: كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليجدد العهد خوفا و يزيد فى المدّة . و مضى بديل فلقى أبا سفيان بعسفان يريد النبى، صلى الله عليه و سلم، ليجدد العهد خوفا منه، فقال لبديل: من أين أقبلت؟ قال: من خزاعة فى الساحل و بطن هذا الوادى. قال: أو ما أتيت محمدا؟ قال: لا.

فقال أبو سفيان لأصحابه [لما راح بديل]: انظروا بعراقة، فإن جاء المدينة لقد علف النوى. فنظروا بعراقة فرأوا فيه النوى.

ثم خرج أبو سفيان حتى أتى النبى، صلى الله عليه و سلم، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى، فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله طوته عنه. فقال: أ رغبت به عنى أم رغبت بى عنه؟ فقالت: هو فراش رسول الله و أنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه. فقال: لقد أصابك بعدى شر. ثم خرج حتى أتى النبى، صلى الله عليه و سلم، فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئا، ثم أتى أبا بكر فكلّمه ليكلّم له رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقال:

ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم! و الله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به. ثم

خرج حتى أتى عليًا، و عنده فاطمة و الحسن غلام، فكلمه فى ذلك، فقال له: و الله لقد عزم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه.

فقال لفاطمة: يا بنت محمد هل لك أن تأمرى ابنك هذا أن يجير بين الناس فيكون سيد العرب؟ فقالت: ما بلغ ابنى أن يجير بين الناس [١]، و ما يجير على رسول الله أحد [٢]. فالتفت إلى على فقال له: أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى. قال: أنت سيد كنانة فقم فأجر بين الناس و الحق بأرضك.

فقام أبو سفيان فى المسجد، فقال: أيها الناس قد أجزت بين الناس. ثم

[١] أن يجير رسول الله.

[٢] أحدا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٢

(١) ركب بعيره و قدم مكة و أخبر قريشا ما جرى له و ما أشار به على عليه.

فقالوا له: و الله ما زاد على أن يسخر بك.

ثم

إن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، تجهز و أمر الناس بالتجهز إلى مكة و قال: اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها. فكتب حاطب بن أبى بلتعنة كتابا إلى قريش يعلمهم الخبر و سيره مع امرأة من مزينة اسمها كنود، و قيل: مع سارة مولاة لبنى المطلب.

فأرسل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عليا و الزبير، فأدركاها و أخذتا منها الكتاب و جاء به إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأحضر حاطبا و قال له: ما حملك على هذا؟ فقال: و الله إنى لمؤمن [بالله و رسوله] ما بدلت و لا غيرت و لكن لى بين أظهرهم أهل و ولد و ليس لى عشيرة فصانعتهم عليهم. فقال عمر: دعنى أضرب عنقه فإنه قد نافق. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: و ما يدريك يا عمر؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، و أنزل الله [فى حاطب]:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ «١» إلى آخر الآية.

ثم مضى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و استخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفارى، و خرج لعشر مزين من رمضان، و فتح مكة لعشر بقين منه، فصام حتى بلغ ما بين عسفان و أمج، فأفطروا، و استوعب معه المهاجرون و الأنصار، فسبعت سليم و ألفت مزينة، و فى كل القبائل عدد [و إسلام]، و أدركه عينه بن حصن الفزارى و الأقرع بن حابس، و لقيه العباس بن عبد المطلب بالسقياء، و قيل: بنى الحليفة، مهاجرا،

فأمره رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يرسل رحله إلى المدينة

(١). ١. inaroc، ٦٠، sv، الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٣

(١) و يعود معه، و قال له: أنت آخر المهاجرين، و أنا آخر الأنبياء.

و

لقيه أيضا مخرمة بن نوفل، و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و عبد الله بن أمية بنى العقاب، فالتمسا الدخول على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و كلمته أم سلمة فيهما و قالت له: ابن عمك و ابن عمتك.

قال: لا حاجة لى بهما، أما ابن عمى فهتك عرضى، و أما ابن عمتى فهو الذى قال بمكة ما قال. فلما سمعا ذلك و كان مع أبى سفيان

ابن له اسمه جعفر فقال: و الله ليأذن لي أو لأخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا و جوعا. فرق لهما رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأدخلهما إليه فأسلما.

و

قيل: إن علينا قال لأبى سفيان بن الحارث: ايت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: تالله لقد آثرك الله علينا و إن كنا لخاطئين [١] فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه فعلا و لا قولاً، ففعل ذلك. فقال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: لا- تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين [٢]، و قزبهما، فأسلما، و أنشده أبو سفيان قوله فى إسلامه و اعتذاره مما مضى:

لعمرك إنى يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى و أهتدى

و هاد هدانى غير نفسى و نالنى مع الله من طردت كل مطرد الأبيات. فضرب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، صدره و قال:

[١] (سورة يوسف ١٢، الآية ٩١).

[٢] (سورة يوسف ١٢، الآية ٩٢).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٤

(١) أنت طردتنى كل مطرد.

و قيل: إن أباً سفيان لم يرفع رأسه إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، حياء منه.

و قدم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مّر الظهران فى عشرة آلاف فارس، من بنى غفار أربعمائه، و من مزينة ألف و ثلاثه نفر، و من بنى سليم سبعمائه، و من جهينة ألف و أربعمائه، و سائرهم من قريش و الأنصار و حلفائهم و طوائف من العرب، ثم من تميم و أسد و قيس.

فلما نزل مّر الظهران قال العباس بن عبد المطلب: يا هلاك قريش! و الله لئن بغتها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى بلادها فدخل عنوة إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. فجلس على بغلة النبى، صلى الله عليه و سلم، و قال: أخرج لعلى أرى حطاباً أو رجلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فيأتونه و يستأمنونه. قال: فخرجت أطوف فى الأراك إذ سمعت صوت أبى سفيان و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء الخزاعى قد خرجوا يتجسسون. فقال أبو سفيان: ما رأيت نيراناً أكثر من هذه. فقال بديل: هذه نيران خزاعة. فقال أبو سفيان: خزاعة أذل من ذلك. فقلت: يا أباً حنظلة، يعنى أباً سفيان كان يكنى بذلك، فقال: أبو الفضل! قلت: نعم. قال: لبيك فداك أبى و أمى، ما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى المسلمين أتاكم فى عشرة آلاف.

قال: ما تأمرنى؟ قلت: تركب معى فأستأمن لك رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فو الله لئن ظفر بك ليضربن عنقك. فردفنى، فخرجت أركض به نحو رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين يقولون: عم رسول الله على بغلة رسول الله، حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب، فقال أبو سفيان: الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد و لا عهد! ثم اشتد نحو النبى، صلى الله عليه و سلم، و ركضت البغلة فسبقت عمر، و دخل

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٥

(١) عمر على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأخبره و قال: دعنى أضرب عنقه. فقلت: يا رسول الله إننى قد أجرته. ثم أخذت برأس رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قلت: لا ينجيه [اليوم] أحد دونى. فلما أكثر فيه عمر قلت: مهلاً يا عمر، [فو الله] ما تصنع هذا إلا

لأنه من بنى عبد مناف، و لو كان من بنى عدى ما قلت هذه المقالة. فقال: مهلا يا عباس، فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم.

فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: [أذهب] فقد آمنه حتى تغدو على به بالغداة. فرجعت به إلى منزلى و غدوت به على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فلم يراه قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى، بأبى أنت و أمى يا رسول الله، لو كان مع الله غيره لقد أغنى [عنى] شيئا. فقال: ويحك ألم يأن لك [أن تعلم] أتى رسول الله؟ فقال: بأبى أنت و أمى، أما هذه ففي النفس منها شيء. قال العباس:

فقلت له: ويحك تشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك! قال: فتشهد، و أسلم معه حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، للعباس: اذهب فاحبس أبا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادى حتى تمرّ عليه جنود الله. فقلت: يا رسول الله إنّه يحبّ الفخر فاجعل له شيئا يكون فى قومه. فقال: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن.

قال: فخرجت به فحبسته عند خطم الجبل، فمّرت عليه القبائل فيقول:

من هؤلاء؟ فأقول: أسلم. فيقول: ما لى و لأسلم. و يقول: من هؤلاء؟

فأقول: جهينة. فيقول: ما لى و لجهينة. حتى مرّ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى كتيبة الخضراء مع المهاجرين و الأنصار [فى الحديد] لا يرى منهم إلّا

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٦

(١) الحدق. فقال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى المهاجرين و الأنصار. فقال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما.

فقلت: ويحك إنّه النبؤة. فقال: نعم إذن. فقلت: الحق بقومك سريعا فحدّهم. فخرج حتى أتى مكّة و معه حكيم بن حزام، فصرخ فى المسجد:

يا معشر قريش هذا محمّد قد جاءكم بما لا قبل لكم به. فقالوا: فمه.

قال: من دخل دارى فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، ثمّ قال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا.

فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيتة و قالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. فقال: أرسلى لحيتى و أقسم لئن أنت لم تسلمى لتضربنّ عنقك، ادخلى بيتك! فتركته.

و

بعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى أثرهما الزبير و أمره أن يدخل ببعض الناس من كداء، و كان على المجنبة [١] اليسرى، و أمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس من كداء، فقال سعد حين وجّهه: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة. فسمعها رجل من المهاجرين فأعلم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقال لعلى بن أبى طالب: أدركه فخذ الراية منه و كن أنت الذى تدخل بها، و أمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكّة من الليط فى بعض الناس،

و كان معه أسلم و غفار و مزينة و جهينة و قبائل من العرب، و هو أوّل يوم أمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، خالد ابن الوليد.

و لما وصل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى ذى طوى وقف على راحلته و هو معتجر ببرد خزّ أحمر و قد وضع رأسه تواضعا لله تعالى حين رأى

[١] الجنبه.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٧

(١) ما أكرمه الله به [من الفتح] حتى إن أسفل لحيته ليمسّ واسطة الرحل، ثم تقدّم ودخل من أذاخر بأعلاها و ضربت قبتة هناك. وكان عكرمة بن أبى جهل و صفوان بن أمية و سهيل بن عمرو قد جمعوا ناسا بالخدمة ليقاتلوا و معهم الأحابيش و بنو بكر و بنو الحارث بن عبد مناة، فلقبهم خالد بن الوليد فقاتلهم فقتل من المسلمين جابر بن جبيل الفهريّ و حبيش [١] بن خالد، و هو الأشعر الكعبيّ، و سلمة بن الميلاء، و قتل من المشركين ثلاثة عشر رجلا ثم انهزم المشركون. و كان مع عكرمة حماس بن خالد الدثليّ، و كان قد قال لامرأته: لا تينك بخادم من أصحاب محمد، فلما عاد إليها منهزما قالت له تستهزئ به: أين الخادم؟ فقال:

فأنت لو شهدتنا بالخدمه إذ فرّ صفوان و فرّ عكرمة

و ابو يزيد كالعجوز المؤتمه لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

إذ ضربتنا بالسيوف المثلمه لهم زفير [٢] خلفنا و غمغمه أبو يزيد هذا هو سهيل بن عمرو.

و

كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قد عهد إلى أمرائه أن لا يقتلوا أحدا إلّا من قاتلهم. فلما انهزم المشركون و أراد المسلمون دخول مكة قام فى وجوههم نساء مشركات يلطنن وجوه الخيل بالخمير و قد نشرن شعورهنّ، فرآهنّ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و إلى جنبه أبو بكر، فتبسّم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قال: يا أبا بكر كيف قال حسان؟ فأنشده:

[١] و خنيش.

[٢] زبير.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٨

(١)

تظّل جياتنا متمطرات «١» تلطمهنّ بالخمير النساء [١] و كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قد أمر بقتل ثمانية رجال و أربع نسوة، فأما الرجال فمنهم عكرمة بن أبى جهل، كان يشبه أباه فى إيذاء رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و عداوته و الإنفاق على محاربتة، فلما فتح رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مكة خافه على نفسه فهرب إلى اليمن و أسلمت امرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له و خرجت فى طلبه و معها غلام لها رومىّ، فراودها عن نفسها، فأطمعته و لم تمكّنه [٢] حتى أتت حيا من العرب فاستعانتهم عليه، فأوثقوه، و أدركت عكرمة و هو يريد ركوب البحر فقالت: جئتك من عند أوصل الناس و أحلمهم و أكرمهم و قد آمنك، فرجع، و أخبرته خبر الرومىّ، فقتله قبل أن يسلم. فلما قدم على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، سّرّ به، فأسلم و سأل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يستغفر [٣] له، فاستغفر.

و منهم

صفوان بن أمية بن خلف، و كان أيضا شديدا على النبىّ، صلى الله عليه و سلم، فهرب خوفا منه إلى جدّه، فقال عمير بن وهب الجمحىّ:

يا رسول الله إن صفوان سيّد قومى و قد خرج هاربا منك فأمنه. قال: هو آمن، و أعطاه عمامته التى دخل بها مكة ليعرف بها أمانه، فخرج بها عمير

[١]

تکاد جیادنا مستمطرات یلطمهنّ بالخمیر النساء

[٢] تمنیه.

[٣] استغفر.

(١). مضمورات. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٩

(١) فأدرکه بجدّه فأعلمه بأمانه وقال: إنّه أحلم الناس و أوصلهم، و إنّه ابن عمّک و عزّه عزّک و شرفه شرفک. قال: إننى أخافه على نفسى. قال: هو أحلم من ذلك. فرجع صفوان و قال لرسول الله، صلّى الله عليه و سلّم: إنّ هذا يزعم أنّک آمنتنى. قال: صدق. قال: اجعلنى بالخيار شهرين. قال: أنت فيه أربعة أشهر،

فأقام معه كافرا و شهد معه حنينا و الطائف ثمّ أسلم و حسن إسلامه و توفّى بمكّة عند خروج الناس إلى البصرة ليوم الجمل. و منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من بنى عامر بن لؤى، و كان قد أسلم و كتب الوحى إلى رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فكان إذا أملى عليه: عزيز حكيم، يكتب: عليم حكيم، و أشباه ذلك، ثمّ ارتدّ و قال لقريش: إننى أكتب أحرف محمّد فى قرآنه حيث شئت و دينكم خير من دينه، فلمّا كان يوم الفتح فرّ إلى عثمان بن عفّان، و كان أخاه من الرضاة، فغيبه عثمان حتى اطمأنّ الناس، ثمّ أحضره عند رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و طلب له الأمان، فصمت رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، طويلا ثمّ آمنه، فأسلم و عاد، فلمّا انصرف قال رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، لأصحابه: لقد صمّت ليقته أحدكم. فقال أحدهم: هلا أو مات إلينا؟ فقال: ما كان للنبيّ أن يقتل بالإشارة، إنّ الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين. و منهم عبد الله بن خطل، و كان قد أسلم، فأرسله رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، مصدّقا و معه رجل من الأنصار و غلام له رومى قد أسلم، فكان الرومى يخدمه و يصنع الطعام، فنسى يوما أن يصنع له طعاما، فقتله و ارتدّ، و كان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فقتله سعيد بن حريث المخزومى، أخو عمرو بن حريث، و أبو برزة الأسلمى.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٥٠

(١) و منهم الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي، و كان يؤذى رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، بمكّة و ينشد الهجاء فيه، فلمّا كان يوم الفتح هرب من بيته، فلقيه علىّ بن أبى طالب فقتله. و منهم مقيس بن صبابه، و إنّما أمر بقتله لأنّه قتل الأنصارى الذى قتل أخاه هشاما خطأ و ارتدّ، فلمّا انهزم أهل مكّة يوم الفتح اختفى بمكان هو و جماعة و شربوا الخمر، فعلم به نميلة بن عبد الله الكنانى، فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله. و منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى، و كان يهجو رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، بمكّة و يعظّم القول فيه، فهرب يوم الفتح هو و هبيرة ابن أبى وهب المخزومى زوج أمّ هانئ بنت أبى طالب إلى نجران، فأمرها هبيرة فأقام بها مشركا حتى هلك، و أمّا ابن الزبعرى فرجع إلى رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و اعتذر، فقبل عذره، فقال حين أسلم:

يا رسول المليك إنّ لسانى راتق [١] ما فتقت إذ أنا بور

إذ أبارى الشيطان فى سنن الغى و من مال ميله [٢] مشبور

آمن اللحم و العظام برّبى ثمّ نفسى الشهيد أنت النذير فى أشعار له كثيرة يعتذر فيها.

منهم وحشي بن حرب قاتل حمزة، فهرب يوم الفتح إلى الطائف، ثم قدم في وفد أهله على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو يقول:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: أوحشي؟ قال: نعم. قال: أخبرني كيف قتلت عمي؟

[١] رائق.

[٢] نال مثله.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٥١

(١) فأخبره، فبكي وقال: غيب وجهك عني.

وهو أول من جلد في الخمر، وأول من لبس المعصفر المصقول في الشام.

و

هرب حويطب بن عبد العزى، فرآه أبو ذر في حائط فأخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، بمكانه، فقال: أو ليس قد آمننا الناس إلا من قد أمرنا بقتله؟ فأخبره بذلك، فجاء إلى النبي فأسلم.

قيل: إنه دخل يوماً على مروان بن الحكم وهو على المدينة فقال له مروان: يا شيخ تأخر إسلامك.

فقال: لقد هممت به غير مرة فكان يصدني عنه أبوك.

فأمراً النساء فمنهن هند بنت عتبة، و كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أمر بقتلها لما فعلت بحمزة و لما كانت تؤذى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمكة، فجاءت إليه مع النساء متخفية فأسلمت و كسرت كل صنم في بيتها و قالت: لقد كنا منكم في غرور، و أهدت إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جديين، و اعتذرت من قلبه و لادة غنمها، فدعا لها بالبركة في غنمها فكثرت، فكانت تهب و تقول: هذا من بركة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام.

و منهن سارة، و هي مولاة عمرو بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، و هي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعنة في قول بعضهم، و كانت قدمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مسلمة فوصلها فعادت إلى مكة مرتدة، فأمر بقتلها، فقتلها علي بن أبي طالب.

و منهن قينتا عبد الله بن خطل، و كانتا تغنيان بهجاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأمر بقتلهما، فقتلت إحداهما و اسمها قريبة، و فرت الأخرى و تنكرت و جاءت إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأسلمت و بقيت إلى خلافة عمر بن الخطاب، فأوطأها رجل فرسه خطأ فماتت، و قيل:

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٥٢

(١) بقيت إلى خلافة عثمان، فكسر رجل ضلعا من أضلاعها خطأ فماتت، فأغرمه عثمان ديتها.

و

لما دخل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مكة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة و قال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، ألا كل دم أو مائة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدان البيت و سقاية الحج. ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أنني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، و ابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فعفا عنهم «١»، و كان الله قد أمكنه منهم، و كانوا له فينا، فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء. و طاف بالكعبة سبعا، و دخلها و صلى فيها، و رأى فيها صور الأنبياء، فأمر بها فمحييت، و كان على الكعبة ثلاثمائة و ستون صنما، و كان بيده قضيب،

الأمان و منهم من قد أمن، فلما أذن و قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية بنت أبى جهل: لقد أكرم الله أبى حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة. و قيل:

إنها قالت: لقد رفع الله ذكر محمد، و أما نحن فسنصلى و لكننا لا نحب من قتل الأحنه. و قال خالد بن أسد، أخو عثمان بن أسد: لقد أكرم الله أبى فلم ير هذا اليوم. و قال الحارث بن هشام: ليتنى مت قبل هذا اليوم. و قال جماعة نحو هذا القول. ثم أسلموا و حسن إسلامهم و رضى الله عنهم.

(و أما الأسماء المشكلة فحاطب بن أبى بلتع بالحاء و الطاء المهملتين، و الباء الموحدة، و بلتع بالباء الموحدة، و بعد اللام* تاء مثناة من فوقها «٢»).

و عينه بن حصن بضم العين المهملة، و يائين مثناتين من تحت، ثم نون، تصغير عين. و بدليل بن ورقاء بضم الباء الموحدة. و عتاب بالتاء فوقها نقطتان، و آخره باء موحدة. و أسيد بفتح [١] الهمزة، و كسر السين).

و قول أم سلمة: ابن عمك و ابن عمتك، فتعنى بابن عمه أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب، و ابن عمته عبد الله بن أبى أمية، و هو أخوها لأبيها، و كانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب. و قوله: قال فى مكة ما قال، فإنه قال بمكة: لن تؤمن لك حتى ترقى فى السماء، و لن تؤمن لريقك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه. و قد غلط هنا بعض العلماء الكبار فقال: معنى قول أم سلمة: ابن عمتك، أن جدّ النبى أم عبد الله كانت مخزومية و عبد الله بن أبى

[١] بضم.

(١). تحسه P.C.

(٢). تاء مثناة B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٥٥

(١) أمية مخزومية، فعلى هذا يكون ابن خالته لا ابن عمته، و الصواب ما ذكرناه.

(و حبيش بن خالد بضم الحاء المهملة، و بالباء الموحدة، ثم بالياء المثناة من تحت، و آخره شين معجمة. و مقيس بن صبابه بكسر الميم، و سكون القاف، و بالياء المثناة من تحت المفتوحة، و آخره سين مهملة. و صبابه بضم الصاد المهملة، و باءين موحدتين بينهما ألف. خطم الجبل روى بالحاء المعجمة، و بالحاء المهملة، فأما بالحاء المعجمة فهو الأنف الخارج من الجبل، و أما بالحاء المهملة فهو الموضوع الذى ثلم منه و قطع فبقى منقطعاً، و قد روى خطم الخيل بالحاء المهملة، و الخيل هذه هى التى تركب، يعنى أنه يحبس فى الموضوع الضيق الذى يحطم الخيل فيه بعضها بعضاً لضيقه [١]).

ذكر غزوة خالد بن الوليد بنى جذيمة

و فى هذه السنة كانت غزوة خالد بن الوليد بنى جذيمة، و كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس إلى الإسلام و لم يأمرهم بقتال، و كان ممن بعث خالد بن الوليد، بعثه داعياً و لم يبعثه مقاتلاً، فنزل على الغميصاء ماء من مياه جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، و كانت جذيمة أصابت فى الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف، و الفاكه بن المغيرة عم خالد، كانا أقبالا [تاجرین] من اليمن، فأخذت ما معهما [و قتلتها]، فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا.

فوضعوا السلاح، فأمر خالد بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم من قتل.

[١] لمضيقتها.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٥٦

(١)

فلما انتهى الخبر إلى النبى، صلى الله عليه وسلم، رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد! ثم أرسل عليا و معه مال و أمره أن ينظر فى أمرهم، فودى لهم* الدماء و الأموال «١» حتى إنه ليدى ميلغة الكلب، و بقى معه من المال فضله، فقال لهم على: هل بقى لكم مال أو دم لم يود؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيك هذه البقية احتياطا لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فقال: أصبت و أحسنت.

وقيل: إن خالدًا اعتذر و قال إن عبد الله بن حذافة السهمي أمره بذلك عن رسول الله، و كان بين عبد الرحمن بن عوف و خالد كلام فى ذلك، فقال له: عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام. فقال خالد: إنما تأرت بأبيك.

فقال عبد الرحمن: كذبت، قد قتلت أنا قاتل أبي و لكنك إنما تأرت بعمك الفاكه، حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: مهلا- يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحد ذهبًا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة أحدهم و لا روحته.

قال عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي: كنت يومئذ فى جند خالد فأثرنا فى أثر ظعن مصعدة يسوق بهن فتية، فقال: أدركوا أولئك. قال: فخرجنا فى أثرهم حتى أدركناهم مضوا، و وقف لنا غلام شاب على الطريق، فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا و يقول: ارفعن أطراف الذبول و ارتعن «٢» مشى حبيبات «٣» كأن لم تفزعن إن تمنع اليوم النساء تمنعن فقاتلناه طويلا فقتلناه و مضينا حتى لحقنا الظعن، فخرج إلينا غلام كأنه

(١). النساء و الأولاد. B.

(٢). و ارفعن. B.

(٣). شىء حسان. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٥٧

(١) الأول فجعل يقاتلنا و يقول:

أقسم ما إن خادر «١» ذو لبد يرمزم [١] بين أثله و وهده

يفرس [٢] شبان الرجال و حده بأصدق الغداة منى نجده فقاتلناه حتى قتلناه، و أدركنا الظعن فأخذناهن، فإذا فيهن غلام و ضىء الوجه به صفرة كالمنهوك، فربطناه بحبل و قدمناه لنقتله، فقال لنا: هل لكم فى خير؟ قلنا: ما هو؟ قال: تدركون بى [٣] الظعن فى أسفل الوادى ثم تقتلونى.

قلنا: نفعل، فعارضنا الظعن، فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادى بأعلى صوته: اسلمى حبيش، على فقد العيش. فأقبلت إليه جارية بيضاء حسنة و قالت: و أنت فأسلم على كثرة الأعداء، و شدة البلاء. قال: سلام عليك دهرا، و إن بقيت عصرا. قالت: و أنت سلام عليك عشرا، و شفعا تترى، و ثلاثا و ترا. فقال:

إن يقتلونى يا حبيش فلم يدع هواك لهم منى سوى غلة الصدر

فأنت التى أخليت لحمى من دمي وعظمى، وأسبلت الدموع على نحرى فقالت له:
و نحن بكينا من فراقك مرّةً وأخرى و واسيناك فى العسر و اليسر
و أنت فلم تبعد فنعم فتى الهوى جميل العفاف و المودّة فى ستر فقال لها:

[١] يروم.

[٢] بفرس.

[٣] فى.

(١). خادم.P.C

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٥٨

(١)

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحليه أو ألفتكم بالخوانق «١»

ألم يك حقاً أن ينوّل عاشق تكلف إدلاج السرى فى الودائق [١]

فلا ذنب لى قد قلت إذ نحن جيرة أثيبى [٢] بوّد قبل إحدى الصّفايق

أثيبى [٢] بوّد قبل أن تشحط «٢» التوى و ينأى الأمير بالحبيب المفارق

فإنى لا سرّاً لى أضعته [٣] أو لا منظر مذ غبت عنى برائق

على أنّ ما ناب العشيرة شاغل و لا ذكر إلّا أن يكون لوايق [٤] فقدّموه [فضربوا] عنقه «٣». هذا الشعر لعبد الله بن علقمة الكنانى، و كان من جذيمه مع حبيشه بنت حبيش الكنانية أنه خرج مع أمه، و هو غلام، نحو المحتمل لتزور جارة لها، و كان لها ابنه اسمها حبيشه بنت حبيش.

فلما رآها عبد الله هوبها [٥] و وقعت فى نفسه، و أقامت أمه عند جارتها، و عاد عبد الله إلى أهله. ثم عاد ليأخذ أمه بعد يومين، فوجد حبيشه قد تزيت لأمر كان فى الحى، فازداد بها عجباً، و انصرفت أمه، فمشى معها و هو يقول:

و ما أدرى، بلى إنى لأدرى أسوب القطر أحسن أم حبيش

حبيشه و الذى خلق البرايا و ما إن عندنا للصبّ عيش فسمعت أمه فتغافلت عنه. ثم إنّه رأى ظبياً على ربوة فقال:

يا أمنا خبرينى غير كاذبه و ما يريد سئول الحقّ بالكذب

[١] فكلف إذ لاح السرى فى الودائق.

[٢] اتنى.

[٣] فإنى لآبه لى أديته

[٤]

على بابات العشيرة شاغل و لا ذكر إلّا ذكر هيمان وامق

[٥] هواها.

(١). وافيتكم بالخواقف.B

(٢). يسخط. doC.

(٣). عنفة. doC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٥٩

(١)

أ تلك أحسن أم ظبي برايبه لا بل حبيشه فى عيني و فى أربى فرجته أمه و قالت: ما أنت و هذا؟ و أنا قد زوّجتك ابنه عمك فهى من أجمل تلك النساء. و أت امرأة عمير فأخبرتها الخبر و قالت: زيني ابنتك له، ففعلت و أدخلتها عليه، فأطرق. فقالت أمه: أيهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غيبت عنى حبيشه مره من الدهر لا أملكك عزاء و لا صبرا

كأن الحشا حرّ السّيعير تحسّه و قود الغضا و القلب مضطرم جمرا [١] و جعل يرسل الجارية و ترأسله، فعلقته كما علقها، و أكثر قول الشعر فيها، فمن ذلك:

حبيشه جدى و جدك جامع بشملكم شملى و أهلکم أهلى

و هل أنا ملتفّ بثوبك مره بصحراء بين الألبتين إلى النحل فلما علم أهلها خبرهما حجبوها عنه، فازداد غرامه. فقالوا لها: عديه السرحه، فإذا أتاك فقولى له: نشدتك الله إن أحببتنى فوالله ما على الأرض أبغض إليّ منك، و نحن قريب نسمع ما تقولين، فوعده و جلسوا قريبا، فأقبل لموعدها. فلما دنا منها دمعت عيناها و التفتت إلى جنب أهلها [و هم] جلوس فعرف أنهم قريب و بلغه الحال فقال:

فإن قلت ما قالوا لقد زدتنى جوى على أنه لم يبق سرّ و لا ستر

و لم يك حتى عن فواك بذلته فيسلبنى عنك التجبّ و الهجر

و ما أنس ملاً شيا لا أنس و مقها [٢] و نظرتها حتى يغيبنى القبر

[١] الجمرا.

[٢] و ما أنس لك شيئا و لا أنس و مقها

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٦٠

(١) و بعث النبى، صلى الله عليه و سلم، إثر ذلك خالد بن الوليد، فكان منه ما تقدّم ذكره.

و فى هذه السنه تزوّج النبى، صلى الله عليه و سلم، مليكه ابنه داود اللبثيه، و كان أبوها قتل يوم فتح مكه، فجاء إليها بعض أزواج النبى، صلى الله عليه و سلم، فقلن لها: ألا تستحين تزوّجين رجلا قتل أباك؟ فاستعادت منه، ففارقها.

و فيها هدم خالد بن الوليد العزى ببطن نخله لخمس ليال بقين من رمضان، و كان هذا البيت تعظمه قريش و كنانة و مضر كلها، و كان سدنتها بنو شيبان ابن سليم حلفاء بنى هاشم، فلما سمع صاحبها بمسير خالد بن الوليد إليها علق عليها سيفه و قال:

أيا عزّ شدى شده لا شوى لها على خالد ألقى القناع و شمري

فلما انتهى خالد إليها جعل السادن يقول: أ عزى بعض غضباتك، فخرجت امرأة سوداء حبشيه عريانه مولوله، فقتلها و كسر الصنم و هدم البيت ثمّ رجع إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فأخبره، فقال: تلك العزى لا تعبد أبدا.

و فيها هدم عمرو بن العاص سواع، و كان برهاط لهذيل، فلما كسر الصنم أسلم سادنه، و لم يجد فى خزانته شيئا.

و فيها هدم سعد بن زيد الأشهلّى مناه بالمشلل.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤١

(١)

ذكر غزوة هوازن بحنين

و كانت فى سؤال، و سببها أنه لما سمعت هوازن بما فتح الله على رسوله من مكة جمعها مالك بن عوف النصرى من بنى نصر بن معاوية بن بكر، و كانوا مشفقين من أن يغزوهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بعد فتح مكة، و قالوا: لا مانع له من غزونا، و رأى أن نغزوه قبل أن يغزونا.

و اجتمع إليه ثقيف يقودها قارب بن الأسود بن مسعود سيد الأحلاف، و ذو الخمار سبيع بن الحارث، و أخوه الأحمر بن الحارث سيد بنى مالك، و لم يحضرها من قيس عيلان إلا نصر و جشم و سعد بن بكر و ناس من بنى هلال، و لم يحضرها كعب و لا كلاب، و فى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه، و كان شيخا مجربا.

فلما أجمع مالك بن عوف المسير إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، حط مع الناس أموالهم و نساءهم، فلما نزلوا أو طاس جمع الناس، و فيهم دريد بن الصمة، فقال دريد: بأى واد أنتم؟ فقالوا: بأوطاس. قال:

نعم مجال الخيل لا حزن ضرر، و لا سهل دهن، ما لى أسمع رغاء البعير، و نهاق الحمير، و يعار الشاء و بكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك مع الناس ذلك. فقال: يا مالك إن هذا يوم له ما بعده، ما حملك على ما صنعت؟ قال: سقتهم مع الناس ليقاتل كل إنسان عن حريمه و ماله. قال دريد: راعى ضأن و الله، هل يرذ المنهزم شىء؟ [إنها] إن كانت لك لم ينفحك إلا رجل بسيفه و رمحه، و إن كانت عليك فضحت فى أهلك و مالك. و قال: ما فعلت كعب و كلاب؟ قالوا: لم يشهدا أحد منهم. قال:

غاب الجد و الحد، لو كان يوم علاء و رفعة لم تغب عنه كعب و لا كلاب، و وددت أنكم فعلتم ما فعلنا. ثم قال: يا مالك ارفع من معك إلى عليا

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٤٢

(١) بلادهم ثم الق الصيباء على الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، و إن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك و مالك. قال مالك: و الله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت و كبر علمك، و الله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، و كره أن يكون لدريد فيها ذكر.

فقال دريد: هذا يوم لم أشهده و لم يفتنى. ثم قال مالك: أيها الناس إذا رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم و شدوا عليهم شدة رجل واحد.

و بعث مالك عيونه ليأتوه بالخبر، فرجعوا إليه و قد تفرقت أوصالهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجلا بيضا على خيل بلق، فو الله ما تماسكنا أن حل بنا ما ترى! فلم ينهه ذلك [عن وجهه أن مضى على ما يريد].

و

لما بلغ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، خبر هوازن أجمع المسير إليهم، و بلغه أن عند صفوان بن أمية أدراعا و سلاحا، فأرسل إليه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و هو يومئذ مشرك: أعرنا سلاحك نلق فيه عدونا.

فقال له صفوان: أ غضبا يا محمدا؟ فقال: بل عارية مضمونة تؤديها إليك.

قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح. ثم سار النبى، صلى الله عليه و سلم، و معه ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه، فكانوا اثني عشر ألفا، فلما رأى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، كثرة من معه قال: لن نغلب [اليوم] من قلته، و ذلك قوله تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا «١»، و قيل: إنما قالها رجل من بكر.

و استعمل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على من بمكة عتاب بن أسيد.
قال جابر: فلما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد أجوف حطوط،

(١). ٢٥. ٩inaroC، sv، الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٦٣

(١) إنما انحدر فيه انحدارا فى عمایة الصبح، و كان القوم قد سبقونا إلى الوادى فكمنوا لنا فى شعبه و مضايقه، قد تهيئوا و أعدوا، فو الله ما راعنا و نحن منخطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد، فانهمز الناس أجمعون لا يلوى أحد على أحد، و انحاز رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ذات اليمين ثم قال: أيها الناس هلموا إلى أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، قاله ثلاثا، ثم احتملت الإبل بعضها بعضا، إلا أنه قد بقى مع النبى، صلى الله عليه و سلم، نفر من المهاجرين و الأنصار و أهل بيته، منهم: أبو بكر و عمر و على و العباس و ابنه الفضل و أبو سفيان بن الحارث و ربيعة بن الحارث و أيمن ابن أم أيمن و أسامة بن زيد. قال: و كان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء أمام الناس، فإذا أدرك رجلا طعنه ثم رفع رايته لمن وراءه فاتبعوه، فحمل عليه على فقتله.

و لما انهزم الناس تكلم رجال من أهل مكة بما فى أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر، و الأزلام معه.

و قال كلدة بن الحنبل، و هو أخو صفوان بن أمية لأمه، و كان صفوان بن أمية يومئذ مشركا: الآن «١» بطل السحر. فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك، فو الله لأن [١] يربنى «٢» رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى «٣» رجل من هوازن! و قال شيبه بن عثمان: اليوم أدرك ثأرى من محمد، و كان أبوه قتل بأحد، قال: فأدرت به لأقتله، فأقبل شىء حتى تغشى فؤادى فلم أطق ذلك. و كان العباس مع النبى، صلى الله عليه و سلم، آخذا بحكمه «٤» بغلته دلدل

[١] لئن.

(١). ألا. P.C.

(٢-٣). يرثنى. P.C.

(٤). بلجام. Bte. A.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٦٤

(١) و هو عليها، و

كان العباس جسيما شديد الصوت، فقال له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمره! ففعل، فأجابوه: لبيك لبيك! فكان الرجل يريد أن يثنى بعيره فلا يقدر، فيأخذ سلاحه ثم ينزل عنه و يؤم الصوت، فاجتمع على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مائة رجل فاستقبل بهم القوم و قاتلهم، فلما رأى النبى، صلى الله عليه و سلم، شدة القتال قال: أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب الآن حمى الوطيس، و هو أول من قالها. و اقتتل الناس قتالا شديدا، و قال النبى، صلى الله عليه و سلم، لبغلته دلدل: البدى دلدل، فوضعت بطنها على الأرض، فأخذ حفنة من تراب فرمى به فى وجوههم، فكانت الهزيمة، فما رجع الناس إلا و الأسارى فى الحبال عند رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قيل: بل أقبل شىء أسود من السماء مثل البجاد [١] حتى سقط بين القوم، فإذا نمل أسود مبعوث، فكانت الهزيمة.

و لما انهزمت هوازن قتل من ثقيف و بنى مالك سبعون رجلا، فأمر الأحملاف من ثقيف فلم يقتل منهم غير رجلين لأنهم انهزموا

سريعا. وقصد بعض المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف، و اتبعت خيل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، المشركين فقتلتهم، فأدرك ربيعة بن يربوع السلمى دريد ابن الصيمه و لم يعرفه لأنه كان فى شجار [٢] لكبره، و أناخ بعيره فإذا هو شيخ كبير، فقال له دريد: ما ذا تريد؟ قال: أقتلك. قال: و من أنت؟ فانتسب له، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا. فقال دريد: بئس ما سلحتك أمك،

[١] البخار. (و ما أثبتناه عن ابن هشام).

[٢] (الشجار: مركب مكشوف دون الهودج).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٦٥

(١) خذ سيفى فاضرب [به]، ثم ارفع [عن العظام و اخفض] عن الدماغ فإننى كذلك كنت أقتل الرجال، و إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصيمه، فرب يوم قد منعت فيه نساءك. [فقتله]. فلما أخبر أمه قالت: و الله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا. و استلب أبو طلحة الأنصارى يوم حنين عشرين رجلا وحده، و قتلهم. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: من قتل قتيلًا فله سلبه. و قتل أبو قتاده الأنصارى قتيلًا و أجهضه القتال عن أخذ سلبه فأخذه غيره، فلما قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ذلك قام أبو قتاده فقال: قتلت قتيلًا و أخذ غيرى سلبه. فقال الذى أخذ السلب: هو عندى فأرضه منى يا رسول الله. فقال أبو بكر: لا و الله لا تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله تقاسمه، فرد عليه السلب.

و كان لبعض ثقيف غلام نصرانى، فقتل، فبينما رجل من الأنصار يستلب قتلى ثقيف إذ كشف العبد فرآه أغرل، فصرخ بأعلى صوته: يا معشر العرب إن ثقيفا لا تختن. فقال له المغيرة بن شعبه: لا تقل هذا، إنما هو غلام نصرانى، و أراه قتلى ثقيف مختنين. و

مر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى الطريق بامرأة مقتولة، فقال: من قتلها؟ قالوا: خالد بن الوليد. فقال لبعض من معه: أدرك خالدًا فقل له إن رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة أو وليدا أو عسيفا. و العسيف الأجير. و كان بعض المشركين بأوطاس فأرسل إليهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أبا عامر الأشعرى، عم أبى موسى، فرمى أبو عامر بسهم، قيل رماه سلمة بن دريد بن الصيمه «١»، و قتل أبو موسى سلمة هذا بعنه أبى

(١) و مات (!) سليم بن دريد بن الصيمه و يعرف بابن سماره و هى أمه، قاله الكلبي، و بعض B المؤرخين يجعلهما اثنين و هو خطأ.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٦٦

(١) عامر، و

انهزم المشركون بأوطاس، و ظفر المسلمون بالغنائم و السبايا، فساقوا فى السبى الشيماء ابنه الحارث بن عبد العزى، فقالت لهم: إنى و الله أخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبى، صلى الله عليه و سلم. فقالت له: إنى أختك. قال: و ما علامه ذلك؟ قالت: عضه عضتيها فى ظهرى و أنا متوركتك. فعرفها و بسط لها رداءه و أجلسها عليه و خيرها فقال: إن أحببت فعندى مكرمه محببه، و إن أحببت أن أمتعك و ترجعنى إلى قومك. قالت: بل تمتعنى و تردنى إلى قومى، ففعل. و أمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بالسبايا و الأموال، فجمعت إلى الجعرانه، و جعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعى. و استشهد من المسلمين بحنين أيمن بن أم أيمن، و يزيد بن زمعه بن الأسود ابن المطلب بن عبد العزى و غيرهما.

ذكر حصار الطائف

لما قدم المنهزمون من ثقيف و من انضم إليهم من غيرهم إلى الطائف أغلقوا عليهم مدينتهم و استحصروا و جمعوا ما يحتاجون إليه. فسار إليهم النبى، صلى الله عليه و سلم، فلما كان ببحرة الرغاء قبل وصوله إلى الطائف قتل بها رجلا من بنى ليث قصاصا، كان قد قتل رجلا من هذيل فأمر بقتله، و هو أول دم أقيد به فى الإسلام، و سار إلى ثقيف فحصرهم بالطائف نيفا و عشرين يوما و نصب عليهم منجنيقا أشار به سلمان الفارسى، و قاتلهم قتالا شديدا، حتى [إذا] كان يوم الشدخه عند جدار الطائف دخل نفر من المسلمين تحت دبابه عملوها ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماء، فخرجوا من تحتها، فرماهم من بالطائف بالنبل فقتلوا

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٦٧

(١) رجالا. فأمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بقطع أعناب ثقيف، فقطعت. و نزل إلى رسول الله نفر من رقيق أهل الطائف فأعتقهم، منهم أبو بكره ببيع بن الحارث بن كده، و إنما قيل له أبو بكره بكرة نزل فيها، و غيره. فلما أسلم أهل الطائف تكلمت سادات أولئك العبيد فى أن يردهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى الرق فقال: لا أفعل، أولئك عتقاء الله.

ثم إن خويله بنت حكيم السلمية، و هى امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلّى بادية بنت غيلان أو حلّى الفارعة بنت عقيل، و كانتا من أكثر النساء حلّىا. فقال لها رسول الله، صلى الله عليه و سلم: أ رأيت إن كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خويله؟

فخرجت فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب. فدخل عليه عمر و قال: يا رسول الله ما حديث حدثنه خويله أنك قد قتلته؟ قال: قد قتلته. قال: أ فلا أؤذن بالرحيل يا رسول الله؟ قال: بلى، فأذن بالرحيل.

و

قيل: إن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، استشار نوفل بن معاوية الدثلى فى المقام عليهم. فقال: يا رسول الله ثعلب فى جحر إن أقمت عليه أخذته و إن تركته لم يضرّك، فأذن بالرحيل. فلما رجع الناس قال رجل: يا رسول الله ادع على ثقيف. قال: اللهم اهد ثقيفا و أت بهم.

فلما رأت ثقيف الناس قد رحلوا عنهم نادى سعيد بن عبيد الثقفى: ألا إن الحى مقيم.

فقال عيينه بن حصن: أجل و الله مجده كراما. فقال رجل من المسلمين:

قاتلك الله يا عيينه أ تمدحهم بالامتناع من رسول الله، صلى الله عليه و سلم؟

قال: إنى و الله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفا، و لكنى أردت أن أصيب من ثقيف جاريه لعلها تلد لى رجلا، فإن ثقيفا قوم مناكير.

و استشهد بالطائف اثنا عشر رجلا، منهم عبد الله بن أبى أمية المخزومى،

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٦٨

(١) أمه عاتكة بنت عبد المطلب، و عبد الله بن أبى بكر الصديق، رمى بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و السائب بن الحارث بن عدى، و غيرهم.

و هذه بادية بنت غيلان قال فيها هيت المخنث لعبد الله بن أبى أمية:

إن فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله أن يفلك بادية بنت غيلان فإنها هيفاء شموع نجلاء، إن تكلمت تغنت، و إن قامت تثنت،

و إن مشت ارتجت، و إن قعدت تبنت، تقبل بأربع و تدبر بثمان، بثغر كالأقحوان، بين رجلها كالقعب المكفأ. فقال النبى، صلى الله

عليه و سلم: لقد علمت الصفة، و منعه من الدخول إلى نسائه «١».

لما رحل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الطائف سار حتى نزل الجعرانة، وأتته وفود هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا ما لم يخف عليك، فامن علينا من الله عليك.

وقام زهير بن سرد من بنى سعد بن بكر، وهم الذين أرضعوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إنا فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك، ولو أنا أرضعنا الحارث بن أبى شمر الغسيانى أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه، وأنت خير المكفولين! ثم قال:

امن علينا رسول الله فى كرم فإتتك المرء نرجوه وندخر
امن على نسوة قد عاقها قدر ممزق شملها فى دهرها غير

(١). Bte A. mo.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٦٩

(١) فى أبيات.

فخيرهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم، فاختاروا أبناءهم ونساءهم، فقال: أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم، فإذا أنا صليت بالناس فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم وأسأل فيكم. فلم ياصلى الظهر فعلموا ما أمرهم به، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم. وقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله. وقال الأقرع بن حابس: ما كان لى ولبنى تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: ما كان لى ولفرارة فلا. وقال عباس بن مرداس: ما كان لى ولسليم فلا. فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله. فقال: وهنتمونى. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:

من تمسك بحقه من السبى فله بكل إنسان ست فرائض من أول شىء نصيبه، فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم.

و

سأل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن مالك بن عوف، فقيل:

إنه بالطائف. فقال: أخبروه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة بعير.

فأخبر مالك بذلك، فخرج من الطائف سراً ولحق برسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأسلم وحسن إسلامه، واستعمله رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل التى حول الطائف، فأعطاه أهله وماله ومائة بعير. وكان يقاتل بمن أسلم معه من ثماله وفهم وسلمة ثقيفا، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم.

و

لما فرغ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من رد سبايا هوازن ركب واتبه الناس يقولون: يا رسول الله اقسم علينا فيثنا، حتى ألقوه إلى شجرة، فاخطف رداؤه، فقال: ردوا على رداي أيها الناس، فوالله لو كان لى عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا جابا ولا كذابا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧٠

(١) ثم رفع وبره من سنام بعير وقال: ليس لى من فيثكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس وهو مردود عليكم.

ثم أعطى المؤلفة قلوبهم، وكانوا من أشرف الناس، يتألفهم على الإسلام، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والعلاء بن جارية الثقفى، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن، والأقرع بن

حابس، و مالك بن عوف النصرى، كل واحد منهم مائة بعير، و أعطى دون المائة رجالا، منهم: مخرمة بن نوفل الزهرى، و عمير بن وهب، و هشام بن عمرو، و سعيد بن يربوع، و أعطى العباس بن مرداس أباعر، فسخطها و قال:

كانت نهايا تلافيتها بكزى على المهر فى الأجرع
و إيقاضى القوم أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهى و نهب العبيدين عينه و الأقرع
و قد كنت فى الحرب ذا تدرا [١] فلم أعط شيئا و لم أمنع
إلا أفائل أعطيتها عديد قوائمها [١] الأربع
و ما كان حصن و لا حابس يفوقان مرداس فى المجمع
و ما كنت دون امرئ منهما من تضع اليوم لا يرفع فأعطاه حتى رضى.

و قال رجل من الصحابة: يا رسول الله أعطيت عينه و الأقرع و تركت جعيل بن سراقه. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: و الذى نفسى

[١] قوائمه.

(١). ندره. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧١

(١) بيده لجعيل خير من طلاع الأرض رجالا كلهم مثل عينه و الأقرع، و لكنى تألفتها و وكلت جعيلًا إلى إسلامه.

و قيل: إن ذا الخويصرة التميمى فى هذه القسمة قال لرسول الله، صلى الله عليه و سلم: إنك لم تعدل اليوم. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: و من يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر بن الخطاب: ألا نقتله؟ فقال: دعوه، ستكون له شيعه يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميئه. و قيل: إن هذا القول إنما كان فى مال بعث به على من اليمن إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقسمه بين جماعة، منهم: عينه و الأقرع و زيد الخيل.

قال أبو سعيد الخدرى: لما أعطى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ما أعطى من تلك الغنائم فى قريش و قبائل العرب و لم يعط الأنصار شيئا وجدوا فى أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قومه. فأخبر سعد بن عبادة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بذلك، فقال له: فأين أنت يا سعد؟ قال: أنا من قومي. قال: فاجمع قومك لى، فجمعهم. فأتاهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقال: ما حديث بلغنى عنكم؟ أ لم آتكم ضللا فهداكم الله بى؟ و فقراء فأغناكم الله بى؟ و أعداء فألف الله بين قلوبكم بى؟ قالوا: بلى و الله يا رسول الله، و لله و رسوله المن و الفضل.

فقال: ألا تحبونى؟ قالوا: بما ذا نجيبك؟ فقال: و الله لو شتتم لقتتم فصدقتم:

أيتنا مكذبا فصدقتك، و مخذولا فنصرناك، و طريدا فأويناك، و عائلا فواسيناك، أ وجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة

من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم، أ فلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة و البعير و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ و الذى نفسى بيده لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، و لو سلك الناس شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلكت

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧٢

(١) شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار.

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم و قالوا: رضينا برسول الله قسما و حظا. و تفرقوا.

ثم اعتمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من الجعرانة و عاد إلى المدينة، و استخلف على مكة عتاب بن أسيد، و ترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس، و حج عتاب بن أسيد بالناس، و حج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج، و عاد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى المدينة فى ذى القعدة أو ذى الحجة.

و فيها بعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عمرو بن العاص إلى جيفر و عياذ «١» ابني الجلندى من الأزدي بعمان مصدقا، فأخذ الصدقة من أغنيائهم و ردها على فقرائهم، و أخذ الجزية من المجوس، و هم كانوا أهل البلد، و كان العرب حولها، و قيل سنة سبع. و فيها تزوج رسول الله، صلى الله عليه و سلم، الكلابية، و اسمها فاطمة بنت الضحاک بن سفيان، فاختارت الدنيا، و قيل: إنها استعادت منه ففارقها. و فيها ولدت مارية إبراهيم ابني النبي، صلى الله عليه و سلم، فى ذى الحجة، فدفعه إلى أم بردة بنت المنذر الأنصارية [فكانت ترضعه]، و زوجها البراء بن أوس الأنصاري. و كانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأرسلت أبا رافع إلى النبي، صلى الله عليه و سلم، يبشره بإبراهيم، فوهب له مملوكا، و غار نساء النبي، صلى الله عليه و سلم، و عظم عليهن حين رزقت مارية منه ولدا.

و فيها بعث رسول الله، صلى الله عليه و سلم، كعب بن عمير إلى

(١). صقر و عمر. B، صعر و عمرو. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧٣

(١) ذات أطلاح من الشام إلى نفر من قضاة يدعوهم إلى الإسلام و معه خمسة عشر رجلا، فوصل إليهم فدعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، و كان رئيس قضاة رجلا يقال له سدوس، فقتلوا المسلمين و نجا عمير فتقدم إلى المدينة.

و فيها

بعث أيضا عينه بن حصن الفزارى إلى بنى العنبر من تميم، فأغار عليهم و سبى منهم نساء، و كان على عائشة عتق رقبة من بنى إسماعيل، فقال لها رسول الله، صلى الله عليه و سلم: هذا سبى «١» بنى العنبر يقدم علينا فنعطيك إنسانا فتعتقيه.

(١). سيد. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧٤

(١)

٩ ثم دخلت سنة تسع

ذكر إسلام كعب بن زهير

قيل: خرج كعب بن زهير بن أبى سلمى، و أبو سلمى ربيعة المزنى، و معه أخوه بجير حتى أتيا أبرق العزاف، فقال له بجير: اثبت فى

غنمنا حتى آتى هذا الرجل، يعنى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأسمع منه.

فأقام كعب و سار بجير إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأسلم، و بلغ ذلك كعبا فقال:

ألا أبلغا عنى بجيرا رساله على أى شىء ويب غيرك ذلكا

على خلق لم تلف أما و لا أباعليه و لم تدرك عليه أخوا لكا

سقاك أبو بكر بكأس رويّة فأنهلك المأمور منها و علّكا فلما بلغ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قوله غضب و أهدر دمه، فكتب

بذلك بجير إلى أخيه بعد عود رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من الطائف و قال: النجاء النجاء، و ما أدرى أن تتفلّت، ثم كتب إليه:

إذا أتاك كتابى هذا فأسلم و أقبل إليه فإنه لا يأخذ مع الإسلام بما كان قبله. فأسلم كعب و جاء حتى أناخ راحلته بباب المسجد، و

رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مع أصحابه،

قال كعب: فعرفته بالصفة فتخطيت الناس إليه فأسلمت و قلت: الأمان يا رسول الله، هذا مقام العائذ بك. قال: من أنت؟

فقلت: كعب بن زهير. قال: الذى يقول، ثم التفت إلى أبى بكر فقال:

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧٥

(١) كيف قال؟ فأنشده أبو بكر الأبيات التى أولها:

ألا أبلغا عنى بجيرا رساله فقال كعب: ما هكذا قلت يا رسول الله، إنما قلت:

سقاك أبو بكر بكأس رويّة فأنهلك المأمون منها و علّكا فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: مأمون و الله.

فتجهّمته [١] الأنصار و أغلظت له، و لانت له قريش و أحببت إسلامه، فأنشده قصيدته التى أولها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها [٢] لم يفد مكبول فلما انتهى إلى قوله:

و قال كلّ خليل كنت آمله لا ألهيّنك إنى عنه مشغول

نبئت أنّ رسول الله أوعدنى و العفو عند رسول الله مأمول

فى فتيه من قريش قال قائلهم بطن مكّه لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال أنكاس و لا كشف عند اللقاء و لا ميل معازيل

لا- يقع الطعن إلما فى نحورهم و ما لهم عن حياض الموت تهليل نظر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى قريش فأوماً إليهم أن

اسمعوا، حتى قال:

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرّد السّود التّنايل يعرّض بالأنصار لغلظتهم التى كانت عليه، فأنكرت قريش قوله و

قالوا:

[١] فتجهّمته.

[٢] عندها.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧٦

(١) لم تمدحنا إذ هجوتهم، و لم يقبلوا ذلك منه، و عظم على الأنصار هجوه، فشكوه، فقال يمدحهم:

من سرّه كرم الحياة فلا يزل فى مقنب من صالحى الأنصار

الباذلين نفوسهم و دماءهم يوم الهياج و سطوة الجبار

يتطهّرون كأنه نسك لهم بدماء من قتلوا من الكفّار فى أبيات. فكساه النّبى، صلى الله عليه و سلم، برده كانت عليه، فلما كان زمن

معاوية أرسل إلى كعب: أن بعنا برده رسول الله. فقال:

ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحدا. فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم، وهى البردة التى عند الخلفاء الآن.

وقيل: إنما أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بقتله وقطع لسانه لأنه كان تشبب بأُم هانئ بنت أبى طالب.

(أبو سلمى بضم السين والإمالة، والمأمور بالراء، قال بعض العلماء:

إنما كره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذلك لأن العرب كانت تقول لكل من يتكلم بالشئ من تلقاء نفسه مأمور، بالراء، يريدون أن الذى يقوله تأمره به الجنّ وإن كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مأمورا من الله تعالى ولكنه كرهه لعاداتهم، فلما قال: المأمون بالنون، رضى به لأنه مأمون على الوحى. و بجير بالباء الموحدة المضمومة وبالجم).

ذكر غزوة تبوك

لما عاد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أقام بالمدينة بعد عوده من الطائف ما بين ذى الحجة إلى رجب، ثم أمر الناس بالتجهز لغزو الروم

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧٧

(١) وأعلم الناس مقصدهم لبعده الطريق و شدة الحرّ و قوّة العدو، و كان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورى بغيرها.

و كان سببها

أنّ النبى، صلى الله عليه وسلم، بلغه أنّ هرقل ملك روم و من عنده من متصرّة العرب قد عزموا على قصده، فتجهز هو و المسلمون و ساروا إلى الروم. و كان الحرّ شديدا، و البلاد مجدبة، و الناس فى عسرة، و كانت الثمار قد طابت، فأحبّ الناس المقام فى ثمارهم فتجهزوا على كره، فكان ذلك الجيش يسمّى جيش العسرة. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، للجد بن قيس، و كان من رؤساء المنافقين: هل لك [فى] جلاّد بنى الأصفر؟ فقال: والله لقد عرف قومي حبي للنساء، و أخشى أن لا أصبر على نساء بنى الأصفر، فإن رأيت أن تأذن لى و لا تفتنى. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: قد أذنت لك، فأنزل الله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنْذِرْ لى وَلَا تَفْتِنى ﴿١﴾ الآية، و قال قائل من المنافقين: لا تنفروا فى الحرّ، فنزل قوله تعالى: وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فى الحرّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴿٢﴾.

ثم إنّ النبى، صلى الله عليه وسلم، تجهز و أمر بالنفقة فى سبيل الله، و أنفق أهل الغنى، و أنفق أبو بكر جميع ما بقى عنده من ماله، و أنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها، قيل: كانت ثلاثمائة بعير و ألف دينار.

ثم

إنّ رجالا من المسلمين أتوا النبى، صلى الله عليه وسلم، و هم البكاءون، و كانوا سبعة نفر من الأنصار و غيرهم، و كانوا أهل حاجة، فاستحملوه. فقال: لا أجد ما أحملكم عليه،

فتولوا يبكون، فلقبهم يامين ابن عمير بن كعب النضرى فسألهم عما يبكيهم فأعلموه، فأعطى أبا ليلي

(١). ٤٩. inaroc، sv

(٢). ٨١. inaroc، sv

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧٨

(١) عبد الرحمن بن كعب و عبد الله بن مغفل المزنى بعيرا، فكانا يعتقبانه (١) مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم. و جاء المعدّرون من الأعراب فاعتذروا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلم يعذرهم الله، و كان عدّة من المسلمين تخلفوا من

غير شك، منهم: كعب بن مالك، و مرارة بن الربيع، و هلال بن أمية، و أبو خيثمة. فلما سار رسول الله، صلى الله عليه و سلم، تخلف عنه عبد الله بن أبي المنافق فيمن تبعه من أهل النفاق، و استخلف رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على المدينة سباع بن عرفطة، و على أهله علي بن أبي طالب، فأرجف به المنافقون و قالوا: ما خلفه إلا استتقالا له. فلما سمع علي ذلك أخذ سلاحه و لحق برسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأخبره ما قال المنافقون، فقال: كذبوا و إنما خلفتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي و أهلكت، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي.

فرجع. فسار رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

ثم إن أبا خيثمة أقام أياما، فجاء يوما إلى أهله، و كانت له امرأتان، و قد رشت كل امرأة منهما عريشها و بردت له ماء و صنعت طعاما، فلما رآه قال: يكون رسول الله، صلى الله عليه و سلم، في الحرّ و الريح و أبو خيثمة في الظلّ البارد و الماء البارد مقيم! ما هذا بالتصّف، و الله ما أحلّ عريشا منهما حتى ألحق برسول الله، صلى الله عليه و سلم. فهيا زاده و خرج إلى ناضحه فركبه، و طلب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأدركه بتبوك، فقال الناس: يا رسول الله هذا راكب مقبل. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: كن أبا خيثمة.

فقالوا: هو و الله أبو خيثمة. و أتى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأخبره بخبره، فدعا له.

(١). بعسفانة. B

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٧٩

(١) و

كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، حين مرّ بالحجر، و هو بطريقه، و هو منزل ثمود، قال لأصحابه: لا تشربوا من هذا الماء شيئا و لا تتوضّئوا منه، و ما كان من عجين فألقوه و اعلفوه الإبل و لا تأكلوا منه شيئا، و لا يخرج الليلة أحد إلا مع صاحب له. ففعل ذلك الناس و لم يخرج أحد إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته فأصابه جنون، و أما الذي طلب بعيره فاحتمله الريح إلى جبل طيئ، فأخبر بذلك رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فقال: ألم أنهكم أن لا يخرج أحد إلا مع صاحب له؟ فأما الذي خنق فدعا له فشفي، و أما الذي حملته الريح فأهدته طيئ إلى رسول الله بعد عوده إلى المدينة.

و أصبح الناس بالحجر و لا ماء معهم، فشكوا ذلك إلى النبي، صلى الله عليه و سلم، فدعا الله فأرسل سحابة فأمطرت حتى روى الناس.

و كان بعض المنافقين يسير مع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فلما جاء المطر قال له بعض المسلمين: هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارة.

و

ضلت ناقه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، في الطريق فقال لأصحابه، و فيهم عمارة بن حزم، و هو عقبى بدرى: إن رجلا قال إن محمدا يخبركم الخبر من السماء و هو لا يدري أين ناقته، و إنى و الله لا أعلم إلا ما علمنى الله عزّ و جلّ، و هى فى الوادى فى شعب كذا قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا فأتوه بها، فرجع عمارة إلى أصحابه فخبّرهم بما قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عن الناقة تعجبا ممّا رأى.

و كان زيد بن لصيت «١» القينقاعى منافقا و هو فى رحل عمارة قد قال هذه المقالة، فأخبر عمارة بأن زيدا قد قالها، فقام عمارة يطأ عنقه و هو يقول: فى رحلى داهية و لا أدرى!

(١). الصلت. BnI. pus . rcs . نصيب. ddoC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨٠

(١) اخرج عنى يا عدو الله! فزعم بعض الناس أن زيدا تاب [بعد ذلك] و حسن إسلامه، و قيل: لم يزل متهما حتى هلك.

و وقف بأبى ذرّ جملة فتخلف عليه،

ف قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذرّ.

فقال: ذرّوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، فكان يقولها لكل من تخلف عنه، فوقف أبو ذرّ على جملة، فلما أبطأ عليه أخذ رحله عنه و حمله على ظهره و تبع النبى، صلى الله عليه و سلم، ماشيا. فنظر الناس فقالوا:

يا رسول الله هذا رجل على الطريق وحده. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: كن أبا ذرّ. فلما تأمله الناس قالوا: هو أبو ذرّ. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: يرحم الله أبا ذرّ، يمشى وحده، و يموت وحده، و يبعث وحده، و يشهده عصابة من المؤمنين.

فلما نفى عثمان أبا ذرّ إلى الزبدة أصابه بها أجله و لم يكن معه إلا امرأته و غلامه، فأوصاهما أن يغسلاه و يكفناه ثم يضعاه على الطريق، فأول ركب يمرّ بهما يستعينا بهما على دفنه، ففعلا ذلك، فاجتاز بهما عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق، فأعلمته امرأة أبى ذرّ بموته. فبكى ابن مسعود و قال: صدق رسول الله، صلى الله عليه و سلم، تمشى وحدك، و تموت وحدك، و تبعث وحدك، ثم واروه.

و انتهى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إلى تبوك، فأتى يوحنا ابن روبة صاحب أيلة فصالحه على الجزية و كتب له كتابا، فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، ثم زاد فيها الخلفاء من بنى أمية. فلما كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة، و صالح أهل أذرح على مائة دينار فى كل رجب، و صالح أهل جرباء على الجزية، و صالح أهل مقنا «١» على ربع ثمارهم.

(١). ٥٩. div. B. frosdale. p; سفنا. A; مما. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨١

(١) و

أرسل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، خالد بن الوليد إلى أكيدر ابن عبد الملك صاحب دومة الجندل، و كان نصرانيا من كندة، فقال لخالد: إنك تجده يصيد البقر. فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه على منظر العين و أكيدر على سطح داره فباتت البقر تحكّ بقرونها باب الحصن، فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قطّ؟ قال: لا و الله، ثم نزل و ركب فرسه و معه نفر من أهل بيته، ثم خرج يطلب البقر، فتلقتهم خيل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أخذته و قتلوا أخاه حسانا، و أخذ خالد من أكيدر قباء ديباج مخوّص بالذهب فأرسله إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فجعل المسلمون يلمسونه و يتعجبون منه. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: أ تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ [١] فى الجنة أحسن من هذا.

و قدم خالد بأكيدر على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فحقن دمه و صالحه على الجزية و خلّى سبيله. الكامل فى التاريخ ج ٢ ٢٨١

ذكر غزوة تبوك ص: ٢٧٦

و أقام رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بتبوك بضع عشرة ليلة و لم يجاوزها، و لم يقدم عليه الروم و العرب المنتصّرة، فعاد إلى المدينة. و

كان فى الطريق ماء يخرج من وشل لا يروى إلا الراكب و الراكبين بواد يقال له وادى المشقّق، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: من سبقنا فلا يستقيّن منه شيئا حتى نأتيه، فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما جاءه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أخبروه

بفعلهم، فلعنهم و دعا عليهم
، ثم نزل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، إليه فوضع يده تحته [و جعل] يصب إليها يسيرا من الماء، فدعا فيه و نضح فيه فى الوشل،
فانخرق الماء جريا شديدا، فشرب الناس و استقوا. و سار رسول الله، صلى الله عليه و سلم، حتى قارب المدينة، فأتاه خبر مسجد
الضرار، فأرسل مالك بن الدخشم فحرقه

[١] عبادة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨٢

(١) و هدمه، و أنزل الله فيه: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَ كُفْرًا وَ تَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ «١» الآيات. و كان الذين بنوه اثنى عشر
رجلا، و كان قد أخرج من دار خدام بن خالد من بنى عمرو بن عوف. و قدم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و كان قد تخلف عنه
رھط من المنافقين، فأتوه يحلفون له و يعتذرون، فصّح عنهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و لم يعذرهم الله و رسوله، و تخلف
أولئك النفر الثلاثة، و هم: كعب بن مالك، و هلال بن أمية، و مرارة بن الربيع، تخلفوا من غير شك و لا نفاق، فنهى رسول الله،
صلى الله عليه و سلم، عن كلامهم، فاعتزلهم الناس، فبقوا كذلك خمسين ليلة، ثم أنزل الله توبتهم: وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى
إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمُ الْآيَات، إلى قوله: الصَّادِقِينَ «٢»، و كان قدوم رسول الله، صلى الله عليه و سلم،
[المدينة من تبوك] فى رمضان.

(يامين النضرى بالنون، و الضاد المعجمة. و عبد الله بن مغفل بالغين المعجمة، و الفاء المشددة المفتوحة. و زيد بن لصيت باللام
المضمومة، و الصاد المهملة المفتوحة، و آخره تاء مثناة من فوقها. و خدام بن خالد بالخاء المكسورة، و الذال المعجمتين. و أكيدر
بالمهزة المضمومة، و الكاف المفتوحة، و الدال المهملة المكسورة، و آخره راء مهملة).

(١). ١٠٧. ٩inaroC، sv،

(٢). ١١. sv، ٩inaroC، qqsa

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨٣

(١)

ذكر قدوم عروة بن مسعود الثقفى على رسول الله صلى الله عليه و سلم

و فيها قدم عروة بن مسعود الثقفى على النبى، صلى الله عليه و سلم، مسلما، و
قيل: بل أدركه فى الطريق مرجعه من الطائف، و سأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: إنهم
قاتلوك.

فقال: أنا أحب إليهم من أبكارهم، و رجا أن يوافقوه لمتزلته فيهم، فلما رجع إلى الطائف صعد إلى عليّ له و أشرف منها عليهم و
أظهر الإسلام و دعاهم إليه، فرموه بالنبل، فأصابه سهم فقتله، فقيل له: ما ترى فى دمك؟ فقال:

كرامة أكرمنى الله بها و شهادة ساقها إلى، ليس فى إلّا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله، فادفونى معهم. فلما مات دفنوه معهم.

و

قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فيه: إن مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه.

ذكر قدوم وفد ثقيف

و فى هذه السنة فى رمضان قدم وفد ثقيف على رسول الله، صلى الله عليه وسلم. و سبب ذلك أنهم رأوا أن من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال و شتوا الغارات عليهم، و كان أشدهم فى ذلك مالك بن عوف النصرى، فلا يخرج منهم مال إلا نهب، و لا إنسان إلا أخذ، فلما رأوا عجزهم اجتمعوا و أرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، و الحكم بن عمرو بن الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨٤

(١) وهب، و شرحبيل بن غيلان، و هؤلاء من الأحلاف، و أرسلوا من بنى مالك عثمان بن أبى العاص، و أوس بن عوف، و نمير بن خرشة، فخرجوا حتى قدموا على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأنزلهم فى قبة فى المسجد، فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشى بينهم و بين النبى، صلى الله عليه وسلم، و كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يرسل إليهم ما يأكلونه مع خالد، و كانوا لا يأكلون طعاما حتى يأكل خالد منه، حتى أسلموا. و كان فيما سألوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يدع الطاغية، و هى اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى عليهم، و كان قصدهم بذلك أن يتسلموا [بتركها] من سفهائهم و نسائهم، فنزلوا إلى شهر فلم يجبههم، و سألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال: لا خير فى دين لا صلاة فيه، فأجابوا و أسلموا.

و أمر عليهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عثمان بن أبى العاص، و كان أصغرهم، لما رأى من حرصه على الإسلام و التفقه فى الدين. ثم رجعوا إلى بلادهم، و أرسل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، معهم المغيرة بن شعبه و أبان بن سفيان بن حرب ليهدما الطاغية، فتقدم المغيرة فهدمها، و قام قومه من بنى شعيب دونه خوفا أن يرمى بسهم، و خرج نساء ثقيف حسيرا يبكين عليها، و أخذ حليها و مالها.

و كان أبو مليح بن عروة بن مسعود و قارب بن الأسود بن مسعود قدما على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما قتل عروة و الأسود، فأمرهما رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يقضيا منه دين عروة و الأسود ابنى مسعود، ففعلا، و كان الأسود مات كافرا، فسأل ابنه قارب بن الأسود رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يقضى دين أبيه، فقال: إنه كافر. فقال: يصل مسلم ذا قرابته، يعنى أنه أسلم فيصل أباه و إن كان مشركا

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨٥

(١)

ذكر غزوة طيى و إسلام عدى بن حاتم

فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر أرسل النبى، صلى الله عليه وسلم، على بن أبى طالب فى سرية [إلى ديار] طيى و أمره أن يهدم صنمهم الفليس [١]، فسار إليهم و أغار عليهم، فغنم و سبى و كسر الصنم، و كان متقلدا سيفين يقال لأحدهما مخدم و للآخر رسوب، فأخذهما على و حملهما إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و كان الحارث بن أبى شمر أهدى السيفين للصنم، فعلقا عليه، و أسر بنتا لحاتم الطائى، و حملت إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالمدينة فأطلقها. و أما إسلام عدى بن حاتم

فقال عدى: جاءت خيل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأخذوا أختى و ناسا فأتوا بهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقالت أختى: يا رسول الله هللك الوالد و غاب الوافد فامنن على من الله عليك. فقال: و من وافدك؟ قالت: عدى بن حاتم. قال: الذى فر من الله و رسوله! فمن عليها، و إلى جانبه رجل قائم و هو على بن أبى طالب، قال: سليه حملانا. فسألته، فأمر لها به و كساها «١» و أعطها نفقة.

قال عدى:

و كنت ملك طيى أخذ منهم المربع و أنا نصرانى، فلما قدمت خيل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هربت إلى الشام من الإسلام و قلت أكون عند أهل دينى، فبينما أنا بالشام إذ جاءت أختى و أخذت تلومنى على تركها و هربى بأهلى دونها، ثم قالت لى: أرى أن تلحق بمحمد سريعا فإن كان نبيا كان

[١] القلس.

(١). P.CnirojamcniH .Anucaltipicni ,Axemauq .Ivelper

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨٦

(١) للسابق فضله، و إن كان ملكا كنت فى عز و أنت أنت.

قال: فقدمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فسلمت عليه و عرفته نفسى، فانطلق بى إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفتها، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها، فقلت: ما هذا بملك، ثم دخلت بيته فأجلسنى على وسادة و جلس على الأرض، فقلت فى نفسى: ما هذا ملك. فقال لى: يا عدى إنك تأخذ المربع و هو لا يحل فى دينك، و لعلك إنما يمنعك من الإسلام ما ترى من حاجتنا و كثرة عدونا، و الله ليفيضم المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، و و الله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسيه على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، و و الله لتسمعن بالقصور البيض من بابل و قد فتحت.

قال:

فأسلمت، فقد رأيت القصور البيض و قد فتحت، و رأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله، و و الله لتكونن الثالثة [١] ليفيضم المال حتى لا يقبله أحد.

ذكر قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما افتتح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مكة و أسلمت ثقيف و فرغ من تبوك ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، و إنما كانت العرب تنتظر بإسلامها قريشا إذ كانوا أمام الناس و أهل الحرم و صريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، لا تنكر العرب ذلك، و كانت قريش هى التى نصبت الحرب لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، و خلافه، فلما فتحت مكة

[١] الثالثة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨٧

(١) و أسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و لا عداوته، فدخلوا فى الدين أفواجا، كما قال الله تعالى:

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا «١».

وقدمت وفودهم فى هذه السنة، قدم وفد بنى أسد على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أتيناك قبل أن ترسل إلينا [رسولا]، فأنزل الله تعالى: يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا «٢»، الآية. و فيها قدم وفد بلوى فى شهر ربيع الأول. و فيها قدم وفد الزاريين، و هم عشرة نفر. و فيها

قدم على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفد بنى تميم مع حاجب ابن زراره بن عدس، و فيهم الأقرع بن حابس و الزبرقان بن بدر و عمرو ابن الأهمم و قيس بن عاصم و الختات و معتمر بن زيد فى وفد عظيم و معهم عيينه بن حصن الفزاري، فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، [من وراء حجراته] أن اخرج إلينا يا محمد، فأذى ذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و خرج إليهم، فقالوا: جئنا نفاخرك فأذن لشاعرنا و خطيبنا، فأذن لهم، فقام عطارذ فقال: الحمد لله الذى له علينا الفضل الذى جعلنا ملوكا و وهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف و جعلنا أعز أهل المشرق و أكثرهم عددا، فمن يفاخرنا فليعد مثل عددنا. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لثابت بن قيس: أجب الرجل. فقام ثابت فقال:

الحمد لله الذى له السماوات و الأرض خلقه، قضى فيهن أمره، و وسع

(١). ٣-١١٠ inaroc، ssv،

(٢). ١٧٠٤٩ inaroc، sv،

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨٨

(١) كرسية علمه، و لم يكن شىء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا، و اصطفى من خير خلقه رسولا، أكرمهم نسبا، و أصدقهم حديثا، و أفضلهم حسبا، فأنزل عليه كتابه، و ائتمنه على خلقه، فكان خيرة الله تعالى من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان فآمن به المهاجرون من قومه و ذوى رحمته، أكرم الناس نسبا و أحسن الناس وجوها و خير الناس فعالا. ثم كان أول الخلق استجابة لله حين دعاه نحن، فنحن أنصار الله و وزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله و رسوله منع ماله و دمه، و من كفر جاهدناه فى الله أبدا، و كان قتله علينا يسيرا، و السلام عليكم.

فقالوا: يا رسول الله ائذن لشاعرنا، فأذن له، فقام الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حتى يعادلنا من الملوك و فينا تنصب البيع

و كم قسرنا من الأحياء كلهم عند الثهاب و فضل العرب يتبع

و نحن يطعم عند القحط مطعمنا من الشواء إذا لم يؤنس القرع [١]

بما ترى الناس تأتينا سراتهم من كل أرض هويًا ثم نصطع

فننحر الكوم عبطا [٢] فى أرومتنا للنازلين إذا ما أنزلوا شعبوا

فلا ترانا إلى حتى نفاخرهم إلا استقادوا و كاد [٣] الرأس يقطع

إننا أبيننا و لن يأبى [٤] لنا أحداً كذلك عند الفخر نرتفع

فمن يفاخرنا فى ذاك يعرفنا فيرجع القول «١» و الأخبار تستمع

[١] القرع. (و القرع: السحاب الرقيق، يريد إذا أخلفهم المطر فأجذبت أرضهم).

[٢] غبطا.

[٣] و كان.

[٤] و لم يَأب.

(١). فيرجع القوم. PmahcsiH -nbI.٩٣٥.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٨٩

(١) قال: و كان حسان بن ثابت غائباً، فدعاه رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، ليجيب شاعرهم. قال حسان: فلما سمعت قوله قلت على نحوه:

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرٍ وَ إِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنُّوا سَنَةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
يَرْضَى بِهَا كُلٌّ مِنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهَ، وَ كُلُّ الْبَرِّ يَصْطَنَعُ
سَجِيئَةً تَلْكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ، فَاعْلَمْ، شَرَّهَا الْبَدْعُ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلٌّ سَبَقَ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعَ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفَهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَ لَا يَوْهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقِهِمْ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِاللَّيْثِ مَتَعُوا
أَعْفَى ذَكَرْتَ فِي الْوَحْيِ [١] عَفَّتَهُمْ لَا يَطْبَعُونَ [٢] وَ لَا يَزُرَى بِهِمْ طَمَعٌ
لَا يَبْخُلُونَ [٣] عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَ لَا يَمْسَهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
إِذَا نَصَبْنَا لِحَى لَمْ نَدْبْ لَهُمْ كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ [٤]
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَ الْمَوْتِ مَكْتَنَعُ أَسَدٌ بِحَلِيئِهِ فِي أَرْسَاغِهَا فِدَعُ
أَكْرَمُ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْعَتِهِمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَ الشَّيْعُ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جَدَّ الْقَوْلُ أَوْ شَمِعُوا فَلَمَّا فَرَّغَ حَسَّانُ قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمَوْتَى لَهُ، خَطِيْبِهِمْ
أَخْطَبَ مِنْ خَطِيْبِنَا، وَ شَاعِرِهِمْ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا، ثُمَّ أَسْلَمُوا وَ أَجَازَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، وَ فِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ
الَّذِينَ

[١] الحى.

[٢] لا يطعمون. (و لا يطبعون: لا يدنسون).

[٣] لا ينحلون.

[٤] (الذرع: ولد البقرة الوحشية).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩٠

(١) يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ الْآيَاتِ «١».

(الخَتَاتُ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ، وَ تَاءِ يَنْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَعْجَمَةٌ بَاثْنَتَيْنِ مِنْ فَوْقٍ. وَ عَيْنُهُ بَضَمٌ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةُ، وَ يَأْتِيَنَّ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَثَاءً
مِنْ تَحْتِ، وَ نُونٌ).

وَ فِيهَا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، كَتَبَ مَلُوكٌ حَمِيرٌ مَقْرَبِينَ بِالْإِسْلَامِ مَعَ رَسُولِهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كِلَالٍ وَ النَّعْمَانُ قَيْلُ
ذِي رَعِينٍ وَ هَمْدَانُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ زُرْعَةَ ذُو يَزْنَ مَالِكِ بْنِ مَرَّةِ الرَّهَائِيِّ بِإِسْلَامِهِمْ، وَ كَتَبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ،
يَأْمُرُهُمْ بِمَا عَلَيْهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَ يَنْهَاهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ. وَ فِيهَا قَدِمَ وَفَدَّ بِهَرَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فَتَزَلُّوا عَلَى

المقداد بن عمرو. و فيها قدم وفد بنى البكاء. و فيها قدم وفد بنى فزاره فيهم خارجة بن حصن. و فيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ. و فيها قدم وفد سعد بن بكر، و كان وافدهم ضمام بن ثعلبة، فسأل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عن شرائع الإسلام و أسلم، فلما رجع إلى قومه قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: لئن صدق ليدخلن الجنة، فلمّا قدم على قومه اجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات و العزى! فقالوا: اتق البرص و الجذام و الجنون. فقال: و يحكم إنهما لا يضران و لا ينفعان، و إنّ الله قد بعث رسولا و أنزل عليه كتابا و قد استنقذكم به ممّا كنتم فيه، و أظهر إسلامه، فما أمسى ذلك اليوم فى حاضره رجل مشرك و لا امرأة مشركة، فما سمع بوفاد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

(١). ٤٩inaroc. ٤، sv.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩١

(١)

ذكر حجّ أبى بكر، رضى الله عنه

و فيها حجّ أبو بكر بالناس و معه عشرون بدنة لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، و لنفسه خمس بدنت، و كان فى ثلاثمائة رجل، فلما كان بذى الحليفة أرسل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى أثره عليا و أمره بقراءة سورة براءة على المشركين، فعاد أبو بكر و قال: يا رسول الله أنزل فى شىء؟

قال: لا، و لكن لا- يبلغ عنى إلما أنا أو رجل منى، ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار و صاحبى على الحوض؟ قال: بلى، فسار أبو بكر أميرا على الموسم، فأقام الناس الحجّ و حجّت العرب الكفار على عاداتهم فى الجاهلية، و على يؤذن براءة، فنادى يوم الأضحى: لا يحجّن بعد العام مشرك و لا يطوفن بالبيت عريان، و من كان بينه و بين رسول الله، صلى الله عليه و سلم، عهد فأجله إلى مدته

. و رجع المشركون، فلام بعضهم بعضا و قالوا:

ما تصنعون و قد أسلمت قريش؟ فأسلموا.

و فى هذه السنة فرضت الصدقات، و فرق رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فيها عماله.

و فيها فى شعبان توفيت أم كلثوم بنت النبى، صلى الله عليه و سلم، و هى زوج عثمان بن عفان و غسّلتها أسماء بنت عميس و صفيّة بنت عبد المطلب، و قيل: غسّلتها نسوة من الأنصار، منهنّ أم عطية، و صلى عليها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و نزل فى حفرتها أبو طلحة.

و فيها مات عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين، و كان ابتداء مرضه فى شوال،

فلما توفى جاء ابنه عبد الله إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فسأله قميصه، فأعطاه، فكفنه فيه، و جاء رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ليصلى عليه، فقام عمر فى صدره و قال: يا رسول الله أ تصلّى عليه و قد قال يوم

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩٢

(١) كذا كذا و كذا؟ يعدد أيامه، و رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يتبسّم ثم قال: أخر عنى عمر، قد خيّرت فاخترت، قد قيل لى:

استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم (١)، و لو علمت أن لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت، ثم صلى عليه و قام على قبره حتى فرغ منه، فأنزل الله تعالى: و لا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً و لا تقم على قبره (٢) الآية. و فيها نعى النبى، صلى الله عليه و سلم، النجاشى للمسلمين، و كان موته فى رجب سنة تسع، و صلى عليه رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

وفىها توفى أبو عامر الراهب عند النجاشي.

(١). sv، ٩inaroC.٨٠

(٢). sv، ٩inaroC.٨٤

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩٣

(١)

١٠ ذكر الأحداث فى سنة عشر

ذكر وفد نجران مع العاقب و السيد

وفىها أرسل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً، فإن أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام، وإن لم يفعلوا قاتلهم. فخرج إليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأجابوا وأسلموا، فأقام فيهم وكتب إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يعلمه إسلامهم، وعاد خالد معه وفدهم فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قينان [١] ذى الغصنة ويزيد بن عبد المدان وغيرهما، فقدموا على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم عادوا عنه فى بقیة سؤال أو فى ذى الحجة، وأرسل إليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم، وكتب معه كتاباً، وتوفى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعمرو بن حزم على نجران.

و أميا نصارى نجران فإنهم أرسلوا العاقب و السيد فى نفر إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأرادوا مباہلته، فخرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، معه على فاطمة والحسن والحسين، فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها، ولم يباهلوه وصالحوه على ألفى حلة ثمن كل حلة أربعين درهماً، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله،

[١] (فى الطبرى: الحصين بن يزيد بن قنان).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩٤

(١) صلى الله عليه وسلم، وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده ألا يفتنوا «١» عن دينهم ولا يعشروا، و شرط عليهم أن لا يأكلوا الزبا ولا يتعاملوا به. فلما استخلف أبو بكر عاملهم [بذلك]، فلما استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران، فخرج بعضهم إلى الشام وبعضهم إلى نجرانية الكوفة، واشترى منهم عقارهم وأموالهم. وقيل: إنهم كانوا قد كثروا فبلغوا أربعين ألفاً فتحاسدوا بينهم، فأتوا عمر بن الخطاب وقالوا: أجلنا، وكان عمر بن الخطاب قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم، فندموا بعد ذلك ثم استقالوه فأبى، فبقوا كذلك إلى خلافة عثمان.

فلما ولى على أتوه وقالوا:

ننشذك الله خطك بيمينك. فقال: إن عمر كان رشيد الأمر وأنا أكره خلافه،

و كان عثمان قد أسقط عنهم مائتى حلة، و كان صاحب النجرانية بالكوفة يبعث إلى من بالشام والنواحي من أهل نجران يجوبونهم الحلل.

فلما ولى معاوية ويزيد بن معاوية شكوا إليه تفرقهم وموت من مات منهم وإسلام من أسلم منهم، وكانوا قد قتلوا، وأروه كتاب عثمان، فوضع عنهم مائتى حلة تكملها أربعمائه حلة. فلما ولى الحجاج العراق و خرج عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أتتهم

الدهاقين بموالاة-ته و اتهمهم معهم فردهم إلى ألف و ثلاثمائة حلة و أخذهم بحل و شى. فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم و نقصهم و إلحاح العرب عليهم بالغارة و ظلم الحجاج، فأمر بهم فأحصوا و وجدوا على العشر من عدتهم الأولى، فقال: أرى هذا الصلح جزية و ليس على أرضهم شىء و جزية المسلم و الميت ساقطة، فألزمهم مائتى حلة. فلما تولّى يوسف بن عمر الثقفى [١] ردّهم إلى أمرهم الأوّل

[١] تعاقب.

(١). يفثوا.B؛ يقتلوا.P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩٥

(١) عصية للحجاج. فلما استخلف السفاح عمدوا إلى طريقه يوم ظهوره من الكوفة فألقوا فيها الرياح و نثروا عليه، فأعجبه ذلك من فعلهم، ثم رفعوا إليه أمرهم و تقربوا إليه بأخواله بنى الحارث بن كعب، فكلّمه فيهم عبد الله ابن الحارث فردّهم إلى مائتى حلة. فلما ولى الرشيد شكوا إليه العمّال فأمر أن يعفوا من العمّال و أن يكون مؤداهم بيت المال.

و فيها قدم وفد سلامان فى شوال، و هم سبعة نفر، رأسهم حبيب السلامانى. و فيها قدم وفد غبشان فى رمضان، و وفد عامر فى شهر رمضان أيضا. و فيها قدم وفد الأزد رأسهم صرد بن عبد الله فى بضعة عشر رجلا، فأسلم، و أمره رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، على من أسلم من قومه، و أمره أن يجاهد المشركين، فسار إلى مدينة جرش، و فيها قبائل من اليمن فيهم خنعم، فحاصرهم قريبا من شهر فامتنعوا منه فرجع حتى كان بجبل يقال له كشر، فظنّ أهل جرش أنه منهزم فخرجوا فى طلبه فأدركوه، فعطف عليهم فقاتلهم قتالا شديدا، و

قد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، ينظران حاله. فبينما هما عنده إذ قال: بأى بلاد الله شكر؟ فقالا: ببلادنا جبل يقال له كشر. فقال: إنّه ليس بكشر و لكنّه شكر، و إنّ بدن الله لتنحر عنده الآن. فقال لهما أبو بكر أو عثمان:

و يحكما إنّه يعنى لكما قومكما فأسألاه أن يدعو الله يرفع عنهم، ففعلا، فقال: اللهم ارفع عنهم، فخرجا من عنده إلى قومهما فوجداهم قد أصيبوا ذلك اليوم فى تلك الساعة التى ذكر فيها النبى، صلى الله عليه و سلّم، حالهم، و خرج وفد جرش إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، فأسلموا.

و فيها قدم وفد مع فروة بن مسيكة المرادى على رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، مفارقا لملوك كندة، و قد كان قبيل الإسلام بين

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩٦

(١) مراد و همدان وقعة ظفرت [فيها] همدان و أكثروا القتل فى مراد، و كان يقال لذلك اليوم يوم الرّزم [١]، و كان رئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق، و فى ذلك يقول فروة:

فإن نغلب فغلابون قدماو إن نهزم فغير مهزّمينَا

و ما إن طئنا جبن و لكن منايانا و دولة آخرينا

كذاك الدهر دولته سجال تكّر صروفه حينَا و حينَا

فيينا ما يسرّ به و يرضى و لو لبست غضارته سنيْنَا

إذ انقلبت به كرات دهر فألفى للأولى غبطوا طحينَا

و من يغبط بريب الدهر منهم يجد ريب الزمان له [٢] خوونا

فلو خلد الملوك إذا خلدناو لو بقى الكرام إذا بقينا

فأفنى ذاكم [٣] سروات قوم كما أفنى القرون الأولينا و لما توجه فروه إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مفارقا لقومه قال:

لما رأيت ملوك كنده أعرضت كالزجل خان الزجل عرق نساها

يممت راحلتى أومّ محمدا أرجو فضائلها و حسن ثرائها

فلما انتهى إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قال له: يا فروه هل ساءك ما أصاب قومك يوم الزم؟ فقال: يا رسول الله من ذا

يصيب قومه مثل ما أصاب قومى و لم يسؤه ذلك؟ فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم:

إنّ ذلك لا يزيد قومك فى الإسلام إلّا خيرا [٤]

، فاستعمله رسول الله، صلى

[١] الرّدم. (و الزّزم: موضع فى بلاد مراد).

[٢] لهم.

[٣] ذلكم.

[٤] خرافا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩٧

(١) الله عليه و سلم، على مراد و زيد و مذحج كلّها و بعث معه خالد بن سعيد ابن العاص، فكان على الصدقات إلى أن توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

و فيها أرسل فروه بن عمرو الجذامى ثمّ النّفائى رسولا إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بإسلامه و أهدى له بغلة بيضاء، و كان فروه عاملا للروم على من يليهم من العرب، و كان منزله معان فى أرض الشام، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أسروه فحبسوه، فقال فى محبسه ذلك:

طرقت سليمانى موهنا فشحجاني «١» و الزّوم بين الباب و القربان «٢»

صدّ الخيال و ساء ما قد رأى و هممت أن أغفى و قد أبكاني

لا تكحلنّ العين بعدى إثمدا سلمى و لا تدننّ للإنسان فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين قال:

ألا هل أتى سلمى بأنّ خليلها على ماء عفرى فوق إحدى الزواحل

على ناقة لم يلقح «٣» الفحل [١] أمّهم شذبة أطرافها بالمناجل و هذا من أبيات المعانى. فلما قدموه ليصلبوه قال:

بلغّ مرأة المسلمين بأننى سلم لربى أعظمى و مقامى ثمّ ضربوا عنقه و صلّبوه.

و فيها قدم وفد زيد على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مع عمرو

[١] القلح.

(١). موهنا أصحابى PmahcsiH -nbI.٩٥٨

(٢). و القروان. A. mahcsiH -nbI. ١ c. و العرفان.

(٣). يضرب. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩٨

(١) ابن معد يكرب، و كان رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، قد استعمل على زبيد و مراد فروة بن مسيكة في هذه السنة قبل قدوم عمرو، فلما عاد عمرو من عند رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، أقام في قومه بنى زبيد و عليهم فروة، فلما توفي رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، ارتد عمرو.

و فيها قدم وفد عبد القيس على رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، و فيهم الجارود بن عمرو، و كان نصرانيا فأسلم و أسلم من معه، و كان الجارود حسن الإسلام، نهى قومه عن الردة بعد موت النبي، صَلَّى الله عليه و سلم، لما ارتدوا مع الغرور، و هو المنذر بن النعمان، و قد كان رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، بعث العلاء بن الحضرمي قبل الفتح إلى المنذر بن ساوى العبدى فأسلم و حسن إسلامه، ثم هلك بعد وفاة رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، و قبل ردة أهل البحرين، و العلاء أمير لرسول الله على البحرين.

و فيها قدم وفد بنى حنيفة و فيهم مسيلم، و كان منزله في دار ابنة الحارث امرأة من الأنصار، و اجتمع مسيلم برسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، ثم عاد إلى اليمامة و تتبأ و تكذب [لهم] و ادعى أنه شريك رسول الله في النبوة، فاتبعه بنو حنيفة. و فيها

قدم وفد كنده مع الأشعث بن قيس، و كانوا ستين راكبا، فقال الأشعث: نحن بنو آكل المرار و أنت ابن آكل المرار. فقال النبي، صَلَّى الله عليه و سلم: نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا و لا ننتفى من أيينا.

و فيها قدم وفد محارب. و فيها قدم وفد الزهاويين، و هم بطن من مذحج.

(و رهاء بفتح الراء، قاله عبد الغنى بن سعيد). و فيها قدم وفد عبس. و فيها قدم وفد صدق، وافوا رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، في حجة الوداع. و فيها قدم وفد خولان، و كانوا عشرة.

و فيها قدم وفد بنى عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل و أربد بن قيس

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٢٩٩

(١) و جبار «١» بن سلمى، بضم السين و بالإمالة، بن مالك بن جعفر، و كان عامر يريد الغدر برسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، فقال له قومه: إن الناس قد أسلموا فأسلم. فقال: لا أتبع عقب هذا الفتى، ثم قال لأربد: إذا قدمنا عليه فإني شاغله عنك فاعله بالسيف من خلفه. فلما قدموا جعل يكلم النبي، صَلَّى الله عليه و سلم، يشغله ليفتك به أربد، فلم يفعل أربد شيئا، فقال عامر للنبي، صَلَّى الله عليه و سلم: لأملأها عليك خيلا و رجالا، فلما ولي قال رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم: اللهم اكفني عامرا.

فلما خرجوا قال عامر لأربد: لم تم تقتله؟ قال: كلما هممت بقتله دخلت بيني و بينه حتى ما أرى غيرك، فأضربك بالسيف؟ و رجعوا، فلما كانوا ببعض الطريق أرسل الله على عامر بن الطفيل الطاعون فقتله، و إنه لفي بيت امرأة سلولية، فمات و جعل يقول: يا بنى عامر أغدده كغدة البعير و موت في بيت سلولية! و أرسل الله على أربد صاعقة فأحرقتة، و كان أربد ابن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمة.

و فيها

قدم على رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، وفد طيبي فيهم زيد الخيل، و هو سيدهم، فأسلموا و حسن إسلامهم. و قال رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم: ما ذكر لي رجل من العرب [بفضل] ثم جاءني إلا رأيتته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل، ثم سمأه زيد الخير و أقطع له فيد و أرضين معها.

فلما رجع أصابته الحمى بقريه من نجد فمات بها.

و فيها

كتب مسيلم الكذاب إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يذكر أنه شريكه فى النبوة، و أرسل الكتاب مع رسولين، فسألهما رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عنه، فصدّقه. فقال لهما: لو لا أنّ الرسل لا تقتل لقتلتكما [١].

[١] لقتلتها.

(١). حسان. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠٠

(١) و كان كتاب مسيلم: من مسيلم رسول الله إلى محمّد رسول الله، أمّا بعد فإنّي قد أشركت معك فى الأمر و إنّ لنا نصف الأرض و لقريش نصفها، و لكن قريشا قوم يعتدون. فكتب إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى مسيلم الكذاب، أمّا بعد فالسلام على من أتبع الهدى، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين. و قيل: إن دعوى مسيلم و غيره النبوة كانت بعد حجّة الوداع و مرضته التى مات فيها. فلمّا سمع الناس بمرضه و ثب الأسود العنسى باليمن، و مسيلم باليمامة، و طليحة فى بنى أسد.

ذكر إرسال على إلى اليمن و إسلام همدان

فى هذه السنة بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليًا إلى اليمن، و قد كان أرسل قبله خالد بن الوليد إليهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فأرسل عليًا و أمره أن يعقل خالدًا و من شاء من أصحابه، ففعل، و قرأ على كتاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على أهل اليمن، فأسلمت همدان كلّها فى يوم واحد، فكتب بذلك إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: السلام على همدان، يقوله ثلاثًا، ثمّ تتابع أهل اليمن على الإسلام، و كتب بذلك إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فسجد شكرًا لله تعالى. الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠١

(١)

ذكر بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أمراءه على الصدقات

و فيها بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أمراءه و عمّاله على الصدقات، فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسى و هو بها، و بعث زياد بن لبيد الأنصارى إلى حضرموت على صدقاتهم، و بعث عدى بن حاتم الطائى على صدقات طيىء و أسد، و بعث مالك بن نويرة على صدقات [بنى] حنظلة، و جعل الزبرقان بن بدر و قيس بن عاصم على صدقات سعد ابن زيد مناة بن تميم، و بعث العلاء بن الحضرمى إلى البحرين، و بعث على ابن أبى طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم و جزيتهم و يعود، ففعل و عاد، و لقي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمكة فى حجّة الوداع، و استخلف على الجيش الذى معه رجلا من أصحابه، و سبقهم إلى النبى، صلى الله عليه وسلم، فلقيه بمكة، فعمد الرجل إلى الجيش فكساهم كلّ رجل حلة من البز الذى مع على، فلمّا دنا الجيش خرج على ليتلقّاهم فرأى عليهم الحلل، فزعا عنهم، فشكاه الجيش إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقام النبى، صلى الله عليه وسلم، خطيبًا فقال: أيّها الناس لا تشكوا عليًا فوالله [إنه] لأحشن [١] فى ذات الله و فى سبيل الله.

[١] فهو لأخشن.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠٢

(١)

ذكر حجة الوداع

خرج رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، إلى الحجّ لخمسة بقين من ذى القعدة لا يذكر الناس إلا الحجّ، فلما كان بسرف أمر الناس أن يحلّوا بعمرة إلا من ساق الهدى، و

كان رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، قد ساق الهدى و ناس معه، و كان عليّ بن أبى طالب قد لقيه محرماً، فقال له النبىّ، صَلَّى الله عليه و سلم: حلّ كما حلّ أصحابك. فقال: إنى قد أهلت بما أهلّ به رسول الله، فبقى على إحرامه، و نحر رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، الهدى عنه و عن عليّ و حجّ بالناس فأراهم مناسكهم و علمهم سنن حجّهم و خطب خطبته التى بيّن فيها للناس ما بيّن، و كان الذى يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس، فقال بعد حمد الله:

أيها الناس اسمعوا قولى فلعلّى لا- ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا. أيها الناس إنّ دماءكم و أموالكم عليكم حرام كحرمته يومكم هذا، و كلّ ربا موضوع، لكم رءوس أموالكم، و إنّ ربا العتّاس بن عبد المطلب موضوع كلّ، و كلّ دم كان فى الجاهلية موضوع، و أول دم أضع دم [ابن] ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، و كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل. أيها الناس إنّ الشيطان قد يسّ أن يعبد بأرضكم هذه أبدا و لكنّه يطاع فيما سوى ذلك و قد رضى بما تحقرون من أعمالكم. أيها الناس إنّما النسيء زيادةٌ فى الكُفْرِ [١]، و إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض، و إنّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا [٢]. أيها الناس استوصوا بالنساء خيرا.

و هى خطبة طويلة.

[١] (سورة التوبة ٩، الآية ٣٧).

[٢] (سورة التوبة ٩، الآية ٣٦).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠٣

(١) و

قال حين وقف بعرفة: هذا الموقف- للجبل الذى هو عليه- و كلّ عرفه

موقف. و

قال بالمزدلفة: هذا الموقف و كلّ مزدلفة موقف. و لما نحر بمنى قال: هذا المنحر و كلّ منى منحر.

فقضى رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، الحجّ، و كانت حجة الوداع و حجة البلاغ [١]، و ذلك أنّ رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، لم يحجّ بعدها، و أرى الناس مناسكهم و علمهم حجّهم.

ذكر عدد غزواته، صَلَّى الله عليه و سلم، و سراياه

و كان آخر غزوة [غزاها] رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، بنفسه غزوة تبوك، و جميع غزواته بنفسه تسع عشرة غزوة. قال الواقدي: هكذا يرويه أهل العراق عن زيد بن أرقم، و هو خطأ لأنّ زيدا غزا مؤتة مع عبد الله بن رواحة و هو رديفه على رحله، و لم يغز مع النبىّ، صَلَّى الله عليه و سلم، غير ثلاث غزوات أو أربع، و قيل: غزا رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، ستّا و عشرين غزوة، و قيل: سبعا

وعشرين، فمن قال: ستا و عشرين جعل غزوة خيبر و وادى القرى واحدة لأنه لم يرجع من خيبر إلى منزله، و من فرّق بينهما جعل غزواته سبعا و عشرين، جعل خيبر غزوة و وادى القرى غزوة.

و أول غزوة غزاها ودّان، و هى الأبواء، ثم بواط بناحية رضوى، ثم العشيرة، ثم بدر الأولى لطلب كرز بن جابر، ثم بدر التى قتل فيها قريشا، ثم غزوة بنى سليم، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، و هى غزوة ذى أمر، ثم غزوة بحران بالحجاز، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بنى النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، ثم غزوة بدر الآخرة،

[١] البلاغة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠٤

(١) ثم غزوة «١» دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بنى قريظة، ثم غزوة بنى لحيان من هذيل، ثم غزوة ذى قرد، ثم غزوة بنى المصطلق، ثم غزوة الحديبية، ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة فتح مكة، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك، قاتل منها فى تسع غزوات: بدر و أحد و الخندق و قريظة و المصطلق و خيبر و الفتح و حنين و الطائف.

و اختلف فى عدد سراياه، ف قيل: كانت خمسا و ثلاثين ما بين سرية و بعث، و قيل: ثمانيا و أربعين.

و فى هذه السنة قدم جرير بن عبد الله الجلى فى رمضان مسلما، فبعثه إلى ذى الخلفة فهدمها، و كان من حجر أبيض بتبالة [١]، و هو صنم بجيلة و خثعم و أزد السراة، فلما أتى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، خبر هدمه سجد شكرا لله تعالى. و فيها أسلم باذان «٢» باليمن و بعث بإسلامه إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

[١] بتبالة.

(١). غزوة ذات الحرمت. B. dda

(٢). زادان. C. ddo

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠٥

(١)

ذكر عدد حج النبى، صلى الله عليه و سلم، و عمره

قال جابر: حج النبى، صلى الله عليه و سلم، حجّتين، حجّة قبل أن يهاجر و حجّة بعد ما هاجر معها عمره. و قال ابن عمر: اعتمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ثلاث عمر، و قالت عائشة: أربع عمر، و روى مثل ذلك عن ابن عمر.

ذكر صفة النبى، صلى الله عليه و سلم، و أسمائه و خاتم النبوة

قال على بن أبى طالب: كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ليس بالطويل و لا بالقصير، ضخم الرأس و اللحية، شثن الكفين و القدمين، ضخم الكراديس، مشربا وجهه حمرة، طويل المسربة، إذا مشى تكفأ تكفأ كأنما ينحط من صيب، لم أر قبله و لا بعده مثله، و كان أدعج العينين، سبط الشعر، سهل الخدين، ذا وفرة، كأنّ عنقه إبريق فضة، و إذا التفت التفت جميعا، كأنّ العرق فى وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه و ريحه.

قال أبو عبيدة و غيره: شثن الكفين و القدمين، يعنى أنّهما إلى الغلظ [أقرب]، و قوله: ضخم الكراديس، يعنى ألواح الأكتاف، و

المسربة الشعر ما بين السرة واللبّة، و الصبب الانحدار، و الدّعج فى العين السوداء، و السبط من الشعر ضد الجعد.
و كان بين كتفيه، صلى الله عليه و سلم، خاتم النبوة، و هى بضعة ناشزة حولها شعر.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠٦

(١) و أمّا أسماؤه فهى كما [١]

قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: أنا محمد، و أنا أحمد و المقفّى [٢] و الحاشر و نبى الرحمة و نبى التوبة و نبى الملحمة [٣] و العاقب و الماحى الذى يمحو الله به الكفر.

و الحاشر الذى يحشر الناس على قدمه. و العاقب آخر الأنبياء.

و أمّا شعره و شيبه فقال أنس: لم يشنه الله بالشيب، و قيل: كان فى مقدّم [٤] لحيته عشرون شعرة بيضاء و لم يخضب. قال جابر بن سمره: و كان فى مفرق رأسه شعرات بيض إذا دهنه غطاهن الدهن، و أخرجت أم سلمة شعره مخضوبا بالحناء و الكتم. و قال أبو رمثة: كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يخضب، و كان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه. و قالت أم هانئ: كان له صفائر أربع.

ذكر شجاعته، صلى الله عليه و سلم، و جوده

قال أنس: كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أشجع الناس، و أسمح الناس، و أحسن الناس، وقع فى المدينة فزع فركب فرسا عريا فسبق الناس إليه فجعل يقول: أيها الناس لم تراعوا لم تراعوا.

و

قال على بن أبى طالب: كنا إذا اشتدّ البأس اتقينا برسول الله، صلى الله عليه و سلم، فكان أقربنا إلى العدو، و كفى بهذا شجاعه أن مثل على الذى هو هو فى شجاعته يقول هذا، و قد تقدّم فى غزواته ما يستدلّ به على تمكّنه من الشجاعة و أنّه لم يقاربه فيها أحد.

[١] فإنه.

[٢] و المقتفى.

[٣] الملحمة.

[٤] قدم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠٧

(١)

ذكر عدد أزواج النبى، صلى الله عليه و سلم، و سراريه و أولاده

قال ابن الكلبي: إن النبى، صلى الله عليه و سلم، تزوّج خمس عشرة امرأة، و دخل بثلاث عشرة، و جمع بين إحدى عشرة، و توفى عن تسع.

و أول امرأة تزوّجها خديجة بنت خويلد، و كان تزوّجها قبله عتيق بن عائذ [١] ابن عبد الله بن مخزوم و مات عنها، و تزوّجها بعد عتيق أبو هالة بن زرارة بن نباش التميمي، فولدت له هند بن أبى هالة، ثم مات عنها، فتزوّجها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فولدت له ثمانية: القاسم و الطيب و الطاهر و عبد الله و زينب و رقية و أم كلثوم و فاطمة، فأما الذكور فماتوا و هم صغار، و أمّا الإناث فبلغن و نكحن و ولدن، و لم يتزوّج على خديجة فى حياتها أحدا [٢] و كان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين، و لم يولد له ولد من غيرها إلّا

إبراهيم.

فلما توفيت خديجة نكح بعدها سودة بنت زمعة، وقيل عائشة، فأما عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة بنت ست سنين، و أما سودة فكانت امرأة ثيبا، و كانت قبله عند السِّكران بن عمرو بن عبد شمس أخى سهيل بن عمرو، و كان من مهاجرة الحبشة فتنصير بها و مات، فخلف عليها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و هو بمكة، و كان الذى خطبها عليه خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون، فدخل بسودة بمكة، زوجها منه أبوها زمعة بن قيس، فلما تزوجها كان أخوها عبد بن زمعة غائبا، فلما قدم جعل يحثى

[١] (فى الطبرى: عابد).

[٢] إحدى.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠٨

(١) التراب على رأسه، فلما أسلم قال: إئتى سفية حيث فعلت ذلك، و ندم على ما كان منه.

و أما عائشة فدخل بها بالمدينة و هى ابنة تسع سنين، و مات عنها و هى ابنة ثمانى عشرة سنة، و لم يتزوج بكرا غيرها، و ماتت سنة ثمان و خمسين.

ثم تزوج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطاب، و كانت قبله عند خنيس ابن حذافة السهمي (خنيس بالخاء المعجمة و النون و السين المهملة)، و كان بدريا، و لم يشهد من بنى سهم بدرا غيره، و لم تلد له شيئا، و ماتت بالمدينة فى خلافة عثمان.

ثم تزوج بعدها أم سلمة ابنة أبى أمية زاد الركب المخزومية، و كانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومي، شهد بدرا و أصابته جراحة يوم أحد فمات منها، و تزوجها [١] رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قبل الأحزاب «١»، و ماتت سنة تسع و خمسين، و قيل: بعد قتل الحسين، رضى الله عنه.

ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بنى عامر بن صعصعة، و يقال لها أم المساكين، و توفيت فى حياته، و لم يمت فى حياته غيرها و غير خديجة بنت خويلد، و كانت زينب قبله عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب.

ثم تزوج عام المريسيه جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار الخزاعية من بنى المصطلق، و كانت قبله عند مالك بن صفوان المصطلقى، لم تلد له شيئا.

ثم تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب، و كانت عند عبيد الله بن جحش، و كان من مهاجرة الحبشة فتنصير و مات بها، فأرسل النبى، صلى الله

[١] و تزوج.

(١). و تزوج سلمة أبى (!) سلمة بنت حمزة بن عبد المطلب.: ddacih

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٠٩

(١) عليه و سلم، إلى النجاشي فخطبها عليه و تزوجها و هى بالحبشة، و زوجها منه خالد ابن سعيد بن العاص، و قيل: بل خطبها إلى عثمان بن عفان فزوجها منه، و بعث فيها إلى النجاشي فساق منه المهر أربعمائه دينار و أرسلها إليه، و توفيت فى خلافة أخيه معاوية فلم تلد له شيئا.

ثم تزوج زينب بنت جحش، و كانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه، فلم تلد له شيئا، فزوجها الله إياه و بعث فى ذلك جبرائيل، و كانت تفخر على نساء النبى، صلى الله عليه و سلم، و تقول: أنا أكرمهن ولينا و سفيرا، و هى أول [من توفى من] أزواجه، توفيت بعده

فى خلافة عمر.

ثم تزوج عام خبير صفيّة بنت حبيّ بن أخطب، و كانت قبله تحت سلّام ابن مشكم فتوفّى عنها، و خلف عليها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، فقتله محمّد بن مسلمة صبّرا بأمر النّبى، صلّى الله عليه و سلّم، ثمّ أعتقها النّبى، صلّى الله عليه و سلّم، و تزوّجها سنّة ستّ، و ماتت سنّة ستّ و ثلاثين.

ثمّ تزوّج ميمونة ابنة الحارث الهلاليّة، و كانت قبله عند عمير بن عمرو الثقفى، و لم تلد له شيئا، ثمّ خلف عليها أبو زهير بن عبد العزى بعد عمير، ثمّ رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، بعده، و هى خالة ابن عبّاس و خالد ابن الوليد، و تزوّجها فى عمرة القضاء بسرف. ثمّ تزوّج امرأة من بنى كلاب يقال لها النشا «١» بنت رفاعه، و قيل: هى شنبا «٢» ابنة أسماء بن الصّلت، و قيل: ابنة الصّلت بن حبيب، توفيت قبل أن يدخل بها.

ثمّ تزوّج الشنبا «٣» ابنة عمرو الغفاريّة، و قيل الكنانيّة، فمات إبراهيم ابنه قبل أن يدخل بها، فقالت: لو كان نبيا ما مات ابنه، فطلّقها.

(١). النساء. B.

(٢). شنبا. B. Ido. سبا. A. Bte.

(٣). الصابية. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١٠

(١) ثمّ تزوّج عربة «١» ابنة جابر الكلابيّة، خطبها عليه أبو أسيد، بضّمّ الهزرة، الساعديّ، فلمّا قدمت على النّبى، صلّى الله عليه و سلّم، استعادت بالله منه ففارقها.

ثمّ تزوّج أسماء ابنة النعمان بن الأسود بن براحل «٢» الكنديّ، فلمّا دخل بها وجد بها بياضا فمتّعها و ردّها إلى أهلها، و قيل: بل استعادت منه أيضا فردّها.

و العالية ابنة ظبيان فجمعها ثمّ فارقها.

و قتيلة بنت قيس أخت الأشعث فتوفّى عنها قبل أن يدخل بها، فارتدت.

و فاطمة ابنة سرع.

و قال ابن الكلبيّ: عربة هى أمّ شريك. قال: و قيل: إنّه تزوّج خولة ابنة الهذيل بن هبيرة، و ليلى ابنة الخطيم [١] الأنصاريّة عرضت نفسها عليه فتزوّجها، فأخبرت قومها، فقالوا: أنت غيور و له نساء فاستقبله فأقالته ففارقها.

و أمّيا من خطب النّبى، صلّى الله عليه و سلّم، من النساء، و لم ينكحها فمنهنّ أمّ هانئ بنت أبى طالب خطبها و لم يتزوّجها. و منهنّ ساعة بنت عمر [٢] من بنى قشير. و منهنّ صفيّة بنت بشامة أخت الأعرور العنبريّ. و منهنّ أمّ حبيبة ابنة عمّه العبّاس، فوجد العبّاس أخاه من الرضاعة فتركها. و منهنّ جمرة ابنة الحارث بن أبى حارثة خطبها، فقال أبوها: بها سوء، و لم يكن بها،

[١] و ليلة ابنة الخطيم.

[٢] (فى الطبرى: ضباعة بنت عامر).

(١). عذية. P. C.

(٢). شراهيل. v. s, abasi.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١١

(١) فرجع إليها فوجدها قد برصت.

و أما سراريه فهي ماريه ابنة شمعون القبطية، و ولدت له إبراهيم، و ريحانة ابنة زيد القرظية، و قيل: هي من بنى النضير.

ذكر موالى رسول الله، صلى الله عليه و سلم

فمنهم زيد بن حارثة، و ابنه أسامة بن زيد، و ثوبان، و يكنى أبا عبد الله، أصله من السيرة، و سكن حمص بعد موت النبي، صلى الله عليه و سلم، و مات سنة سبع و خمسين، و قيل: سكن الرملة، و لا عقب له. و شقران، و كان من الحبشة، و قيل من الفرس، و اسمه صالح [بن عدى، و اختلف فى أمره]، فقول: إن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ورثه من أبيه، و قيل: كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي، صلى الله عليه و سلم، و أعقب. و أبو رافع، و اسمه إبراهيم، و قيل أوقع، فقول: كان للعباس فوهبه للنبي، صلى الله عليه و سلم، فأعتقه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قيل: كان لأبى أحيحة سعيد بن العاص فأعتق ثلاثة من بنيه أنصاءهم منه [١]، و شهد معهم بدرًا و هم كفار، و قتلوا يومئذ، و هب خالد بن سعيد نصيبه منه للنبي، صلى الله عليه و سلم، فأعتقه و ابنه البهي «١»، و اسمه رافع، و أخوه عبيد الله بن أبى رافع، كان يكتب لعلى بن أبى طالب.

[١] و أنصبتهم منه.

(١). أبو البهي: ١٠٢٣، abasi

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١٢

(١) و سلمان الفارسي، و كنيته أبو عبد الله، من أهل أصبهان، و قيل: من أهل رامهرمز، أصابه سببا بعض من كلب و بيع من يهودى بوادى القرى، فكاتب اليهودى و أعانه النبي، صلى الله عليه و سلم، حتى عتق. و سفينه، كان لأم سلمة، فأعتقته و شرطت عليه خدمة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، [حياته]. قيل: اسمه مهران، و قيل: رباح، و قيل: كان من عجم الفرس.

و أنسه [١] يكنى أبا مسروح، و هو من مولدى السراة، و كان يأذن على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و شهد معه بدرًا و أحدا و المشاهد كلها، و قيل: كان من الفرس.

و أبو كبشة، و اسمه سليم، قيل: كان من موالى مكة، و قيل: كان من مولدى أرض دوس، اشتراه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أعتقه، و شهد بدرًا و المشاهد كلها، و توفى يوم استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة.

و رويق «١» أبو مويبه، كان من مولدى مزينه، فاشتراه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أعتقه.

و رباح الأسود، كان يأذن على رسول الله [٢] ن، صلى الله عليه و سلم.

و فضالة نزل الشام.

و مدعم قتل بوادى القرى.

[١] و ابنه.

[٢] يؤذن لرسول الله.

(١). رويفع: abasI

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١٣

(١) و أبو ضميرة، قيل: كان من الفرس من ولد بشتاسب الملك، فأصابه رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، فى بعض وقائعه فأعتقه، و هو جدّ أبى حسين.

و يسار «١» و كان نوبيا [١]، أصابه فى بعض غزواته فأعتقه، و هو الذى قتله العريتون الذين أغاروا على لقاح رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم.

و مهران مولاة، حدّث عن النبى، صَلَّى الله عليه و سلم.

و كان له خصي يقال له مابوز، أهدها له المقوقس مع مارية و شيرين، قيل: إنّه الذى قذفت مارية به، فبعث رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، عليا ليقتله، فرآه خصيا فتركه. و خرج إليه من الطائف و هو محاصرهم أربعة أعبد فأعتقهم، منهم أبو بكره.

ذكر من كان يكتب لرسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم

ذكر أنّ عثمان بن عفان كان يكتب له أحيانا و علي بن أبى طالب أحيانا، و خالد بن سعيد، و أبان بن سعيد، و العلاء بن الحضرمي. و أوّل من كتب له أبى بن كعب، و كتب له زيد بن ثابت، و كتب له عبد الله بن سعد بن أبى سرح، ثم ارتدّ و رجع إلى الإسلام يوم الفتح. و كتب له معاوية بن أبى سفيان، و حنظلة الأسدي (بضم الهمزة، و تشديد الياء، كذلك يقوله المحدثون، و هو منسوب إلى أسيد بن عمرو بن تميم، بالتشديد إجماعا).

[١] يوناتيا.

(١). بشار: p.bdnaHsabietoC -nbI.٧٢

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١٤

(١)

ذكر أسماء خيله، صَلَّى الله عليه و سلم

قيل: أوّل فرس ملكه، صَلَّى الله عليه و سلم، فرس اشتراه بالمدينة من أعرابي من فزارة بعشر أواق، و سمّاه السكب، و أوّل غزوة غزاها عليه أحد. و فرس لأبى بردة بن نيار [١] اسمه ملاوح. و كان له فرس يدعى المرتجز، و هو الفرس الذى شهد به خزيمة بن ثابت، و كان صاحبه من بنى مرّة. و كان له ثلاثة أفراس: لزاز و الطرب و اللّحيف، و أمّا لزاز فأهداه له المقوقس، و أمّا اللّحيف فأهداه له ربيعة بن أبى البراء، و أمّا الطرب فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي. و كان له فرس يقال له الورد، أهدها له تميم الداري، فوهبه النبى، صَلَّى الله عليه و سلم، لعمر بن الخطّاب، فحمل عليه فى سبيل الله فوجده يباع «١». و قيل: كان له فرس اسمه اليعسوب.

تفسير هذه الأسماء: السكب الكثير الجرى، كأنما يصبّ جريه صبا.

و اللّحيف سمى به لطول ذنبه كأنه يلحف الأرض بذنبه، أى يغطّيها.

و لزاز سمى به لشدة تلّززه. و الطرب سمى به لشدة خلقه، سمى بالجبل الصغير. و المرتجز سمى به لحسن صهيله. و اليعسوب سمى به لأنّه أجود خيله، لأنّ اليعسوب الرئيس.

ذكر بغاله وحميره وإبله، صلى الله عليه وسلم

كانت له دلل، و هى أول بغلة رثيت فى الإسلام، أهداها له المقوقس

[١] لأبى بردة بن أبى نيار.

(١). P .C. momudoirep .Ate . ساعت . rB . ٢٣ . M . ٢٨٢ . BdoC

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١٥

(١) و معها حمار اسمه عفير، و بقيت البغلة إلى زمن معاوية، و أهدى له فروة ابن عمرو بغلة يقال لها [١] فضة، فوهبها لأبى بكر، و حماره يعفور بقى بعد منصرفه من حجة الوداع.

و أميا إبله فكانت له القصوى، و هى التى أخذها من أبى بكر بأربعمائة درهم و هاجر عليها، و كانت من نعم بنى الحريش، و بقيت مدّة، و هى العضباء و الجدعاء أيضا. قال ابن المسيّب: كان فى طرف أذنها جدع، و قيل: لم يكن بها جدع.

و أما لقاحه فكان له عشرون لقحةً بالغابة، و هى التى أغار [٢] عليها القوم، يأتى لبنها أهله كل ليلة، و كان له لقاح غزار [٣]، منهم: الحسناء و السمراء و العريس و السعدية و البغوم و اليسيرة و الرّيا و مهرة و الشقراء.

و أما منائح، فكانت له سبع منائح من الغنم: عجوة و زمزم و سقيا [٤] و بركة و ورسه و أطلال و أطراف، و سبع أعتر يرعاهنّ أيمن بن أمّ أيمن.

تفسير هذه الأسماء: عفير تصغير ترخيم الأعر، و هو الأبيض بياضا غير خالص، و منه أيضا اسم حماره يعفور، كأخضر و يخضور. البغام صوت الإبل، و منه البغوم. و الباقي لا يحتاج إلى شرح.

[١] له.

[٢] غار.

[٣] غرر.

[٤] و سقبا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١٦

(١)

ذكر أسماء سلاحه، صلى الله عليه وسلم

كان له ذو الفقار، غنمه يوم بدر، و كان لمته بن الحجاج، و قيل لغيره، و غنم من بنى قينقاع ثلاثة أسياف: سيفا قلعيا و سيفا يدعى بتارا و سيفا يدعى الخيف «١»، و كان له المخذم و رسوب، و قدم معه المدينة سيفان شهد بأحدهما بدرا يسمّى العضب. و كان له ثلاثة أرماح و ثلاث قسي، قوس اسمها الروحاء، و قوس تدعى البيضاء، و قوس نبع تدعى الصفراء، و كان له درع يقال لها الصعدية، و كان له درع يقال لها فضة، غنمها من بنى قينقاع، و كان له درع تسمى ذات الفضول، كانت عليه يوم أحد، هى و فضة. و كان له ترس فيه تمثال رأس كبش، فكرهه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأصبح و قد أذهب الله عزّ و جلّ.

تفسير هذه الأسماء: سميّ السيف ذو الفقار لحفر [١] فيه. و السيف المخذم القاطع. و الرسوب الذى يمضى فى الضربة و يثبت فيها.

[١] لخصر.

(١). الحنف. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١٧

(١)

١١ ذكر أحداث سنة إحدى عشرة**إشارة**

فى المحرم من هذه السنة ضرب النبى، صلى الله عليه و سلم، بعثا إلى الشام و أميرهم أسامة بن زيد مولاه، و أمره أن يوطى الخيل تخوم البلقاء و الداروم من أرض فلسطين، فتكلم المنافقون فى إمارته و قالوا: أمر غلاما على جلبه المهاجرين و الأنصار. فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: إن تطعنوا فى إمارته فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبل، و إنه لخليق للإمارة، و كان أبوه خليقا لها، و أوعب مع أسامة المهاجرون الأولون، منهم: أبو بكر و عمر، فبينما الناس على ذلك ابتدئ برسول الله، صلى الله عليه و سلم، مرضه.

ذكر مرض رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و وفاته

ابتدئ برسول الله، صلى الله عليه و سلم، مرضه أواخر صفر فى بيت زينب بنت جحش، و كان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه فى بيت ميمونة، فجمع نساءه فاستأذنهن أن يتمرض فى بيت عائشة، و وصلت أخبار بظهور الأسود العنسى باليمن، و مسيلمة باليمامة، و طليحة فى بنى أسد، و عسكر بسميراء، و سيجىء ذكر أخبارهم إن شاء الله تعالى.

فتأخر مسير أسامة لمرض رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و لخبر الأسود العنسى و مسيلمة، فخرج النبى، صلى الله عليه و سلم، عاصبا رأسه

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١٨

(١) من الصداع

فقال: إنى رأيت [فيما يرى النائم أن] فى عضدى سوارين من ذهب فنفتحتهما فطارا، فأولتهما بكذاب اليمامة و كذاب صنعاء. و أمر بإنفاذ جيش أسامة و قال: لعن الله الذين * اتخذوا قبور «١» أنبيائهم مساجد.

و خرج أسامة فضرب بالجرف العسكر و تمهل الناس، و ثقل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و لم يشغله شدة مرضه عن إنفاذ أمر الله، فأرسل إلى نفر من الأنصار فى أمر الأسود، فأصيب الأسود فى حياة رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قبل وفاته بيوم، فأرسل إلى جماعة من الناس يحثهم على جهاد من عندهم من المرتدين.

و

قال أبو مويهبة مولى رسول الله، صلى الله عليه و سلم: أيقظنى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ليلة و قال: إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، [فانطلق معى] فانطلقت معه فسلم عليهم ثم قال: ليهنكم ما أصبحتم فيه، قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم. ثم قال: قد

أوتيت مفاتيح خزائن الأرض و الخلد بها، ثم الجنة، و خيرت بين ذلك و بين لقاء ربى، فاخترت لقاء ربى. ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف، فبدئ بمرضه الذى قبض فيه.

قالت عائشة: فلما رجع من البقيع وجدنى و أنا أجد صداعا و أنا أقول:

و رأساه! قال: بل أنا و الله يا عائشة و رأساه! ثم قال: ما ضرّك لو متّ قبلى فقامت عليك و كفتك و صليت عليك و دفتك؟ فقلت: كأتى بك و الله لو فعلت ذلك فرجعت إلى بيتى فعرّست ببعض نساءك. فتبسّم و تنامّ به و جعه و تمرّض فى بيتى.

فخرج منه يوما بين رجلين أحدهما الفضل بن العباس و الآخر على،

(١). جعلوا بيوت. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣١٩

(١)

قال الفضل: فأخرجته حتى جلس على المنبر فحمد الله، و كان أوّل ما تكلم به النبى، صلى الله عليه و سلّم، أن صلى على أصحاب أحد فأكثر و استغفر لهم، ثم قال: أيها الناس إنّه [١] قد دنا منى حقوق من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد [٢] منه، و من كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد [٢] منه، و من أخذت له مالا- فهذا مالى فليأخذ منه و لا يخش الشحاء من قبلى فإنها ليست من شأنى، ألا و إنّ أحبكم إلىّ من أخذ منى حقّا إن كان له أو حللنى فلقيت ربى و أنا طيب النفس. ثم نزل فصلى الظهر ثم رجع إلى المنبر فعاد لمقالته الأولى. فادعى عليه رجل بثلاثه دراهم، فأعطاه عوضها. ثم قال: أيها الناس من كان عنده شىء فليؤده و لا يقل فضوح [٣] الدنيا، ألا و إنّ فضوح [٣] الدنيا أهون من فضوح [٣] الآخرة. ثم صلى على أصحاب أحد و استغفر لهم، ثم قال: إنّ عبدا خيره الله بين الدنيا و بين ما عنده فاختر ما عنده. فبكى أبو بكر و قال: فديناك بأنفسنا و آباءنا! فقال رسول الله، صلى الله عليه و سلّم: لا ييقين فى المسجد باب إلّا باب أبى بكر فإننى لا أعلم أحدا أفضل فى الصحبة عندى منه، و لو كنت متخذًا خليلا لا اتخذت أبا بكر خليلا، و لكن أخوة الإسلام. ثم أوصى بالأنصار فقال: يا معشر المهاجرين أصبحتم تزيدون و أصبحت الأنصار لا تزيد، و الأنصار عيتى التى أويت إليها، فأكرموا كريمهم و تجاوزوا عن مسيئهم.

قال ابن مسعود: نعى إلينا نبينا و حببنا نفسه قبل موته بشهر. فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة فنظر إلينا فشدد و دمعت عيناه و قال: مرحبا بكم، حياكم الله، رحمكم الله، آواكم الله، حفظكم الله، رفعكم الله،

[١] ان.

[٢] فليستقد.

[٣] نضوح.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢٠

(١) و فقمكم «١» الله، سلّمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، و أوصى الله بكم، و أستخلفه عليكم، و أودّيكُم إليه، إنى لكم منه نذير و بشير ألا تعلوا على الله فى عباده و بلاده، فإنّه قال لى و لكم: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا، وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [١]. قلنا:

فمتى أجلك؟ قال: دنا الفراق و المنقلب إلى الله و سدره المنتهى و الرفيق الأعلى و جنّة المأوى. فقلنا: من يغسلك؟ قال: أهلى. قلنا: فيم نكفّنك؟ قال:

فى ثيابى أو فى بياض. قلنا: فمن يصلى عليك؟ قال: مهلا، غفر الله لكم و جزاكم عن نبيكم خيرا. فبكينا و بكى، ثم قال: ضعونى على

سرى على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة ليصلى على جبرائيل و إسرائيل و ميكائيل و ملك الموت مع الملائكة، ثم ادخلوا على فوجا فوجا فصلوا على و لا تؤذونى بتزكية و لا رنة، أقرئوا أنفسكم منى السلام، و من غاب من أصحابى فأقرئوه منى السلام، و من تابعكم على دينى فأقرئوه السلام.

قال ابن عباس: يوم الخميس و ما يوم الخميس - ثم جرت دموعه على خديه - اشتد برسول الله، صلى الله عليه و سلم، مرضه و وجعه، فقال: ايتونى بدواء و بيضاء أكتب لكم كتابا لا تضلون بعدى أبدا. فتنازعوا - و لا ينبغي عند نبي تنازع - فقالوا: إن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يهجر. فجعلوا يعيدون عليه، فقال: دعونى فما أنا فيه خير مما تدعوننى إليه. فأوصى [بثلاث]: أن يخرج المشركون من جزيرة العرب، و أن يجاز الوفد بنحو مما كان يجيزهم. و سكت عن الثالثة عمدا، أو قال: نسيها.

[١] (سورة القصص ٢٨، الآية ٨٣).

(١). نفعكم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢١

(١) و

خرج على بن أبى طالب من عند رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى مرضه. فقال الناس: كيف أصبح رسول الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئا.

فأخذ بيده العباس فقال: أنت بعد ثلاث عبد العصا، و إن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، سيتوفى فى مرضه هذا، و إتنى لأعرف الموت فى وجوه بنى عبد المطلب، فاذهب إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأسأله فىمن يكون هذا الأمر، فإن كان فىنا علمناه، و إن كان فى غيرنا أمره أوصى بنا. فقال على: لئن سألتها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدا، و الله لا أسألها رسول الله، صلى الله عليه و سلم، [أبدا].

قال: فما اشتد الضحى حتى توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

قالت عائشة: قالت أسماء بنت عميس: ما وجعه إلا ذات الجنب، فلو لددموه، ففعلوا. فلما أفاق قال: لم فعلتم هذا؟ قالوا: ظننا أن بك ذات الجنب. قال: لم يكن الله لیسلطها على. ثم قال: لا تبقي أحدا [١] لددموه إلا عمى، و كان العباس حاضرا، ففعلوا.

قال أسماء: لما ثقل رسول الله، صلى الله عليه و سلم، هبطت أنا و من معى [إلى المدينة] فدخلنا عليه و قد صمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها «١» على، فعلت أنه يدعو لى.

قالت عائشة: و كنت أسمع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يقول كثيرا: إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيره. قالت: فلما احتضر كان آخر كلمة سمعتها منه و هو يقول: بل الرفيق الأعلى. قالت: قلت: إذا و الله لا يختارنا، و علمت أنه تخير.

[١] تبقي أحدا إلا

(١). يصبها. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢٢

(١) و لما اشتد مرضه أذنه بلال بالصلاة فقال: مروا أبابكر يصلى بالناس.

قالت عائشة: فقلت: إنه رجل رقيق و إنه متى يقوم [١] مقامك لا يطيق ذلك.

فقال: مروا أبابكر فيصلّى بالناس. فقلت مثل ذلك، فغضب، وقال:

إِنكُنَّ صواحب يوسف، مروا أبابكر يصلّى بالناس. فتقدّم أبو بكر، فلما دخل فى الصلاة وجد رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، خفّة فخرج بين رجلين، فلما دنا من أبى بكر تأخّر أبو بكر، فأشار إليه أن قم مقامك، فقعد رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، يصلّى إلى جنب أبى بكر جالسا، فكان أبو بكر يصلّى بصلاة النبى و الناس يصلّون بصلاة أبى بكر.

و صلّى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة، و قيل: ثلاثة أيام. ثم إن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، خرج فى اليوم الذى توفى فيه إلى الناس فى صلاة الصبح، فكاد الناس يفتنون «١» فى صلاتهم فرحا برسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و تبسّم رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فرحا لما رأى من هيئتهم فى الصلاة، ثم رجع و انصرف الناس و هم يظنون أن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، قد أفاق من وجعه، و رجع أبو بكر إلى منزله بالسّبح.

قالت عائشة: رأيت رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و هو يموت و عنده قدح فيه ماء يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعنى على سكرات الموت. قال: ثم دخل بعض آل أبى بكر و فى يده سواك، فنظر إليه [نظرا عرفته أنه يريد]، فأخذته فلينته ثم ناولته إياه، فاستنّ به ثم وضعه، ثم ثقل فى حجرى، قالت: فذهبت انظر فى وجهه و إذا بصره قد شخص و هو يقول: بل الرفيق الأعلى، فقبض، قالت: توفى و هو بين

[١] يقيم.

(١). يونسون B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢٣

(١) سحرى و نحرى، فمن سفهى و حدائته سنى أن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، قبض فى حجرى، فوضعت رأسه على وسادة و قمت ألتدم مع النساء و أضرب وجهى.

و لما اشتد برسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، وجعه و نزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده و يجعله على وجهه و يقول: وا كرباه! فتقول فاطمة:

وا كرى لكربك يا أبى! فيقول رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم: لا كرب على أبىك بعد اليوم «١»، فلما رأى شدّة جزعها استدناها و سارها، فبكت، ثم سارها الثانية فضحكت، فلما توفى رسول الله سألتها عائشة عن ذلك، قالت: أخبرنى أنه ميّت فبكيت، ثم أخبرنى أنى أول أهله لحوقا [١] به، فضحكت. و روى عنها أنها قالت: ثم سارنى الثانية و أخبرنى أنى سيّدة نساء أهل الجنّة، فضحكت.

و كان موته يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل، و دفن من الغد نصف النهار، و قيل: مات نصف النهار يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأوّل.

و لما توفى كان أبو بكر بمنزله بالسّبح، و عمر حاضر، فلما توفى قام عمر فقال: إن رجلا من المنافقين يزعمون أن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، توفى و إنّه و الله ما مات و لكّنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى ابن عمران، و الله ليرجعن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فليقطعن أيدي رجال و أرجلهم زعموا أنه مات. و أقبل أبو بكر و عمر يكلم الناس، فدخل على رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و هو مسجى فى ناحية البيت

[١] لحوق.

(١). الموت. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢٤

(١) فكشف عن وجهه ثم قبله وقال: بأبى أنت و أمى طبت [١] حيا و ميتا، أما الموته التى كتب الله عليك فقد ذقتها. ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج، و عمر يكلم الناس، فأمره بالسكوت فأبى، فأقبل أبو بكر على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه و تركوا عمر، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ «١». قال: فو الله لكأن الناس ما سمعوا إلا منه. قال عمر:

فو الله ما هو إلا إذ سمعتها فعقرت حتى وقعت على الأرض ما تحملنى رجلاى، و قد علمت أن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قد مات.

و لما توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و وصل خبره إلى مكة و عامله عليها عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية استخفى عتاب و ارتجت مكة و كاد أهلها يرتدون، فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة و صاح بهم، فاجتمعوا إليه، فقال: يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم و أول من ارتد، و الله لیتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فلقد رأيت قائما مقامى هذا وحده و هو يقول: قولوا معى لا إله إلا الله تدن لكم العرب و تؤد [٢] إليكم العجم الجزية، و الله لتتفقن كنوز كسرى و قيصر فى سبيل الله، فمن بين مستهزئى و مصدق فكان ما رأيتم، و الله ليكونن

[١] طيب.

[٢] تدين لكم العرب و تؤدى.

(١). ١٤٤. C. ٣inaro، sv

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢٥

(١) الباقي. فامتنع الناس من الردة. و هذا المقام الذى قاله رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لما أسر سهيل بن عمرو فى بدر لعمر بن الخطاب، و قد ذكر هناك.

حديث السقيفة و خلافة أبى بكر، رضى الله عنه و أراضه

لما توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عباد، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم و معه عمر و أبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منّا أمير و منكم أمير. فقال أبو بكر: منّا الأمراء و منكم الوزراء. ثم قال أبو بكر: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر و أبو عبيدة أمين [١] هذه الأمة. فقال عمر: أيتكم يطيب نفسا أن يخلف قدمين قدّمهما النبى، صلى الله عليه و سلم؟ فبايعه عمر و بايعه الناس. فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا عليا. قال:

و تخلف على و بنو هاشم و الزبير و طلحة عن البيعة. و قال الزبير: لا أغمد سيفاً حتى يبايع على. فقال عمر: خذوا سيفه و اضربوا به الحجر، ثم أتاهم عمر [٢] فأخذهم للبيعة.

وقيل: لما سمع على بيعة أبى بكر خرج فى قميص ما عليه إزار و لا رداء عجلا حتى بايعه، ثم استدعى إزاره و رداءه فتجلله.

و الصحيح: أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر، و الله أعلم.

و

قيل: لما اجتمع الناس على بيعه أبى بكر أقبل أبو سفيان و هو يقول:

[١] أمير.

[٢] عمر فقال.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢٦

(١) إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا دم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلان على و العباس؟ ما بال هذا الأمر فى أقلّ حى من قريش؟ ثم قال لعلى: ابسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا و رجلا. فأبى على، عليه السلام، عليه، فتمثل بشعر المتلمس:

و لن يقيم على خسف يراد به إلّا الأذلان غير الحى و الوتد
هذا على الخسف معكوس «١» برمته و ذا يشخ فلا يبكى «٢» له أحد فزجره على و قال: و الله إنك ما أردت بهذا إلّا الفتنة، و إنك و الله طالما بغيت للإسلام شرا لا حاجة لنا فى نصيحتك.

و قال ابن عباس: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن فحج عمر و حججنا معه، فقال لى عبد الرحمن: شهدت أمير المؤمنين اليوم بمنى، و قال له رجل: سمعت فلانا يقول: لو مات عمر لبايعت فلانا، فقال عمر:

إني لقائم العشيّة فى الناس أحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا الناس أمرهم «٣». قال: فقلت: يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعاى الناس و غوغاءهم و هم الذين يغلبون على مجلسك، و أخاف أن تقول مقالة لا يعوها و لا يحفظوها و يطّيروا بها، و لكن أمهل حتى تقدم المدينة و تخلص بأصحاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فتقول ما قلت «٤» فيعوا مقاتلك. فقال:

و الله لأقومنّ بها أولّ مقام أقومه بالمدينة.

قال: فلما قدمت المدينة هجرت يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن، فلما جلس عمر على المنبر حمد الله و أثنى عليه ثم قال بعد أن ذكر الرجم و ما نسخ من القرآن فيه: إنّه بلغنى أنّ قائلا منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين بايعت

(١). مربوط. B.

(٢). يرثى. B. gramni

(٣). حقهم. B.

(٤). فعلت. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢٧

(١) فلانا، فلا يغزّ امرأ أن يقول: إن بيعه أبى بكر كانت فتنه، فقد كانت كذلك و لكنّ الله وقى شرّها، و ليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر، و إنّه كان خيرنا حين توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و إنّ علينا و الزبير و من معهما تخلفوا عنا فى بيت فاطمة و تخلفت عنا الأنصار و اجتمع المهاجرون إلى أبى بكر، فقلت له: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نحوهم فلقينا رجلا من صالحان من الأنصار، أحدهما عويم بن ساعدة، و الثانى معن بن عدى، فقالا: لنا: ارجعوا اقضوا أمركم بينكم. قال: فأتينا الأنصار و هم مجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة و بين أظهرهم رجل مزمل، قلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة و جع، فقام رجل منهم فحمد الله و أثنى عليه و قال: أميا بعد فتح الأنصار و كتيبة الإسلام، و أنتم يا معشر قريش رهط بيننا «١» و قد دقت إلينا دافّة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يغصبونا الأمر. فلما سكت و كنت قد زورت فى نفسى مقالة أقولها بين يدي أبى بكر، فلما أردت أن

أتكلم قال أبو بكر: على رسلك! فقام فحمد الله و ما ترك شيئا كنت زورت فى نفسى إلما جاء به أو بأحسن منه و قال: يا معشر الأنصار إنكم لا تذكرون فضلا إلما و أنتم له أهل، و إن العرب لا تعرف هذا الأمر إلما لقريش، هم أوسط العرب دارا و نسبا، و قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين. و أخذ بيدي و بيد أبى عبيدة بن الجراح، و إنى و الله ما كرهت من كلامه كلمة غيرها، إن كنت أقدم فتضرب عنقى فيما لا يقربنى إلى إثم أحب إلى من أن أوامر على قوم فيهم أبو بكر. فلما قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل فقال: أنا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب، منّا أمير و منكم أمير. و ارتفعت الأصوات و اللغط، فلما خفت الاختلاف قلت لأبى بكر: ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعته

(١). نبينا. ١٢. tsirebaT، ١، p

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢٨

(١) و بايعه الناس، ثم نزونا على سعد بن عباد، فقال قائلهم: قتلتم سعدا. فقلت: قتل الله سعدا، و إنا و الله ما وجدنا أمرا هو أقوى من بيعه أبى بكر، خشيت إن فارقت القوم و لم تكن بيعه أن يحدثوا بعدنا بيعه، فإما أن نتابعهم على ما لا نرضى به، و إما أن نخالفهم فيكون فسادا. و قال أبو عمر الأنصارى: لما قبض النبى، صلى الله عليه و سلم، اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة و أخرجوا سعد بن عباد ليولوه الأمر، و كان مريضا، فقال بعد أن حمد الله: يا معشر الأنصار لكم سابقة و فضيلة ليست لأحد من العرب، إن محمدا، صلى الله عليه و سلم، لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم فما آمن به إلما القليل، ما كانوا يقدرون على منعه و لا على إعزاز دينه و لا على دفع ضيم، حتى [إذا] أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة و رزقكم الإيمان به و برسوله و المنع له و لأصحابه و الإعزاز له و لدينه و الجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا و كرها و أعطى البعيد المقادة صاغرا فدانت لرسوله بأسيا فكم العرب، و توفاه الله و هو عنكم راض قرير العين. استبدوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دونهم. فأجابوه بأجمعهم: أن قد وقفت و أصبت رأى و نحن نوليكم هذا الأمر فإنك مقنع و رضا للمؤمنين. ثم إنهم تراءوا الكلام فقالوا: و إن أبى [١] المهاجرون من قريش و قالوا نحن المهاجرون و أصحابه الأولون و عشيرته و أولياؤه! فقالت طائفة منهم: فإننا نقول منّا أمير و منكم أمير و لن نرضى بدون هذا أبدا. فقال سعد: هذا أول الوهن. و سمع عمر الخبير فأتى منزل النبى، صلى الله عليه و سلم، و أبو بكر فيه، فأرسل إليه أن أخرج إلى. فأرسل إليه: إنى مشتغل. فقال عمر:

[١] أبوا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٢٩

(١) قد حدث أمر لا بد لك من حضوره. فخرج إليه، فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم و معهما أبو عبيدة. قال عمر: فأتيناهم و قلت كنت زورت كلاما أقوله لهم، فلما دنوت أقول أسكتنى أبو بكر و تكلم بكل ما أردت أن أقول، فحمد الله و قال: إن الله قد بعث فىنا رسولا شهيدا على أمته ليعبده و يوحدوه و هم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر و خشب، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم. فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه و المواساة له و الصبر معه على شدة أذى قومهم [لهم] و تكذيبهم [إياهم] [١]، و كل الناس لهم مخالف زار [٢] عليهم، فلم يستوحشوا لقله عددهم و شنف [٣] الناس لهم، فهم أول من عبد الله فى هذه الأرض و آمن بالله و بالرسول، و هم أولياؤه و عشيرته و أحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم إلما ظالم، و أنتم يا معشر الأنصار، من لا ينكر فضلهم فى الدين و لا- سابقتهم فى الإسلام، رضيكم الله أنصارا لدينه و رسوله و جعل إليكم هجرته فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء و أنتم الوزراء، لا تفاوتون بمشورة و لا تقضى دونكم الأمور.

فقام حباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإنَّ النَّاسَ فى ظلِّكم و لن يجترئ مجترئ على خلافكم و لا- يصدروا إلَّا عن رأيكم، أنتم أهل العزِّ و أولو العدد و المنعة و ذوو البأس، و إنَّما ينظر النَّاس ما تصنعون، و لا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم، أبى هؤلاء إلَّا ما سمعتم، فمنا أمير و منكم أمير.
فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان [فى قرن]! و الله لا ترضى العرب

[١] إياه.

[٢] زار.

[٣] (الشَّنْف: البغض و التنكر).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣٠

(١) أن تؤمركم و نبينا من غيركم، و لا- تمتنع العرب أن تولّى أمرها من كانت النبوة فيهم، و لنا بذلك الحجية الظاهرة، من ينازعنا سلطان محمّد و نحن أولياؤه و عشيرته! فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم و لا تسمعوا مقالته هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم فأجلوهم عن هذه البلاد و تولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم و الله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان النَّاس لهذا الدين، أنا جديليها المحكّك و عذيقها المرجب! أنا أبو شبل فى عرينه الأسد، و الله لئن شئت لنعيدنها جذعة [١].

فقال عمر: إذا ليقتلك الله! فقال: بل إياك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدّل و غير! فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار إننا و الله و إن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين و سابقه فى الدين ما أردنا به إلّا رضى ربنا و طاعة نبينا و الكدح لأنفسنا، فما ينبغى أن نستطيل على النَّاس بذلك و لا نبتغى به الدنيا، ألا إن محمدا، صلى الله عليه و سلّم، من قريش و قومه أولى به، و ايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر، فاتقوا الله و لا تخالفوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر و أبو عبيدة فإن شئتم فبايعوا. فقالوا: و الله لا نتولى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين و خليفة رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، فى الصلاة، و هى أفضل دين المسلمين، ابسط يدك نبايعك. فلما ذهبوا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: عتقتك

[١] لنعيدها جذعة. (و الجذعة: الفتية).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣١

(١) عقاق [١]! أنفست «١» على ابن عمك الإمارة؟ فقال: لا و الله و لكنى كرهت أن أنازع القوم حقهم.

و لما رأت الأوس ما صنع بشير و ما تطلب الخزرج من تأمير سعد قال بعضهم لبعض، و فيهم أسيد بن حضير، و كان نقيبا: و الله لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة و لا جعلوا لكم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر، فبايعوه، فانكسر على سعد و الخزرج ما أجمعوا عليه، و أقبل النَّاس يبايعون أبا بكر من كلّ جانب.

ثم تحوّل سعد بن عبادة إلى داره فبقى أياما، و أرسل إليه ليبايع فإنَّ النَّاس قد بايعوا، فقال: لا و الله حتى أرميكم بما فى كنانتي، و أخضب سنان رمحى، و أضرب بسيفى، و أقاتلكم بأهل بيتى و من أطاعنى، و لو اجتمع معكم الجنّ و الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربّى. فقال عمر:

لا- تدعه حتى يبايع. فقال بشير بن سعد: إنّه قد لجّ و أبى و لا يبايعكم حتى يقتل، و ليس بمقتول حتى يقتل معه أهله و طائفه من

عشيرته، و لا يضركم تركه، و إنما هو رجل واحد. فتركوه.
 و جاءت أسلم فبايعت، فقوى أبو بكر بهم، و بايع الناس بعد.
 قيل إن عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال:
 يوم مات رسول الله، صلى الله عليه و سلم، كرهوا أن يبقوا بعض يوم و ليسوا فى جماعة.
 قال الزهرى: بقى على و بنو هاشم و الزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة، رضى الله عنها، فبايعوه.

[١] عقلت عقاقا.

(١). أثبت B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣٢

(١) فلما كان الغد من بيعة أبى بكر جلس على المنبر و بايعه [١] الناس بيعة عامة، ثم تكلم فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد وليت عليكم و لست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، و إن أسأت فقومونى، الصدق أمانة و الكذب خيانة، و الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه، و القوى ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق، إن شاء الله تعالى لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعونى ما أطعت الله و رسوله، فإذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة لى عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله. (أسيد بن حضير بضم الهمزة، و بالحاء المهملة المضمومة، و بالضاد المعجمة، و آخره راء).

ذكر تجهيز النبى، صلى الله عليه و سلم، و دفنه

فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و دفن يوم الثلاثاء، و قيل: بقى ثلاثة أيام لم يدفن، و الأول أصح.
 و كان الذى يلى غسله على و العباس و الفضل و قثم ابنا العباس و أسامة بن زيد و شقران مولى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و حضرهم أوس بن خولى الأنصارى، و كان بدرينا، و كان العباس و ابناه يقلبونه، و أسامة و شقران يصبان [٢] الماء، و على يغسله و عليه قميصه و هو يقول: بأبى أنت و أمى ما أطيبك حيا و ميتا ! و لم ير من رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ما يرى من ميت.

[١] و بايعوه.

[٢] يصبون.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣٣

(١) و اختلفوا فى غسله فى ثيابه أو مجزدا، فألقى الله عليهم النوم ثم كلمهم مكلم لا يدري من هو أن غسلوا رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و عليه ثيابه، ففعلوا ذلك.

و كفن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى ثلاثة أثواب: ثوبين صحاريين و برد حبرة أدرج فيها إدراجا.
 و اختلفوا فى موضع دفنه فقال أبو بكر: سمعت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يقول: ما قبض نبى إلا دفن حيث قبض، فرفع فراشه و دفن موضعه، و حفر له أبو طلحة الأنصارى لحدا و دخل الناس يصلون عليه أرسالا:

الرجال ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد، و دفن ليلة الأربعاء. و كان الذى نزل قبره على بن أبى طالب و الفضل و قثم ابنا العباس و

شقران. و قال أوس بن خوليى الأنصارى لعلى: أنشدك الله و حطنا من رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فأمره بالنزول فنزل.

و

كان المغيرة بن شعبه يدعى أنه أحدث الناس عهدا برسول الله، صلى الله عليه و سلم، و يقول: ألقيت خاتمي فى قبره عمدا فنزلت لآخذه [١]، و سأل ناس من أهل العراق علينا عن ذلك فقال: كذب المغيرة، أحدثنا عهدا به قثم بن العباس.

و اختلفوا فى عمره يوم مات فقال ابن عباس و عائشة و معاوية و ابن المسيب:

كان عمره ثلاثا و ستين سنة. و قال ابن عباس أيضا و دغفل بن حنظلة:

كان عمره خمسا و ستين سنة. و قال عروة بن الزبير: كان عمره ستين سنة.

[١] لآخذها.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣٤

(١)

ذكر إنفاذ جيش أسامة بن زيد

قد ذكرنا استعمال النبى، صلى الله عليه و سلم، أسامة بن زيد على جيش و أمره بالتوجه إلى الشام، و كان قد ضرب البعث على أهل المدينة و من حولها و فيهم عمر بن الخطاب، فتوفى النبى، صلى الله عليه و سلم، و لم يسر الجيش، و ارتدت العرب إما عامّة أو خاصة من كل قبيلة، و ظهر النفاق، و اشرأت يهود و النصرانية، و بقى المسلمون كالغنم فى الليلة المطيرة لفقد نبىهم و قتلهم و كثرة عدوهم. فقال الناس لأبى بكر: إن هؤلاء، يعنون جيش أسامة، جند المسلمين، و العرب - على ما ترى - قد [١] انتقضت بك فلا ينبغى أن تفرق جماعة المسلمين عنك. فقال أبو بكر: و الذى نفسى بيده لو ظننت أن السباع تختطفنى لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبى، صلى الله عليه و سلم. فخاطب الناس و أمرهم بالتجهز للغزو و أن يخرج كل من هو من جيش أسامة إلى معسكره بالجرف، فخرجوا كما أمرهم، و جيش «١» أبو بكر من بقى من تلك القبائل التى كانت لهم الهجرة فى ديارهم، فصاروا مسالح [٢] حول قبائلهم، و هم قليل. فلما خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف و تكاملوا أرسل أسامة عمر ابن الخطاب، و كان معه فى جيشه، إلى أبى بكر يستأذنه أن يرجع بالناس و قال: إن معى وجوه الناس و حدّهم، و لا آمن على خليفة رسول الله و حرم رسول الله و المسلمين أن يتخطفهم المشركون. و قال من مع أسامة من الأنصار

[١] فقد.

[٢] مسايح.

(١). و حبس. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣٥

(١) لعمر بن الخطاب: إن أبى بكر خليفة رسول الله، [فإن أبى] إلا أن نمضى فأبلغه عنّا و اطلب إليه أن يولّى أمرنا [رجلا] أقدم سنّا من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة إلى أبى بكر فأخبره بما قال أسامة. فقال: لو خطفتنى الكلاب و الذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و لا أردّ قضاء قضى به رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و لو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته. قال عمر: فإنّ الأنصار

تطلب رجلا أقدم سنا من أسامة. فوثب أبو بكر، و كان جالسا، و أخذ بلحية عمر و قال:
 ثكلتك أمك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و تأمرني أن أعزله؟
 ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم و أشخصهم و شيعهم و هو ماش و أسامة راكب، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن!
 فقال:

و الله لا- نزلت و لا أركب، و ما عليّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله! فإن للغازي بكلّ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، و
 سبعمائة درجة ترفع له، و سبعمائة سيئة تمحى عنه.

فلما أراد أن يرجع قال لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له، ثم وصاهم فقال: لا تخونوا و لا تغدروا و لا تغلوا و لا تمثلوا و
 لا تقتلوا طفلا و لا شيخا كبيرا و لا امرأة، و لا تعقروا نخلا و تحرقوه، و لا تقطعوا شجرة مثمرة، و لا تذبحوا شاة و لا بقرة و لا بعيرا [إلا
 لمأكله]، و سوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم و ما فرغوا أنفسهم له، و سوف تقدمون على قوم قد فحصوا
 أوساط رءوسهم و تركوا حولها مثل العصائب فاحققوهم بالسيف خفقا. اندفعوا باسم الله.

و أوصى أسامة أن يفعل ما أمر به رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

فسار و أوقع بقبائل من ناس قضاة التي ارتدت و غنم و عاد، و كانت غيبته

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣٦

(١) أربعين يوما، و قيل: سبعين يوما.

و كان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعاً للمسلمين، فإنّ العرب قالوا:

لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش، فكفّوا عن كثير ممّا كانوا يريدون أن يفعلوه [١].

ذكر أخبار الأسود العنسي باليمن

و اسمه عيهلة «١» بن كعب بن عوف العنسي، بالنون، و عنس بطن من مذحج، و كان يلقب ذا الخمار لأنه كان معتما متخمرا أبدا.
 و كان النبي، صلى الله عليه و سلم، قد جمع لباذان حين أسلم و أسلم أهل اليمن عمل اليمن جميعه و أمره على جميع مخاليفه، فلم
 يزل عاملا- عليه حتى مات. فلما مات باذان فرّق رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أمراءه في اليمن، فاستعمل عمرو بن حزم على
 نجران، و خالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران و زبيد، و عامر بن شهر على همدان، و على صنعاء شهر ابن باذان، و على عكّ
 و الأشعريين الطاهر بن أبي هالة، و على مأرب أبا موسى، و على الجند يعلى بن أمية، و كان معاذ معلما يتنقل في عمالة كلّ عامل
 باليمن و حضرموت، و استعمل على أعمال حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري، و على السكاسك و الشكون عكاشة بن ثور، و على
 بنى معاوية ابن كنده عبد الله أو المهاجر، فاشتكى رسول الله، صلى الله عليه و سلم،

[١] يفعلونه.

(١). عبهلة. doC.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣٧

(١) فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر، فمات رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و هؤلاء عماله على اليمن و حضرموت.
 و كان أول من اعترض الأسود الكاذب شهر و فيروز و داذويه، و كان الأسود العنسي لما عاد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، من
 حجة الوداع و تمرّض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك، فادّعى النبوة، و كان مشعبذا يريهم الأعاجيب، فاتبعته مذحج، و كانت ردة

الأسود أول ردة فى الإسلام على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و غزا نجران فأخرج عنها عمرو ابن حزم و خالد بن سعيد، و وثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فروة ابن مسيك، و هو على مراد، فأجلاه و نزل منزله، و سار الأسود عن نجران إلى صنعاء، و خرج إليه شهر بن باذان فلقه، فقتل شهر لخمس و عشرين ليلة من خروج الأسود، و خرج معاذ هاربا حتى لحق بأبى موسى و هو بمأرب، فلحقا بحضرموت، و لحق بفروة من تم على إسلامه من مذحج.

و استتب [١] للأسود ملك اليمن، و لحق أمراء اليمن إلى الطاهر بن أبى هالة إلّا عمرا و خالد، فإتتهما رجعا إلى المدينة، و الطاهر بجبال عكّ و جبال صنعاء، و غلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين و الأحساء إلى عدن، و استطار أمره كالحريق، و كان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهرا سوى الركبان، و استغلظ أمره، و كان خليفته فى مذحج عمرو ابن معديكرب، و كان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث، و أمر الأبناء إلى فيروز و داذويه.

و كان الأسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله، و هى ابنة عمّ فيروز.

و خاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشا، أو يظهر بها كذاب

[١] و أسيب.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣٨

(١) مثل الأسود، فتزوج معاذ إلى الشكون، فعطفوا عليه.

و جاء إليهم و إلى من باليمن من المسلمين كتب النبى، صلى الله عليه وسلم، يأمرهم بقتال الأسود، فقام معاذ فى ذلك و قويت نفوس المسلمين، و كان الهمذى قدم بكتاب النبى، صلى الله عليه وسلم، و بر بن يحسن الأزدي، قال جشنس الديلمي: فجاءتنا كتب النبى، صلى الله عليه وسلم، يأمرنا بقتاله إمّا مصادمة أو غيلة، يعنى إليه و إلى فيروز و داذويه، و أن نكتب من عنده دين. فعملنا فى ذلك، فرأينا أمرا كثيفا، و كان قد تغير لقيس بن عبد يغوث، فقلنا: إن قيسا يخاف على دمه فهو لأول دعوة، فدعونا و أبلغناه عن النبى، صلى الله عليه وسلم، فكأنما نزلنا عليه من السماء، فأجابنا، و كاتبنا الناس. فأخبره الشيطان شيئا من ذلك، فدعا قيسا فأخبره أن شيطانه يأمره بقتله لميله إلى عدوه، فحلف قيس: لأنت أعظم فى نفسى من أن أحدث نفسى بذلك. ثم أتانا فقال: يا جشنس و يا فيروز و يا داذويه، فأخبرنا بقول الأسود. فبينما نحن معه يحدثنا إذ أرسل إلينا الأسود فتهددنا، فاعتدنا إليه و نجونا منه و لم نكد و هو مرتاب بنا و نحن نحذره. فبينما نحن على ذلك إذ جاءتنا كتب عامر بن شهر و ذى زود و ذى مزان و ذى الكلاع و ذى ظليم يندلون لنا النصر، فكاتبناهم و أمرناهم أن لا يفعلوا شيئا حتى نبرم أمرنا، و إنما احتاجوا لذلك حين كاتبهم النبى، صلى الله عليه وسلم، و كتب أيضا إلى أهل نجران فأجابوه، و بلغ ذلك الأسود و أحس بالهلاك.

قال: فدخلت على آزاد، و هى امرأته التى تزوجها بعد قتل زوجها شهر ابن باذان، فدعوتها إلى ما نحن عليه و ذكرتها قتل زوجها شهر و إهلاك عشيرتها و فضيحة النساء. فأجابت و قالت: و الله ما خلق الله شخصا أبغض إليّ منه، ما يقوم لله على حقّ و لا ينتهى عن محرّم، فأعلمونى أمركم أخبركم بوجه الأمر.

قال: فخرجت و أخبرت فيروز و داذويه و قيسا. قال: و إذ قد جاء رجل فدعا

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٣٩

(١) قيسا إلى الأسود، فدخل فى عشرة من مذحج و همدان فلم يقدر على قتله معهم و قال له: أ لم أخبرك الحقّ و تخبرنى الكذب؟ إنّه، يعنى شيطانه، يقول لى:

إلّا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك. فقال قيس: إنّه ليس من الحقّ أن أهلك و أنت رسول الله، فمرنى بما أحببت أو اقتلنى، فموتة أهون من موتات.

فرّق له و تركه، و خرج قيس فمرّ بنا و قال: اعملوا عملكم. و لم يقعد عندنا.

فخرج علينا الأسود فى جمع، فقمنا له و بالباب مائة ما بين بقرة و بعير، فنحراها ثم خلاها، ثم قال: أحقّ ما بلغنى عنك يا فيروز؟- و بوأ له الحربة- لقد هممت أن أنحرك. فقال: اخترتنا لصهرك و فضلتنا، فلو لم تكن نبينا لما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف و قد اجتمع لنا بك أمر الدنيا و الآخرة! فقال له: اقسام هذه، فقسّمها، و لحق به و هو يسمع سعاية رجل بفيروز و هو يقول له: أنا قاتله غدا و أصحابه، ثم التفت فإذا فيروز فأخبره بقسمتها، و دخل الأسود و رجع فيروز فأخبرنا الخبر، فأرسلنا إلى قيس فجاءنا، فاجتمعنا على أن أعود إلى المرأة فأخبرها بعزيمتنا و نأخذ رأيها، فأتيها فأخبرتها، فقالت:

هو متحرّز و ليس من القصر شيء إلّا و الحرس محيطون به غير هذا البيت، فإنّ ظهره إلى مكان كذا و كذا، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه فإنكم من دون الحرس و ليس دون قتله شيء، و ستجدون فيه سراجا و سلاحا.

فتلقانى الأسود خارجا من بعض منازلهم فقال: ما أدخلك علىّ؟ و وجأ رأسى حتى سقطت، و كان شديدا، فصاحت المرأة فأدهشته و قالت: جاءنى ابن عمى زائرا ففعلت به هذا؟ فتركنى، فأتيت أصحابى فقلت: النجاء! الهرب! و أخبرتهم الخبر.

فإننا على ذلك حيارى إذ جاءنا رسولها يقول: لا تدعنّ ما فارقتك عليه، فلم أزل به حتى اطمأنّ. فقلنا لفيروز: ايتها فتيت منها. ففعل، فلما أخبرته قال: نقيب على بيوت مبطنه، فدخل فاقطلع البطانة و جلس عندها

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤٠

(١) كالزائر، فدخل عليها الأسود فأخذته غيره، فأخبرته برضاع و قرابة منها [عنده] محرم، فأخرجه. فلما أمسينا عملنا فى أمرنا و أعلمنا أشياعنا و عجلنا عن مراسلة الهمدانيين و الحميريين فنقبتنا البيت و دخلنا، و فيه سراج تحت جفنه، و اتقينا بفيروز، كان أشدنا، فقلنا: انظر ما ذا ترى، فخرج و نحن بينه و بين الحرس.

فلما دنا من باب البيت سمع غطيظا شديدا و المرأة قاعده، فلما قام على باب البيت أجلسه الشيطان و تكلم على لسانه و قال: ما لى و لك يا فيروز! فخشى إن رجع أن يهلك و تهلك المرأة فعاجله و خالطه و هو مثل الجمل فأخذ برأسه فقتله و دقّ عنقه و وضع ركبته فى ظهره فدقّه ثم قام ليخرج، فأخذت المرأة بثوبه و هى ترى أنه لم يقتله. فقال: قد قتلته و أرحتك منه، و خرج فأخبرنا، فدخلنا معه، فخار كما يخور الثور، فقطعت رأسه بالشفرة، و ابتدر الحرس المقصورة يقولون: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبى يوحى إليه! فحمدوا «١»، و قعدنا نأتمر بيننا، فيروز و داؤويه و قيس، كيف نخبر أشياعنا، فاجتمعنا على النداء.

فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا الذى بيننا و بين أصحابنا، ففزع المسلمون و الكافرون، ثم نادينا بالأذان فقلت: أشهد أن محمدا رسول الله و أن عياله «٢» كذاب! و ألقينا إليهم رأسه، و أحاط بنا أصحابه و حرسه و شتوا الغارة و أخذوا صبيانا كثيرة و انتهبوا. فننادينا أهل صنعاء من عنده منهم فأمسكه [١]، ففعلوا. فلما خرج أصحابه فقدوا سبعين رجلا، فراسلونا و راسلناهم على أن يتركوا لنا ما فى أيديهم و نترك ما فى أيدينا، ففعلنا، و لم يظفروا منا بشيء، و تردّدوا فى ما بين صنعاء و نجران. و تراجع أصحاب النبى، صلى الله عليه

[١] (عبارة الطبرى: «و نادينا: يا أهل صنعاء، من دخل عليه داخل فتعلّقوا به، و من كان عنده منهم أحد فتعلّقوا به...»).

(١). فحمد. ١.rebaT.٦٦

(٢). عياله. ddoC

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤١

(١) و سلّم، إلى أعمالهم، و كان يصلى بنا معاذ بن جبل، و كتبنا إلى رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، بخبره، و ذلك فى حياته. و أتاه الخبر من ليلته، و قدمت رسلنا، و قد توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، فأجابنا أبو بكر. قال ابن عمر: أتى الخبر من السماء

إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فى ليلته التى قتل فيها، فقال: قتل العنسى، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: من قتله؟ قال: قتله فيروز.

قيل: كان أول أمر العنسى إلى آخره ثلاثة أشهر، وقيل قريب من أربعة أشهر، و كان قدوم البشير بقتله فى آخر ربيع الأول بعد موت النبى، صلى الله عليه و سلم، فكان أول بشاره أتت أبا بكر و هو بالمدينة.

قال فيروز: لما قتلنا الأسود عاد أمرنا كما كان، و أرسلنا إلى معاذ بن جبل فصلى بنا و نحن راجون مؤملون لم يبق شىء نكرهه إلا تلك الخيول من أصحاب الأسود، فأتى موت النبى، صلى الله عليه و سلم، فانتقضت الأمور و اضطربت الأرض. (العنسى بالعين و النون).

و فى هذه السنة ماتت فاطمة بنت النبى، صلى الله عليه و سلم، لثلاث خلون من رمضان و هى ابنة تسع و عشرين سنة أو نحوها، و قيل: توفيت بعد النبى، صلى الله عليه و سلم، بثلاثة أشهر، و قيل: بستة أشهر، و غسلها على و أسماء بنت عميس، و صلى عليها العباس بن عبد المطلب، و دخل قبرها العباس و على و الفضل بن العباس.

و فيها توفى عبد الله بن أبى بكر الصديق، و كان أصابه سهم بالطائف و هو مع النبى، صلى الله عليه و سلم، رماه به أبو محجن ثم انتقض عليه فمات فى سؤال.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤٢

(١) و فى هذا العام الذى بوبع فيه أبو بكر ملك يزدجرد بلاد فارس.

و فيه، أعنى سنة إحدى عشرة، اشترى عمر بن الخطاب مولاه أسلم بمكة من ناس من الأشعريين.

ذكر أخبار الردة

قال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مقاما كدنا نهلك فيه لو لا أن الله منّ علينا بأبى بكر، أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض و ابنة لبون، و أن نأكل قرى عربيه «١» و نعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبى بكر على قتالهم، فو الله ما رضى منهم إلا بالخطبة المخزية «٢» أو الحرب المجلية، فأما الخطبة المخزية فأن يقرّوا بأن من قتل منهم فى النار و من قتل منّا فى الجنة، و أن يدوا قتلتنا و نغتم ما أخذنا منهم، و أن ما أخذوا منّا مردود علينا. و أما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم.

و أما أخبار الردة فإنه لما مات النبى، صلى الله عليه و سلم، و سیر أبو بكر جيش أسامة ارتدت العرب و تضرمت الأرض نارا و ارتدت كل قبيلة عامّة أو خاصّة إلا قريشا و ثقيفا، و استغلظ أمر مسيلمة و طليحة، و اجتمع على طليحة عوامّ طيئ و أسد، و ارتدت غطفان تبعاً لعينيه بن حصن، فإنه قال: نبى من الحليفين، يعنى أسداً و غطفان، أحبّ إلينا من نبى من قريش، و قد مات محمد و طليحة حي، فاتبعه و تبعته غطفان. و قدمت

(١). عربيه ٩٤. rfC. frodaleB.p

(٢). tnebah. المجزية. الحنطة. A. Bte. C. P. mo

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤٣

(١) رسل النبى، صلى الله عليه و سلم، من اليمامة و أسد و غيرها و قد مات فدفعوا كتبهم لأبى بكر و أخبروه الخبر عن مسيلمة و طليحة، فقال: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم و غيرهم بأدهى ممّا و صفتهم، فكان كذلك، و قدمت كتب أمراء النبى، صلى الله عليه و سلم، من كل مكان بانتقاض العرب عامّة أو خاصّة و تسلطهم «١» على المسلمين، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يحاربهم، بالرسل، فردّ رسلهم بأمره و أتبع رسلهم رسلا و انتظر بمصادمتهم قدوم أسامة، فكان عمال رسول الله، صلى

اللّه عليه و سلّم، على قضاة و كلب امرؤ القيس بن الأصبخ الكلبيّ، و على القين عمرو بن الحكم، و على سعد هذيم معاوية الوالبيّ، فارتدّ وديعة الكلبيّ فيمن تبعه، و بقى امرؤ القيس على دينه، و ارتدّ زميل بن قطبة القينيّ، و بقى عمرو، و ارتدّ معاوية فيمن اتبعه من سعد هذيم، فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس، و هو جدّ سكينه بنت الحسين، فسار بوديعة إلى عمرو، فأقام لزميل، و إلى معاوية العذريّ، و توسّط خيل أسامة ببلاد قضاة فشّن الغارة فيهم، فغنموا و عادوا سالمين.

ذكر خبر طليحة الأسدى «٢»

و كان طليحة بن خويلد الأسدى من بنى أسد بن خزيمه قد تتبأ فى حياة رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فوجّه إليه النبىّ، صلّى الله عليه و سلّم، ضرار بن الأزور عاملا على بنى أسد و أمرهم بالقيام على من ارتدّ، فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلّا أخذه، فضربه بسيف، فلم يصنع فيه

(١). و تبسطهم. B.

(٢). P. CsidoCmuitret. loVtipniciH.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤٤

(١) شيئا، فظهر بين الناس أنّ السلاح لا- يعمل فيه، فكثرت جمعه. و مات النبىّ، صلّى الله عليه و سلّم، و هم على ذلك، فكان طليحة يقول: إنّ جبرائيل يأتينى، و سجّع للناس الأكاذيب، و كان يأمرهم بترك السجود فى الصلاة و يقول: إنّ الله لا يصنع بتعفّر و جوهكم و تقبّح أديباركم شيئا، اذكروا الله أعمق قياما، إلى غير ذلك، و تبعه كثير من العرب عصبية، فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد و غطفان و طيىّ. فسارت فزارة إلى جنوب طيبة، و أقامت طيىّ على حدود أراضيهم و أسد بسميراء، و اجتمعت عيس و ثعلبة ابن سعد و مرّة بالأبرق من الرّيدة، و اجتمع إليهم ناس من بنى كنانة، فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين، أقامت فرقة بالأبرق، و سارت فرقة إلى ذى القصة، و أمدهم طليحة بأخيه حبال، فكان عليهم و على من معهم من الدّئل و ليث و مدلج، و أرسلوا إلى المدينة يبذلون الصلاة و يمنعون الزكاة، فقال أبو بكر: و الله لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه. و كان عقل الصدقة على أهل الصدقة و ردهم، فرجع وفداهم، فأخبروهم بقلّة من فى المدينة و أطمعوهم فيها.

و جعل أبو بكر بعد مسير الوفد على أنقاب [١] المدينة عليا و طلحة و الزبير و ابن مسعود، و ألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقرابهم، فما لبثوا إلّا ثلاثا حتى طرقت المدينة غارة مع الليل و خلفوا بعضهم بنى حسى ليكونوا لهم رداء، فوافوا ليلا الأنقاب و عليها المقاتلة فمنعوهم، و أرسلوا إلى أبى بكر بالخبر، فخرج إلى أهل المسجد على النواضح، فردّوا العدو و اتّبعوهم حتى بلغوا ذا حسى، فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها و فيها الجبال، ثمّ دهبوها على الأرض، فنفرت إبل المسلمين و هم عليها و رجعت بهم إلى المدينة و لم يصرع مسلم.

[١] أنصار. (و الأنقاب، واحدها النّقب: الطريق فى الجبل).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤٥

(١) و ظنّ الكفّار بالمسلمين الوهن، و بعثوا إلى أهل ذى القصة بالخبر، فقدموا عليهم، و بات أبو بكر يعبى الناس، و خرج على تعبته يمشى و على يمينته النعمان بن مقرن و على يسارته عبد الله بن مقرن و على أهل الساقه سويد ابن مقرن. فما طلع الفجر إلّا و هم و العدو على صعيد واحد، فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف، فما ذرّ قرن الشمس حتى ولّوهم الأدبار و غلبوهم على عامّة ظهرهم و قتل رجال، و اتّبعتهم أبو بكر حتى نزل بنى القصة، و كان أوّل الفتح، و وضع بها النعمان بن مقرن فى عدد، و رجع إلى

المدينة، فذلّ له المشركون. فوثب بنو عبس و ذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوه، فحلف أبو بكر ليقتلنّ فى المشركين بمن قتلوا من المسلمين و زيادة، و ازداد المسلمون قوّة و ثباتاً.

و طرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقة الناس، بهم صفوان و الزبرقان بن بدر و عدى بن حاتم، و ذلك لتمام ستين يوماً من مخرج أسامة، و قدم أسامة بعد ذلك بأيام، و قيل: كانت غزوته و عوده فى أربعين يوماً.

فلما قدم أسامة استخلفه أبو بكر على المدينة و جنده معه ليستريحوا و يريحوا ظهرهم، ثم خرج فيمن كان معه، فناشده المسلمون ليقيم، فأبى و قال:

لأواسينكم بنفسى. و سار إلى ذى حسى و ذى القصية حتى نزل بالأبرق فقاتل من به، فهزم الله المشركين و أخذ الخطبة «١» أسيراً، فطارت عبس و بنو بكر، و أقام أبو بكر بالأبرق أياماً، و غلب على بنى ذبيان و بلادهم و حماها لدواب المسلمين و صدقاتهم.

و لما انهزمت عبس و ذبيان رجعوا إلى طليحة و هو ببزاخة، و كان رحل من سميراء إليها، فأقام عليها، و عاد أبو بكر إلى المدينة. فلما استراح أسامة و جنده، و كان قد جاءهم صدقات كثيرة تفضل عليهم، قطع أبو بكر

(١). الخطبة. ddoC

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤٦

(١) البعوث و عقد الألوية، فعقد أحد عشر لواء، عقد لواء لخالد بن الوليد و أمره بطليحة بن خويلد فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له، و عقد لعكرمة بن أبى جهل و أمره بمسيلمة، و عقد للمهاجر بن أبى أمية و أمره بجنود العنسى و معونة الأبناء على قيس بن مكشوح، ثم يمضى إلى كنده بحضرموت، و عقد لخالد بن سعيد و بعثه إلى مشارف الشام، و عقد لعمر بن العاص و أرسله إلى قضاة، و عقد لحذيفة بن محصن الغلفاني «١» و أمره بأهل دبا، و عقد لعرفجة بن هرثمة و أمره بمهرة و أمرهما أن يجتمعا و كل واحد منهما على صاحبه فى عمله. و بعث شرحبيل بن حسنة فى أثر عكرمة بن أبى جهل و قال: إذا فرغ من الإمامة فالحق بقضاة و أنت على خيلك تقاتل أهل الردة. و عقد لمعن «٢» بن حاجز و أمره ببنى سليم و من معهم من هوازن، و عقد لسويد بن مقرن و أمره بتهمامة باليمن، و عقد للعلاء بن الحضرمي و أمره بالبحرين، ففصلت الأمراء من ذى القصّة و لحق بكل أمير جنده، و عهد إلى كل أمير و كتب إلى جميع المرتدين نسخة واحدة يأمرهم بمراجعة الإسلام و يحذّرهم، و سيّر الكتب إليهم مع رسله. و لما انهزمت عبس و ذبيان و رجعوا إلى طليحة ببزاخة أرسل إلى جديلة و الغوث من طيىء يأمرهم باللحاق به، فتعجل إليه بعضهم و أمروا قومهم باللحاق بهم، فقدموا على طليحة.

و كان أبو بكر بعث عدى بن حاتم قبل خالد إلى طيىء و أتبعه خالد و أمره ان يبدأ بطيء و منهم يسير إلى بزاخة ثم يثلث بالبطاح لا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له. و أظهر أبو بكر للناس أنه خارج إلى خيبر بجيش حتى يلقى خالد، يهرب العدو بذلك. و قدم عدى على طيىء فدعاهم و خوفهم، فأجابوه و قالوا له: استقبل الجيش فأخره عنا حتى نستخرج من عند طليحة منا لئلا يقتلهم. فاستقبل

(١). الغفاري. B. الكامل فى التاريخ ج ٢ ٣٤٦ ذكر خبر طليحة الأسدي ص: ٣٤٣

(٢). طريفة: ٩٠. JirabaT, p

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤٧

(١) عدى خالد و أخبره بالخبر، فتأخر خالد، و أرسلت طيىء إلى إخوانهم عند طليحة فلاحقوا بهم، فعادت طيىء إلى خالد بإسلامهم، و رحل خالد يريد جديلة، فاستمهله عدى عنهم، و لحق بهم عدى يدعوهم إلى الإسلام، فأجابوه، فعاد إلى خالد بإسلامهم، و لحق

بالمسلمين ألف راكب منهم، و كان خير مولود فى أرض طيى و أعظمه بركة عليهم.
و أرسل خالد بن الوليد عكاشة بن محصن و ثابت بن أقرم الأنصارى طليعة، فليهما حبال أخو طليحة فقتلاه، فبلغ خبره طليحة فخرج هو و أخوه سلمة، فقتل طليحة عكاشة و قتل أخوه ثابتا و رجعا.

و أقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة و ثابتا قتيلين، فجزع لذلك المسلمون، و انصرف بهم خالد نحو طيى، فقالت له طيى: نحن نكفيك قيسا، فإن بنى أسد حلفاؤنا. فقال: قاتلوا أى الطائفتين شئتم. فقال عدى بن حاتم: لو نزل هذا على الذين [هم] أسرتى الأذنى فالأذنى لجاهدتهم [١] عليه، و الله لا- أمتنع عن جهاد بنى أسد لحلفهم. فقال له خالد: إن جهاد الفريقين جهاد، لا تخالف رأى أصحابك و امض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط، ثم تعبى لقتالهم، ثم سار حتى التقيا على بزاخه، و بنو عامر قريبا يتربصون على من تكون الدائرة، قال: فاقتتل الناس على بزاخه.

و كان عيينة بن حصن مع طليحة فى سبعمائه من بنى فزارة، فقاتلوا قتالا- شديدا و طليحة متلفف فى كسائه يتنبأ لهم، فلما اشتدت الحرب كز عيينة على طليحة و قال له: هل جاءك جبرائيل بعد؟ قال: لا، فرجع فقاتل، ثم كز على طليحة فقال له: لا أبا لك! أ جاءك جبرائيل؟ قال: لا.

فقال عيينة: حتى متى؟ قد و الله بلغ منا! ثم رجع فقاتل قتالا شديدا ثم

[١] لجاهدتم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤٨

(١) كز على طليحة فقال: هل جاءك جبرائيل؟ قال: نعم. قال: فما ذا قال لك؟

قال: قال لى: إن لك رحي كرحاه، و حديثا لا تنساه. فقال عيينة: قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه، انصرفوا يا بنى فزارة فإنه كذاب، فانصرفوا و انهزم الناس.

و كان طليحة قد أعد فرسه و راحلته لامرأته التوار، فلما غشوه ركب فرسه و حمل امرأته ثم نجا بها و قال: يا معشر فزارة من استطاع أن يفعل هكذا و ينجو بامرأته فليفعل. ثم انهزم فلقى بالشام، ثم نزل على كلب فأسلم حين بلغه أن أسدا و غطفان قد أسلموا، و لم يزل مقيما فى كلب حتى مات أبو بكر.

و كان خرج معتمرا [فى إمارة أبى بكر] و مرّ بجنات المدينة، فقيل لأبى بكر: هذا طليحة! فقال: ما أصنع به؟ قد أسلم! ثم أتى عمر فبايعه حين استخلف. فقال له: أنت قاتل عكاشة و ثابت؟ و الله لا أحبك أبدا! فقال: يا أمير المؤمنين ما يهتك من رجلين أكرمهما الله بيدى و لم يهنى بأيديهما! فبايعه عمر و قال له: ما بقى من كهانتك؟ فقال: نفخه أو نفختان [بالكبير]. ثم رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق.

و لما انهزم الناس عن طليحة أسر عيينة بن حصن، فقدم به على أبى بكر، فكان صبيان المدينة يقولون له و هو مكتوف: يا عدو الله أ كفرت بعد إيمانك؟

فيقول: و الله ما آمنت بالله طرفه عين. فتجاوز عنه أبو بكر و حقن دمه.

و أخذ من أصحاب طليحة رجل كان عالما به، فسأله خالد عما كان يقول، فقال: إن [١] ممّا أتى به: و الحمام و اليمام، و الصيرد الصوّام، قد ضمن [٢]

[١] إنمّا.

[٢] ضمن.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٤٩

(١) قبلكم بأعوام، ليبلغنّ ملكنا العراق و الشام.

قال: و لم يؤخذ منهم سبى لأنهم كانوا قد أحرزوا حريمهم، فلما انهزموا أقروا بالإسلام خشيةً على عيالاتهم، فأمنهم.

(جبال بكسر الحاء المهملة، و فتح الباء الموحدة، و بعد الألف لام.

و ذو القصية بفتح القاف، و الصاد المهملة. و ذو حسى بضمّ الحاء المهملة، و السين المهملة المفتوحة. و دبا بفتح الدال المهملة، و

بالباء الموحدة. و بزاخة بضمّ الباء الموحدة، و بالزاي، و الخاء المعجمة).

ذكر ردة بنى عامر و هوازن و سليم

و كانت بنو عامر تقدّم إلى الردّة رجلا و تؤخر أخرى و تنظر ما تصنع أسد و غطفان. فلما أحيط بهم و بنو عامر على قادتهم و سادتهم كان قرّة بن هبيرة فى كعب و من لأفها، و علقمة بن علاثة فى كلاب و من لأفها، و كان أسلم ثم ارتدّ فى زمن النّبى، صلى الله عليه و سلم، و لحق بالشام بعد فتح الطائف، فلما توفى النّبى، صلى الله عليه و سلم، أقبل مسرعا حتى عسكر فى بنى كعب. فبلغ ذلك أبا بكر فبعث إليه سرية عليها القعقاع بن عمرو، و قيل: بل قعقاع بن سور، و قال له ليغير على علقمة لعله يقتله أو يستأسره. فخرج حتى أغار على الماء الذى عليه علقمة، و كان لا يبرح [إلا] مستعدا، فسابقهم على فرسه فسبقهم، و أسلم أهله و ولده، و أخذهم القعقاع و قدم بهم على أبى بكر، فوجدوا أن يكونوا على حال علقمة، و لم يبلغ أبا بكر عنهم أنّهم فارقوا دارهم، و قالوا له: ما ذنبنا فيما صنع علقمة؟

فأرسلهم ثم أسلم، فقبل ذلك منه.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥٠

(١) و أقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بزاخة يقولون: ندخل فيما خرجنا منه و نؤمن بالله و رسوله، و أتوا خالدًا فبايعهم على ما بايع أهل بزاخة و أعطوه بأيديهم على الإسلام، و كانت بيعته: عليكم عهد الله و ميثاقه لتؤمننّ بالله و رسوله، و لتقيمنّ الصلاة، و لتؤتينا الزكاة، و تبايعون على ذلك أبناءكم و نساءكم، فيقولون: نعم، و لم يقبل من أحد من أسد و غطفان و طيى و سليم و عامر إلا أن يأتوه بالذين حرّقوا و مثلوا و عدوا على الإسلام فى حال ردّتهم، فأتوه بهم، فمثل بهم و حرّقهم و رضخهم بالحجارة و رمى بهم من الجبال و نكسهم فى الآبار، و أرسل إلى أبى بكر يعلمه ما فعل، و أرسل إليه قرّة ابن هبيرة و نفرا معه موثقين و زهيرا أيضا.

و أمّا أمّ زمل فاجتمع فلان غطفان و طيى و سليم و هوازن و غيرها إلى أمّ زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر، و كانت أمّها أمّ قرفة بنت ربيعة بن بدر، و كانت أمّ زمل قد سببت أيام أمّ قرفة، و قد تقدّمت الغزوة، فوعدت لعائشة، فأعتقتها و رجعت إلى قومها و ارتدّت و اجتمع إليها الفلّ، فأمرتهم بالقتال، و كثف جمعها و عظمت شوكتها. فلما بلغ خالدًا أمرها سار إليها، فاقتتلوا قتالا شديدا أول يوم و هى واقفة على جمل كان لأمّها و هى فى مثل عرّها، فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه و قتلوها و قتل حول جملها مائة رجل، و بعث بالفتح إلى أبى بكر.

و أمّا خبر الفجاءة السّلمى، و اسمه إياس بن عبد ياليل، فإنّه جاء إلى أبى بكر فقال له: أعنى بالسّلاح أقاتل به أهل الردّة. فأعطاه سلاحا و أمره إمرة، فخالف إلى المسلمين و خرج حتى نزل بالجواء، و بعث نخبة «١» بن أبى الميثاء من بنى الشريد و أمره بالمسلمين، فشنّ الغارة على كلّ مسلم فى سليم و عامر و هوازن، فبلغ ذلك أبا بكر فأرسل إلى طريفه بن حاجز فأمره

(١). نجبة ١١٨. T, tsireba, selanna, I, P

(١) أن يجمع له و يسير إليه، و بعث إليه عبد الله بن قيس الحاشي عونا، فنهضا إليه و طلباه، فلاذ منهما، ثم لقيه على الجواء فاقتلوا و قتل نخبة و هرب الفجاءة، فلحقه طريفة فأسره ثم بعث به إلى أبي بكر، فلما قدم أمر أبو بكر أن توقد له نار في مصلى المدينة ثم رمى به فيها مقموطا.

و أما خبر أبي شجرة بن عبد العزى السلمي، و هو ابن الخنساء، فإنه كان قد ارتد فيمن ارتد من سليم و ثبت بعضهم على الإسلام مع معن بن حاجر، و كان أميرا لأبي بكر. فلما سار خالد إلى طليحة كتب إلى معن أن يلحقه فيمن معه على الإسلام من بني سليم، فسار و استخلف على عمله أخاه طريفة بن حاجر. فقال أبو شجرة حين ارتد:

صحا القلب عن مئ [١] هواه و أقصراو طاوع فيها العاذلين فأبصرا

ألا أيها المدلى بكثرة قومه و حظك منهم أن تضام و تقهرا

سل الناس عنا كل يوم كريهة إذا ما التقينا دارعين و حسرا

ألسنا نعاطى ذا الطماح لجامه «١» و نطعن في الهيجا إذا الموت أففرا

فرويت رمحي من كتيبة خالدو إنني لأرجو بعدها أن أعمرأ ثم إن أبا شجرة أسلم، فلما كان زمن عمر قدم المدينة فرأى عمر و هو يقسم في المساكين، فقال: أعطني فإني ذو حاجة، فقال: و من أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة بن عبد العزى السلمي. قال: أي عدو الله [لا] و الله! أ لست الذي تقول:

[١] عمّن هو.

(١). حمامة. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥٢

(١)

فرويت رمحي من كتيبة خالدو إنني لأرجو بعدها أن أعمرأ؟ و جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدوا إلى ناقته فركبها و لحق بقومه و قال: ضنّ علينا أبو حفص بنائله و كلّ مختبط يوما له ورق في أبيات.

ذكر قدوم عمرو بن العاص من عمان

كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قد أرسل عمرو بن العاص إلى جيفر عند منصرفه من حجة الوداع. فمات رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و عمرو بعمان، فأقبل حتى انتهى إلى البحرين فوجد المنذر بن ساوى في الموت. ثم خرج عنه إلى بلاد بني عامر فنزل بقره بن هبيرة، و قره يقدم رجلا و يؤخر أخرى و معه عسكر من بني عامر، فذبح له و أكرم مثواه. فلتيا أراد الرحلة خلا- به قره و قال: يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفسا بالآتاة «١»، فإن أعفتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم و تطيع، و إن أبيتم فلا تجتمع عليكم.

فقال له عمرو: أ كفرت يا قره؟ أ تخوفنا بالعرب؟ فو الله لأوطننّ عليك الخيل في حفش أمك و الحفش [١]: بيت تنفرد فيه النفساء. و قدم على المسلمين

[١] و أحفاش.

(١). بالإمارة. B

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥٣

(١) بالمدينة فأخبرهم، فأطافوا به يسألونه، فأخبرهم أنّ العساكر معسكرة من دبا إلى المدينة. ففترقوا و تحلقوا حلقا، و أقبل عمر يريد التسليم على عمرو فمرّ على حلقة فيها عليّ و عثمان و طلحة و الزبير و عبد الرحمن و سعد. فلما دنا عمر منهم سكتوا، فقال: فيم أنتم؟ فلم يجيبوه. فقال لهم: إنكم تقولون ما أخوفنا على قريش من العرب! قالوا: صدقت. قال: فلا تخافوهم، أنا و الله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم، و الله لو تدخلون، معاشر قريش، جحرا [١] لدخلته العرب في آثاركم، فاتقوا الله فيهم. و مضى عمر، فلما قدم بقرّة بن هبيرة على أبي بكر أسيرا استشهد بعمرو على إسلامه، فأحضر أبو بكر عمرا فسأله، فأخبره بقول قرّة إلى أن وصل إلى ذكر الزكاة فقال قرّة: مهلا يا عمرو! فقال: كلا، و الله لأخبرنه بجميعه. فعفا عنه أبو بكر و قبل إسلامه.

ذكر بني تميم و سجاح

و أميا بنو تميم فإنّ رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فرّق فيهم عمّاله، فكان الزبرقان منهم و سهل بن منجاب و قيس بن عاصم و صفوان بن صفوان و سبرة بن عمرو و وكيع بن مالك و مالك بن نويرة. فلما وقع الخبر بموت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، سار صفوان بن صفوان إلى أبي بكر بصدقات بني عمرو، و أقام قيس بن عاصم ينظر ما الزبرقان صانع ليخالفه، فقال حين أبطأ عليه الزبرقان في عمله: وا ويلتاه من ابن العكليتة! و الله ما

[١] حجرا.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥٤

(١) أدرى ما أصنع، لئن أنا بعثت بالصدقة إلى أبي بكر و بايعته لينحرن [١] ما معه في بني سعد فيسودني فيهم، و لئن نحرتها [٢] في بني سعد ليأتين أبا بكر فيسودني عنده. فقسمها على المقاعس و البطون، و وافى الزبرقان فاتبع صفوان بن صفوان بصدقات الزباب- و هي ضبّة بن أدّ بن طابخة، و عدى و تيم و عكل و ثور بنو عبد مناة بن أدّ- و بصدقات عوف و الأبناء، و هذه بطون من تميم. ثمّ ندم قيس، فلما أظله العلاء بن الحضرمي أخرج الصدقة فتلقاه بها، ثمّ خرج معه و تشاغت تميم بعضها ببعض. و كان ثمامة بن أثال الحنفي تأتيه أمداد تميم، فلما حدث هذا الحدث [٣] أضرّ ذلك بثمامة، و كان مقاتلا لمسيلمة الكذاب، حتى قدم عليه عكرمة بن أبي جهل، فبينما الناس ببلاد تميم مسلمهم بإزاء من أراد الردّة و ارتاب إذ جاءتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن علفان التميمية قد أقبلت من الجزيرة و ادعت النبوة، و كانت و رهطها في أخوالها من تغلب تقود أفناء ربيعة معها الهذيل بن عمران في بني تغلب، و كان نصرانيا، فترك دينه و تبعها، و عقّة بن هلال في النمر «١»، و زياد بن فلان في إباد، و السليل بن قيس في شيبان، فأتاهم أمر أعظم ممّا هم فيه لاختلافهم.

و كانت سجاح تريد غزو أبي بكر، فأرسلت إلى مالك بن نويرة تطلب المواعدة، فأجابها و ردّها عن غزوها و حملها على أحياء من بني تميم، فأجابته و قالت: أنا امرأة من بني يربوع، فإن كان ملكك فهو لكم. و هرب منها

[١] لينحرن.

[٢] نجرتها.

[٣] الحديث.

(١). اليمىن: ١٢٨. tsirebaT, I, p

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥٥

(١) عطارد بن حاجب و سادة بنى مالك و حنظلة إلى بنى العنبر «١»، و كرهوا ما صنع و كيع، و كان قد وادعها، و هرب منها أشباههم من بنى يربوع و كرهوا ما صنع مالك بن نويرة، و اجتمع مالك و و كيع و سجاح فسجعت لهم سجاح و قالت: أعدوا الزكاب، و استعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الزياب، فليس دونهم حجاب. فساروا إليهم، فلقبهم ضبّة و عبد مناة فقتل بينهم قتلى كثيرة و أسر بعضهم من بعض ثم تصالحوها، و قال قيس بن عاصم شعرا ظهر فيه ندمه على تخلفه عن أبى بكر بصدقته.

ثم سارت سجاح فى جنود الجزيرة حتى بلغت النجاج، فأغار عليهم أوس ابن خزيمه الهجيمى فى بنى عمرو فأسر الهذيل و عقه، ثم اتفقوا على أن يطلق أسرى سجاح و لا يطاء أرض أوس و من معه.

ثم خرجت سجاح فى الجنود و قصدت اليمامة و قالت: عليكم باليمامة، و دفوا ديف الحمامة، فإنها غزوة صرامه، لا يلحقكم بعدها ملامه.

فقصدت بنى حنيفه، فبلغ ذلك مسيلمه فخاف إن هو شغل بها أن يغلب ثمامه و شرحبيل بن حسنه و القبائل التى حولهم على حجر، و هى اليمامة، فأهدى لها ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتياها، فأمنتها، فجاءها فى أربعين من بنى حنيفه، فقال مسيلمه: لنا نصف الأرض و كان لقريش نصفها لو عدلت، و قد ردّ الله عليك النصف الذى ردّت قريش.

و كان ممّا شرع لهم أن من أصاب ولدا واحدا ذكرا لا يأتى النساء حتى يموت ذلك الولد فيطلب الولد حتى يصيب ابنا ثم يمسك.

وقيل: بل تحصن منها، فقالت له: انزل، فقال لها: أبعدى أصحابك.

ففعلت، و قد ضرب لها قبة و خمّرها لتذكر بطيب الريح الجماع، و اجتمع بها،

(١). العنزّة

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥٦

(١) فقالت له: ما أوحى إليك ربك؟ فقال: أ لم تر إلى ربك كيف فعل بالجبلى، أخرج منها نسمه تسعى، بين صفاق و حشى؟ قالت: و ما ذا أيضا؟ قال:

إنّ الله خلق النساء أفراجا، و جعل الرجال لهم أزواجا، فتولج فيهنّ [قعسا] إيلاجا، ثم تخرجها إذا تشاء إخراجا، فيتجن لنا سخالا إنتاجا. قالت:

أشهد أنّك نبى. قال: هل لك أن أتزوجك و آكل بقومى و قومك العرب؟

قالت: نعم. قال:

ألا قومى إلى النيك فقد هبى لك المضجع

فإن شئت ففى البيت و إن شئت ففى المخدع

و إن شئت سلقناك و إن شئت على أربع

و إن شئت بثليته و إن شئت به أجمع قالت [١]: بل به أجمع فإنه أجمع للشمل. قال: بذلك أوحى إلى. فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت إلى قومها، فقالوا لها: ما عندك؟ قالت: كان على الحق فتبعته و تزوجته. قالوا: هل أصدقك شيئا؟ قالت: لا. قالوا:

فارجعى فاطلبى الصداق، فرجعت. فلما رآها أغلق باب الحصن و قال:

ما لك؟ قالت: أصدقني. قال: من مؤذّنك؟ قالت: شيب بن ربعي الرّياحيّ، فدعاه و قال له: ناد في أصحابك أنّ مسيلمَةَ رسول الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا جاءكم به محمّد: صلاة الفجر و صلاة العشاء الآخرة.

فانصرفت و معها أصحابها، منهم: عطار د بن حاجب و عمرو بن الأهم [٢] و غيلان بن خرشة و شيب بن ربعي، فقال عطار د بن حاجب:

أمست نبيتنا أنثى نطوف بها و أصبحت أنبياء الناس ذكرانا

[١] قال.

[٢] الأهم.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥٧

(١) و صالحها مسيلمَةُ على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف و تترك عنده من يأخذ النصف، فأخذت النصف و انصرفت إلى الجزيرة و خلّفت الهذيل و عقّة و زيادا لأخذ النصف الباقي، فلم يفاجمهم إلّا دنوّ خالد إليهم فارفضوا. فلم تزل سجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام الجماعة و جاءت معهم و حسن إسلامهم و إسلامها و انتقلت إلى البصرة و ماتت بها و صلّى عليها سمرة ابن جندب و هو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان و ولايته البصرة. و قيل: إنّها لما قتل مسيلمَةُ سارت إلى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم و لم يسمع لها بذكر.

ذكر مالك بن نويرة

لما رجعت سجاح إلى الجزيرة ارعوى مالك بن نويرة و ندم و تحير في أمره، و عرف و كيع و سماعة قبح ما أتيا فراجعا رجوعا حسنا و لم يتجبرا و أخرجوا الصدقات فاستقبلا بها خالدا. و سار خالد بعد أن فرغ من فزارة و غطفان و أسد و طيئير يريد البطاح، و بها مالك بن نويرة قد تردّد عليه أمره، و تخلّفت الأنصار عن خالد و قالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا إن نحن فرغنا من بزاحة أن نقيم حتى يكتب إلينا. فقال خالد: قد عهد إليّ أن أمضى، و أنا الأمير، و لو لم يأت كتاب بما رأيته فرصة و كنت إن أعلمته فاتتني لم أعلمه [١]، و كذلك لو ابتلينا بأمر ليس فيه منه عهد لم ندع أن نرى أفضل ما يحضرنا ثم

[١] (العبرة في الطبري: «و لو أنّه لم يأتني له كتاب و لا أمر، ثم رأيت فرصة، فكنت إن أعلمته فاتتني، لم أعلمه حتى أنتهزها»).

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥٨

(١) نعمل به، فأنا قاصد إلى مالك و من معي و لست أكرههم. و مضى خالد و ندمت الأنصار و قالوا: إن أصاب القوم خيرا حرمتموه، و إن أصيبوا ليجتنبنكم الناس. فلحقوه.

ثم سار حتى قدم البطاح، فلم يجد بها أحدا، و كان مالك بن نويرة قد فرّقهم و نهاهم عن الاجتماع و قال: يا بني يربوع إنّنا دعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح، و قد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة، و إذا الأمر لا يسوسه الناس، فأياكم و مناوأة قوم صنع لهم، فتفرّقوا و ادخلوا في هذا الأمر. فتفرّقوا على ذلك، و لما قدم خالد البطاح بتّ السرايا و أمرهم بداعية الإسلام و أن يأتوه بكلّ من لم يجب و إن امتنع أن يقتلوه، و كان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا إذا نزلوا منزلا، فإن أذن القوم فكفّوا عنهم، و إن لم يؤذّنوا فاقتلوا و انهبوا، و إن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة، فإن أقرّوا فاقبلوا منهم، و إن أبوا فقاتلوهم.

قال: فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع، فاختلفت السريّة فيهم، و كان فيهم أبو قتادة، فكان فيمن شهد أنّهم قد أذّنوا و أقاموا و صلّوا، فلما اختلفوا أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد مناديا فنادى: أذّنوا [١] أسراكم، و

هي في لغة كنانة القتل، فظنّ القوم أنه أراد القتل، و لم يرد إلّا الدفء، فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكا، و سمع خالد الواعية [٢] فخرج و قد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه. و تزوج خالد أمّ تميم امرأة مالك. فقال عمر لأبي بكر: إن سيف خالد فيه رهق، و أكثر عليه في ذلك. فقال: [هيه] يا عمر! تأول

[١] دافنوا.

[٢] (الواعية: الجلبه و الصراخ على الميت و نعيه).

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٥٩

(١) فأخطأ، فارع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم [١] سيفاً سلّه الله على الكافرين.

و ودى مالكا و كتب إلى خالد أن يقدم عليه، ففعل، و دخل المسجد و عليه قباء و قد غرز في عمامته أسهما، فقام إليه عمر فنزعها و حطّمها و قال له: قتلت امرأة مسلما ثمّ نزوت على امرأته، و الله لأرجمنك بأحجارك! و خالد لا يكلمه يظنّ أنّ رأى أبي بكر مثله، و دخل على أبي بكر فأخبره الخبر و اعتذر إليه، فعذره و تجاوز عنه و عّفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهة أيام الحرب. فخرج خالد و عمر جالس فقال: هلّمّ إليّ يا ابن أمّ سلمة.

فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضى عنه، فلم يكلمه.

و قيل: إنّ المسلمين لما غشوا مالكا و أصحابه ليلا أخذوا السلاح فقالوا:

نحن المسلمون. فقال أصحاب مالك: و نحن المسلمون. قالوا لهم: ضعوا السلاح، فوضعه ثمّ صلّوا، و كان يعتذر في قتله أنّه قال: ما إخال صاحبكم إلّا قال كذا و كذا. فقال له: أو ما تعدّه لك صاحباً؟ ثمّ ضرب عنقه.

و قدم متمّم بن نويرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه و يسأله أن يرّد عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر برّد السبي و ودى مالكا من بيت المال. و لما قدم على عمر قال له: ما بلغ بك الوجد على أخيك؟ قال: بكيته حولا حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة، و ما رأيت ناراً قطّ إلّا كدت أنقطع أسفا عليه لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف و لا يعرف مكانه. قال: فضفه لي. قال: كان يركب الفرس الحرون، و يقود الجمل الثقال و هو بين المزدتين النضوختين في الليلة القرة و عليه شملة فلوت، معتقلا- رمحا خطلا، فيسرى ليلته ثمّ يصبح و كأنّ وجهه فلقه قمر. قال: أنشدني بعض ما قلت فيه. فأنشده مرثيته التي يقول فيها:

[١] لا أشتم.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦٠

(١)

و كنّا كندمانى جذيمة حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلمّا تفرّقنا كآتي و مالكا الطول اجتماع لم نبت ليلة معا فقال عمر: لو كنت أقول الشعر لرثيت أخى زيدا. فقال متمّم: و لا سواء يا أمير المؤمنين، لو كان أخى صرع مصرع أخيك لما بكيته. فقال عمر: ما عزّاني أحد بأحسن ممّا عزّيتني به. و في هذه الوقعة قتل الوليد و أبو عبيدة ابنا عماره بن الوليد، و هما ابنا أخى خالد، لهما صحبة.

ذكر مسيلمة و أهل اليمامة

قد ذكرنا فيما تقدّم مجيء مسيلمة إلى النبي، صلّى الله عليه و سلّم.

فلما مات النبى، صلى الله عليه وسلم، وبعث أبو بكر السرايا إلى المرتدين، أرسل عكرمة بن أبى جهل فى عسكر إلى مسيلمة و أتبعه شرحبيل بن حسنة، فعجل عكرمة ليذهب بصوتها، فواقعهم فنكبوها، و أقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، و كتب عكرمة إلى أبى بكر بالخبر. فكتب إليه أبو بكر:

لا أرينك و لا ترانى، لا ترجعن فتوهن الناس، امض إلى حذيفة و عرفجة فقاتل أهل عمان و مهرة، ثم تسير أنت و جندك تستبرون [١] الناس حتى تلقى مهاجر بن أبى أمية باليمن و حضرموت. فكتب إلى شرحبيل بالمقام إلى أن يأتى خالد، فإذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمر و بن العاص تعينه على قضاة.

فلما رجع خالد من البطاح إلى أبى بكر و اعتذر إليه قبل [٢] عذره و رضى

[١] (فى الطبرى: تستبرون).

[٢] فقبل.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦١

(١) عنه و وجهه إلى مسيلمة و أوعب معه المهاجرين و الأنصار، و على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، و على المهاجرين أبو حذيفة و زيد بن الخطاب، و أقام خالد بالبطاح ينتظر وصول البعث إليه. فلما وصلوا إليه سار إلى اليمامة و بنو حنيفة يومئذ كثيرون كانت عدتهم أربعين ألف مقاتل، و عجل شرحبيل ابن حسنة، و بادر خالدًا بقتال مسيلمة، فنكب، فلامه خالد، و أمد أبو بكر خالدًا بسليط ليكون ردءًا له لئلا يؤتى من خلفه. و كان أبو بكر يقول:

لا- أستعمل أهل بدر، أذعهم حتى يلقوا الله بصالح أعمالهم، فإن الله يدفع بهم و بال صالحين أكثر مما ينتصر بهم. و كان عمر يرى استعمالهم على الجند و غيره.

و كان مع مسيلمة نهار الرجال بن عنفة، و كان قد هاجر إلى النبى، صلى الله عليه وسلم، و قرأ القرآن، و فقه فى الدين، و بعثه معلمًا لأهل اليمامة و ليشغب على مسيلمة، فكان أعظم فتنة على بنى حنيفة من مسيلمة، شهد أن محمدًا، صلى الله عليه وسلم، يقول: إن مسيلمة قد أشرك معي، فصدقه و استجابوا له، و كان مسيلمة ينتهى إلى أمره، و كان يؤذن له عبد الله بن النواجذ، و الذى يقيم له حجير بن عمير «١»، فكان حجير يقول: أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله. فقال له مسيلمة: أفصح حجير، فليس فى المجمعمة خير. و هو أول من قالها.

و كان مما جاء به و ذكر أنه وحى: يا ضفدع بنت ضفدع نقى ما تنقن، أعلاك فى الماء و أسفلك فى الطين، لا الشارب تمنعين، و لا الماء تكدرين.

و قال أيضا: و المبيديات زرعًا، و الحاصدات حصدا، و الذاريات قمحا، و الطاحنات طحنا، و الخابزات خبزًا، و الثاردات ثردًا، و اللاقمات لقما إهالة و سمنًا، لقد فضلتكم على أهل الوبر، و ما سبقكم أهل المدر، ريقكم

(١). عمرو. ddoC

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦٢

(١) فامنعوه، و المعبى فأووه، و الباغى فناوئوه [١]. و أته امرأة فقالت: إن نخلنا لسحيق [٢]، و إن آبارنا لجرز [٣]، فادع الله لمائنا و نخلنا كما دعا محمد، صلى الله عليه وسلم، لأهل هزمان. فسأل نهارًا عن ذلك، فذكر أن النبى، صلى الله عليه وسلم، دعا لهم و أخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه و مَجَّه فى الآبار ففاضت ماء و أنجيت كل نخلة و أطلعت فسيلا قصيرا مكمما، ففعل مسيلمة ذلك، فغار ماء الآبار و يبس النخل، و إنما ظهر ذلك بعد مهلكه.

و قال له نهار: أمر يدك على أولاد بنى حنيفه مثل محمد، ففعل و أمر يده على رءوسهم و حنكهم ففرع كل صبى مسح رأسه، و لثغ كل صبى حنكه، و إنما استبان ذلك بعد مهلكه.

و قيل: جاءه طلحة التمرى فسأله عن حاله، فأخبره أنه يأتيه رجل فى ظلمة، فقال: أشهد أنك الكاذب، و أن محمدا صادق، و لكن كذاب ربيعه أحب إلينا من صادق مضر. فقتل معه يوم عقرباء كافرا.

و لما بلغ مسيلمه دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء، و خرج إليه الناس و خرج مجاعة بن مرارة فى سرية يطلب ثارا لهم فى بنى عامر، فأخذه المسلمون و أصحابه، فقتلهم خالد و استبقاه لشرفه فى بنى حنيفه، و كانوا ما بين أربعين إلى ستين.

و ترك مسيلمه الأموال وراء ظهره، فقال شرحبيل بن مسيلمه: يا بنى حنيفه قاتلوا فإن اليوم يوم الغيرة، فإن انهزمت تستردف النساء سيئات، و ينكحن غير خطيبات، فقاتلوا عن أحسابكم و امنعوا نساءكم. فاقتلوا بعقرباء، و كانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة، و كانت قبله

[١] فتأووه.

[٢] يستحق.

[٣] (الجرز: المجدبة).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦٣

(١) مع عبد الله بن حفص بن غانم، فقتل، فقالوا: تخشى [١] علينا من نفسك [شيئا]! فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا! و كانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، و كانت العرب على آياتهم، و التقى الناس، و كان أول من لقى المسلمين نهار الرجال بن عنفة فقتل، قتله زيد بن الخطاب، و اشتد القتال، و لم يلق المسلمون حربا مثلها قط، و انهزم المسلمون، و خلص بنو حنيفه إلى مجاعة و إلى خالد، فزال خالد عن الفسطاط و دخلوا إلى مجاعة و هو عند امرأة خالد، و كان سلمه إليها، فأرادوا قتلها، فنهاهم مجاعة عن قتلها و قال: أنا لها جار، فتركوها، و قال لهم: عليكم بالرجال، فقطعوا الفسطاط. ثم إن المسلمين تداعوا، فقال ثابت بن قيس: بئس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين! اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء، يعنى أهل اليمامة، و أعتذر إليك مما يصنع هؤلاء، يعنى المسلمين، ثم قاتل حتى قتل.

و قال زيد بن الخطاب: لا نحور [٢] بعد الرجال، و الله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو أقتل فأكلمه بحجتي. غصوا أبصاركم و عضوا على أضراسكم أيها الناس، و اضربوا فى عدوكم و امضوا قدما. و قال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال. و حمل خالد فى الناس حتى ردوهم إلى أبعدهم ما كانوا، و اشتد القتال و تدامرت بنو حنيفه و قاتلت قتالا شديدا، و كانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين و تارة للكافرين، و قتل سالم و أبو حذيفة و زيد بن الخطاب و غيرهم من أولى البصائر. فلما رأى خالد ما الناس فيه قال: امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حى و لنعلم من أين نوتى. فامتازوا، و كان أهل البوادي قد جئوا المهاجرين و الأنصار و جنبهم المهاجرون و الأنصار.

فلما امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم يستحى من الفرار، فما رثى يوم كان

[١] تخشى.

[٢] لأتجور.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦٤

(١) أعظم نكايه من ذلك اليوم، و لم يدر أى الفريقين كان أعظم نكايه، غير أن القتلى كان فى المهاجرين و الأنصار و أهل القرى

أكثر منه [١] فى أهل البوادي.

و ثبت مسيلمة فدارت رحاهم عليه، فعرف خالد أنها لا تركد إلا بقتل مسيلمة، و لم تحفل بنو حنيفة بمن قتل منهم. ثم برز خالد و دعا إلى البراز و نادى بشعارهم، و كان شعارهم: يا محمداه! فلم يبرز إليه أحد إلا قتله.

و دارت رحى المسلمين، و دعا خالد مسيلمة فأجابه، فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة فكان إذا هم بجوابه أعرض بوجهه ليستشير شيطانه فينهاه أن يقبل. فأعرض بوجهه مرة و ركبته خالد و أرهقه، فأدبر و زال أصحابه، و صاح خالد فى الناس فركبوهم، فكانت هزيمتهم، و قالوا لمسيلمة: أين ما كنت تعدنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم. و نادى المحكم: يا بنى حنيفة الحديدية الحديدية! فدخلوها و أغلقوا عليهم بابها.

و كان البراء بن مالك، و هو أخو أسد بن مالك، إذا حضر الحرب أخذته رعدة حتى يقعد عليه الرجال ثم يبول، فإذا بال ثار كما يثور الأسد، فأصابه ذلك، فلما بال و ثب و قال: إلى أيها الناس، أنا البراء بن مالك! إلى إلى! و قاتل قتالا شديدا، فلما دخلت بنو حنيفة الحديدية قال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم فى الحديدية. فقالوا: لا- نفعل. فقال: و الله لتطرحنني عليهم بها! فاحتمل حتى أشرف على الجدار فاقتحمها عليهم و قاتل على الباب و فتحه للمسلمين و دخلوها عليهم فاقتتلوا أشد قتال، و كثر القتلى فى الفريقين لا سيما فى بنى حنيفة، فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة. و اشترك فى قتله وحشى مولى جبير بن مطعم و رجل من الأنصار، أما وحشى فدفع عليه حربته، و ضربه الأنصارى بسيفه، قال ابن عمر: فصرخ رجل: قتله

[١] منهم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦٥

(١) العبد الأسود، فولت بنو حنيفة عند قتله منهزمة، و أخذهم السيف من كل جانب، و أخبر خالد بقتل مسيلمة، فخرج بمجاعة يرسف فى الحديد ليدله على مسيلمة، فجعل يكشف له القتلى حتى مرّ بمحكم اليمامة، و كان وسيما، فقال: هذا صاحبكم؟ فقال مجاعة: لا، هذا و الله خير منه و أكرم، هذا محكم اليمامة، ثم دخل الحديدية فإذا رويجل أصيفر أخينس، فقال مجاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه. و قال خالد: هذا الذى فعل بكم ما فعل.

و كان الذى قتل محكم اليمامة عبد الرحمن بن أبى بكر، رماه بسهم فى نحره و هو يخطب و يحرض الناس فقتله. و قال مجاعة لخالد: ما جاءك إلا سرعان الناس، و إن الحصون مملوءة، فهلم إلى الصلح على ما ورائى، فصالحه على كل شىء دون النفوس، و قال: أنطلق إليهم فأشاورهم. فانطلق إليهم و ليس فى الحصون إلا النساء و الصبيان و مشيخة فانية و رجال ضعفى، فألبسهم الحديد و أمر النساء أن ينشرن شعورهنّ و يشرفن على الحصون حتى يرجع إليهم.

فرجع إلى خالد فقال: قد أبوا أن يجيزوا ما صنعت، فرأى خالد الحصون مملوءة و قد نهكت المسلمين الحرب و طال اللقاء و أحبوا أن يرجعوا على الظفر و لم يدروا ما هو كائن، و قد قتل من المهاجرين و الأنصار من أهل المدينة ثلاثمائة و ستون، و من المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل، و قتل ثابت بن قيس، قطع رجل من المشركين رجله فأخذها ثابت و ضربه بها فقتله، و قتل من بنى حنيفة بعقرباء سبعة آلاف، و بالحديقة مثلها، و فى الطلب نحو منها. و صالحه خالد على الذهب و الفضة و السلاح و نصف السبى، و قيل ربه.

فلما فتحت الحصون لم يكن فيها إلا النساء و الصبيان و الضعفاء، فقال خالد لمجاعة: ويحك خدعتنى! فقال: هم قومي و لم أستطع إلا ما صنعت.

و وصل كتاب أبى بكر إلى خالد أن يقتل كل محتلم، و كان قد صالحهم، فوفى لهم و لم يغدر. و لما رجع الناس قال عمر لابنه عبد الله، و كان معهم:

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦٦

(١) ألا هلكت قبل زيد؟ هلكت زيد و أنت حتى! ألا وارىت وجهك عنى؟ فقال عبد الله: سأل الله الشهادة فأعطيها و جهدت أن تساق إلى فلم أعطيها.

و فى هذه السنة بعد وقعة اليمامة أمر أبو بكر بجمع القرآن لما رأى من كثرة من قتل من الصحابة لئلا يذهب القرآن، و سيرد مبينا سنة ثلاثين.

و ممن قتل باليمامة شهيدا من الصحابة عباد بن بشر الأنصارى، شهد بدرًا و غيرها. و قتل عباد بن الحارث الأنصارى، و كان شهد أحدا.

و قتل بها عمير بن أوس بن عتيك الأنصارى، و كان شهد أحدا. و فيها قتل عامر بن ثابت بن سلمة الأنصارى. و فيها قتل عمارة بن حزم الأنصارى أخو عمرو، و كان بدريًا، و فيها قتل علي بن عبيد الله بن الحارث من بنى عامر بن لؤى، و كان له صحبة. و قتل بها عائذ بن ماعص الأنصارى، و قيل:

قتل يوم بئر معونة. و قتل فيها فروة بن النعمان، و قيل ابن الحارث بن النعمان الأنصارى، و كان قد شهد أحدا و ما بعدها. و فيها قتل قيس بن الحارث بن عدى الأنصارى، عم البراء بن عازب، و قيل بل قتل بأحد.

و قتل بها سعد بن جَمَاز الأنصارى، و كان قد شهد أحدا. و قتل بها أبو دجانه الأنصارى، و هو بدرى، و قيل بل عاش بعد ذلك و شهد صفين مع على، عليه السلام، و الله أعلم. و قتل باليمامة سلمة بن مسعود بن سنان الأنصارى.

و قتل فيها السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى، و هو من مهاجرة الحبشة، و شهد بدرًا. و قتل أيضا السائب بن العوام أخو الزبير لأبويه. و قتل بها الطفيل بن عمرو الدوسى، شهد خيبر. و قتل بها زرارة بن قيس الأنصارى، له صحبة. و قتل فيها مالك بن عمرو السلمي حليف بنى عبد شمس، و هو بدرى. و قتل مالك بن أمية السلمى، و هو بدرى. و مالك بن عوس بن عتيك الأنصارى، و هو ممن شهد أحدا. و قتل بها معن بن عدى بن الجَدِّ

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦٧

(١) البلوى حليف الأنصار، شهد العقبة و بدرًا و غيرهما. و مسعود بن سنان الأسود حليف بنى غانم، و شهد أحدا. و فيها قتل النعمان بن عصر بن الربيع البلوى، و هو بدرى.

(و قيل هو بكسر العين و سكون الصاد، و قيل بفتحهما).

و فيها قتل صفوان و مالك ابنا عمرو السلمى، و هما بدریان. و ضرار ابن الأزور الأسدى، و هو الذى قتل مالك بن نويرة بأمر خالد. و فيها قتل عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى، و قيل قتل عبد الله بالطائف هو و أخوه السائب. و فيها قتل عبد الله بن مخزومة بن عبد العزى العامرى عامر قيس، و شهد بدرًا و غيرها. و فيها قتل عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول، و هو بدرى. و عبد الله بن عتيك الأنصارى، و هو قاتل ابن أبى الحقيق، و هو بدرى. و فيها قتل شجاع بن أبى وهب الأسدى أسد خزيمه، شهد بدرًا. و هريم بن عبد الله المطلبى القرشى، و أخوه جنادة. و الوليد ابن عبد شمس بن المغيرة المخزومى، ابن عم خالد. و قتل ورقة بن إياس ابن عمرو الأنصارى، و هو بدرى. و يزيد بن أوس حليف بنى عبد الدار، أسلم يوم الفتح. و أبو حبة بن غزیه «١» الأنصارى، شهد أحدا. و أبو عقيل البلوى حليف الأنصار، و هو بدرى. و أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى، من مهاجرة الحبشة، شهد أحدا. و يزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت.

(الرجال بن عنفوة بالراء المفتوحة، و بالجيم المشددة، و قيل بالحاء المهملة، و الأول أكثر. و مجاعة بتشديد الجيم. و محكم اليمامة بالحاء المهملة، و الكاف المشددة. و سعد بن جَمَاز بالجيم، و الميم المشددة، و آخره زاي).

(١). عرم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦٨

(١)

ذكر ردة أهل البحرين

لما قدم الجارود بن المعلّى «١» العبدى على النبى، صلى الله عليه و سلم، و تفقه رده إلى قومه عبد القيس، فكان فيهم. فلما مات النبى، صلى الله عليه و سلم، و كان المنذر بن ساوى العبدى مريضا فمات بعد النبى، صلى الله عليه و سلم، بقليل. فلما مات المنذر بن ساوى ارتد بعده أهل البحرين، فأمرى بكر فتت على ردتها، و أما عبد القيس فإنهم جمعهم الجارود و كان بلغه أنهم قالوا: لو كان محمد نبيا لم يمت. فلما اجتمعوا إليه قال لهم:

أ تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا:

ماتوا. قال: فإن محمدا، صلى الله عليه و سلم، قد مات كما ماتوا، و أنا أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله. فأسلموا و ثبتوا على إسلامهم.

و حصرهم أصحاب المنذر بعده حتى استقذهم العلاء بن الحضرمى. و اجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود و من تبعه و قالوا: نرد الملك فى المنذر بن النعمان بن المنذر، و كان يسمى الغرور. فلما أسلم كان يقول:

أنا المغرور و لست بالغرور.

و خرج الحطم بن ضبيعة أخو بنى قيس بن ثعلبة فى بكر بن وائل فاجتمع إليه من غير المرتدين ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف و هجر، و استغفروا الخط و من بها من الزط و السبابجة، و بعث بعثا إلى دارين، و بعث إلى جواثا فحصر المسلمين، فاشتد الحصر على من بها، فقال عبد الله بن حذف، و قد قتلهم الجوع:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا و فتیان المدينة أجمعينا

(١). ruticid الجارود بن عمرو ٢٩٨.gap

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٦٩

(١)

فهل لكم إلى قوم كرام قعود فى جواثا محصرينا

كأن دماءهم فى كل فج شعاع الشمس يغشى الناظرينا

توكلنا على الرحمن إنا وجدنا النصر للمتوكلينا و كان سبب استنقاذ العلاء بن الحضرمى إياهم أن أبا بكر كان قد بعثه على قتال أهل الردة بالبحرين، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفى فى مسلمة بنى حنيفة، و لحق به أيضا قيس بن عاصم المنقرى و أعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبى، صلى الله عليه و سلم، و انضم إليه عمرو و الأبناء، و سعد بن تميم و الزباب أيضا لحقته فى مثل عدته، فسلوك بهم الدهناء حتى [إذا] كانوا فى بحبوحتها نزل و أمر الناس بالنزول فى الليل، فنفرت إبلهم بأحمالها، فما بقى عندهم بعير و لا زاد و لا ماء، فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله، و وصى بعضهم بعضا فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه، فقال: ما هذا الذى غلب عليكم من الغم؟ فقالوا: كيف نلام و نحن إن بلغنا غدا لم تحم الشمس حتى نهلك. فقال: لن تراعوا، أنتم المسلمون و فى سبيل الله و أنصار الله، فأبشروا فو الله لن نخذلوا.

فلما صلوا الصبح دعا العلاء و دعوا معه، فلمع لهم الماء، فمشوا إليه و شربوا و اغتسلوا. فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تجمع من

كلّ وجه فأناخت إليهم فسقوها. و كان أبو هريرة فيهم، فلما ساروا عن ذلك المكان قال لمنجاب بن راشد: كيف علمك بموضع الماء؟ قال: عارف به. فقال له: كن معى حتى تقيمنى عليه. قال: فرجعت به إلى ذلك المكان فلم نجد إلا غدیر الماء فقلت له: والله لو لا الغدير لأخبرتک أنّ هذا هو المكان، و ما رأيت بهذا المكان ماء قبل اليوم، و إذا إداوة مملوءة ماء. فقال أبو هريرة: هذا والله المكان، و لهذا رجعت بك و ملأت إداوتى ثمّ وضعتها على شفير الغدير و قلت: إن كان منّا من المنّ عرفته، و إن كان عينا عرفته، فإذا

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧٠

(١) منّ من المنّ فحمد الله.

ثمّ ساروا فزلوا بهجر، و أرسل العلاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس على الحطم ممّا يليه، و سار هو فيمن معه حتى نزل عليه ممّا يلي هجر، فاجتمع المشركون كلّهم إلى الحطم إلا أهل دارين، و اجتمع المسلمون إلى العلاء، و خندق المسلمون على أنفسهم و المشركون و كانوا يتراوون القتال و يرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهرا. فينا هم كذلك سمع المسلمون ضوضاء هزيمة أو قتال فقال العلاء: من يأتينا بخير القوم؟ فقال عبد الله بن حذف: أنا، فخرج حتى دنا من خندقهم، فأخذه. و كانت أمّه عجلىة، فجعل ينادى: يا أبجراه! فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال:

ما شأنك؟ فقال: علام أقبل و حولى عساكر من عجل و تيم اللات و غيرهما؟

فخلّصه، فقال له: والله إني لأظنك بئس ابن أخت أيت الليلة أخوالك.

فقال: دعنى من هذا و أطعمنى فقد متّ جوعا. فقرب له طعاما، فأكل، ثمّ قال: زودنى و احملنى، يقول هذا لرجل قد غلب عليه السكر، فحمله على بعير و زوده و جوّزه، فدخل عسكر المسلمين فأخبرهم أنّ القوم سكارى، فخرج المسلمون عليهم فوضعوا فيهم السيف كيف شاءوا، و هرب الكفّار، فمن بين متردد و ناج و مقتول و مأسور، و استولى المسلمون على العسكر و لم يفلت رجل إلا بما عليه. فأما أبجر فأفلت، و أمّا الحطم فقتل، قتله قيس بن عاصم بعد أن قطع عفيف بن المنذر التميمى رجله. و طلبهم المسلمون فأسر عفيف المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور فأسلم. و أصبح العلاء فقسم الأنفال و نقل رجلا من أهل البلاء ثيابا، فأعطى ثمامة بن أثال الحنفى خميصه ذات أعلام كانت للحطم يباهى بها. فلما رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثعلبة فقالوا له: أنت قتلت الحطم! فقال: لم أقتله و لكنى اشتريتها من المغنم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧١

(١) فوثبوا عليه فقتلوه.

و قصد عظم الفلّال إلى دارين فركبوا إليها السفن و لحق الباقون ببلاد قومهم. فكتب العلاء إلى من ثبت على إسلامه من بكر بن وائل، منهم عتيبة ابن النّهاس «١» و المشى بن حارثة و غيرهما، يأمرهم بالعود للمنهمزمين و المرتدّين بكلّ طريق، ففعلوا، و جاءت رسالهم إلى العلاء بذلك، فأمر أن يؤتى من وراء ظهره، فندب حينئذ الناس إلى دارين و قال لهم: قد أراكم الله من آياته فى البرّ لتعتبروا بها فى البحر، فانهضوا إلى عدوّكم و استعرضوا البحر.

و ارتحل و ارتحلوا حتى اقتحم البحر على الخيل و الإبل و الحمير و غير ذلك، و فيهم الراجل، و دعا و دعوا. و كان من دعائهم: يا أرحم الراحمين، يا كريم، يا حلیم، يا أحد، يا صمد، يا حىّ، يا محيى الموتى، يا حىّ يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربّنا! فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، و بين الساحل و دارين يوم و ليلة لسفن البحر، فالتقوا و اقتتلوا قتالا شديدا، فظفر المسلمون و انهزم المشركون، و أكثر المسلمون القتل فيهم فما تركوا بها مخبرا و غنموا و سبوا، فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا، و ضرب الإسلام فيها بجرانه.

و كتب العلاء إلى أبى بكر يعرّفه هزيمة المرتدّين و قتل الحطم. و كان مع المسلمين راهب من أهل هجر، فأسلم فقيل له: ما حملك

على الإسلام؟

قال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخنى الله بعدها: فيض فى الرمال، و تمهيد أثباج البحر، و دعاء سمعته فى عسكرهم فى الهواء سحرا: اللهم أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك، و البديع فليس قبلك شىء، و الدائم غير الغافل، الحى الذى لا يموت و خالق ما يرى و ما لا يرى، و كل يوم أنت فى شأن، علمت كل شىء

(١). النهاش. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧٢

(١) بغير تعلم. فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا و هم على حق، فكان أصحاب النبى، صلى الله عليه و سلم، يسمعون هذا منه بعد.

عتيبة بعد العين تاء معجمة باثنتين من فوقها، و ياء تحتها نقطتان، ثم باء موحدة. و حارثه بحاء مهملة، و تاء مثلثة.

ذكر ردة أهل عمان و مهرة

قد اختلف فى تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدين، فقال ابن إسحاق:

كان فتح اليمامة و اليمن و البحرين و بعث الجنود إلى الشام سنة اثنتى عشرة، و قال أبو معشر و يزيد بن عياض [بن جعدبة [١] و أبو عبيدة بن محمّد بن عمار ابن ياسر: إن فتوح الردة كلها لخالد و غيره سنة إحدى عشرة، إلا أمر ربيعة بن بجير فإنه كان سنة ثلاث عشرة، و قصته: أنه بلغ خالد بن الوليد أن ربيعة بالمصيخ [٢] و الحصيد فى جمع من المرتدين فقاتله و غنم و سبى و أصاب ابنه لربيعة فبعث بها إلى أبى بكر، فصارت إلى على بن أبى طالب.

و أميا عمان فإنه نبغ بها ذو الناج لقيط بن مالك الأردى، و كان يسامى فى الجاهلية الجلندى، و ادعى بمثل ما ادعى من تتبأ، و غلب على عمان مرتدا، و التجأ جيفر و عياذ إلى الجبال، و بعث جيفر إلى أبى بكر يخبره و يستمده عليه، و بعث أبو بكر حذيفة بن محصن الغلفانى من حمير،

[١] و جعدبة.

[٢] بالمصيخ.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧٣

(١) و عرفجة البارقي من الأزدي، حذيفة إلى عمان، و عرفجة إلى مهرة، و كل منهما أمير على صاحبه فى وجهه، فإذا قربا من عمان يكتبان جيفرا. فسار إلى عمان، و أرسل أبو بكر إلى عكرمة بن أبى جهل، و كان بعثه إلى اليمامة، فأصيب. فأرسل إليه أن يلحق بحذيفة و عرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عمان و مهرة، فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن. فلحقهما عكرمة قبل عمان، فلما وصلوا رجاما، و هى قريب من عمان، كاتبوا جيفرا و عيادا، و جمع لقيط جموعه و عسكر بدبا، و خرج جيفر و عياذ و عسكرا بصحار و أرسلوا إلى حذيفة و عكرمة و عرفجة، فقدموا عليهما، و كاتبوا رؤساء من لقيط و ارضوا عنه، ثم التقوا على دبا فاقتلوا قتالا شديدا، و استعلى لقيط، و رأى المسلمون الخلل، و رأى المشركون الظفر. فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بنى ناجية و عليهم الخزيت بن راشد، و من عبد القيس و عليهم سيحان بن صوحان، و غيرهم، فقوى الله المسلمين، فولى المشركون الأدبار، فقتل منهم فى المعركة عشرة آلاف و ركبوهم حتى أثنخوا فيهم و سبوا الذرارى و قسموا الأموال و بعثوا بالخمسة إلى أبى بكر مع عرفجة، و أقام حذيفة بعمان يسكن الناس.

و أما مهرة فإن عكرمة بن أبى جهل سار إليهم لما فرغ من عمان و معه من استنصر من ناجية و عبد القيس و راسب و سعد، فاقترح عليهم بلادهم، فوافق بها جمعين من مهرة أحدهما مع سخريت، رجل منهم، و الثانى مع المصبيح، أحد بنى محارب، و معظم الناس معه، و كانا مختلفين. فكتب عكرمة سخريتا، فأجابه و أسلم، و كاتب المصبيح يدعوه فلم يجب، فقاتله قتالا شديدا، فانهزم المرتدون و قتل رئيسهم و ركبهم المسلمون فقتلوا من شاءوا منهم و أصابوا ما شاءوا من الغنائم، و بعث الأحماس إلى أبى بكر مع الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧٤

(١) سخريت، و ازداد عكرمة و جنده قوة بالظهر و المتاع، و أقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذى يحب و بايعوا على الإسلام. (دبا بفتح الباء الموحدة المخففة، و فتح الدال المهملة. و الخريت بكسر الخاء المعجمة، و تشديد الراء المهملة المكسورة ثم ياء مثناة من تحتها، و آخره تاء. و سيحان بفتح السين المهملة، و بالياء المثناة من تحت، و بالحاء المهملة، و آخره نون).

ذكر خبر ردة اليمن

لما توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و على مكة و أرضها عتاب ابن أسيد، و على عك و الأشعريين الطاهر بن أبى هالة، و على الطائف عثمان ابن أبى العاص و مالك بن عوف النصرى، عثمان على المدن، و مالك على أهل الوبر، و بصنعاء فيروز و داذويه يسانده و قيس بن مكشوح، و على الجند يعلى بن أمية، و على مأرب أبو موسى، و كان منهم مع الأسود الكذاب ما ذكرناه. فلما أهلك الله الأسود العنسى بقى طائفة من أصحابه يترددون بين صنعاء و نجران لا يأوون [١] إلى أحد. و مات النبى، صلى الله عليه و سلم، على أثر ذلك، فارتد الناس، فكتب عتاب بن أسيد إلى أبى بكر يعرّفه خبر من ارتد فى عمله، و بعث عتاب أخاه خالدا إلى أهل تهامة و بها جماعة من مدلج و خزاعة و أبناء كنانة. و أما كنانة عليهم جندب بن سلمى، فالتقوا بالأبارق، فقتلهم خالد و فرقهم، و أفلت جندب و عاد، و بعث عثمان بن أبى العاص بعثا إلى شنوءة

[١] تأوى.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧٥

(١) و بها جماعة من الأزدي و بجيلة و خثعم، و عليهم حميضة بن النعمان، و استعمل عثمان على السرية عثمان بن أبى ربيعة، فالتقوا بشنوءة، فانهزم الكفار و تفرقوا، و هرب حميضة فى البلاد.

و أمرا الأخابث من العك فكانوا أول منتقض بتهمته بعد النبى، صلى الله عليه و سلم، ثم تجمع عك و الأشعريون، و أقاموا على الأعلام، فسار إليهم الطاهر بن أبى هالة و معه مسروق و قومه من عك ممن لم يرتد، فالتقوا على الأعلام، فانهزمت عك و من معهم و قتلوا قتلا ذريعا، و كان ذلك فتحا عظيما. و ورد كتاب أبى بكر على الطاهر يأمره بقتالهم، و سماهم الأخابث، و سمى طريقهم طريق الأخابث، فبقى الاسم عليهم إلى الآن.

و أما أهل نجران فلما بلغهم موت النبى، صلى الله عليه و سلم، أرسلوا وفدا ليجددوا عهدهم مع أبى بكر، فكتب بذلك كتابا. و أما بجيلة فإن أبى بكر ردّ جرير بن عبد الله و أمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام و يقاتل بهم من ارتد عن الإسلام و أن يأتى خثعم فيقاتل من خرج غضبا لذى الخلصة، فخرج جرير و فعل ما أمره، فلم يبق له أحد إلا نفر يسير، فقتلهم و تتبعهم. (حميضة بالحاء المهملة المضمومة، و الضاد المعجمة).

ذكر خبر ردة اليمن ثانية

و كان ممن ارتدّ ثانية قيس بن عبد يغوث بن مكشوح، و ذلك أنه لما بلغه موت النبيّ، صلّى الله عليه و سلّم، عمل فى قتل فيروز و جشنس «١»،

(١). (euqibu .P .C جشنس؛ جيس .B؛ rutedivtu ,alamenoitcerroc)

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧٦

(١) و كتب أبو بكر إلى عمر ذى مزان و إلى سعيد ذى زود و إلى ذى الكلاع و إلى حوشب ذى ظليم و إلى شهر ذى نياف يأمرهم بالتمسك بدينهم و القيام بأمر الله، و يأمرهم بإعانة الأبناء على من ناوهم [١]، و السمع لفيروز، و كان فيروز و داؤويه و قيس قبل ذلك متساندين. فلما سمع قيس بذلك كتب إلى ذى الكلاع و أصحابه يدعوهم إلى قتل الأبناء و إخراج أهلهم من اليمن، فلم يجيبوه و لم ينصروا الأبناء. فاستعدّ لهم قيس و كاتب أصحاب الأسود المترددّين فى البلاد سرّا يدعوهم ليجتمعوا معه، فجاءوا إليه، فسمع بهم أهل صنعاء فقصد قيس فيروز و داؤويه فاستشارهما فى أمره خديعة منه ليلبس عليهما، فاطمأنا إليه. ثم إن قيسا صنع من الغد طعاما و دعا داؤويه و فيروز و جشنس، فخرج داؤويه فدخل عليه فقتله، و جاء إليه فيروز، فلما دنا منه سمع امرأتين تتحدّثان فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قتل داؤويه، فخرج. فطلبه أصحاب قيس، فخرج يركض، و لقيه جشنس فرجع معه فتوجّها نحو جبل خولان، و هم أحوال فيروز، فصعدا الجبل، و رجعت خيول قيس فأخبروه، فثار بصنعاء و ما حولها و أتته خيول الأسود.

و اجتمع إلى فيروز جماعة من الناس، و كتب إلى أبى بكر يخبره، و اجتمع إلى قيس عوامّ قبائل من كتب أبو بكر إلى رؤسائهم، و اعتزل الرؤساء، و عمد قيس إلى الأبناء ففرّقهم ثلاث فرق: من أقام أقرّ عياله، و الذين ساروا مع فيروز فرّق عيالهم فرقتين فوجه إحداهما إلى عدن ليحملوا فى البحر و حمل الأخرى فى البرّ، و قال لهم جميعهم: الحقوا بأرضكم.

فلما علم فيروز ذلك جدّ فى حربه و تجرّد لها و أرسل إلى بنى عقيل بن ربيعة بن عامر يستمدّهم، و إلى عكّ يستمدّهم، فركبت عقيل، فلقوا

[١] ياواهم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧٧

(١) خيل قيس بن عامر و معهم عيالات الأبناء الذين كان قد سيّرهم قيس فاستنقذوهم و قتلوا خيل قيس. و سارت عكّ فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الأبناء و قتلوا من معهم من أصحاب قيس، و أمّدت عقيل و عكّ فيروز بالرجال. فلما أتته أمدادهم خرج بهم و بمن اجتمع عنده فلقوا قيسا دون صنعاء فاقتلوا قتالا شديدا، و انهزم قيس و أصحابه و تذبذب أصحاب العنسيّ و قيس معهم فيما بين صنعاء و نجران.

قيل: و كان فروة بن مسيكة قدم على النبيّ، صلّى الله عليه و سلّم، مسلما فاستعمله النبيّ، صلّى الله عليه و سلّم، على صدقات مراد و من نازلهم و نزل دارهم.

و كان عمرو بن معديكرب الزبيديّ قد فارق قومه سعد العشيرة و انحاز إليهم و أسلم معهم، فلما ارتدّ العنسيّ و معه مذحج ارتدّ عمرو فيمن ارتدّ، و كان عمرو مع خالد بن سعيد بن العاص، فلما ارتدّ سار إليه خالد فلقية فضربه خالد على عاتقه فهرب منه، و أخذ خالد سيفه الصمصامة و فرسه، فلما ارتدّ عمرو جعله العنسيّ بإزاء فروة، فامتنع كلّ واحد منهما من البراح لمكان صاحبه. فبينما هم كذلك قدم عكرمة بن أبى جهل أبين من مهرة، و قد تقدّم ذكر قتال مهرة، و معه بشر كثير من مهرة و غيرهم، فاستبرى النخع و حمير، و قدم أيضا المهاجر بن أبى أمية فى جمع من مكّة و الطائف و بجيلة مع جرير «١» إلى نجران، فانضمّ إليه فروة بن مسيكة المرادى، فأقبل عمرو بن معديكرب مستجيبا «٢» حتى دخل على المهاجر من غير أمان، فأوثقه المهاجر، و أخذ قيسا أيضا فأوثقه و سيّرهما إلى أبى

بكر، فقال:

يا قيس قتلت عباد الله و اتخذت المرتدين وليجه من دون المؤمنين! فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيئا، و كان قتله سزا، فتجافى له

(١). حزه. B.

(٢). مستخفيا. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧٨

(١) عن دمه و قال لعمرو: أما تستحى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور؟ لو نصرت هذا الدين لرفعك الله. فقال: لا جرم لأقبلن و لا أعود. و رجعا إلى عشائرها.

فسار المهاجر من نجران و التقت الخيول على أصحاب العنسي فاستأمنوا فلم يؤمنهم و قتلهم بكل سبيل، ثم سار إلى صنعاء فدخلها و كتب إلى أبى بكر بذلك.

ذكر ردة حضرموت و كنده

لما توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و عماله على بلاد حضرموت:

زياد بن أبى لييد الأنصارى على حضرموت، و عكاشة بن أبى أمية على السكاسك و السكون، و المهاجر بن أبى أمية على كنده، استعمله النبى، صلى الله عليه و سلم، و لم يخرج إليها حتى توفى النبى، صلى الله عليه و سلم، فبعثه أبو بكر إلى قتال من باليمن ثم المسير بعد إلى عمله، و كان قد تخلف عن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بتبوك فرجع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و هو عاتب عليه، فبينما أم سلمة تغسل رأس النبى، صلى الله عليه و سلم، قالت: كيف ينفعنى عيش و أنت عاتب على أخى؟ فرأت منه رقة، فأومات إلى خادمها فدعته، فلم يزل بالنبى، صلى الله عليه و سلم، يذكر عذره حتى رضى عنه و استعمله على كنده. فتوفى النبى، صلى الله عليه و سلم، و لم يسر إلى عمله ثم سار بعده.

و كان سبب ردة كنده و إجابتهم الأسود الكذاب حتى لعن النبى، صلى الله عليه و سلم، الملوكة الأربعة منهم، أنهم لما أسلموا أمر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أن يوضع بعض صدقة حضرموت فى كنده، و بعض صدقة كنده فى حضرموت، و بعض صدقة حضرموت فى السكون، و بعض

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٧٩

(١) صدقة السكون فى حضرموت، فقال بعض بنى وليعة: من كنده لحضرموت ليس لنا ظهر، فإن رأيتم أن تبعثوا إلينا بذلك على ظهر. قالوا: فإننا ننظر فإن لم يكن لكم ظهر فعلنا. فلما توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قالت بنو وليعة: أبلغونا كما وعدتم رسول الله، صلى الله عليه و سلم! فقالوا: إن لكم ظهرا فاحتملوا، فقالوا لزياد: أنت معهم علينا. فأبى [١] الحضرميون و لبح الكنديون و رجعوا إلى دارهم و ترددوا فى أمرهم، و أمسك عنهم زياد انتظارا للمهاجر.

و كان المهاجر لما تأخر بالمدينة قد استخلف زيادا على عمله، و سار المهاجر من صنعاء إلى عمله و عكرمة بن أبى جهل أيضا، فنزل أحدهما على الأسود و الآخر على وائل، و كان زياد بن لييد قد ولى صدقات بنى عمرو بن معاوية من كنده بنفسه، فقدم عليهم، فكان أول من انتهى إليه منهم شيطان بن حجر، فأخذ منهم بكرة و سميها، فإذا التاقة للعداء بن حجر أخى شيطان، و كان أخوه قد أوهم حين أخرجها، و كان اسمها شذرة، و ظننها غيرها، فقال العداء: هذه ناقتى. فقال شيطان: صدق فأطلقها و خذ غيرها.

فاتهمه زياد بالكفر و مباحدة الإسلام، فمنعها عنها و قال: صارت فى حق الله. فلجأ فى أخذها، فقال لهما: لا تكونن شذرة عليكم

كالبسوس.

فنادى العداء: يا آل عمرو أضام وأضطهد! إنّ الدليل من أكل فى داره! و نادى حارثة بن سراقه بن معديكرب، فأقبل إلى زياد و هو واقف، فقال:

أطلق بكرة الرجل و خذ غيرها. فقال زياد: ما لى إلى ذلك سبيل. فقال حارثة: ذاك إذا كنت يهوديًا، و أطلق عقالها و بعثها و قام دونها، فأمر زياد شبابا من حضرموت و السكون فمعه «١» و كتفوه و كتفوا أصحابه و أخذوا البكرة،

[١] فأتى.

(١). فمغثوه rebat, bi

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨٠

(١) و تصايحت كنده و غضبت بنو معاوية لحارثة و أظهروا أمرهم، و غضبت حضرموت و السكون لزياد، و توافى عسكريان عظيمان من هؤلاء، و لم يحدث بنو معاوية شيئا لمكان أسرائهم، و لم يجد أصحاب زياد سيلا يتعلقون به عليهم، و أمرهم زياد بوضع السلاح فلم يفعلوا، و طلبوا أسرائهم فلم يطلقهم، و نهد إليهم ليلا فقتل منهم و تفرقوا، فلما تفرقوا أطلق حارثة و من معه. فلما رجع الأسرى إلى أصحابهم حرّضوهم على زياد و من معه، و اجتمع منهم عسكري كثير و نادوا بمنع الصدقة، فأرسل الحصين بن نمير، و سكن بعضهم عن بعض، فأقاموا بعد ذلك يسيرا.

ثم إن بنى عمرو بن معاوية من كنده نزلوا المحاجر، و هى أحماء حموها، فنزل جمد «١» محجرا و مخصوص محجرا و مشرح محجرا و أبضعة محجرا و أختهم العمردة محجرا، و هم الملوك الأربعة رؤساء عمرو الذين لعنهم رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قد ذكروا قبل. و نزلت بنو الحارث ابن معاوية محاجرهما، فنزل الأشعث بن قيس محجرا، و السيمط بن الأسود محجرا، و أطبقت بنو معاوية كلها على منع الصدقة إلا شرحبيل بن السيمط و ابنه، فإنهما قالوا لبنى معاوية: إنّه لقبح بالأحرار التنقل، إن الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار، فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل و الحق إلى الباطل و القبيح! اللهم إنا لا نمالئ قومنا على ذلك. و انتقل مع زياد و معهما امرؤ القيس بن عابس، و قال له: بيت القوم فإن أقواما من السكاسك و السكون قد انضموا إليهم و كذلك شذاذ من حضرموت، فإن لم تفعل خشينا أن تفرق الناس عنا إليهم. فأجابهم إلى تبئت القوم، فاجتمعوا و طرّفوهم فى محاجرهم فوجدوهم جلوسا حول نيرانهم، فأكبوا على بنى عمرو بن معاوية، و فيهم العدد و الشوكه من خمسة أوجه،

(١). P. C. sitcnupeis

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨١

(١) فأصابوا مشرحا و مخصوصا و جمدا و أبضعة و أختهم العمردة، و أدركتهم لعنة النبى، صلى الله عليه و سلم، و قتلوا فأكثروا، و هرب من أطاق الهرب، و عاد زياد بن لبيد بالأموال و السبى، و اجتازوا بالأشعث، فثار فى قومه فاستنقذهم و جمع الجموع. و كتب زياد إلى المهاجر يستحثه، فلقية الكتاب بالطريق فاستخلف على الجند عكرمة بن أبى جهل و تعجل فى سرعان الناس و قدم على زياد و سار إلى كنده، فالتقوا بمحجر الزرقان [١] فاقتلوا، فانهزمت كنده و قتلت و خرجوا هربا فالتجئوا إلى النجير، و قد رموه و أصلحوه. و سار المهاجر فنزل عليهم و اجتمعت كنده فى النجير فتحصّينوا به فحصرهم المسلمون، و قدم إليهم عكرمة، فاشتد الحصر على كنده و تفرقت سرايا فى طلبهم فقتلوا منهم، و خرج من بالنجير من كنده و غيرهم فقاتلوا المسلمين فكثر فيهم القتل فرجعوا إلى حصنهم و خشعت نفوسهم و خافوا القتل و خاف الرؤساء على نفوسهم.

فخرج الأشعث و معه تسعة نفر فطلبوا من زياد أن يؤمنهم و أهليهم على أن يفتحوا له الباب. فأجابهم إلى ذلك و قال: اكتبوا ما شئتم ثم هلموا الكتاب حتى أختمه. ففعلوا، و نسي الأشعث أن يكتب نفسه لأن جحدا وثب عليه بسكين، فقال: تكتبنى أو أقتلك؟ فكتبه و نسي نفسه، ففتحوا الباب فدخل [٢] المسلمون فلم يدعوا مقاتلا إلا قتلوه و ضربوا أعناقهم صبوا و أخذوا الأموال و السبي. فلما فرغوا منهم دعا الأشعث أولئك نفر و الكتاب معهم فعرضهم، فأجار من فى الكتاب، فإذا الأشعث ليس منهم، فقال المهاجر: الحمد لله الذى خطأ فاك يا أشعث يا عدو الله! قد كنت أشتهى أن يخزيك الله! و شده كتابا، فقيل له: آخره و سيّره إلى أبى بكر فهو أعلم بالحكم فيه،

[١] الزبيرقان.

[٢] فدخلوا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨٢

(١) فسيره إلى أبى بكر مع السبي.

و قيل: إن الحصار لما اشتد على من بالنجير نزل الأشعث إلى المهاجر و زياد و المسلمين فسألهم الأمان على دمه و ماله حتى يقدموا به على أبى بكر فبرى فيه رايه على أن يفتح لهم النجير و يسلم إليهم من فيه و غدر بأصحابه، فقبلوا ذلك منه، ففتح لهم الحصن، فاستنزلوا من فيه من الملوك فقتلوه و أوثقوا الأشعث و أرسلوه مع السبي إلى أبى بكر، فكان المسلمون يلعنونه و يلعنه سبايا قومه، و سمّاه نساء قومه عرف النار، و هو اسم الغادر عندهم.

فلما قدم المدينة قال له أبو بكر: ما ترانى أصنع بك؟ قال: لا أعلم. قال:

فأنى أقتلك. قال: فأنا الذى راوضت القوم فى عشرة فما يحلّ دمي. قال:

إنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها، و إنما كنت قبل ذلك مراوضا. فلما خشى القتل قال: أو تحتسب فى خيرا فتطلق إسرائى و تقبلنى عشرتى و تفعل بى مثل ما فعلت بأمثالى و تردّ عى زوجتى؟ و قد كان خطب أم فروة أخت أبى بكر لما قدم على النبى، صلى الله عليه و سلم، و أخرها إلى أن يقدم الثانية، فمات النبى، صلى الله عليه و سلم، و ارتد، فإن فعلت ذلك تجدنى خير أهل بلادى لدين الله. فحقن دمه و ردّ عليه أهله و أقام بالمدينة حتى فتح العراق و قسم الغنائم بين الناس.

و قيل: إن عكرمة قدم بعد الفتح فقال زياد و المهاجر لمن معهما: إن إخوانكم قدموا مددا لكم فأشركوهم فى الغنيمه، ففعلوا و أشركوهم.

و لما ولى عمر بن الخطاب قال: إنه لقبح بالعرب أن يملك بعضهم بعضا، و قد وسع الله عزّ و جلّ و فتح الأعاجم. و استشار فى فداء سبايا العرب فى الجاهلية و الإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها، و جعل فداء لكلّ إنسان ستّة أبعرة أو سبعة إلا حنيفه و كنده فإنه خفف عليهم لقتل رجالهم فتتبع النساء بكلّ مكان فقدوهنّ.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨٣

(١) و فيها انصرف معاذ بن جبل من اليمن. و فيها استقضى أبو بكر عمر بن الخطاب، و كان يقضى بين الناس خلافته كلها. و حج بالناس فى هذه السنة عتاب بن أسيد، و قيل عبد الرحمن بن عوف.

(النجير، بضمّ النون، و فتح الجيم، و سكون الياء تحتها نقطتان و آخره راء: حصن باليمن منيع).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨٤

(١)

ذكر مسير خالد بن الوليد إلى العراق و صلح الحيرة

فى هذه السنة فى المحرم منها أرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد و هو باليمامة يأمره بالمسير إلى العراق، و قيل: بل قدم المدينة من اليمامة فسيره أبو بكر إلى العراق فسار حتى نزل بانيقيا و باروسما و أليس [١] و صالحه أهلها. و كان الذى صالحه عليها ابن صلوبا على عشرة آلاف دينار سوى حرزة «١» كسرى، و كانت على كل رأس أربعة دراهم، و أخذ منهم الجزية. ثم سار حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائى، و كان أميرا عليها بعد النعمان بن المنذر، فدعاهم خالد إلى الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فاختاروا الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من الفرس فى الإسلام هى و القرى التى صالح عليها.

و قيل: إنما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأبلة، و كتب إلى عياض بن غنم أن يقصد العراق و يبدأ بالمصيخ «٢» [٢] و يدخل العراق من أعلاه و يسير حتى يلقى خالدا، و كان المثنى بن حارثة الشيبانى قد استأذن أبا بكر أن يغزو بالعراق

[١] و الليس.

[٢] بالمصيخ.

(١). ما حرزه. B.

(٢). بالمصيخ. ddoC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨٥

(١) فأذن له، فكان يغزوهم قبل قدوم خالد، و أمر أبو بكر خالدا و عياضا أن يستنفرا من قاتل أهل الردة و أن لا يغزوا معهما مرتد، ففعلا و كتبوا إليه يستمدانه، فأمد خالد بالقعقاع بن عمرو التميمى، فقبل له: أتمدّه برجل واحد؟ فقال: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا. و أمد عياضا بعبد بن غوث «١» الحميرى. و كتب أبو بكر إلى المثنى و حرمله و معذور و سلمى أن يلحقوا بخالد بالأبلة. فقدم خالد و معه عشرة آلاف مقاتل، و كان مع المثنى و أصحابه ثمانية آلاف.

و لما قدم خالد فرّق جنده ثلاث فرق و لم يحملهم على طريق واحد، على مقدمته «٢» المثنى و بعده عدى بن حاتم و جاء خالد بعدهما، و وعدهما الحفير ليصادموا عدوهم، و كان ذلك الفرج أعظم فروج فارس و أشدها شوكة، فكان صاحبه أسوار اسمه هرمز، فكان يحارب العرب فى البرّ و الهند فى البحر.

فلما سمع هرمز بهم كتب إلى أردشير الملك بالخبر و تعجل هو إلى الكواظم فى سرعان أصحابه، فسمع أنهم تواعدوا الحفير، فسبقهم إليه و نزل به و جعل على مقدمته قباذ و أنوشجان، و كانا من أولاد أردشير الأكبر، و اقترنوا فى السلاسل لتلا يفروا، فسمع بهم خالد فمال بالناس إلى كاظمة، فسبقه هرمز إليها، و كان سيى المجاورة للعرب، فكلهم عليه حق، و كانوا يضربونه مثلا فيقولون: أكفر من هرمز.

و قدم خالد فنزل على غير ماء، فقال له أصحابه فى ذلك: ما تفعل؟ فقال لهم: لعمري ليصيرنّ الماء لأصبر الفريقين، فحطوا أثقالهم، و تقدّم خالد إلى الفرس فلاقاهم، و أرسل الله سبحانه فأعدرت «٣» وراء صفّ المسلمين فقويت قلوبهم، و خرج هرمز و دعا خالدا إلى البراز و أوطأ أصحابه على الغدر بخالد،

(١). عوف. B؛ يغوث. C. P.

(٢). فتقدمه. B.

(٣). فأعردت. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨٦

(١) فبرز إليه خالد و مشى نحوه راجلا، و نزل هرمز أيضا و تضاربا، فاحتضنه خالد، و حمل أصحاب هرمز، فما شغله ذلك عن قتله، و حمل القعقاع بن عمرو فأزاحهم، و انهزم أهل فارس و ركبهم المسلمون، و سميت الوقعة ذات السلاسل، و نجا قباذ و أنوشجان، و أخذ خالد سلب هرمز، و كانت قلسوته بمائة ألف لأنه كان قد تم شرفه فى الفرس، و كانت هذه عادتهم، إذا تم شرف الإنسان تكون قلسوته بمائة ألف. و بعث خالد بالفتح و الأخماس إلى أبى بكر، و سار حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة، و بعث المشى بن حارثة فى آثارهم، و أرسل معقل بن مقرن إلى الأبله ففتحها فجمع الأموال بها و السبى.

و هذا القول خلاف ما يعرفه أهل النقل لأن فتح الأبله كان على يد عتبة ابن غزوان أيام عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة.

و حاصر المشى بن حارثة حصن المرأة ففتحها و أسلمت، و لم يعرض خالد و أصحابه إلى الفلاحين لأن أبى بكر أمرهم بذلك.

ذكر وقعة الثنى

لما وصل كتاب هرمز إلى أردشير بخبر خالد أمده بقارن بن قريانس «١»، فلما انتهى إلى المذار لقيه المنهزمون فاجتمعوا و رجعوا و معهم قباذ و أنوشجان و نزلوا الثنى، و هو النهر، و سار إليهم خالد فلقبهم و اقتتلوا، فبرز قارن فقتله معقل بن الأعشى بن التباش، و قتل عاصم أنوشجان، و قتل عدى ابن حاتم قباذ، و كان شرف قارن قد انتهى. و لم يقاتل المسلمون بعده أحدا

(١). قرباس. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨٧

(١) انتهى شرفه، و قتل من الفرس مقتله عظيمة يبلغون ثلاثين ألفا سوى من غرق و منعت المياه المسلمين من طلبهم. و قسم الفىء و أنفذ الأخماس إلى المدينة و أعطى الأسلاب من سلبها، و كانت الغنيمة عظيمة، و سبى عيالات المقاتلة، و أخذ الجزية من الفلاحين و صاروا ذمة. و كان فى السبى أبو الحسن البصرى، و كان نصرانيا، و أمر على الجند سعيد بن النعمان، و على الحرز «١» سويد بن مقرن المزنى و أمره بنزول الحفير، و أقام يتجسس الأخبار.

ذكر وقعة الولجة

و لما فرغ خالد من الثنى و أتى الخبر أردشير بعث الأندرزغز [١]، و كان فارسا من مولدى السواد، و أرسل بهم جاذويه فى أثره فى جيش، و حشر إلى الأندرزغز من بين الحيرة و كسكر و من عرب الضاحية و الدهاقين و عسكروا بالولجة. و سمع بهم خالد فسار إليهم من الثنى فلقبهم بالولجة و كمن لهم [٢] فقاتلهم قتالا شديدا أشد من الأول حتى ظن الفريقان أن الصبر قد أفرغ.

و استبطأ خالد كمينه فخرجوا من ناحيتين «٢»، فانهمزت الأعاجم، و أخذ خالد من بين أيديهم و الكمين من خلفهم فقتل منهم خلقا كثيرا، و مضى الأندرزغز منهزما فمات عطشا، و أصاب خالد ابنا لجابر بن بجير و ابنا لعبد الأسود من بكر بن وائل، و كانت وقعة الولجة فى صفر، و بذل الأمان للفلاحين، فعادوا و صاروا ذمة، و سبى ذرارى المقاتلة و من أعانهم.

[١] (فى الطبرى: الأندرزغز).

[٢] له.

(١). الجزء. P.C.

(٢). موضعهم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨٨

(١)

ذكر وقعة أليس [١] و هو على الفرات

لَمَّا أصاب خالد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس و اجتمعوا على أليس و عليهم عبد الأسود العجلى، و كان [٢] مسلمو بنى عجل، منهم: عتيبة بن النّهاس و سعيد بن مرّة و فرات بن حيان و مذعور بن عدى و المثنى بن لاحق، أشدّ الناس على أولئك النصارى. و كتب أردشير إلى بهمن جاذويه، و هو بقشينا [٣]، يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأليس، فقدّم بهمن جاذويه جابان إليهم و أمره بالتوقف عن المحاربة إلى أن يقدم عليه، و رجع بهمن جاذويه إلى أردشير ليشاوره فيما يفعل فوجده مريضاً، فتوقف عليه، فاجتمع على جابان نصارى عجل و تيم اللات و ضبيعة و جابر بن بجير و عرب الضاحية من أهل الحيرة. و كان خالد لما بلغه تجمّع نصارى بكر و غيرهم سار إليهم و لا- يشعر بدنوّ جابان. فلما طلع جابان «١» بأليس قالت العجم له: أ نعالجهم أم نغدى الناس و لا نزيهم أنا نحفل بهم ثم نقاتلهم؟ فقال جابان: إن تركوكم فتهاونوا بهم. فعصوه و بسطوا الطعام، و انتهى خالد إليهم و حطّ الأثقال، فلما وضعت

[١] اللّيس.

[٢] و كانوا.

[٣] (فى معجم البلدان: قسيانا، موضع بالعراق له ذكر فى فتوح خالد بن الوليد، و لم نجد قشينا. و ورد فى الطبرى: قسيانا).

(١). طلع على جابان. ٢٦. rebat. II, p

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٨٩

(١) توجه إليهم و طلب مبارزة عبد الأسود و ابن أبجر و مالك بن قيس، فبرز إليه مالك من بينهم، فقتله خالد و أعجل الأعاجم عن طعامهم. فقال لهم جابان: أ لم أقل لكم و الله ما دخلتنى من مقدّم جيش و حشّة إلّا هذا؟ و قال لهم: حيث لم تقدروا على الأكل فسمّوا الطعام فإن ظفرتهم فأيسر هالك و إن كانت لهم هلكوا بأكله. فلم يفعلوا، و اقتتلوا قتالا شديدا و المشركون يزيدهم ثبوتا توقّعهم قدوم بهمن جاذويه، فصابروا المسلمين، فقال خالد: اللهم إن هزمتهم فعلى أن لا أستبقى منهم من أقدر عليه حتى أجرى من دمائهم نهرهم. فانهمزمت فارس فنادى منادى خالد: الأسراء الأسراء إلّا من امتنع فاقتلوه. فأقبل بهم المسلمون أسراء و وكلّ بهم من يضرب أعناقهم يوما و ليلة. فقال له القعقاع و غيره: لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، فأرسل عليها الماء تبرّ يمينك، ففعل، و سمى نهر الدّم، و وقف خالد على الطعام و قال للمسلمين: قد نفلتكموه، فتعشى به المسلمون، و جعل من لم ير الرقاق يقول: ما هذه الرقاق البيض! و بلغ عدد القتلى سبعين ألفا، و كانت الوقعة

فى صفر.

[ذكر وقعة أمغيشيا]

فلما فرغ من أليس سار إلى أمغيشيا، وقيل اسمها منيشيا، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله لأن أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم و أثاثهم و كراعهم و غير ذلك، و أرسل إلى أبى بكر بالفتح و مبلغ الغنائم و السبى و أخرج أمغيشيا. فلما بلغ ذلك أبى بكر قال: عجز النساء أن يلدن مثل خالد.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩٠

(١)

ذكر وقعة يوم فرات «١» بادقلى و فتحه الحيرة

ثم سار خالد من أمغيشيا إلى الحيرة و حمل الرحال و الأثقال فى السفن، فخرج مرزبان الحيرة، و هو الأزاذبه فعسكر عند الغريين و أرسل ابنه فقطع الماء عن السفن فبقيت على الأرض. فسار خالد فى خيل نحو ابن الأزاذبه فلقبه على فرات بادقلى فضربه و قتله و قتل أصحابه و سار نحو الحيرة، فهرب منه الأزاذبه، و كان قد بلغه موت أردشير و قتل ابنه، فهرب بغير قتال، و نزل المسلمون عند الغريين، و تحصن أهل الحيرة فحصرهم فى قصورهم. و كان ضرار بن الأزور محاصرا القصر الأبيض و فيه إياس بن قبيصة الطائى، و كان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر الغريين و فيه عدى بن عدى المقتول، و كان ضرار بن مقرن المزنى عاشر عشرة إخوة محاصرا قصر ابن مازن و فيه ابن أكال، و كان المشى محاصرا قصر ابن بقله و فيه عمرو بن عبد المسيح بن بقله، فدعوهم جميعا و أجلوهم يوما و ليلة، فأبى أهل الحيرة، و قاتلهم المسلمون فافتتحو الدور و الديرات و أكثروا القتل. فنادى القسيسون و الرهبان:

يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم! فنادى أهل القصور المسلمين: قد قبلنا واحدة من ثلاث، و هى: إما الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فكفوا عنهم، و خرج إليهم إياس بن قبيصة و عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن الحارث، و هو بقله، و إنما سعى بقله لأنه خرج على قومه فى بردين أخضرين، فقالوا: ما أنت إلا بقله خضراء، فأرسلوهم إلى خالد، فكان المذى يتكلم عنهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أتى عليك؟ قال: مئو سنين. قال: فما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت القرى منظومة ما بين دمشق و الحيرة تخرج المرأة فلا تترود إلا رغيفا. فتبسم خالد و قال لأهل الحيرة:

(١). وقعة فم فرات. ٣٢. rebat, II, p

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩١

(١) أ لم يبلغنى أنكم خبثه خدعه، فما بالكم تتناولون حوائجكم بخرف لا يدري من أين جاء؟

فأحب عمرو أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله و صحه ما حدته به، قال: و حقك إنى لأعرف من أين جئت! قال: فمن أين خرجت؟ قال: من بطن أمى. قال: فأين تريد؟ قال: أمامى. قال: و ما هو؟ قال:

الآخرة. قال: فمن أين أقصى أترك؟ قال: من صلب أبى. قال: ففيم أنت؟

قال: فى ثيابى. قال: أتتعقل؟ قال: إى و الله و أقيده. قال خالد: إنما أسألك! قال: فأنا أجيبك. قال: أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلم. قال:

فما هذه الحصون؟ قال: بنيناها للسفيه نحبه حتى ينهائى الحليم. قال خالد:

قتلت أرض جاهلها و قتل أرضا عالمها، القوم أعلم بما فيهم.

و كان مع ابن بقبيلة خادم معه كيس فيه سم، فأخذه خالد و نثره فى يده و قال: لم تستصحب هذا؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت فكان الموت أحب إلي من مكروه أدخله على قومي. فقال خالد: إنها لن تموت نفس حتى تأتى على أجلها، و قال: باسم الله خير الأسماء، رب الأرض و السماء، الذى لا يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، و ابتلع السم. فقال ابن بقبيلة: و الله لتبلغن ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا.

و أبى خالد أن يصلحهم إلّا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل، فأبوا، فقالت لهم: هؤنوا عليهم و أسلموني فإننى سأفتدى. ففعلوا، فأخذها شويل، فافتدت منه بألف درهم، فلامه الناس، فقال: ما كنت أظن أن عددا أكثر من هذا «١». و كان سبب تسليمها إليه أن النبى، صلى الله عليه و سلم، لما ذكر استيلاء

(١). ألف. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩٢

(١) أمته على ملك فارس و الحيرة سأله شويل أن يعطى كرامة ابنة عبد المسيح، و كان رآها شابة فمال إليها، فوعده النبى، صلى الله عليه و سلم، ذلك، فلما فتحت الحيرة طلبها و شهد له شهود بوعده النبى، صلى الله عليه و سلم، أن يسلمها إليه، فسلمها إليه خالد. و صالحهم على مائة ألف و تسعين ألفا، و قيل: على مائتى ألف و تسعين ألفا، و أهدوا له هدايا. فبعث بالفتح و الهدايا إلى أبى بكر، فقبلها أبو بكر من الجزاء و كتب إلى خالد أن يأخذ منهم بقية الجزية و يحسب لهم الهدية. و كان فتح الحيرة فى شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة، و كتب لهم خالد كتابا، فلما كفر أهل السواد ضيعوا الكتاب، فلما افتتحه المشى ثانية عاد بشرط آخر، فلما عادوا كفروا، و افتتحها سعد بن أبى وقاص و وضع عليهم أربعمائه ألف. قال خالد: ما لقيت قوما كأهل فارس، و ما لقيت من أهل فارس كأهل أليس.

ذكر ما بعد الحيرة

قيل: كان الدهاقين يتربصون بخالد [و ينظرون] ما يصنع أهل الحيرة، فلما صالحهم و استقاموا له أتته الدهاقين من تلك النواحي، أتاه دهقان فرات سرىا و صلوبا ابن نسطونا و نسطونا، فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمزجرد على ألفى ألف، و قيل: ألف ألف سوى ما كان لآل كسرى، و بعث خالد عماله و مسالحه، و بعث ضرار بن الأزور و ضرار بن الخطاب و القعقاع بن عمرو و المشى بن حارثة و عتيبة بن النهاس فنزلوا على السيب، و هم كانوا أمراء

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩٣

(١) الثغور مع خالد، و أمرهم بالغارة، فمخروا «١» ما وراء ذلك إلى شاطىء دجلة، و كتب خالد إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية فإن أجابوا و إلّا حاربهم، فكان العجم مختلفين بموت أردشير إلّا أنهم قد أنزلوا بهممن جاذويه بهرسيير «٢» و معه غيره كأنه مقدمه لهم، و جى خالد الخراج فى خمسين ليلة و أعطاه المسلمين، و لم يبق لأهل فارس فيما بين الحيرة و دجلة أمر لاختلافهم بموت أردشير إلّا أنهم مجمعون على حرب خالد و خالد مقيم بالحيرة يصعد و يصوب «٣» سنة قبل خروجه إلى الشام، و الفرس يخلعون و يملكون ليس إلّا الدفع عن بهرسيير، و ذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى أنوشروان، و قتل أهل فارس بعده و بعد أردشير ابنه من كان بين أنوشروان و بين بهرام جور، فبقوا لم يقدروا على من يملكونه ممن يجتمعون عليه.

فلما وصلهم كتب خالد تكلم نساء آل كسرى فولى الفرخزاد بن البندوان إلى أن يجتمع آل كسرى على من يملكونه إن وجدوه. و وصل جرير بن عبد الله البجلي إلى خالد بعد فتح الحيرة، و كان سبب وصوله إليه أنه كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام فاستأذنه فى المصير إلى أبى بكر ليكلّمه فى قومه ليجمعهم له، و كانوا أوزاعا متفرقين فى العرب، فأذن له، فقدم على أبى بكر فذكر

له ذلك و أن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، وعده به و شهد له شهود، فغضب أبو بكر و قال: ترى شغلنا و ما نحن فيه بغوث المسلمين ممن يبايئهم من فارس و الروم ثم أنت تكلفنى ما لا يغنى! و أمره بالمسير إلى خالد بن الوليد، فسار حتى قدم عليه بعد فتح الحيرة و لم يشهد شيئاً مما قبلها بالعراق و لا شيئاً مما كان خالد فيه من قتل أهل الردة.
(عتيبة بالتاء المثناة من فوقها، و بالياء المثناة من تحتها، و بالباء الموحدة).

(١). فنحروا. rroc .gramnita؛ فجردوا. B

(٢). نهر شير euqmurelp .doc

(٣). و يضرب. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩٤

(١)

ذكر فتح الأنبار

ثم سار خالد على تعيبته إلى الأنبار، و إنما سمى الأنبار لأن أهراء الطعام كانت بها أنابيب «١»، و على مقدمته الأقرع بن حابس. فلما بلغها أطاف بها و أنشب القتال، و كان قليل الصبر عنه، و تقدم إلى رماته أن يقصدوا عيونهم، فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا ألف عين، فسُميت تلك الوقعة ذات العيون. و كان على من بها من الجند شيرزاد صاحب ساباط، فلما رأى ذلك أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد، فردّ رسله و نحر من إبل العسكر كلّ ضعيف و ألقاه فى خندقهم، ثم عبره، فاجتمع المسلمون و الكفار فى الخندق، فأرسل شيرزاد إلى خالد و بذل له ما أراد، فصالحه على أن يلحقه بمأمنه فى جريده ليس معهم من متاع شىء، و خرج شيرزاد إلى بهمى جاذويه، ثم صالح خالد من حول الأنبار و أهل كلواذى.

ذكر فتح عين التمر

و لما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر و سار إلى عين التمر، و بها مهران بن بهرام جويين، فى جمع عظيم من العجم، و عقبة ابن أبى عقبة فى جمع عظيم من العرب من النمر و تغلب و إياد و غيرهم، فلما سمعوا بخالد قال عقبة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا و خالد.

قال: صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب، و إنكم لمثلنا فى قتال العجم. فخذعه

(١). لأهل الطعام كانت بها أنابيبهم. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩٥

(١) و اتقى به و قال: إن احتجتم إلينا أعناكم. فلامه أصحابه من الفرس على هذا القول، فقال لهم: إنه قد جاءكم من قتل «١» ملوككم أمر عظيم «٢» و فلّ حدّكم فاتقته «٣» بهم، فإن كانت لكم «٤» على خالد فهى لكم، و إن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم و نحن أقوياء. فاعترفوا له، و سار عقبة إلى خالد فالتقوا، فحمل خالد بنفسه على عقبة و هو يقيم صفوفه، فاحتضنه و أخذه أسيرا و انهزم عسكره من غير قتال فأسر أكثرهم.

فلما بلغ الخبر مهران هرب فى جنده و تركوا الحصن، فلما انتهى المنهزمون إليه تحصّوا به، فنازلهم خالد، فطلبوا منه الأمان، فأبى، فنزلوا على حكمه، فأخذهم أسرى و قتل عقبة ثم قتلهم أجمعين و سبى كلّ من فى الحصن و غنم ما فيه، و وجد فى بيعتهم «٥» أربعين

غلاما يتعلمون الإنجيل، فأخذهم فقسّمهم فى أهل البلاء، منهم: سيرين أبو محمّد «٦»، و نصير أبو موسى، و حمران مولى عثمان. و أرسل إلى أبى بكر بالخبر و الخمس.
و فى عين التمر قتل عمير بن رثاب السهمي، و كان من مهاجرة الحبشة، و مات بها بشير بن سعد الأنصاريّ و والد النعمان فدفن بها إلى جانب عمير.

ذكر خبر دومة الجندل

و لما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتاب عياض بن غنم يستمده على من يازائه من المشركين، فسار خالد إليه، فكان يازائه بهراء و كلب و غسان و تنوخ و الضجاعم، و كانت دومة على رئيسين: أكيدر بن عبد الملك و الجوديّ

(١). من قتل. B؛ قبل. A.

(٢). B.mo.

(٣). ما اتقيته. B.

(٤). لهم. ٦٢. rebat, II, p.

(٥). شعبيهم. B.

(٦). سير بن أبى محمد. A.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩٦

(١) ابن ربيعة، فأما أكيدر فلم ير قتال خالد و أشار بصلحه خوفاً، فلم يقبلوا منه، فخرج عنهم، و سمع خالد بمسيره فأرسل إلى طريقه فأخذه أسيراً فقتله و أخذ ما كان معه و سار حتى نزل على أهل دومة الجندل فجعلها بينه و بين عياض. فلما اطمان خالد خرج إليه الجوديّ فى جمع ممّن عنده من العرب لقتاله و أخرج طائفة أخرى إلى عياض، فقاتلهم عياض فهزمهم، فهزم خالد من يليه، و أخذ الجوديّ أسيراً و انهزموا إلى الحصن، فلما امتلأ أغلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله، فأخذهم خالد فقتلهم حتى سدّ باب الحصن، و قتل الجوديّ و قتل الأسرى إلّا أسرى كلب، فإنّ بنى تميم قالوا لخالد:

قد أمّناهم، و كانوا حلفاءهم، فتركهم. ثم أخذ الحصن قهراً فقتل المقاتلة و سبى الذرية و السرح فباعهم، و اشترى خالد ابنة الجوديّ، و كانت موصوفة.

و أقام خالد بدومة الجندل، فطمع الأعاجم، و كاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقّة، فخرج زرمهر و روزبه يريدان الأنبار و اتعدا حصيدا و الخنافس، فسمع القعقاع بن عمرو، و هو خليفة خالد على الحيرة، فأرسل أعبد بن فديكيّ و أمره بالحصيد و أرسل عروة بن الجعد البارقيّ إلى الخنافس، فخرجا فحالاً- بينهما و بين الريف، و رجع خالد إلى الحيرة، فبلغه ذلك، و كان عازماً على مصادمة أهل المدائن، فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبى بكر، فعجل القعقاع بن عمرو و أبى ليلى بن فديكيّ إلى روزبه و زرمهر، و وصل إلى خالد أنّ الهذيل بن عمران قد عسكر بالمصيخ، و نزل ربيعة بن بجير بالثنيّ و بالبشر «١» غضبا لعقّة يريدان زرمهر و روزبه، فخرج خالد و سار إلى القعقاع و أبى ليلى فاجتمع بهما بالعين، فبعث القعقاع إلى حصيد، و بعث أبى ليلى إلى الخنافس.

(١). بالسير. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩٧

(١)

ذكر وقعة حصيد و الخنافس

فسار القعقاع نحو حصيد، وقد اجتمع بها روزبه و زرمهر، فالتقوا بحصيد، فقتل من العجم مقتلة عظيمة، فقتل القعقاع زرمهر، و قتل عصمه ابن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف الصَّبِّي روزبه، و كان عصمه من البررة، و هم كل فخذ هاجرت بأسرها، و الخيرة كل قوم هاجروا من بطن، و غنم المسلمون ما في حصيد و انهمزت الأعاجم إلى الخنافس، و سار أبو ليلى بمن معه إلى الخنافس و بها المهبودان على العسكر، فلما أحس المهبودان بهم هرب إلى المصيخ إلى الهذيل بن عمران.

ذكر وقعة مصيخ [١] بني البرشاء

و لما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد و هرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع و أبي ليلى و أعبد و عروه و واعدهم ليلة و ساعة يجتمعون فيها إلى المصيخ، و خرج خالد من العين قاصدا إليهم. فلما كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعا بالمصيخ فأغاروا على الهذيل و من معه و هم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم، و أفلت الهذيل في ناس قليل و كثر فيهم القتل، و كان مع الهذيل عبد العزى بن أبي رهم أخو أوس مناة و لييد بن جرير، و كانا قد أسلما و معهما كتاب أبي بكر بإسلامهما، فقتلا في المعركة، فبلغ ذلك أبا بكر و قول عبد العزى:

[١] مضيخ.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩٨

(١)

أقول إذ طرق الصباح بغارة سبحانك اللهم رب محمد

سبحان ربى لا إله غيره رب البلاد و رب من يتورد [١] فوداهما و أوصى بأولادهما، فكان عمر يعتد بقتلهما و قتل مالك بن نويرة على خالد، فيقول أبو بكر: كذلك يلقي من نازل أهل الشرك. و قد كان حرقوص بن النعمان بن النمر قد نصحهم فلم يقبلوا منه، فجلس مع زوجته و أولاده يشربون، فقال لهم: اشربوا شراب مودع، هذا خالد بالعين و جنوده بالحصيد، ثم قال: ألا سقياى قبل خيل أبى بكر لعل مناينا قريبا و ما ندرى فضر رأسه، فإذا هو فى جفنة فيها الخمر، و قتلوا أولاده و أخذوا بناته. و قيل: إن قتل حرقوص و هذه الوقعة و وقعة الثنى كان فى مسير خالد ابن الوليد من العراق إلى الشام، و سيذكر إن شاء الله تعالى.

ذكر وقعة الثنى و الرميل

و كان ربيعة بن بجير التغلبى بالثنى و البشر، و هو الرميل، و هما شرقى الرصافة، قد خرج غضبا لعة و واعد روزبه و زرمهر و الهذيل، و لما أصاب خالد أهل المصيخ [٢] و اعد القعقاع و أبا ليلى ليلة، و أمرهما بالمسير ليغروا عليهم، فسار خالد من المصيخ [٢]، فاجتمع هو و أصحابه بالثنى فيبتهم من ثلاثة أوجه و جردوا فيهم السيوف، فلم يفلت منهم مخبر، و غنم و سبي

[١] (فى البيت إقواء).

[٢] المضيخ.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٣٩٩

(١) و بعث بالخبر و الخمس إلى أبى بكر، فاشترى على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، بنت ربيعة بن بجير التغلبى، فولدت له عمر و

رقيته.

ولما انهزم الهذيل بالمصيخ [١] لحق بعتاب بن فلان، و هو بالبشر، في عسكر ضخم، فبيتهم خالد بغارة شعواء من ثلاثة أوجه قبل أن يصل إليهم خبر ربيعه، فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها و قسم الغنائم، و بعث الخمس إلى أبي بكر، و سار خالد من البشر إلى الرضاب، و بها هلال بن عقة، فتفرق عنه أصحابه، و سار هلال عنها فلم يلق خالد بها كيدا.

ذكر وقعة الفراض

ثم سار خالد من الرضاب إلى الفراض، و هي تخوم الشام و العراق و الجزيرة، و أفطر بها رمضان لا تصال الغزوات، و حميت الروم و استعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم، و اجتمع معهم تغلب و إياد و النمر و ساروا إلى خالد. فلما بلغوا الفرات قالوا له: إما أن تعبروا إلينا و إما أن نعبر إليك. قال خالد: اعبروا. قالوا له: تنح عن طريقنا حتى نعبر. قال: لا أفعل، و لكن اعبروا أسفل منا. فعبروا أسفل من خالد، و عظم في أعينهم، و قالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم [من يثبت] ممن يولى. ففعلوا، فاقتتلوا قتالا عظيما و انهزمت الروم و من معهم، و أمر خالد المسلمين أن لا يرفعوا عنهم، فقتل في المعركة و في الطلب مائة ألف، و أقام خالد على الفراض عشرة، ثم أذن بالرجوع إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة، و جعل شجر بن الأعز «١» على الساقية، و أظهر خالد أنه في الساقية.

[١] المصبيح.

(١). سحره بن الأعر. ddoC

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠٠

(١)

ذكر حجة خالد

ثم خرج خالد حاجيا من الفراض سريا و معه عدده من أصحابه يعسف البلاد، فأتى مكة و حج و رجع، فما توافى جنده بالخبر حتى وافاهم مع صاحب الساقية فدما معا و خالد و أصحابه محلّقون، و لم يعلم بحجّه إلّا من أعلمه به، و لم يعلم أبو بكر بذلك إلّا بعد رجوعه، فعتب عليه، و كانت عقوبته إياه أن صرفه إلى الشام من العراق ممدا جموع المسلمين باليرموك، و كان أهل العراق أيام عليّ إذا بلغهم عن معاوية شيء يقولون: نحن أصحاب ذات السلاسل، و يسمون ما بينها و بين الفراض و لا يذكرون ما بعد الفراض احتقارا للذي كان بعدها.

و أغار خالد بن الوليد على سوق بغداد و وجه المثنى فأغار على سوق فيها جمع لقضاعه و بكر، و أغار أيضا على مسكن و قطرئيل و تلّ عقروق و بادوريا، قال الشاعر:

و للمثنى بالعال معركة شاهدها من قبيله بشر

كثيبة أفرغت بوقعتها كسرى و كاد الإيوان ينفطر

و شجع المسلمين إذ حذروا «١» و في صروف التجارب العبر

سهل نهج السبيل فافتفروا آثاره و الأمور تقتفر يعنى بالعال الأنبار و مسكن و قطرئيل و بادوريا.

و فيها تزوج عمر عاتكة بنت زيد. و فيها مات أبو العاص بن الربيع في

(١). حضروا. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠١

(١) ذى الحجة وأوصى إلى الزبير، وتزوج على، عليه السلام، ابنته أمامة، وأمها زينب بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وفيها اشترى عمر أسلم مولاه فى قول. وحج بالناس هذه السنة أبو بكر، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، وقيل: حج بالناس عمر بن الخطاب أو عبد الرحمن بن عوف.

وفىها مات أبو مرثد الغنوي، وهو بدرى، وكان ابنه مرثد بن أبى مرثد قد قتل بالزجاج، وهو بدرى أيضا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠٢

(١)

١٣ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر فتوح الشام

قيل: فى سنة ثلاث عشرة وجه أبو بكر الجنود إلى الشام بعد عودته من الحج، فبعث خالد بن سعيد بن العاص، وقيل: إنما سيره لما سير خالد بن الوليد إلى العراق، وكان أول لواء عقده إلى الشام لواء خالد، ثم عزله قبل أن يسير.

و

كان سبب عزله أنه تربص ببيعة أبى بكر شهرين ولقى على بن أبى طالب و عثمان بن عفان فقال: يا أبا الحسن، يا بنى عبد مناف، أ غلبتم عليها؟ فقال على: أ مغالبة ترى أم خلافة.

فأما أبو بكر فلم يحقد لها عليه و أما عمر فاضطغنها عليه، فلما ولأه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الإمارة وجعله رداء للمسلمين بتيما و أمره أن لا يفارقها إلّا بأمره و أن يدعو من حوله من العرب إلّا من ارتد و أن لا يقاتل إلّا من قاتله. فاجتمع إليه جموع كثيرة، و بلغ خبره الروم فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهراء و سليح و غسان و كلب و لخم و جذام، فكتب خالد بن سعيد إلى أبى بكر بذلك، فكتب إليه أبو بكر:

أقدم و لا تقتحمن. فسار إليهم، فلما دنا منهم تفرقوا، فنزل منزلهم و كتب إلى أبى بكر بذلك، فأمره بالإقدام بحيث لا يؤتى من خلفه. فسار حتى جازه

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠٣

(١) قليلا و نزل [١]، فسار إليه بطريق [من بطارقة] الروم يدعى باهان، فقاتله فهزمه و قتل من جنده، فكتب خالد إلى أبى بكر يستمده، و كان قد قدم على أبى بكر أوائل مستنفرى اليمن و فيهم ذو الكلاع، و قدم عكرمة بن أبى جهل فيمن معه من تهامة و عمان و البحرين و السيرة، فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل، فكلهم استبدل، فسمى جيش البدال، و قدموا على خالد بن سعيد.

و عندها اهتتم أبو بكر بالشام و عناه أمره، و كان أبو بكر قد رد عمرو ابن العاص إلى عمله الذى كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، ولأه إياه من صدقات سعد هذيم و عذرة و غيرهم قبل ذهابه إلى عمان و وعده أن يعيده إلى عمله بعد عودته من عمان، فأنجز له أبو بكر عدة رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

فلما عزم على قصد الشام كتب له: إنى كنت قد رددتك على العمل الذى ولأك رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مرة و وعدك به

أخرى إنجازا لمواعيد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قد وليته، و قد أحببت أن أفرغك لما هو خير لك فى الدنيا و الآخرة، إلّا أن يكون الذى أنت فيه أحب إليك.

فكتب إليه عمرو: إننى سهم من سهام الإسلام، و أنت بعد الله الرامى بها و الجامع لها، فانظر أشدها و أخشاهها و أفضلها فارم به. فأمره و أمر الوليد ابن عقبه، و كان على بعض صدقات قضاعه، أن يجمعا العرب، ففعلا، و أرسل أبو بكر إلى عمرو بعض من اجتمع إليه و أمره بطريق سماها له إلى فلسطين، و أمر الوليد بالأردنّ و أمده ببعضهم، و أمر يزيد بن أبى سفيان

[١] و ينزل.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠٤

(١) على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه، فيهم سهيل بن عمرو فى أمثاله من أهل مكّة، و شيعة ماشيا «١»، و أوصاه و غيره من الأمراء، فكان ممّا قال ليزيد:

إننى قد وليتكم لأبلوك و أجربك و أخرجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك و زدتك، و إن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذى من ظاهرك، و إن أولى الناس بالله أشدهم توليا له، و أقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله، و قد وليتكم عمل خالد فأياك و عبيّة الجاهليّة، فإن الله يبغضها و يبغض أهلها، و إذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم و ابدأهم بالخير و عدّهم إياه، و إذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا، و أصلح نفسك يصلح لك الناس، و صلّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها و سجودها و التخشّع فيها، و إذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم و أقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكريك و هم جاهلون، به و لا تربيّنهم [١] فيروا خللك و يعلموا علمك، و أنزلهم فى ثروة عسكريك، و امنع من قبلك من محادثتهم، و كن أنت المتولّى لكلامهم، و لا تجعل سرّك لعلايتك فيخلط أمرك، و إذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، و لا تحزن عن المشير خبرك فتوتى من قبل نفسك، و أسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار و تنكشف عندك الأستار، و أكثر حرسك و بددهم فى عسكريك، و أكثر مفاجأتهم فى محارستهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه و عاقبه فى غير إفراط، و أعقب بينهم بالليل، و اجعل التوبة الأولى أطول من الأخيرة

[١] يربيّنهم.

(١). BniciH. anuc altipicniroignol

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠٥

(١) فإنها أيسرهما لقربها من النهار، و لا تخف من عقوبة المستحقّ، و لا تلجّن فيها، و لا تسرع إليها، و لا تخذلها مدفعا، و لا تغفل عن أهل عسكريك فتفسده، و لا تجسّس عليهم فتفضحهم، و لا تكشف الناس عن أسرارهم، و اكتف [١] بعلايتهم، و لا تجالس العباثين، و جالس أهل الصدق و الوفاء، و اصدق اللّقاء، و لا تجبن فيجبن الناس، و اجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر و يدفع النصر، و ستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم و ما حبسوا أنفسهم له.

و هذه من أحسن الوصايا و أكثرها نفعاً لولاءة الأمر. ثم إنّ أبا بكر «١» استعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع و أمره بحمص، و سار أبو عبيدة على باب من البلقاء فقاتله أهله ثم صالحوه، فكان أول صلح فى الشام.

و اجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين، فوجه «٢» إليهم يزيد بن أبى سفيان أبا أمامة الباهليّ فهزمهم، فكان أول قتال بالشام بعد سريّة أسامة بن زيد. ثم أتوا الدائن فهزمهم أبو أمامة أيضا، ثم مرج الصيقر استشهد فيها ابن لخالد بن سعيد، و قيل: استشهد فيها

خالد أيضا، وقيل: بل سلم و انهزم على ما نذكره، و ذلك أنه لما سمع توجيه الأمراء بالجنود بادر لقتال الروم فاستطرد له باهان فاتبعه خالد و معه ذو الكلاع و عكرمة و الوليد فنزل مرج الصفر، فاجتمعت عليه مسالح باهان و أخذوا الطرق، و خرج باهان فرأى ابن خالد بن سعيد فقتله و من معه، فسمع خالد فانهزم، فوصل فى هزيمته إلى ذى المروة قريب المدينة، فأمره أبو بكر بالمقام بها، و بقى عكرمة فى الناس رداء للمسلمين يمنع من يطلبهم.

و كان قد قدم شرحبيل بن حسنة من عند خالد بن الوليد إلى أبى بكر

[١] و اكنف.

(١).BnieranucalsiniF.

(٢). بعد سرية.B. dda

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠٦

(١) وافدا، فأمره أبو بكر بالشام و ندب معه الناس و استعمله على عمل الوليد ابن عقبه. فأتى شرحبيل على خالد بن سعيد ففصل عنه ببعض أصحابه، و اجتمع إلى أبى بكر ناس «١» فأرسلهم مع معاوية بن أبى سفيان و أمره باللحاق بأخيه يزيد، فلما مر «٢» بخالد فصل عنه بباقى أصحابه. فأذن أبو بكر لخالد بدخول المدينة. فلما وصل الأمراء إلى الشام نزل أبو عبيدة الجابية، و نزل يزيد البلقاء، و نزل شرحبيل الأردن، و قيل بصرى، و نزل عمرو بن العاص العربى. فبلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل، و كان بالقدس، فقال:

أرى أن تصالحووا المسلمين، فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام و يبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على الشام و نصف بلاد الروم. فتفرقوا عنه و عصوه، فجمعهم و سار بهم إلى حمص، فنزلها و أعد الجنود و العساكر، و أراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة جنده لتضعف كل فرقة من المسلمين عمّن يازائه، فأرسل تذارق أخاه لأبيه و أمه فى تسعين ألفا إلى عمرو، و أرسل جرجة بن توذر «٣» إلى يزيد بن أبى سفيان، و بعث القيقار «٤» بن نسطوس فى ستين ألفا إلى أبى عبيدة ابن الجراح، و بعث الدراقص نحو شرحبيل، فهابهم المسلمون و كاتبوا عمرا ما الرأى، فأجابهم: إن الرأى لمثلنا الاجتماع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا نغلب من قلّة، فإن تفرقتنا لا يقوم كل فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدونا.

و كتبوا إلى أبى بكر فأجابهم مثل جواب عمرو و قال: إن مثلكم لا- يؤتى من قلّة و إنما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب، فاحترسوا منها، فاجتمعوا باليرموك متساندين و ليصل كل واحد منكم بأصحابه. فاجتمع المسلمون باليرموك و الروم أيضا و عليهم التذارق و على المقدمه جرجة و على المجنبه

(١). فوارس.B.

(٢). لحق.B.

(٣). P. S. A.

(٤).suiraciV.الفيقار.:IC. GeD. por pmudnegelejeo؛ القنقار.B؛ فيقار.A.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠٧

(١) باهان، و لم يكن وصل بعد إليهم، و الدراقص على الأخرى و على الحرب القيقار «١»، فنزل الروم و صار الوادى خندقا لهم، و إنما أرادوا أن يتأنس الروم بالمسلمين لترجع إليهم قلوبهم، و نزل المسلمون على طريقهم ليس للروم طريق إلما عليهم، فقال عمرو: أبشروا! حصرت الروم و قل ما جاء محصور بخير.

و أقاموا صفرا عليهم و شهرى ربيع لا- يقدرون منهم على شىء من الوادى و الخندق و لا- يخرج الروم خرجة إلا أدبيل «٢» عليهم المسلمون.

ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام

لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبا بكر، فكتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إليهم و بالحث و أن يأخذ نصف الناس و يستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيبانى، و لا يأخذن من فيه نجدة إلا و يترك عند المثنى مثله، و إذا فتح الله عليهم رجع خالد و أصحابه إلى العراق.

فاستأثر خالد بأصحاب النبى، صلى الله عليه و سلم، على المثنى و ترك للمثنى عدادهم من أهل القنعة من ليس له صحبة، ثم قسم الجند نصفين، فقال المثنى: و الله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبى بكر، و بالله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبى، صلى الله عليه و سلم. فلما رأى خالد ذلك أراضاه.

و قيل: سار من العراق فى ثمانمائة، و قيل: فى ستمائة، و قيل: فى خمسمائة، و قيل: فى تسعة آلاف، و قيل: فى ستة آلاف، و قيل: إنما أمره أبو بكر أن يأخذ أهل القوّة و النجدة، فأتى حدوداء فقاتله أهلها فظفر بهم، و أتى المصيخ و به جمع من تغلب فقاتلهم و ظفر بهم و سبى و غنم.

(١). suiraciv: الفيقار. IC: por pmudnegelejeoGeD. القنقار. B؛ فيقار. A.

(٢). أغار. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠٨

(١) و كان من السبى الصهباء بنت حبيب بن بجير، و هى أم عمر بن علىّ ابن أبى طالب، و قيل فى أمرها ما تقدّم. و قيل: سار خالد فلما وصل إلى قراقر، و هو ماء لكلب، أغار على أهلها و أراد أن يسير منهم مفوزا إلى سوى، و هو ماء لبهاء بينهما خمس ليال، فالتمس دليلا، فدلّ على رافع بن [١] عميرة الطائى، فقال له فى ذلك، فقال له رافع: إنك لن تطيق ذلك بالخيال و الأثقال، فو الله إن الراكب المفرد يخافه على نفسه. فقال: إنّه لا بدّ لى من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم لئلا يجبسنى عن غياث المسلمين. فأمر صاحب كلّ جماعة أن يأخذ الماء للشعبة لخمس و أن يعطش من الإبل الشرف ما يكتفى به ثم يسقوها عللا بعد نهل، و العلل الشربة الثانية، و التهل الأولى، ثم يصروا آذان الإبل و يشدوا مشافرها لئلا تجتّر. ثم ركبوا من قراقر، فلما ساروا يوما و ليلة شقوا لعدّة [٢] من الخيل بطون عشرة من الإبل فمزجوا ماء فى كروشها بما كان من الألبان و سقوا الخيل، ففعلوا ذلك أربعة أيام. فلما دنا من العلمين قال للناس:

انظروا هل ترون شجرة عوسج كقعدة الرجل؟ فقالوا: ما نراها. فقال:

إننا لله و إننا إليه راجعون، هلكتم و الله و هلكت معكم! و كان أرمدا. فقال لهم: انظروا و يحكم! فنظروا فأروها قد قطعت و بقى منها بقیة. فلما رأوها كبروا، فقال رافع: احفروا فى أصلها. فحفروا و استخرجوا عينا فشربوا حتى روى الناس. فقال رافع: و الله ما وردت هذا الماء قطّ إلا مرة واحدة مع أبى و أنا غلام. فقال شاعر من المسلمين:

لله عينا رافع أنى اهتدى فوز من قراقر إلى سوى «١»

[١] من.

[٢] العدة.

(١). سرى. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٠٩

(١)

خمسا إذا ما ساره الجيش بكى ما سارها قبلك إنسى يرى فلما انتهى خالد إلى سوى «١» أغار على أهلها و هم بهراء و هم يشربون الخمر و مغنيهم يقول:

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل مناينا قريب و لا ندرى
ألا عللاني بالزجاج و كزروا على كميته اللون صافية تجرى
ألا عللاني من سلافة قهوة تسلى هموم النفس من جيد الخمر
أظن خيول المسلمين و خالد استطرقكم قبل الصبح مع التسر

فهل لكم في السير قبل قتالكم و قبل خروج المعصرات من الخدر فقتل المسلمون مغنيهم و سال دمه في تلك الجفنة و أخذوا أموالهم و قتل حرقوص بن النعمان البهراني. ثم أتى أرك فصالحوه، ثم أتى تدمر فتحصن أهله ثم صالحوه، ثم أتى القريتين فقاتلهم فظفر بهم و غنم، و أتى حوارين فقاتل أهلها فهزمهم و قتل و سبي، و أتى قضم فصالحه بنو مشجعة من قضاة، و سار فوصل إلى ثنية العقاب عند دمشق ناشرا رايته، و هى راية سوداء، و كانت لرسول الله، صلى الله عليه و سلم، تسمى العقاب، و قيل: كانت رايته تسمى العقاب فسميت الثنية بها، و قيل: سميت بعقاب من الطير سقطت عليها، و الأول أصح.

ثم سار فأتى مرج راهط فأغار على «٢» غسان في يوم فصحهم «٣» فقتل و سبي، و أرسل سريه إلى كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال و سبوا النساء و ساقوا العيال إلى خالد. ثم سار حتى وصل إلى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم و صالحهم، فكانت بصرى أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد و أهل العراق.

(١). سرى. B.

(٢). مرج. P. C. dda

(٣). فصحهم. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤١٠

(١) و بعث بالأخماس إلى أبي بكر. ثم سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر، و طلع باهان على الروم و معه الشامسة و القسيون و الرهبان يحرضون الروم على القتال، و خرج باهان كالمعتذر «١»، فولى خالد قتاله، و قاتل الأمراء من يازائهم، و رجع باهان و الروم إلى خندقهم و قد نال منهم المسلمون.
(عميرة بفتح العين المهملة و كسر الميم).

ذكر وقعة اليرموك

فلما تكامل جمع المسلمين باليرموك، و كانوا سبعة و عشرين ألفا، قدم خالد في تسعة آلاف فصاروا ستة و ثلاثين ألفا سوى عكرمة فإنه كان رداء لهم، و قيل: بل كانوا سبعة و عشرين ألفا و ثلاثة آلاف من فلان خالد ابن سعيد، و عشرة آلاف مع خالد بن الوليد، فصاروا أربعين ألفا سوى ستة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل، و قيل في عددهم غير ذلك، و الله أعلم.

و كان فيهم ألف صحابي، منهم نحو مائة ممن شهد بدرا. و كان الروم في مائتي ألف و أربعين ألف مقاتل، منهم ثمانون ألف مقتيد و

أربعون ألف مسلسل للموت و أربعون ألفا مربطون بالعمائم لئلا يفروا و ثمانون ألف راجل، و قيل: كانوا مائة ألف، و كان قتال المسلمين لهم على تساند، كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد، حتى قدم خالد بن الوليد من العراق، و كان القسيسون و الرهبان يحرضون الروم شهرا، ثم خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة. فلما أحس المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين، فسار فيهم

(١). كالمقتدر. ٩٤، tsirebaT. II

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤١١

(١) خالد بن الوليد فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر و لا البغي، أخلصوا جهادكم و أريدوا «الله بعلمكم، فإن هذا يوم له ما بعده، و لا تقاتلوا قوما على نظام و تعبية و أنتم متساندون فإن ذلك لا يحل و لا ينبغي، و إن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم و بين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه رأى من واليكم و محبته. قالوا: هات فما الرأي؟ قال: إن أبا بكر لم يبعثنا إلّا و هو يرى أننا سنتياسر، و لو علم بالذي كان و يكون لقد جمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين ممّا قد غشيهم و أنفع للمشركين من أمدادهم، و لقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله! فقد أفرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه إن دان [لأحد] من الأمراء و لا يزيده عليه إن دانوا له. إن تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله و لا عند خليفة رسول الله، صلى الله عليه و سلم. هلموا فإن هؤلاء قد تهيتوا، و إن هذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم و إن هزمونا لم نفلح بعدها. فهلموا فلنتعاور الإمارة فليكن بعضنا اليوم و الآخر غدا و الآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم، و دعوني أتأمر اليوم.

فأمروه و هم يرون أنها كخرجاتهم و أن الأمر [لا] يطول.

فخرجت الروم في تعبية لم ير الرءاون مثلها قط، و خرج خالد في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك، فخرج في ستّة و ثلاثين كردوسا إلى الأربعين، و قال: إن عدوكم كثير و ليس تعبية أكثر في رأى العين من الكراديس، فجعل القلب كراديس و أقام فيه أبا عبيدة، و جعل الميمنة كراديس و عليها عمرو بن العاص و شرحبيل بن حسنة، و جعل الميسرة كراديس و عليها يزيد ابن أبي سفيان، و كان على كردوس القعقاع بن عمرو، و جعل على كل كردوس رجلا من الشجعان، و كان القاضي أبو الدرداء، و كان القاضي أبو

(١). و ارضوا. B

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤١٢

(١) سفيان بن حرب، و على الطلائع قباث بن أشيم، و على الأقباض عبد الله ابن مسعود.

و قال رجل لخالد: ما أكثر الروم و أقل المسلمين! فقال خالد: ما أكثر المسلمين و أقل الروم، إنما تكثر الجنود بالنصر و تقلّ بالخذلان، و الله لو ددت أن الأشقر، يعنى فرسه، براء من توجّيه و أنهم أضعفوا فى العدد، و كان قد حفى فى مسيره.

فأمر خالد عكرمة بن أبى جهل و القعقاع بن عمرو فأنشبا القتال و التحم الناس و تطارد الفرسان و تقاتلوا، فإنهم على ذلك قدم البريد من المدينة و اسمه محمية بن زعيم، فسألوه الخبر، فأخبرهم بسلامة و أمداد، و إنما جاء بموت أبى بكر و تأمير أبى عبيدة، فبلغوه خالد، فأخبره خبر أبى بكر سراً.

و خرج جرجة إلى بين الصقّين و طلب خالدا، فخرج إليه، فأمن كل واحد منهما صاحبه، فقال جرجة: يا خالد اصدقنى و لا تكذبنى، فإنّ الحرّ لا يكذب، و لا تخادعنى، فإنّ الكريم لا يخادع المسترسل، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسلّه على قوم إلّا هزمتهم؟ قال: لا. قال: ففيم سميت سيف الله؟ فقال له: إن الله بعث فينا نبيّه، صلى الله عليه و سلم، فكنت فيمن كذبه و قاتله،

ثم إن الله هداني فتابعته. فقال: أنت سيف الله سلّه الله على المشركين! و دعا لى [١] بالنصر. قال: فأخبرني إلى ما تدعوني.
قال خالد: إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب. قال: فما منزله من الذي يجيبكم و يدخل فيكم؟ قال: منزلتنا واحدة. قال: فهل له مثلكم من الأجر و الذخر؟
قال: نعم و أفضل لأننا اتبعنا نبينا و هو حيّ يخبرنا بالغيب و نرى منه العجائب و الآيات، و حقّ لمن رأى ما رأينا و سمع ما سمعنا أن يسلم، و أنتم لم تروا مثلنا

[١] على.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤١٣

(١) و لم تسمعوا مثلنا، فمن دخل بتيّة و صدق كان أفضل منّا. فقلب جرجه ترسه و مال مع خالد و أسلم و علّمه الإسلام و اغتسل و صلّى ركعتين ثمّ خرج مع خالد فقاتل الروم.
و حملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقفهم إلّا [١] المحامية، عليهم عكرمة و عمّه الحارث بن هشام، فقال عكرمة [يومئذ]: قاتلت مع النبيّ، صلّى الله عليه و سلّم، في كلّ موطن ثمّ أفرّ اليوم! ثمّ نادى: من يبايع على الموت؟
فبايعه الحارث بن هشام و ضرار بن الأزور في أربعمائه من وجوه المسلمين و فرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا [٢] جميعا جراحا، فمنهم من برأ و منهم من قتل. و قاتل خالد و جرجه قتالا شديدا، فقتل جرجه عند آخر النهار و صلّى الناس الأولى و العصر إيماء و تضعضع الروم و نهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم و رجلهم، فانهزم الفرسان و تركوا الرّجاله.
و لما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للمهرب أفرجوا لها، ففرقت و قتل الرّجاله و اقتحموا في خندقهم، فاقتحمه [٣] عليهم، [فعمدوا إلى الواقوصه حتى] هوى فيها المقترنون و غيرهم، ثمانون ألفا من المقترنين و أربعون ألف مطلق سوى من قتل في المعركة، و تجلّل الفيقار و جماعه من أشرف الروم برانسهم و جلسوا فقتلوا متمرّلين. و دخل خالد الخندق و نزل في رواق تذارق. فلما أصبحوا أتى خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحا فوضع رأسه على فخذه، و بعمر بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه و مسح وجوههما و قطر في حلوقهما الماء و قال: زعم ابن حنتمه، يعني عمر،

[١] إلى.

[٢] أثبوا.

[٣] (أى خالد بن الوليد).

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤١٤

(١) أنا لا نستشهد! و قاتل النساء ذلك اليوم و أبلين [١].

قال عبد الله بن الزبير: كنت مع أبي باليرموك و أنا صبّي لا- أقاتل، فلما اقتتل الناس نظرت إلى ناس على تلّ لا يقاتلون، فركبت و ذهبت إليهم و إذ أبو سفيان بن حرب و مشيخه من قريش من مهاجرة الفتح فرأوني حدثا فلم يتقوني، قال: فجعلوا و الله إذا مال [٢] المسلمون و ركبتهم الروم يقولون:

إيه بنى الأصفر! فإذا مالت الروم و ركبتهم [٣] المسلمون قال: ويح بنى الأصفر! فلما هزم الله الروم أخبرت أبي فضحك فقال: قاتلهم الله! أبوا إلّا ضغنا، لنحن خير لهم من الروم! و فى اليرموك أصيبت عين أبي سفيان بن حرب.

و لما انهزمت الروم كان هرقل بجمص، فنادى بالرحيل عنها قريبا و جعلها بينه و بين المسلمين و أمر عليها أميرا كما أمر على دمشق. و كان من أصيب من المسلمين ثلاثة آلاف، منهم عكرمة و ابنه عمرو و سلمة بن هشام و عمرو بن سعيد و أبان بن سعيد و جندب بن

عمرو و الطّفيّل بن عمرو و طليب بن عمير و هشام بن العاص و عياش بن أبى ربيعة، فى قول بعضهم.
(عياش بالياء المثناة و الشين المعجمة).

و فيها قتل سعيد بن الحرب بن قيس بن عدىّ السهمى، و هو من مهاجرة الحبشة. و فيها قتل نعيم «١» بن عبد الله النّحام العدوىّ عدىّ قريش، و كان إسلامه قبل عمر. و فيها قتل النّضير بن الحارث بن علقمة، و هو قديم الإسلام

[١] و أبلوا.

[٢] مالت.

[٣] و ركبتهم.

(١). معمر. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤١٥

(١) و الهجرة، و هو أخو النضر الذى قتل بيدر كافرا. و قتل فيها أبو الروم بن عمير بن هاشم العبدرى «١» أخو مصعب بن عمير، و هو من مهاجرة الحبشة، شهد أحدا. و قيل قتلوا يوم أجنادين، و الله أعلم.

ذكر حال المثنى بن حارثة بالعراق

و أما المثنى بن حارثة الشيبانىّ فإنه لما ودّع خالد بن الوليد، و سار خالد إلى الشام فيمن معه بالجند، أقام بالحيرة و وضع المسلحة و أذكى العيون، و استقام أمر فارس بعد مسير خالد من الحيرة بقليل، و ذلك سنة ثلاث عشرة، على شهريران ابن أردشير بن شهريار سابور، فوجه إلى المثنى جندا عظيما عليهم هرمز جاذويه فى عشرة آلاف، فخرج المثنى من الحيرة نحوه و على مجبتيه المعنى و مسعود أخواه، فأقام ببابل و أقبل هرمز نحوه، و كتب كسرى شهريران إلى المثنى كتابا: إني قد بعثت إليكم جندا من وحش أهل فارس، إنما هم رعاء الدجاج و الخنازير و لست أقاتلك إلّا بهم. فكتب إليه المثنى: إنما أنت أحد رجلين: إما باغ فذلك شر لك و خير لنا، و إما كاذب فأعظم الكاذبين فضيحة عند الله و فى الناس الملوك، و أما الذى يدلنا عليه الرأى فإنكم إنما أضررتم إليهم، فالحمد لله الذى ردّ كيدكم إلى رعاء الدجاج و الخنازير.

فجزع الفرس من كتابه فالتقى المثنى و هرمز ببابل فاقتلوا قتالا شديدا، و كان فيلهم يفرق المسلمين، فانتدب له المثنى و معه ناس فقتلوه و انهزم الفرس و تبعهم المسلمون إلى المدائن يقتلونهم. و مات شهريران لما انهزم هرمز جاذويه و اختلف أهل فارس و بقى ما دون دجلة بيد المثنى. ثم اجتمعت الفرس على

(١). العدو. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤١٦

(١) دخت زنان ابنة كسرى، فلم ينفذ لها أمر و خلعت و ملك سابور بن شهريران.

فلما ملك قام بأمره الفرّخزاد بن البندوان، فسأله أن يزوجه آرميدخت بنت كسرى، فأجابه. فغضبت آرميدخت فأرسلت إلى سياوخش الرازى فشكت إليه، فقال لها: لا تعاوديه و أرسلى إليه فليأتك، فأرسلت إليه و استعدّ سياوخش، فلما كان ليلة العرس أقبل الفرّخزاد حتى دخل، فثار به سياوخش فقتله، و قصدت آرميدخت و معها سياوخش سابور فحصره ثم قتلوه، و ملكت آرميدخت ثم تشاغلوا بذلك.

نحو ثلاثين سنة. وفيها قتل عبد الله بن الطفيل الدوسي، وهو الملقب بذي النور، وكان من فضلاء الصحابة قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة.

(أجنادين بعد الجيم نون، و دال مهملة مفتوحة، و منهم من يكسرهما، ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة، و آخره نون).
و قد قيل: إن وقعة أجنادين كانت سنة خمس عشرة، و سيرد ذكرها إن شاء الله.

ذكر وفاة أبي بكر

إشارة

كانت وفاة أبي بكر، رضى الله عنه، لثمانى ليال بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء و هو ابن ثلاث و ستين سنة، و هو الصحيح، و قيل غير ذلك، و كان قد سمه اليهود فى أرز، و قيل فى حريرة، و هى الحسو، فأكل هو الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤١٩

(١) و الحارث بن كلدة، فكف الحارث و قال لأبى بكر: أكلنا طعاما مسموما سم سنة، فماتا بعد سنة. و قيل: إنه اغتسل و كان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج إلى صلاة فأمر عمر أن يصلى بالناس. و لما مرض قال له الناس: ألا ندعو الطبيب؟ قال: قد أتانى و قال لى أنا فاعل ما أريد، فعلموا مراده و سكتوا عنه، ثم مات.

و كانت خلافته سنتين و ثلاثة أشهر و عشر ليال، و قيل: كانت سنتين و أربعة أشهر إلا أربع ليال، و كان مولده بعد الفيل بثلاث سنين. و أوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس و ابنه عبد الرحمن و أن يكفن فى ثوبه و يشتري معهما ثوب ثالث، و قال: الحى أحوج إلى الجديد من الميت، إنما هو للمهله [١] و الصديد.

و دفن ليلا- و صلى عليه عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و كبر عليه أربعاً، و حمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و دخل قبره ابنه عبد الرحمن و عمر و عثمان و طلحة، و جعل رأسه عند كتفى النبى، صلى الله عليه و سلم، و أوصقوا لحدده بلحد النبى، صلى الله عليه و سلم، و جعل قبره مثل قبر النبى، صلى الله عليه و سلم، مسطحا. و أقامت عائشة عليه النوح فنهاهن عن البكاء عمر فأبين، فقال لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إلى ابنه أبى قحافة، فأخرج إليه أم فروة ابنة أبى قحافة فعلاها بالدرة ضربات فتفرق النوح حين سمعن ذلك.

و كان آخر ما تكلم به: توفى مسلما و ألحقنى بالصالحين.

و كان أبيض خفيف العارضين أحنى لا يستمسك [٢] إزاره، معروق الوجه

[١] (المهله: القيح و الصديد).

[٢] يتمسك.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢٠

(١) نحيفا، أفنى غائر العينين يخضب بالحناء و الكتم، و كان أبوه حيا بمكة لما توفى.

و هو أبو بكر عبد الله، و قيل: عتيق بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك، يجتمع مع النبى، صلى الله عليه و سلم، فى مرة بن كعب، و أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم. و قيل: إن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، قال له: أنت عتيق من النار، فلزمه، و قيل:

إنما قيل له عتيق لرقمة حسنه و جماله. و أسلمت أمه قديما بعد إسلام أبى بكر، و تزوج فى الجاهلية قتيلة بنت عبد العزى بن عامر بن

لؤى فولدت له عبد الله و أسماء، و تزوج أيضا فى الجاهلية أمّ رومان، و اسمها دعد بنت عامر بن عميرة الكنائية، فولدت له عبد الرحمن و عائشة، و تزوج فى الإسلام أسماء بنت عميس، و كانت قبله عند جعفر بن أبى طالب، فولدت له محمّد بن أبى بكر، و تزوج أيضا فى الإسلام «١» حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصارية، فولدت له بعد وفاته أمّ كلثوم.

أسماء فضائه و عماله و كتابه

لما ولى أبو بكر قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك المال. و قال له عمر: أنا أكفيك القضاء. فمكث عمر سنة لا- يأتیه رجلا. و كان على بن أبى طالب يكتب له و زيد بن ثابت و عثمان بن عفان، و كان يكتب له من حضر. و كان عامله على مكة عتاب بن أسيد، و مات فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر،

(١). أم. dda .ddoC

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢١

(١) و قيل: مات بعده. و كان على الطائف عثمان بن أبى العاص، و على صنعاء المهاجر بن أبى أمية، و على حضرموت زياد بن لبيد الأنصارى، و على خولان يعلى بن منية، و على زبيد و رمع أبو موسى، و على الجند معاذ بن جبل، و على البحرين العلاء بن الحضرمى. و بعث جرير بن عبد الله إلى نجران، و عبد الله بن ثور إلى جرش، و عياض بن غنم إلى دومة الجندل. و كان بالشام أبو عبيدة و شرحبيل و يزيد و عمرو، و كل رجل منهم على جند و عليهم خالد ابن الوليد. و كان نقش خاتمه: نعم القادر الله. و عاش أبوه بعده سنة أشهر و أياما، و مات و له سبع و تسعون سنة.

ذكر بعض أخباره و مناقبه

كان أبو بكر أول الناس إسلاما فى قول بعضهم، و قد تقدّم الخلاف فى ذلك، و قال النبى، صلى الله عليه و سلم: ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلّا كانت له عنه كبوة غير أبى بكر. و الذى ورد له عن النبى، صلى الله عليه و سلم، من المناقب كثير، كشهادته له بالجنة، و عتقه من النار، و غير ذلك من الإخبار بخلافته تعريضا

كقوله، صلى الله عليه و سلم، للمرأة: إن لم تجدينى فأتى أبا بكر،

و

كقوله: اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر و عمر، الكامل فى التاريخ ج ٢ ٤٢١ ذكر بعض أخباره و مناقبه ص: ٤٢١

إلى غير ذلك.

و شهد بدرا و أحدا و الخندق و غير ذلك من المشاهد مع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أعتق سبعة نفر كلهم يعذب فى الله تعالى، منهم بلال و عامر بن فهيرة و زبيرة و التهديّة و ابنها و جارية بنى مؤمل و أم عبيس و أسلم. و له أربعون ألفا أنفقها فى الله مع ما كسب فى التجارة.

و

لما ولى الخلافة و ارتدت العرب خرج شاهرا سيفه إلى ذى القصة،

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢٢

(١) فجاءه على و أخذ بزمام راحلته و قال له: أين يا خليفة رسول الله، صلى الله عليه و سلم! أقول لك ما قال لك رسول الله، صلى

اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ أَحَدٍ: شَمَّ سَيْفَكَ لَا تَفْجَعْنَا بِنَفْسِكَ، فَوَ اللَّهُ لئنْ أَصْبَنَّا بِكَ لَا يَكُونُ لِلْإِسْلَامِ نِظَامٌ، فَرَجَعَ وَ أَمْضَى الْجَيْشَ.
وَ كَانَ لَهُ بَيْتٌ مَالٌ بِالسَّنْحِ، وَ كَانَ يَسْكُنُهُ إِلَى أَنْ انْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقِيلَ لَهُ:

أَلَا نَجْعَلُ عَلَيْهِ مِنْ يَحْرَسُهُ؟ قَالَ: لَا. فَكَانَ يَنْفَقُ جَمِيعَ مَا فِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَبْقَى فِيهِ شَيْءٌ، فَلَمَّا انْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ جَعَلَ بَيْتَ الْمَالِ مَعَهُ فِي دَارِهِ.

وَ فِي خِلَافَتِهِ انْفَتَحَ مَعْدَنُ بَنِي سَلِيمٍ، وَ كَانَ يَسْوَى فِي قِسْمَتِهِ بَيْنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي الْإِسْلَامِ وَ بَيْنَ الْحَرِّ وَ الْعَبْدِ وَ الذَّكَرِ وَ الْأُنْثَى، فَقِيلَ لَهُ:

لِتَقْدِّمَ أَهْلَ السَّبْقِ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَسْلَمُوا لِلَّهِ وَ وَجِبَ أَجْرُهُمْ عَلَيْهِ يَوْفِيهِمْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِلَاغٍ. وَ كَانَ يَشْتَرِي الْأَكْسِيَّةَ وَ يَفْرَقُهَا فِي الْأَرَامِلِ فِي الشِّتَاءِ.

وَ لَمَّا تَوَفَّى أَبُو بَكْرٍ جَمَعَ عَمْرُ الْأُمَيَّةِ وَ فَتَحَ بَيْتَ الْمَالِ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ شَيْئًا غَيْرَ دِينَارٍ سَقَطَ مِنْ غَرَارَةٍ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو صَالِحِ الْغِفَارِيِّ: كَانَ عَمْرٌ يَتَعَهَّدُ امْرَأَةً عَمِيَاءَ فِي الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ فَيَقُومُ بِأَمْرِهَا فَكَانَ إِذَا جَاءَهَا وَجَدَ غَيْرَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا فَفَعَلَ مَا أَرَادَتْ، فَرُصِدَهُ عَمْرٌ فَإِذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ كَانَ يَأْتِيهَا وَ يَقْضِي أَشْغَالَهَا سَرًّا وَ هُوَ خَلِيفَتُهُ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ هُوَ لِعَمْرِي! قَالَ أَبُو بَكْرٍ بِنِ حَفْصِ بْنِ عَمْرِ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ الْوَفَاةَ حَضَرَتْهُ عَائِشَةُ وَ هُوَ يَعَالِجُ الْمَوْتَ فَتَمَثَّلَتْ:

لِعَمْرِكُ مَا يَغْنَى الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَ ضَاقَ بِهَا الصُّدْرُ فَظَنَرْتُ إِلَيْهَا كَالْغَضْبَانِ ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ وَ لَكِنْ جَاءَتْ سَكْرَةً

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢٣

(١) الْمَوْتُ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ [١]، إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَحَلْتُكَ حَائِطَ كَذَا وَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ فَرَدِّيهِ عَلَى الْمِيرَاثِ، فَردَّته، فَقَالَ: إِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكُ وَ أَخْتَاكَ. قَالَتْ: مِنَ الثَّانِيَةِ؟ إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ. قَالَ: ذَاتُ بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ، يَعْنِي زَوْجَتَهُ، وَ كَانَتْ حَامِلًا فَوَلَدَتْ أُمَّ كَلْثُومَ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَ قَالَ لَهَا: أَمَا إِنَّا مِنْذُ وَلِينَا أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ لَمْ نَأْكُلْ لَهُمْ دِينَارًا وَ لَا دِرْهَمًا وَ لَكِنَّا قَدْ أَكَلْنَا مِنْ جَرِيشِ طَعَامِهِمْ وَ لَبَسْنَا مِنْ خَشَنِ ثِيَابِهِمْ وَ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَذَا الْعَبْدُ وَ هَذَا الْبَعِيرُ وَ هَذِهِ الْقَطِيفَةُ، فَإِذَا مَتَّ فَابْعَثْنِي بِالْجَمِيعِ إِلَى عَمْرِ. فَلَمَّا مَاتَ بَعَثَهُ إِلَى عَمْرِ، فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ إِلَى الْأَرْضِ وَ جَعَلَ يَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ! لَقَدْ أَنْعَبَ مِنْ بَعْدِهِ، وَ يَكْرُرُ ذَلِكَ، وَ أَمْرٌ بَرَفَعَهُ. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: سَبَّحَانَ اللَّهِ! تَسْلُبُ عِيَالُ أَبِي بَكْرٍ عِبْدًا وَ نَاضِحًا وَ سَحَقَ قَطِيفَةً ثَمَّنَهَا خَمْسَةَ دِرَاهِمٍ، فَلَوْ أَمَرْتُ بِرَدِّهَا عَلَيْهِمْ. فَقَالَ: لَا وَ الْبُذَى بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، لَا يَكُونُ هَذَا فِي وِلَايَتِي وَ لَا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مِنْهُ وَ أَتَقَلَّدَهُ أَنَا. وَ أَمْرٌ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَرُدَّ جَمِيعَ مَا أَخَذَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِنَفَقَتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

وَ قِيلَ: إِنَّ زَوْجَتَهُ اشْتَهَتْ حُلُومًا فَقَالَ: لَيْسَ لَنَا مَا نَشْتَرِي بِهِ. فَقَالَتْ:

أَنَا أَسْتَفْضِلُ مِنْ نَفَقَتِنَا فِي عِدَّةِ أَيَّامٍ مَا نَشْتَرِي بِهِ. قَالَ: افْعَلِي. فَفَعَلَتْ ذَلِكَ، فَاجْتَمَعَ لَهَا فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَلَمَّا عَرَفَتْهُ ذَلِكَ لَيْشْتَرِي بِهِ حُلُومًا أَخَذَهُ فَردَّه إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وَ قَالَ: هَذَا يَفْضَلُ عَن قَوْتِنَا، وَ أَسْقَطَ مِنْ نَفَقَتِهِ بِمَقْدَارِ مَا نَقَصَتْ كُلَّ يَوْمٍ وَ غَرَمَهُ لِبَيْتِ الْمَالِ مِنْ مَلِكٍ كَانَ لَهُ.

هَذَا وَ اللَّهُ هُوَ التَّقْوَى الَّذِي لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَ بِحَقِّ قَدَمِهِ النَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ.

[١] (سورة ق ٥٠، الآية ١٩).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢٤

(١) وَ كَانَ مَنْزَلُ أَبِي بَكْرٍ بِالسَّنْحِ عِنْدَ زَوْجَتِهِ «١» حَبِيبَةَ بِنْتِ خَارِجَةَ، فَأَقَامَ هُنَاكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بَعْدَ مَا بُويعَ لَهُ، وَ كَانَ يَغْدُو عَلَى رَجُلِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَ رَبَّمَا رَكِبَ فَرَسَهُ، فَيَصَلِّي بِالنَّاسِ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ رَجَعَ إِلَى السَّنْحِ، وَ كَانَ إِذَا غَابَ صَلَّى بِالنَّاسِ عَمْرًا. وَ كَانَ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَى السُّوقِ فَيَبِيعُ وَ يَبْتَاعُ، وَ كَانَتْ لَهُ قِطْعَةٌ غَنَمٍ تَرُوحُ عَلَيْهِ، وَ رَبَّمَا خَرَجَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِيهَا، وَ رَبَّمَا رَعِيَتْ لَهُ، وَ كَانَ يَحْلُبُ لِلْحَيِّ

أغنامهم، فلما يبيع بالخلافه قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا، فسمعها فقال: بلى لعمري لأحلبنّها لكم، وإني لأرجو أن لا يغير بي ما دخلت فيه. فكان يحلب لهم. ثم تحوّل إلى المدينة بعد سنّة أشهر من خلافته و قال: ما تصلح أمور الناس مع التجارة، و ما يصلح إلّا التفرغ لهم و النظر فى شأنهم، فترك التجارة، و أنفق من مال المسلمين ما يصلحه و عياله يوما بيوم و يحجّ و يعتمر، فكان الذى فرضوا له فى كلّ سنه سنّه آلاف درهم، و قيل: فرضوا له ما يكفيه، فلما حضرته الوفاة أوصى أن تباع أرض له و يصرف ثمنها عوض ما أخذه من مال المسلمين.

و كان أوّل و آل فرض له رعيته نفقته، و أوّل خليفه ولى و أبوه حيّ، و أوّل من سمى مصحف القرآن مصحفا، و أوّل من سمى خليفه. (زئيرة بكسر الزاى، و النون مشدّدة. و عيسى بضمّ العين المهملة، و بالياء الموحّدة المفتوحة، ثم بالياء المثناة من تحت، و بالسين المهملة. و منية بالنون الساكنة، و الياء تحتها نقطتان).

(١). أم. ddoC. dda

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢٥

(١)

ذكر استخلافه عمر بن الخطاب

لما نزل بأبى بكر، رضى الله عنه، الموت دعا عبد الرحمن بن عوف فقال: أخبرنى عن عمر. فقال: إنّه أفضل من رأيك إلّا أنّه فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنّه يرانى رقيقا، و لو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا ممّا هو عليه، و قد رمّفته فكنت إذا غضبت على رجل أراى الرضا عنه، و إذا لنت له أراى الشدّة عليه. و دعا عثمان بن عفّان و قال له: أخبرنى عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، و ليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكر ما قلنا لكما شيئا، و لو تركته ما عدوت عثمان، و الخير له أن لا يلى من أموركم شيئا، و لوددت أنى كنت من أموركم خلوا و كنت فيمن مضى من سلفكم «١». و دخل طلحة بن عبيد الله على أبى بكر فقال: استخلفت على الناس عمر و قد رأيت ما يلقى الناس منه و أنت معه، و كيف به إذا خلا بهم و أنت لاق ربك فسائلك عن رعيّتك! فقال أبو بكر: أجلسونى، فأجلسوه، فقال: أبالله تحوّفنى! إذا لقيت ربّى فسألنى قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك. ثم إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفّان خاليا ليكتب عهد عمر، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد. ثمّ أغمى عليه، فكتب عثمان: أمّا بعد فإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب و لم آلكم خيرا. ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علىّ. فقرأ عليه، فكبر أبو بكر و قال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ فى غشيتى. قال: نعم. قال: جزاك الله خيرا عن الإسلام و أهله.

(١). سبقكم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢٦

(١) فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس، فجمعهم و أرسل الكتاب مع مولى له و معه عمر، فكان عمر يقول للناس «١»: أنصتوا و اسمعوا لخليفة رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فإنّه لم يألکم نصحا. فسكن الناس، فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا و أطاعوا، و كان أبو بكر أشرف على الناس و قال: أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإنى ما استخلفت عليكم ذا قرابه، و إنى قد استخلفت عليكم عمر

فاسمعوا له و أطيعوا، فَإِنِّى و اللّٰه ما ألوت من جهد الرأى. فقالوا: سمعنا و أطعنا. ثمّ أحضر أبو بكر عمر فقال له:

إِنِّى قد استخلفتك على أصحاب رسول اللّٰه، صلّى اللّٰه عليه و سلّم، و أوصاه بتقوى اللّٰه ثمّ قال:

يا عمر إنّ للّٰه حقّا بالليل لا يقبله فى النهار، و حقّا فى النهار لا يقبله بالليل، و إنّه لا يقبل نافله حتى تؤدّى الفريضة، ألم ترى يا عمر أنّما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحقّ و ثقله عليهم، و حقّ لميزان لا يوضع فيه غدا إلّا حقّ أن يكون ثقيلًا. ألم ترى يا عمر أنّما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل و خفته [١] عليهم، و حقّ لميزان لا يوضع فيه [غدا [٢] إلّا باطل أن يكون خفيفًا. ألم ترى يا عمر أنّما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة و آية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبًا راغبًا، لا يرغب رغبةً يتمنى فيها على اللّٰه ما ليس له، و لا يرهب رهبةً يلقي فيها بيديه. أو لم ترى يا عمر أنّما ذكر اللّٰه أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت إِنِّى لأرجو أن لا أكون منهم، و أنّه إنّما ذكر أهل الجنّة بأحسن

[١] و خفت.

[٢] هذا.

(١). أ ترضون بمن أستخلف عليكم،.B. dda

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢٧

(١) أعمالهم لأنّه يجاوز لهم ما كان من سيّئ فإذا ذكرتهم قلت أين عملى من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتى فلا يكوننّ غائب أحبّ إليك من حاضر من الموت، و لست بمعجزه.

و توفّى أبو بكر فليّما دفن صعّد عمر بن الخطّاب فخطب النّاس ثمّ قال: إنّما مثل العرب مثل جمل آنف اتبع قائده فليّنظر قائده حيث يقوده، و أمّا أنا فو ربّ الكعبة لأحملنكم على الطريق! و كان أوّل كتاب كتبه إلى أبى عبيدة بن الجراح بتولية جند خالد و بعزل خالد لأنّه كان عليه ساخطا فى خلافه أبى بكر كلّها لوقعته بابت نويره و ما كان يعمل فى حربته، و أوّل ما تكلم به عزل خالد و قال: لا يلى لى عملا أبدا، و كتب إلى أبى عبيدة:

إن أكذب خالد نفسه فهو الأمير على ما كان عليه، و إن لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه، و انزع عمامته عن رأسه و قاسمه ماله. فذكر ذلك لخالد، فاستشار أخته فاطمة، و كانت عند الحارث بن هشام، فقالت له:

و اللّٰه لا يحبّك عمر أبدا و ما يريد إلّا أن تكذب نفسك ثمّ ينزعك. فقبل رأسها و قال: صدقت، فأبى أن يكذب نفسه، فأمر أبو عبيدة فنزع عمامة خالد و قاسمه ماله، ثمّ قدم خالد على عمر بالمدينة، و قيل: بل هو أقام بالشام مع المسلمين، و هو أصحّ.

ذكر فتح دمشق

قيل: و لما هزم اللّٰه أهل اليرموك استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير ابن كعب الحميرى، و سار حتى نزل بالصفّر، فأتاه الخبر أن المنهزمين اجتمعوا بفحل، و أتاه الخبر أيضا بأنّ المدد قد أتى أهل دمشق من حمص، فكتب إلى عمر فى ذلك، فأجابه عمر يأمره بأن يبدأ بدمشق فإنّها حصن الشام

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢٨

(١) و بيت ملكهم، و أن يشغل أهل فحل بخيل تكون يازائهم، و إذا فتح دمشق سار إلى فحل، فإذا فتحت عليهم سار هو و خالد إلى حمص و ترك شرحبيل ابن حسنة و عمرا بالأردنّ و فلسطين.

فأرسل أبو عبيدة إلى فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريبا منها، و بثق الروم الماء حول فحل فوحت الأرض، فنزل عليهم المسلمون،

فكان أول محصور بالشام أهل فحل ثم أهل دمشق.

و بعث أبو عبيدة جندا فنزلوا بين حمص و دمشق، و أرسل جندا آخر فكانوا بين دمشق و فلسطين، و سار أبو عبيدة و خالد فقدموا على دمشق و عليها نسطاس، فنزل أبو عبيدة على ناحية و خالد على ناحية و عمرو «١» على ناحية، و كان هرقل قريب حمص، فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا و قاتلوهم بالزحف و المجانيق، و جاءت خيول هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التي عند حمص، فخذل أهل دمشق و طمع فيهم المسلمون.

و ولد للطريق الذي على أهلها مولود فصنع طعاما فأكل القوم و شربوا و تركوا موافقهم، و لا يعلم بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد، فإنه كان لا ينام و لا ينيم و لا يخفى عليه من أمورهم شيء، و كان قد اتخذ جبالا كهية السلايم و أوهاقا [١]، فلما أمسى ذلك اليوم نهد هو و من معه من جنده الذين قدم عليهم و تقدمهم هو و القعقاع بن عمرو و مذعور بن عدى و أمثاله و قالوا: إذا سمعتم تكبيرا على السور فارقوا إلينا و اقصدوا الباب.

فلما وصل هو و أصحابه إلى السور ألقوا الجبال فعلق بالشرف منها جبالان، فصعد فيهما القعقاع و مذعور و أثبتا الجبال بالشرف، و كان ذلك المكان أحصن

[١] (الأوهاق، واحدها وهق: حبل في طرفه أنشوطه يطرح في عنق الدابة حتى تؤخذ).

(١). يزيد. B

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٢٩

(١) موضع بدمشق و أكثره ماء، فصعد المسلمون ثم انحدر خالد و أصحابه و ترك بذلك المكان من يحميه و أمرهم بالتكبير، فكبروا، فأتاهم المسلمون إلى الباب و إلى الجبال، و انتهى خالد إلى من يليه فقتلهم و قصد الباب فقتل البوابين، و ثار أهل المدينة لا يدرون ما الحال، و تشاغل أهل كل ناحية بما يليهم، و فتح خالد الباب و قتل كل من عنده من الروم.

فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة و بذلوا له الصلح، فقبل منهم و فتحوا له الباب و قالوا له: ادخل و امنعنا من أهل ذلك الجانب، و دخل أهل كل باب بصلح مما يليهم. و دخل خالد عنوة، فالتقى خالد و القواد في وسطها، هذا قتلا و نهبا و هذا صفحا و تسكينا، فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح، و كان صلحهم على المقاسمة، و قسموا معهم للجنود التي عند فحل و عند حمص و غيرهم ممن هو ردة للمسلمين.

و أرسل أبو عبيدة إلى عمر بالفتح، فوصل كتاب عمر إلى أبي عبيدة يأمره بإرسال جند العراق نحو العراق إلى سعد بن أبي وقاص، فأرسلهم و أمر عليهم هاشم بن عتبة المرقال، و كانوا قد قتل منهم، فأرسل أبو عبيدة عوض من قتل، و كان ممن أرسل الأشر و غيره، و سار أبو عبيدة إلى فحل.

ذكر غزوة فحل

فلما فتحت دمشق سار أبو عبيدة إلى فحل و استخلف على دمشق يزيد ابن أبي سفيان، و بعث خالد على المقدمة، و على الناس شرحبيل بن حسنة، و كان على المجنبتين أبو عبيدة و عمرو بن العاص، و على الخيل ضرار بن الأزور، و على الرجال عياض بن غنم، و كان أهل فحل قد قصدوا بيسان،

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣٠

(١) فهم بها، فنزل شرحبيل بالناس فحلا و بينهم و بين الروم تلك المياه و الأوحال، و كتبوا إلى عمر، و كانت العرب تسمى تلك

الغزاة ذات الرذغة و بيسان و فحل. و أقام الناس ينتظرون كتاب عمر، فاغترهم الروم فخرجوا و عليهم سقلار بن مخراق «١»، فأتوهم و المسلمون حذرون، و كان شرحبيل لا يبيت و لا يصبح إلّا على تعبئة. فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا أشد قتال كان لهم ليلتهم و يومهم إلى الليل، و أظلم الليل عليهم و قد حاروا، فانهزم الروم و هم حيارى و قد أصيب رئيسهم سقلار و الذى يليه [فيهم] نسطورس [١]، و ظفر المسلمون بهم و ركبوهم، و لم تعرف الروم مأخذهم، فانتهدت بهم الهزيمة إلى الوحل فركبوه، و لحقهم المسلمون فأخذوهم و لا يمنعون يد لأمس [٢] فوخزوهم بالرماح، فكانت الهزيمة بفحل و القتل بالرداغ، فأصيب الروم و هم ثمانون ألفا لم يفلت منهم إلّا الشريد، و قد كان الله يصنع للمسلمين و هم كارهون، كرهوا البثوق و الوحل، فكانت عوننا لهم على عدوهم و غنموا أموالهم فاقتسموها. و انصرف أبو عبيدة بخالد و من معه إلى حمص.

و مّتن قتل فى هذه الحرب السائب بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى، له صحبة.

(فحل بكسر الفاء، و سكون الحاء المهملة، و آخره لام).

[١] نسطورس.

[٢] بدلامس.

(١). بحراق؛ P.C. sitcnpenis

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣١

(١)

ذكر فتح بلاد ساحل دمشق

لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان على دمشق و سار إلى فحل سار يزيد إلى مدينة صيدا و عرقه و جبيل و بيروت، و هى سواحل دمشق، على مقدّمته أخوه معاوية، ففتحها فتحا يسيرا و جلا كثير من أهلها، و تولّى فتح عرقه معاوية بنفسه فى ولاية يزيد. ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر و أوّل خلافة عثمان، فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمها و شحنها بالمقاتلة و أعطاهم القطائع.

و لما ولى عثمان الخلافة و جمع لمعاوية الشام و جّه معاوية سفيان بن مجيب الأزديّ إلى طرابلس، و هى ثلاث مدن مجتمعة، ثم بنى فى مرج على أميال منها حصنا سمى حصن سفيان و قطع المادّة عن أهلها من البرّ و البحر و حاصرهم.

فلما اشتدّ عليهم الحصار اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة و كتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدّهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى بلاد الروم، فوجّه إليهم بمراكب كثيرة ركبوا فيها ليلا و هربوا. فلما أصبح سفيان، و كان يبيت هو و المسلمون فى حصنه ثم يغدو على العدو، وجد الحصن خاليا فدخله و كتب بالفتح إلى معاوية، فأسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود، و هو الذى فيه المينا اليوم، ثم بناه عبد الملك بن مروان و حصّنه، ثم نقض أهله أيام عبد الملك ففتح ابنه الوليد فى زمانه.

ذكر فتح بيسان و طبرية

لما قصد أبو عبيدة حمص من فحل أرسل شرحبيل و من معه إلى بيسان فقاتلوا أهلها، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، ثم صالحهم من بقى على صلح

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣٢

(١) دمشق فقبل ذلك منهم. و كان أبو عبيدة قد بعث بالأعور إلى طبرية يحاصرها، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضا و أن يشاطروا المسلمين المنازل، فنزلها القواد و خيولها و كتبوا بالفتح إلى عمر.

قال أبو جعفر: و قد اختلفوا فى أى هذه الغزوات كان قبل الأخرى، فقليل ما ذكرنا، و قيل: إن المسلمين لما فرغوا من أجنادين اجتمع المنهزمون بفحل فقصدها المسلمون فظفروا بها.

ثم لحق المنهزمون من فحل بدمشق فقصدها المسلمون فحاصروها و فتحوها، و قدم كتاب عمر بن الخطاب بعزل خالد و ولاية أبى عبيدة و هم محاصرون دمشق، فلم يعرّفه أبو عبيدة ذلك حتى فرغوا من صلح دمشق و كتب الكتاب باسم خالد و أظهر أبو عبيدة بعد ذلك عزله، و كانت فحل فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة، و فتح دمشق فى رجب سنة أربع عشرة، و قيل: إن وقعة اليرموك كانت سنة خمس عشرة، و لم تكن للروم بعدها وقعة، و إنما اختلفوا لقرب بعض ذلك من بعض.

ذكر خبر المثنى بن حارثة و أبى عبيد بن مسعود

قد ذكرنا قدوم المثنى بن حارثة الشيبانى من العراق على أبى بكر، و وصية أبى بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه، فلما أصبح عمر من الليلة التى مات فيها أبو بكر كان أول ما عمل أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيبانى [إلى أهل فارس]، ثم بايع الناس، ثم ندب الناس و هو يبايعهم ثلاثا و لا ينتدب أحد إلى فارس، و كانوا أثقل الوجوه على المسلمين و أكرهها إليهم لشدة سلطانهم و شوكتهم و قهرهم الأمم، فلما كان اليوم

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣٣

(١) الرابع ندب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفى، و هو والد المختار، و سعد بن عبيد الأنصارى، و سليط بن قيس، و هو ممن شهد بدرًا، و تتابع الناس.

و تكلم المثنى بن حارثة فقال: أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإننا قد فتحنا ريف فارس و غلبناهم على خير شقى السواد و نلنا [١] منهم و اجترأنا عليهم، و لنا إن شاء الله ما بعدها. فاجتمع الناس، فقليل لعمر:

أمر عليهم رجلا- من السابقين من المهاجرين أو الأنصار. قال: لا و الله لا أفعل، إنما رفعهم «١» الله تعالى بسبقهم و مسارعتهم إلى العدو، فإذا فعل فعلهم قوم و تناقلوا كان الذين ينفرون خفافا و ثقالا و يسبقون إلى الرفع أولى بالرئاسة منهم، و الله لا أوامر عليهم إلا أولهم انتدابا! ثم دعا أبا عبيد، و سعدا و سليطا، و قال لهما: لو سبقتماه لوليتكما و لأدركنما بها إلى ما لكما من السابقة [٢]، فأمر أبا عبيد و قال له: اسمع من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أشركهم فى الأمر، و لم يمنعنى أن أوامر سليطا إلا سرعتته إلى الحرب، و فى التسرع إلى الحرب ضياع الأعراب «٢»، فإنه لا يصلحها إلا الرجل المكيث «٣».

و أوصاه بجنده. فكان بعث أبى عبيد أول جيش سيّره عمر، ثم بعده سيّر يعلى بن منية إلى اليمن و أمره بإجلاء أهل نجران بوصية رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أن لا يجتمع بجزيرة العرب دينان.

[١] و أنلنا.

[٢] المسابقة.

(١). زينهم. B

(٢) الأعرابيان. ddoC

(٣). مكث. B

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣٤

(١)

ذكر خبر التمارق

فسار أبو عبيد الثقفي و سعد بن عبيد و سليط بن قيس الأنصاريان و المثنى بن حارثة الشيباني أحد بني هند من المدينة، و أمر عمر المثنى بالتقدم إلى أن يقدم عليه أصحابه، و أمرهم باستنفاً من حسن إسلامه من أهل الردة. ففعلوا ذلك، و سار المثنى فقدم الحيرة، و كانت الفرس تشاغل عن المسلمين بموت شهريران حتى اصطلحوا على سابور بن شهريار بن أردشير، فثارت به آزرמידخت فقتلته و قتلت الفرخزاد و ملكت بوران، و كانت عدلا بين الناس حتى يسطلحوا، فأرسلت إلى رستم بن الفرخزاد بالخبر و تحته على السير، و كان على فرج خراسان، فأقبل لا- يلقى جيشاً لآزرמידخت إلما هزمه حتى دخل المدائن، فافتتلوا، و هزم سياوخش و حصره و آزرמידخت بالمدائن. ثم افتتحتها رستم و قتل سياوخش و فقاً عين آزرמידخت، و نصب بوران على أن تملكه عشر سنين ثم يكون الملك في آل كسرى إن وجدوا من غلمانهم أحداً و إلأ ففى نسائهم، و دعت مرزبة فارس و أمرتهم أن يسمعوا له و يطبعوا، و توجته، فدانت له فارس قبل قدوم أبي عبيد. و كان منجماً حسن المعرفة به و بالحوادث، فقال له بعضهم: ما حملك على هذا الأمر و أنت ترى ما ترى [١]؟ قال: حب الشرف و الطمع.

ثم قدم المثنى إلى الحيرة في عشر، و قدم أبو عبيد بعده بشهر. فكتب رستم إلى الدهاقين أن يثوروا [٢] بالمسلمين، و بعث في كل رستاق رجلاً يثور [٣]

[١] أرى.

[٢] يؤثروا.

[٣] يؤثر.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣٥

(١) بأهله، فبعث جابان إلى فرات بادقلى، و بعث نرسى إلى كسكر و وعدهم يوماً، و بعث جندا لمصادمة المثنى. و بلغ المثنى الخبر فحذر، و عجل جابان و نزل التمارق، و ثاروا و توالوا على الخروج، و خرج أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله، و خرج المثنى من الحيرة فنزل خفان لئلا يؤتى من خلفه بشيء يكرهه، و أقام حتى قدم عليه أبو عبيد. فلما قدم لبث أياماً يستريح هو و أصحابه، و اجتمع إلى جابان بشر كثير، فنزل التمارق، و سار إليه أبو عبيد فجعل المثنى على الخيل، و كان على مجبتي جابان جشنس «١» ماه و مردان شاه، فافتتلوا بالتمارق قتالاً شديداً، فهزم الله أهل فارس و أسر جابان، أسر مطر بن فضة التيمي، و أسر مردان شاه، أسر أكتل بن شماخ العكلي فقتله.

و أميا جابان فإنه خدع مطرا و قال له: هل لك أن تؤمننى و أعطيك غلامين أمردين خفيفين في عملك و كذا و كذا؟ ففعل، فخلى عنه، فأخذه المسلمون و أتوا به أبا عبيد و أخبروه أنه جابان و أشاروا عليه بقتله. فقال: إنى أخاف الله أن أقتله و قد آمنه رجل مسلم و المسلمون كالجسد الواحد، ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم، و تركوه. و أرسل في طلب المنهزمين حتى أدخلوهم عسكر نرسى و قتلوا منهم.

(أكتل بفتح الهمزة، و سكون الكاف، و فتح التاء المثناة باثنتين من فوقها، و فى آخره لام).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣٦

(١)

ذكر وقعة السقاطية بكسكر

ولحق المنهزمون نحو كسكر وبها نرسى، وهو ابن خاله الملك، وكان له الترسيان، وهو نوع من التمر يحميه، لا يأكله إلا ملك الفرس أو من أكرموه بشيء منه، ولا يغرسه غيرهم، واجتمع إلى النرسى الفالئة، وهو فى عسكره، فسار أبو عبيد إليهم من النمارق فنزل على نرسى بكسكر، وكان المثنى فى تعبيته التى قاتل فيها بالنمارق، وكان على مجبتي نرسى بندويه و تيرويه ابنا بسطام خال الملك، ومعه أهل باروسما والزوابى. ولما بلغ الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان بعثا الجالينوس إلى نرسى فلحقه قبل الحرب، فعاجلهم أبو عبيد، فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية، فاقتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت فارس و هرب نرسى و غلب المسلمون على عسكره و أرضه و جمعوا الغنائم، فرأى أبو عبيد من الأطعمة شيئا كثيرا فنقله من حوله من العرب، و أخذوا الترسيان فأطعموه الفلاحين و بعثوا بخمسه إلى عمر و كتبوا إليه: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة تحميها و أحببنا أن تروها لتشكروا إنعام الله و إفضاله. و أقام أبو عبيد.

و بعث أبو عبيد المثنى إلى باروسما، و بعث والقا إلى الزوابى، و عاصما إلى نهر جوبر «١»، فهزموا من كان تجمّع و أخرجوا و سبوا أهل زندورد و غيرها، و بذل لهم فزوخ و فراونداد عن أهل باروسما و الزوابى و كسكر الجزاء معجلا، فأجابوا إلى ذلك و صاروا صلحا، و جاء فزوخ و فراونداد إلى أبى عبيد بأنواع الطعام و الأخبصة و غيرها، فقال: هل أكرمتم الجند بمثلها؟ فقالوا: لم يتيسر و نحن فاعلون، و كانوا يتربصون قدوم الجالينوس.

(١). جور. P.C. Bte.rB.suM؛ بهرام جور. B؛ حرر. C.P.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣٧

(١) فقال أبو عبيد: لا حاجة لنا فيه، بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوما من بلادهم استأثر عليهم بشيء، و لا و الله لا آكل ما أتيتم به و لا ممّا أفاء الله إلا مثل ما يأكل أوساطهم. فلما هزم الجالينوس أتوه بالأطعمة أيضا، فقال: ما آكل هذا دون المسلمين. فقالوا له: ليس من أصحابك أحد إلا و قد أتى بمثل هذا، فأكل حينئذ.

ذكر وقعة الجالينوس

و لما بعث رستم الجالينوس أمره أن يبدأ بنرسى ثم يقاتل أبا عبيد، فبادره أبو عبيد إلى نرسى فهزمه، و جاء الجالينوس فنزل بباقيساتا [١] من باروسما، فسار إليه أبو عبيد، و هو على تعبيته، فالتقوا بها، فهزمهم المسلمون و هرب الجالينوس و غلب أبو عبيد على تلك البلاد، ثم ارتحل حتى قدم الحيرة، و كان عمر قد قال له: إنك تقدم على أرض المكر و الخديعة و الخيانة و الجبرية، تقدم على قوم تجزّءوا على الشرّ فعلموه و تناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون، و احرز لسانك و لا تفشين سرك، فإن صاحب السرّ ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه، و إذا ضيعه كان بمضيعة.

[١] بباقيساتا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣٨

(١)

ذكر وقعة قسّ الناطف «١» و يقال لها الجسر و يقال المروحة و قتل أبى عبيد بن مسعود

و لما رجع الجالينوس إلى رستم منهزما و من معه من جنده قال رستم: أى العجم أشدّ على العرب؟ قال: بهمن جاذويه المعروف بذى الحاجب، و إنّما قيل له ذو [١] الحاجب لأنّه كان يعصّب حاجبيه بعصابه ليرفعهما كبيرا «٢».

فوجّهه و معه فيله و ردّ الجالينوس معه و قال لبهمن: إن انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه. فأقبل بهمن جاذويه و معه درفش كايان رايه كسرى، و كانت من جلود النمر، عرض ثمانية أذرع، و طول اثني عشر ذراعا، فنزل بقسّ الناطف. و أقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة، فرأت دومة، امرأته أم المختار ابنه، أن رجلا نزل من السماء بإناء فيه شراب، فشرّب أبو عبيد و معه نفر، فأخبرت بها أبا عبيد فقال: لهذه إن شاء الله الشهادة! و عهد إلى الناس فقال: إن قتلت فعلى الناس فلان، فإن قتل فعليهم فلان، حتى أمر الذين شربوا من الإناء، ثم قال: فإن قتل فعلى الناس المشئى.

و بعث إليه بهمن جاذويه: إمّا أن تعبر إلينا و ندعكم و العبور، و إمّا أن تدعوننا نعبّر إليكم. فنهاه الناس عن العبور، و نهاه سليط أيضا، فلجّ و ترك الرأى و قال: لا يكونوا أجراً على الموت منّا. فعبّر إليهم على جسر عقده ابن صلوبا للفريقين، و ضاقت الأرض بأهلها و اقتتلوا، فلمّا نظرت الخيول إلى الفيلة و الخيل عليها التجافيف [٢] رأّت شيئا منكرا لم تكن رأّت مثله،

[١] ذا.

[٢] (التجافيف، واحدها التجفاف: من آلات الحرب توضع على الفرس يتقى بها كالدرع للإنسان).

(١). الناطق. ddoC.

(٢). كثيرا. ddoC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٣٩

(١) [فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم] لم [١] تقدم عليهم [خيولهم]، و إذا حملت الفرس على المسلمين بالفيلة و الجلاجل فرقت خيولهم و كراديسهم و رموهم بالنشاب. و اشتدّ الأمر بالمسلمين، فترجّل أبو عبيد و الناس ثم مشوا إليهم ثم صافحوهم بالسيوف، فجعلت الفيلة لا- تحمل على جماعة إلّا دفعتهم، فنادى أبو عبيد: احتوشوا الفيلة و اقطعوا بطانها و اقلبوا عنها أهلها، و وثب هو على الفيل الأبيض فقطع بطانه و وقع الذين عليه، و فعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا إلّا حطّوا رحله و قتلوا أصحابه. و أهوى الفيل لأبى عبيد فضربه أبو عبيد بالسيف و خبطه الفيل بيده فوق فوطئه الفيل و قام عليه. فلمّا بصر به الناس تحت الفيل خشعت أنفسهم بعضهم، ثم أخذ اللواء الذى [كان] أمره بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبى عبيد، فأخذه المسلمون فأحرزوه، ثم قتل الفيل الأمير الذى بعد أبى عبيد و تتابع سبعة أنفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء و يقاتل حتى يموت، ثم أخذ اللواء المشئى فهرب عنه الناس.

فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفى ما لقى أبو عبيد و خلفاؤه و ما يصنع الناس بادرهم إلى الجسر فقطعه و قال: يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا! و حاز المشركون المسلمين إلى الجسر، فتواثب بعضهم إلى الفرات فغرق من لم يصبر و أسرعوا فيمن صبر، و حمى المشئى و فرسان من المسلمين الناس و قال: إنّنا دونكم فاعبروا على هينتكم [٢] و لا تدهشوا و لا تغزقوا نفوسكم. و قاتل عروة بن زيد الخيل قتالا شديدا و أبو محجن الثقفى، و قاتل أبو زيد الطائى حمية للعريبة، و كان نصرانيا قدم الحيرة لبعض

[١] فلم.

[٢] هنتكم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤٠

(١) أمره، و نادى المثنى: من عبر نجا «١». فجاء العلوج فعدوا الجسر و عبر الناس.

و كان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس، و عبر المثنى و حمى جانبه، فلما عبر ارفض عنه أهل المدينة و بقى المثنى فى قلعة، و كان قد جرح و أثبت فيه حلق من درعه.

و أخبر عمر عمّن سار فى البلاد من الهزيمة استحياء، فاشتد عليه و قال:

اللهم إن كل مسلم فى حلّ منى، أنا فئه كل مسلم، يرحم الله أبا عبيد! لو كان انحاز إلى لكنت له فئه.

و هلك من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل و غريق، و هرب ألفان و بقى ثلاثة آلاف، و قتل من الفرس ستة آلاف. و أراد بهمن جاذويه العبور خلف المسلمين فاتاه الخبر باختلاف الفرس و أنهم قد ثاروا برستم و نقضوا الذى بينهم و بينه و صاروا فريقين: الفهلوج على رستم، و أهل فارس على الفيرزان، فرجع إلى المدائن.

و كانت هذه الوقعة فى شعبان.

و كان فيمن قتل بالجسر عقبه و عبد الله ابنا قبطى بن قيس، و كانا شهدا أحدا، و قتل معهما أخوهما عبّاد و لم يشهد معهما أحدا، و قتل أيضا قيس ابن السكن بن قيس أبو زيد الأنصارى، و هو بدرى لا عقب له، و قتل يزيد بن قيس بن الحطيم الأنصارى، شهد أحدا، و فيها قتل أبو أمية الفزارى، له صحبة، و الحكم بن مسعود أخو أبى عبيد، و ابنه جبر «٢» بن الحكم ابن مسعود.

(١). غير و من المسلمين. P.C.

(٢). حى. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤١

(١)

ذكر خبر أليس الصغرى

لما عاد ذو الحجاب لم يشعر جابان و مردان شاه بما جاءه من الخبر، فخرجا حتى أخذوا بالطريق، و بلغ المثنى فعلهما فاستخلف على الناس عاصم بن عمرو و خرج فى جريدة خيل يريد هما، فظنّا أنّه هارب فاعتراضاه، فأخذهما أسيرين، و خرج أهل أليس [١] على أصحابهما فأتوه بهم أسرى، و عقد لهم بها ذمة و قتلها و قتل الأسرى. و هرب أبو محجن من أليس و لم يرجع مع المثنى بن حارثة.

ذكر وقعة البويب

لما بلغ عمر خبر وقعة أبى عبيد بالجسر ندب الناس إلى المثنى، و كان فيمن ندب بجيلة، و أمرهم إلى جرير بن عبد الله لأنه كان قد جمعهم من القبائل و كانوا متفرقين فيها، فسأل النبى، صلى الله عليه و سلم، أن يجمعهم فوعده ذلك، فلما ولى أبو بكر تقاضاه بما وعده النبى، صلى الله عليه و سلم، فلم يفعل، فلتى ولى عمر طلب منه ذلك فكتب إلى عمّاله: إنّه من كان ينسب إلى بجيلة فى الجاهلية و ثبت عليه فى الإسلام فأخرجوه إلى جرير، ففعلوا ذلك، فلما اجتمعوا أمرهم عمر بالعراق، و أبوا إلّا الشام، فعزم عمر على العراق و ينفلهم ربع الخمس، فأجابوا، و سيرهم إلى المثنى بن حارثة، و بعث عصمة بن عبد الله الضببى فيمن تبعه إلى المثنى، و كتب إلى أهل الردة

[١] الليس.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤٢

(١) فلم يأتته أحد إلا رمى به المثنى، وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا إليه فى جمع عظيم. و كان فيمن جاءه أنس بن هلال النمريّ فى جمع عظيم من النمر نصارى و قالوا: نقاتل مع قومنا.

و بلغ الخبر رستم و الفيرزان فبعثا مهران الهمذانيّ إلى الحيرة، فسمع المثنى ذلك و هو بين القادسيّة و خفّان فاستبطن فرات بادقلى و كتب إلى جرير و عصمة و كلّ من أتاه ممداً له يعلمهم الخبر و يأمرهم بقصد البويب فهو الموعد، فانتهاوا إلى المثنى و هو بالبويب و مهران يازائه من وراء الفرات، فاجتمع المسلمون بالبويب ممّا يلي الكوفة اليوم، و أرسل مهران إلى المثنى يقول: إمّا أن تعبر إلينا و إمّا أن نعبّر إليك. فقال المثنى: اعبروا. فعبّر مهران فنزل على شاطئ الفرات، و عبى المثنى أصحابه، و كان فى رمضان، فأمرهم بالإفطار ليقووا على عدوّهم، فأفطروا. و كان على مجبتيّ المثنى بشير بن الخصاصيّة و بسر بن أبى رهم، و على مجرّده المعنى أخوه، و على الرّجل مسعود أخوه، و على الرّداء [١] مدعور، و كان على مجبتيّ مهران بن الازاذبه مرزبان الحيرة و مردان شاه. و أقبل الفرس فى ثلاثه صفوف مع كلّ صفّ فيل و رجلهم أمام فيلهم و لهم زجل، فقال المثنى للمسلمين: إنّ الذى تسمعون فشل فالزموا الصمت. و دنوا من المسلمين و طاف المثنى فى صفوفه يعهد إليهم و هو على فرسه الشّمس، و إنّما سمى بذلك لئنه، و كان لا يركبه إلا إذا قاتل، فوقف على الرايات يحزّضهم و يهزّهم، و لكلّهم يقول: إننى لأرجو أن لا- يؤتى النّاس من قبلكم اليوم، و الله ما يسرّنى اليوم لنفسى شىء إلا و هو يسرّنى لعامتكم. فيجيبونه بمثل ذلك، و أنصفهم من نفسه فى القول و الفعل، و خلط النّاس فى المحبوب و المكروه فلم يقدر أحد أن يعيب له قولاً و لا فعلاً و قال:

[١] الرّد.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤٣

(١) إننى مكبر ثلاثاً فتهيئوا ثمّ احملوا فى الرابعة. فلما كبر أوّل تكبيره أعجلتهم فارس و خالطوهم و ركدت خيلهم و حربهم ملياً، فرأى المثنى خللاً فى بنى عجل فجعل يمدّ لحيته لما يرى منهم و أرسل إليهم يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام و يقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم. فقالوا: نعم، و اعتدلوا. فضحك فرحاً.

فلما طال القتال و اشتدّ قال المثنى لأنس بن هلال النمريّ: إنك امرؤ عربىّ و إن لم تكن على ديننا، فإذا حملت على مهران فاحمل معى، فأجابته، فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل فى ميمنته، ثمّ خالطوهم و اجتمع القلبان و ارتفع الغبار و المجنّبات تقتل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم لا المسلمون و لا المشركون، و ارتث مسعود أخو المثنى يومئذ و جماعة من أعيان المسلمين، فلما أصيب مسعود تضعع من معه، فقال: يا معشر بكر ارفعوا رايتكم رفعكم الله و لا يهولنكم مصرعى! و كان المثنى قال لهم: إذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه، الزموا مصافكم و أغنوا غناء [١] من يليكم.

و أوجع قلب المسلمين فى قلب المشركين، و قتل غلام نصرانيّ من تغلب مهران و استوى على فرسه، فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله، و كان التغلبىّ قد جلب خيلاً- هو و جماعة من تغلب، فلما رأوا القتال قاتلوا مع العرب، قال: و أفنى المثنى قلب المشركين و المجنّبات بعضها يقاتل بعضها. فلما رأوه قد أزال القلب و أفنى أهله و ثب مجنّبات المسلمين على مجنّبات المشركين و جعلوا يردّون الأعاجم على أديبارهم، و جعل المثنى و المسلمون فى القلب يدعون لهم بالنصر و يرسل إليهم من يذمرهم و يقول لهم: عاداتكم فى أمثالهم، انصروا الله ينصركم، حتى هزموا الفرس، و سبقهم المثنى إلى الجسر و أخذ طريق الأعاجم، فافترقوا

[١] عَنَّا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤٤

(١) مصعدين و منحدرين، و أخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم و جعلوهم جثًا «١» [١].

فما كانت بين المسلمين و الفرس وقعة أبقي رمّة منها، بقيت عظام القتلى دهرًا طويلًا، و كانوا يحزرون القتلى مائة ألف، و سمى ذلك اليوم الأعشار، أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة. و كان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة، و غالب الكنانى و عرفجة الأزدي من أصحاب التسعة. و قتل المشركون فيما بين السكون اليوم و ضفة الفرات و تبعهم المسلمون إلى الليل و من الغد إلى الليل. و ندم المثنى على أخذه بالجسر و قال: عجزت عجزه و قى الله شرّها بمسابقتى إياهم إلى الجسر حتى أخرجتهم، فلا تعودوا أيها الناس إلى مثلها فإنها كانت زلة فلا ينبغي إخراج من لا يقوى على امتناع.

و مات أناس من الجرحى، منهم: مسعود أخو المثنى، و خالد بن هلال، فصلّى عليهم المثنى و قال: و الله إنّه ليهوّن و جدى أن صبروا و شهدوا البويب و لم ينكلوا.

و كان قد أصاب المسلمون غنما و دقيقا و بقرا فبعثوا به إلى عيال من قدم من المدينة و هم بالقوادس. و أرسل المثنى الخيل فى طلب العجم فبلغوا السيب «٢» و غنموا من البقر و السبى و سائر الغنائم شيئا كثيرا، فقسمه فيهم و نفل أهل البلاد و أعطى بجيلة ربع الخمس، و أرسل الذين تبعوا المنهزمين إلى المثنى يعزّفونه سلامتهم و أنّه لا مانع دون القوم و يستأذنونه فى الإقدام، فأذن لهم، فأغاروا «٣» حتى بلغوا ساباط، و تحصّن أهلهم منهم و استباحوا القرى ثمّ مخروا

[١] جثيا. (و الجث: ما أشرف من الأرض حتى يكون كأكمة صغيرة).

(١). جثما. B.

(٢). البر. B.

(٣). فساروا. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤٥

(١) السواد فيما بينهم و بين دجلة لا يخافون كيدا و لا يلقون مانعا، و رجعت مسالح العجم إليهم، و سرّهم أن يتركوا ما وراء دجلة.

(بسر بن أبى رهم بضمّ الباء الموحّدة، و سكون السين المهملة).

ذكر خبر الخنافس و سوق بغداد

ثمّ خلف المثنى بالحيرة بشير بن الخصاصية، و سار يمخر السواد، و أرسل إلى ميسان و دستميان و أذكى المسالح و نزل أليس [١]، قرية من قرى الأنبار، و هذه الغزوة تدعى غزوة الأنبار الآخرة و غزوة أليس [١] الآخرة.

و جاء إلى المثنى رجلا من أحدهما أنبارى فدله على سوق الخنافس، و الثانى حيرى «١» دله على بغداد، فقال المثنى: أيتها قبل صاحبتهما [٢]؟ فقالا: بينهما مسيرة أيام. قال: أيهما أعجل؟ قالوا: سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى و السواد و ربيعة و قضاة يخفرونهم. فركب المثنى و أغار على الخنافس يوم سوقها و بها خيلان من ربيعة و قضاة، و على قضاة رومانس بن وبره، و على ربيعة السليل بن قيس و هم الخفراء، فانتسف «٢» السوق و ما فيها و سلب الخفراء. ثمّ رجع فأتى الأنبار فتحصّن أهلها منه، فلمّا عرفوه نزلوا إليه و أتوه بالأعلاف و الزاد، و أخذ منهم الأدلاء على سوق بغداد و أظهر لدهقان الأنبار أنّه يريد المدائن، و سار منها إلى بغداد

ليلا و عبر إليهم و صَبَّحهم فى أسواقهم فوضع السيف فيهم و أخذ ما شاء. و قال المثنى: لا تأخذوا إلّا

[١] اللّيس.

[٢] صاحبتهما.

(١). جسرى: ٢٢٨. P, II. tsirebaT. خيرى. B.

(٢). فانتهب. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤٦

(١) الذهب و الفضّة و الحرّ [١] من كلّ شىء. ثمّ عاد راجعا حتى نزل بنهر السالحين [٢] بالأنبار، فسمع أصحابه يقولون: ما أسرع القوم فى طلبنا، فخطبهم و قال:

احمدوا الله و سلوه العافية و تناجوا بالبرّ و التقوى و لا تتناجوا بالإثم و العدوان، انظروا فى الأمور و قدروها ثمّ تكلموا. إنّه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد، و لو بلغهم لحال الرّعب بينهم و بين طلبكم. إنّ للغارات روعات تضعف القلوب يوما إلى الليل، و لو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوكم و أنتم على العراب «١» [٣] حتى تنتهوا إلى عسكركم، و لو أدركوكم لقاتلتهم التماس الأجر و رجاء النصر، فثقوا بالله و أحسنوا به الظنّ، فقد نصركم فى مواطن كثيرة.

ثمّ سار بهم إلى الأنبار، و كان من خلفه من المسلمين يمخرون السواد و يشنون الغارات ما بين أسفل كسكر و أسفل الفرات، و جسّوا مثقبا إلى عين التمر و فى أرض الفلاليج، و المثنى بالأنبار.

و لما رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار بعث المضارب العجلّى فى جمع إلى الكباث و عليه فارس العناب التغلبى، ثمّ لحقهم المثنى فسار معهم، فوجدوا الكباث قد سار من كان به «٢» عنه و معهم فارس العناب، فسار المسلمون خلفه فلحقوه و قد رحل من الكباث، فقتلوا فى أخريات أصحابه و أكثروا القتل.

فلما رجعوا إلى الأنبار سرح فرات بن حيان التغلبى و عتيبة بن النّهاس و أمرهما بالغاثة على أحياء من تغلب بصقّين ثمّ اتبعهما المثنى و استخلف على

[١] و الخزّ. (و الحرّ من كل شىء: خياره و طيبه).

[٢] (يقول ياقوت فى معجم البلدان: «الحين، و العامّة تقول صالحين، و كلاهما خطأ و إنما هو السّليحين).

[٣] العرب. (و العراب من الخيل و الإبل: الكرائم السالمة من الهجنه).

(١). الفرات. B.

(٢). يذب

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤٧

(١) الثّياس عمرو بن أبى سلمى الهجيمى. فلما دنوا من صفّين فرّ من بها و عبروا الفرات إلى الجزيرة، و فنى الزاد الّذى مع المثنى و أصحابه، فأكلوا رواحلهم إلّا ما لا بدّ منه حتى جلودها، ثمّ أدركوا عيرا من أهل دبا و حوران فقتلوا من بها و أخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء و أخذوا العير، فقال لهم: دلّونى. فقال أحدهم: آمنونى على أهلى و مالى و أدلكم على حىّ من تغلب. فأمنه المثنى و سار معهم يومه، فهجم العشىّ على القوم و التّعّم صادرة عن الماء و أصحابها جلوس بأفنية البيوت، فقتل المقاتلة و سبى الدرزيّة و استاق

الأموال، و كان التغلبيون بنى ذى الزويحله، فاشترى من كان مع المثنى من ربيعة السبايا بنصيبه من الفىء و أعتقوهم، و كانت ربيعة لا تسابى إذ العرب يتسابون فى جاهليتهم.

و أخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد قد انتجع شاطئ دجلة، فخرج المثنى و على مجنبيه النعمان بن عوف و مطر الشيبانيان، و على مقدمته حذيفة بن محصن الغلفاني، فساروا فى طلبهم فأدر كوههم بتكرت، فأصابوا ما شاءوا من النعم، و عاد إلى الأنبار. و مضى عتيبة و فرات و من معهما حتى أغاروا على صقين و بها التمر و تغلب متساندين، فأغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم فى الماء، فجعلوا ينادونهم: الغرق الغرق! و جعل عتيبة و فرات يذمران الناس و يناديانهم: تغريق بتحريق! يذكراهم يوما من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قوما من بكر بن وائل فى غيضة من الغياض. ثم رجعوا إلى المثنى و قد غرقوهم، و قد بلغ الخبر عمر فبعث إلى عتيبة و فرات فاستدعاهما فسألهما عن قولهما، فأخبراه أنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل إنما هو مثل. فاستحلفهما و ردهما إلى المثنى.

(عتيبة بن النّھاس، بالتاء المثناة من فوقها، و الياء المثناة من تحتها، و الباء الموحدة).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤٨

(١)

ذكر الخبر عن الذى هيج أمر القادسيّة و ملك يزدجرد

لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم و الفيرزان، و هما على أهل فارس: لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس و أطمعنا فيهم عدوهم، و لم يبلغ من أمركما أن نقر كما على هذا الرأى و أن تعرّضاها للهلكة، ما بعد بغداد و ساباط و تكريت إلا المدائن، و الله لتجتمعان أو لبدأن بكما ثم نهلك و قد اشتفينا منكما. فقال الفيرزان و رستم لبوران ابنه كسرى: اكتبى لنا نساء كسرى و سراريه و نساء آل كسرى و سراريهم، ففعلت، فأحضروهن جميعهنّ و أخذوهنّ بالعذاب يستدلّونهنّ على ذكر من أبناء كسرى، فلم يوجد عند واحدة منهنّ أحد، و قال بعضهنّ: لم يبق إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى و أمه من أهل بادوريا.

فأرسلوا إليها و طلبوه منها، و كانت قد أنزلته أيام شيرى حين جمعهنّ فقتل الذكور، و أرسلته إلى أخواله، فلما سألوها عنه دلّتهم عليه، فجاءوا به فملكوه و هو ابن إحدى و عشرين سنة و اجتمعوا عليه، فاطمأنت فارس و استوثقوا و تبارى المرازبة فى طاعته و معونته فسمّى الجنود لكلّ مسلحة و ثغر، فسمّى جند الحيرة و الأبله و الأنبار و غير ذلك.

و بلغ ذلك من أمرهم المثنى و المسلمين، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب بما ينتظرون من أهل السواد، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد من كان له عهد و من لم يكن له عهد، فخرج المثنى حتى نزل بذي قار و نزل الناس بالطف فى عسكر واحد. و لما وصل كتاب المثنى إلى عمر قال:

و الله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب! فلم يدع رئيسا و لا ذا رأى و ذا شرف و بسطة و لا خطيبا و لا شاعرا إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس و غرهم. و كتب عمر إلى المثنى و من معه يأمرهم بالخروج من بين العجم

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٤٩

(١) و التفرق فى المياه التى تلى العجم، و أن لا يدعوا فى ربيعة و مضر و حلفائهم أحدا من أهل النجدات و لا فارسا إلا أحضروه إمّا طوعا أو كرها. و نزل الناس بالخلّ و شراف إلى غصى، و هو جبل البصرة، و بسلمان، بعضهم ينظر إلى بعض و يغيب بعضهم بعضا، و ذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة. و أرسل عمر فى ذى الحجّة من السنة مخرجه إلى الحجّ إلى عماله على العرب أن لا يدعوا من له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأى إلا وجهوه إليه، فأما من كان على النصف «١» ما بين المدينة و العراق فجاء إليه بالمدينة لما عاد من

الحج، و أما من كان أقرب إلى العراق فانضم إلى المشى بن حارثة، و جاءت أمداد العرب إلى عمر. و حج في هذه السنة عمر بن الخطاب بالناس و حج سنه كلها.

و كان عامل عمر على مكة هذه السنة عتاب بن أسيد فيما قال بعضهم، و على الطائف عثمان بن أبى العاص، و على اليمن يعلى بن مينة، و على عمان و اليمامة حذيفة بن محصن، و على البحرين العلاء بن الحضرمي، و على الشام أبو عبيدة بن الجراح، و على فرج «٢» الكوفة و ما فتح من أرضها المشى ابن حارثة، و كان على القضاء فيما ذكر على بن أبى طالب.

و فى هذه السنة مات أبو كبشة مولى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و قيل بعد ذلك. و فى خلافة أبى بكر مات سهل بن عمرو أخو سهيل، و هو من مسلمة الفتح. و فى خلافة مات الصعب بن جثامة الليثي. و فى أول خلافة مات ابنه عبد الله بن أبى بكر، و كان قد جرح فى حصار الطائف ثم انتقض عليه جرحه فمات. و فى هذه السنة توفى الأرقم بن أبى الأرقم يوم مات أبو بكر، و هو الذى كان رسول الله، صلى الله عليه و سلم، مستخفيا بداره بمكة أول ما أرسل.

(١). الثقف. B.

(٢). مرج. B؛ فتح. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥٠

(١)

١٤ ثم دخلت سنة أربع عشرة

ذكر ابتداء أمر القادسية

لما اجتمع الناس إلى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى صرارا [١]، فعسكر به و لا يدرى الناس ما يريد أم يقيم، و كانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شىء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف، فإن لم يقدر هذان على علم شىء مما يريد ثلثوا بالعباس بن عبد المطلب، فسأله عثمان عن سبب حركته، فأحضر الناس فأعلمهم الخبر و استشارهم فى المسير إلى العراق، فقال العامة: سر و سر بنا معك. فدخل معهم فى رأيهم و قال: اغدوا و استعدوا فإنى سائر إلا أن يجيء رأى هو أمثل من هذا. ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أرسل إلى على، و كان استخلفه على المدينة، فأتاه، و إلى طلحة، و كان على المقدمة، فرجع إليه، و إلى الزبير و عبد الرحمن، و كانا على المجنبتين، فحضرا، ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و يرميه بالجنود، فإن كان الذى يشتهى فهو الفتح و إلا أعاد رجلا و بعث «١» آخر ففى ذلك غيظ العدو.

[١] ضرار.

(١). جندا. P. C. dda

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥١

(١) فجمع عمر الناس و قال لهم: إني كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذوو الرأى منكم، و قد رأيت أن أقيم و أبعث رجلا فأشيروا على برجل.

و كان سعد بن أبى وقاص على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر بانتخاب ذوى الرأى و النجدة و السلاح فجاءه كتاب سعد، و عمر

يستشير الناس فيمن يبعثه، يقول: قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة و رأى و صاحب حيطه يحوط حريم قومه، إليهم انتهت أحسابهم و رأيهم. فلما وصل كتابه قالوا لعمر:

قد وجدته. قال: من هو؟ قالوا: الأسد عادي سعد بن مالك، فأنتهى إلى قولهم و أحضره و أمره على حرب العراق و وصاه و قال: لا يغزئك من الله أن قيل خال رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و صاحب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ و لكنّه يمحو السيئ بالحسن، و ليس بين الله و بين أحد نسب إلّا طاعته، فالتناس في ذات الله سواء، الله ربهم و هم عباده يتفاضلون بالعافية و يدركون [١] ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله، صلى الله عليه و سلم، يلزمه فالزمه. و وصاه بالصبر و سرحه فيمن اجتمع إليه من نفر المسلمين، و هم أربعة آلاف، فيهم حميضة بن النعمان بن حميضة على بارق، و عمرو بن معديكرب، و أبو سبرة بن ذؤيب على مذحج، و يزيد بن الحارث الصدائي على صداء، و حبيب و مسلية و بشر بن عبد الله الهلالي في قيس عيلان.

و خرج إليهم عمر فمّر بفتية من السّكون مع حصين بن نمير و معاوية ابن حديج دلم [٢] سباط فأعرض عنهم، فقيل له: ما لك و هؤلاء؟ فقال:

ما مري قوم من العرب أكره إليّ منهم. ثم أمضاهم فكان بعد يذكرهم بالكرهه، فكان منهم سودان بن حمران قتل عثمان، و ابن ملجم قتل

[١] و يذكرون.

[٢] (دلم، جمع أدلم، و هو الطويل).

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥٢

(١) عليا، و معاوية بن حديج جرد السيف في المسلمين يظهر الأخذ بئار عثمان، و حصين بن نمير كان أشد الناس في قتال علي. ثم إن عمر أخذ بوصيتهم و بعظمتهم ثم سيرهم، و أمّد عمر سعدا بعد خروجه بألفي يمانّي و ألفي نجدّي، و كان المثني بن حارثة في ثمانية آلاف، و سار سعد و المثني ينتظر قدومه، فمات المثني قبل قدوم سعد من جراحة انتقضت عليه، و استخلف على الناس بشير بن الخصاصية و سعد يومئذ بزور و قد اجتمع معه ثمانية آلاف، و أمر عمر بنى أسد أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن و البسيطة، فنزلوا في ثلاثة آلاف، و سار سعد إلى شراف فنزلها و لحقه بها الأشعث بن قيس في ألف و سبعمائة من أهل اليمن، فكان جميع من شهد القادسية بضعة و ثلاثين ألفا، و جميع من قسم عليه فيئها نحو من ثلاثين ألفا.

و لم يكن أحد أجراً على أهل فارس من ربيعه، فكان المسلمون يسمونهم ربيعه الأسد إلى ربيعه الفرس، و لم يدع عمر ذا رأى و لا شرف و لا خطيبا و لا شاعرا و لا وجيها من وجوه الناس إلّا سيره إلى سعد. و جمع سعد من كان بالعراق من المسلمين من عسكر المثني، فاجتمعوا بشراف، فعتيأهم و أمر الأمراء و عرّف على كلّ عشرة عريفا، و جعل على الرايات رجالا من أهل السابقة، و ولي الحروب رجالا- على ساقتها و مقدّمها و رجلها و طلائعها و مجنّباتها، و لم يفصل إلّا بكتاب عمر، فجعل على المقدّمة زهرة بن عبد الله ابن قتادة بن الحويّرة، فأنتهى إلى العذيب، و كان من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و جعل على الميمنة عبد الله بن المعتم، و كان من الصحابة أيضا، و استعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي، و جعل خليفته خالد بن عرفطه حليف بنى عبد شمس، و جعل عاصم بن عمرو التميمي على الساقه، و سواد بن مالك التميمي على الطلائع، و سلمان بن ربيعه الباهلي

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥٣

(١) على المجردة، و على الرّجالة حمّال بن مالك الأسدي، و على الركبان عبد الله ابن ذى السهمين الحنفي، و جعل عمر على القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعه الباهلي، و على قسمة الفىء أيضا، و جعل رائدهم و داعيتهم سلمان الفارسي، و الكاتب زياد بن أبيه.

وقدم المعنى بن حارثة الشيباني و سلمى بنت خصفة زوج المثني بشراف، و كان المعنى بعد موت أخيه قد سار إلى قابوس بن قابوس بن المنذر بالقادسية، و كان قد بعثه إليها الفرس يستنفر العرب، فسار إليه المعنى ففقله فأنامه [١] و من معه، و رجع إلى ذى قار و سار إلى سعد يعلمه برأى المثني له و للمسلمين يأمرهم أن يقاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب و لا يقاتلوهم [٢] بعقر دارهم، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم، و إن كانت الأخرى رجعوا إلى فته ثم يكونوا أعلم بسيلهم و أجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكثرة عليهم. فترحم سعد و من معه على المثني، و جعل المعنى على عمله و أوصى بأهل بيته خيرا، ثم تزوج سعد سلمى زوج المثني. و كان معه تسعة و تسعون بدرية و ثلاثمائة و بضعة عشر مئة كانت له صحبة فيما بين بيعه الرضوان إلى ما فوق ذلك، و ثلاثمائة مئة شهد الفتح، و سبعمئة من أبناء الصحابة.

و قدم على سعد كتاب عمر بمثل رأى المثني، و كتب عمر أيضا إلى أبى عبيدة ليصرف أهل العراق و من اختار أن يلحق بهم إلى العراق. و كان للفرس رابطة بقصر ابن مقاتل عليها النعمان بن قبيصة الطائي، و هو ابن عم قبيصة ابن إياس صاحب الحيرة، فلما سمع بمجيء سعد سأل عنه و عنده عبد الله بن سنان بن خزيم الأسدي، فقيل: رجل من قريش. فقال: و الله لأحاده

[١] فأقامه. (و أنامه: قتله).

[٢] يقاتلوهم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥٤

(١) القتال فإن قريشا عبيد من غلب، و الله لا يخرجون من بلادهم إلا بخفين «١»! فغضب عبد الله بن سنان من قوله و أمهله حتى دخل قبتة فقتله و لحق بسعد و أسلم.

و سار سعد من شراف فنزل العذيب، ثم سار حتى نزل القادسية بين العتيق و الخندق بحيال القنطرة و قديس أسفل منها بميل. و كتب عمر إلى سعد:

إنى ألقى فى روعى أنكم إذا لقيتم العدو هزمتوهم، فمتى لاعب أحد منكم أحدا من العجم بأمان أو بإشارة أو بلسان كان عندهم أمانا فأجروا له ذلك مجرى الأمان و الوفاء، فإن الخطأ بالوفاء بقيته، و إن الخطأ بالغدر هلكه، و فيها و هنكم و قوّة عدوكم. فلما نزل زهرة فى المقدمة و أمسى بعث سرية فى ثلاثين معروفين بالنجدة و أمرهم بالغارة على الحيرة، فلما جازوا السيلحين سمعوا جلبة فمكثوا حتى حاذوهم، و إذا أخت آزاد مرد بن آزادبه مرزبان الحيرة تزف إلى صاحب الصيئين، و هو من أشراف العجم، فحمل بكير ابن عبد الله الليثي أمير السرية على شيرزاد بن آزادبه فدقّ صلبه و طارت الخيل على وجوهها و أخذوا الأثقال و ابنه آزادبه فى ثلاثين امرأة «٢» من الدهاقين و مائة من التوابع و معهم ما لا يدري قيمته، فاستاق ذلك و رجع فصبح سعدا بعذيب الهجانات، فقسم ذلك على المسلمين و ترك الحريم بالعذيب و معها خيل تحوطها، و أمر عليهم غالب بن عبد الله الليثي.

و نزل سعد القادسية و أقام بها شهرا لم يأت من الفرس أحد. فأرسل سعد عاصم ابن عمرو إلى ميسان، فطلب غنما أو بقرا فلم يقدر عليها و تحصن منه من هناك، فأصاب عاصم رجلا بجانب أجمه، فسأله عن البقر و الغنم، فقال: ما أعلم.

فصاح ثور من الأجمه: كذب عدو الله، ها نحن! فدخل فاستاق البقر فأتى بها العسكر قسمه سعد على الناس فأخصبوا أياما. فبلغ ذلك الحجاج فى

(١). لحقير. B.

(٢). امرأه. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥٥

(١) زمانه فأرسل إلى جماعة فسألهم، فشهدوا أنهم سمعوا ذلك و شاهدوه، فقال: كذبتهم. قالوا: ذلك إن كنت شهدتها و غبنا عنها. قال: صدقتم، فما كان الناس يقولون في ذلك؟ قالوا: و إنه يستدل بها على رضى الله و فتح عدونا.

فقال: ما يكون هذا إلا و الجمع أبرار أتقياء. قالوا: ما ندري ما أجتت قلوبهم، فأما ما رأينا فما رأينا قط أزهدي في دنيا منهم و لا أشد بغضا لها، ليس فيهم جبان و لا عار «١» و لا غدار. و ذلك يوم الأباقر «٢».

و بث سعد الغارات و النهب بين كسكر و الأنبار، فحووا من الأطعمة ما استكفوا به زمانا، و كان بين نزول خالد بن الوليد العراق و بين نزول سعد القادسيه و الفراغ منها سنتان و شىء، و كان مقام سعد بالقادسيه شهرين و شيئا حتى ظفر.

فاستغاث أهل السواد إلى يزدجرد و أعلموه أن العرب قد نزلوا القادسيه و لا يبقى على فعلهم شىء و قد أخرجوا ما بينهم و بين الفرات و نهبوا الدواب و الأطعمة، و إن أبطأ الغياث أعطيناهم بأيدينا، و كتب إليه بذلك الذين لهم الضياع بالطف و هيجوه على إرسال الجنود. فأرسل يزدجرد إلى رستم، فدخل عليه فقال: إني أريد أن أوجهك في هذا الوجه، فأنت رجل فارس اليوم و قد ترى ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله، فأظهر له الإجابة ثم قال له: دعني فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضربهم بى، و لعل الدولة أن تثبت بى إذا لم أحضر الحرب فيكون الله قد كفى و نكون قد أصبنا المكيدة، و رأى في الحرب أنفع من بعض الظفر، و الأناة خير من العجلة، و قتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمره و أشد على عدونا. فأبى عليه، و أعاد رستم كلامه و قال: قد اضطرني تضييع الرأى إلى إعظام نفسى و تركيتها، و لو أجد من ذلك بدا لم أتكلّم به، فأنشذك الله في نفسك و ملكك دعني أقم بعسكرى

(١). غال. B.

(٢). الأنافر. P. C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥٦

(١) و أصرّح الجالينوس، فإن تكن لنا فذلك و إلا بعثنا غيره حتى إذا لم نجد بدا صبرنا لهم و قد وهنّاهم و نحن حامون، فإني لا أزال مرجوا في أهل فارس ما لم أهزم. فأبى إلا أن يسير، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط و أرسل الى الملك ليعفيه فأبى.

و جاءت الأخبار إلى سعد بذلك، فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر:

لا- يكربتك ما يأتيك عنهم و استعن بالله و توكل عليه و ابعث إليه رجالا من أهل المناظرة و الرأى و الجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاهم توهينا لهم.

فأرسل سعد نفرا، منهم: النعمان بن مقرن، و بسر بن أبى رهم، و حملة بن حويّة، و حنظلة بن الربيع، و فرات بن حيان، و عدى بن سهيل، و عطارد بن حاجب، و المغيرة بن زراره بن التباش الأسدي، و الأشعث بن قيس، و الحارث بن حسان، و عاصم بن عمرو، و عمرو بن معديكرب، و المغيرة بن شعبه، و المعنى بن حارثة إلى يزدجرد دعاء، فخرجوا من العسكر فقدموا على يزدجرد و طووا رستم و استأذنوا على يزدجرد فحبسوا، و أحضر وزراءه و رستم معهم و استشارهم فيما يصنع و يقوله لهم.

و اجتمع الناس ينظرون إليهم و تحتهم خيول كلها صهال، و عليهم البرود و بأيديهم السياط، فأذن لهم و أحضر الترجمان و قال له: سلهم ما جاء بكم و ما دعاكم إلى غزونا و الولوع ببلادنا؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فقال النعمان بن مقرن لأصحابه: إن شئتم تكلمت عنكم، و من شاء آثرته. فقالوا: بل تكلم. فقال: إن الله رحمننا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير و ينهانا عن الشر، و وعدنا على إجابته خير الدنيا و الآخرة، فلم يدع قبيلة إلا و قاربه منها فرقة و تباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن ينبذ «١» إلى من خالفه من العرب، فبدأ بهم، فدخلوا معه على وجهين: مكره عليه فاغتبط، و طائع [أناه]

(١) نبتأ.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥٧

(١) فارداد، فعرنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كئنا عليه من العداوة و الضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا و هو دين حسن الحسن و قبح القبيح كله، فإن أبيت فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزية، فإن أبيت فالمناجزة، فإن أجبت إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله و أقمنا على أن تحكموا بأحكامه و نرجع عنكم و شأنكم و بلادكم، و إن بدلتكم الجزاء قبلنا و منعناكم، و إلّا قاتلناكم.

فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم فى الأرض أمية كانت أشقى و لا أقل عددا و لا أسوأ ذات بين منكم، قد كئنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم، و لا تطمعوا أن تقوموا لفارس [١]، فإن كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا، و إن كان الجهد فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم و أكرمنا و جوهكم و كسوناكم و ملكنا عليكم ملكا يرفق بكم.

فأسكت القوم، فقام المغيرة بن زرارة فقال: أيها الملك إن هؤلاء رءوس العرب و جوههم و هم أشراف يستحيون من الأشراف، و إنما يكرم الأشراف و يعظم حقهم الأشراف، و ليس كل ما أرسلوا به قالوه، و لا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، فجاوبنى لأكون الذى أبلغك و هم يشهدون على ذلك لى، فأما ما ذكرت من سوء الحال فهى على ما وصفت و أشد، ثم ذكر من سوء عيش العرب و إرسال الله النبى، صلى الله عليه و سلم، إليهم نحو قول النعمان و قتال من خلفهم أو الجزية، ثم قال له: اختر إن شئت الجزية عن يد و أنت صاغر، و إن شئت فالسيف أو تسلم فتنجى نفسك.

فقال: لو لا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم! لا شىء لكم عندى. ثم استدعى بوقر من تراب فقال: احمولوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من

[١] للفارس.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥٨

(١) باب المدائن. ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنى مرسل إليه رستم حتى يدفنه و يدفنكم معه فى خندق القادسية ثم أوردته بلادكم حتى أشعلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور.

فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب و قال: أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء، فحملة على عنقه و خرج إلى راحلته فركبها و أخذ التراب و قال لسعد:

أبشر فو الله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم.

و اشتد ذلك على جلساء الملك. و قال الملك لرستم، و قد حضر عنده من ساباط: ما كنت أرى أن فى العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جوابا منهم، و لقد صدقنى القوم، لقد وعدوا أمرا ليدركنه أو ليموتن عليه، على أنى وجدت أفضلهم أحقهم حيث حمل التراب على رأسه. فقال رستم: أيها الملك إنه أعقلهم، و تطير إلى ذلك و أبصرها دون أصحابه. و خرج رستم من عند الملك غضبان كئيبا و بعث فى أثر الوفد و قال لثقتة: إن أدركهم الرسول تلافينا أرضنا، و إن أعجزه سلبكم الله أرضكم. فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم من غير شك، و كان منجما كاهنا.

و أغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد إلى يزدجرد على النجاف و الفراض، فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل و حمار و ثور و أوقرها سمكا، و صيح العسكر، فقسمه سعد بين الناس، و هذا يوم الحيتان، و كانت السرايا تسرى لطلب اللحوم، فإن الطعام كان كثيرا عندهم، فكانوا يسمون الأيام بها: يوم الأباقر و يوم الحيتان. و بعث سعد سرية أخرى فأغاروا فأصابوا إبلا لبنى تغلب و التمر و استاقوها و من فيها، فنحر سعد الإبل و قسمها فى الناس فأخصبوا. و أغار عمرو بن الحارث على النهرين فاستاق مواشى كثيرة و عاد.

و سار رستم من ساباط و جمع آله الحرب و بعث على مقدمته الجالينوس فى أربعين ألفا، و خرج هو فى ستين ألفا، و فى ساقته عشرون ألفا، و جعل

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٥٩

(١) فى ميمته الهرمزان، و على الميسرة مهرا بن بهرام الرازى، و قال رستم للملك يشجعه بذلك: إن فتح الله علينا القوم فتوجهنا إلى ملكهم فى دارهم حتى نشغلهم فى أصلهم «١» و بلادهم إلى أن يقبلوا المسالمة.

و كان خروج رستم من المدائن فى ستين ألف متبوع، و مسيره عن ساباط فى مائة ألف و عشرين ألف متبوع، و قيل غير ذلك. و لما فصل رستم عن ساباط كتب إلى أخيه البندوان: أما بعد فرموا حصونكم و أعدوا و استعدوا، فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن أرضكم «٢» و أنبائكم، و قد كان من رأى مدافعتهم و مطاوتهم حتى تعود سعودهم نحو سا، فإن السمكة قد كدّرت الماء، و إن الثعائم قد حسنت، و الزهرة قد حسنت، و اعتدل الميزان، و ذهب بهرام و لا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا و يستولون على ما يلينا، و إن أشد ما رأيت أن الملك قال: لتسيرن أو لأسيرن بنفسى.

و لقي جابان رستم على قنطرة ساباط، و كانا منجمين، فشكا إليه و قال له: ألا ترى ما أرى؟ فقال له رستم: أما أنا فأقاد بخشاش و زمام و لا أجد بدا من الانقياد. ثم سار فنزل بكوثى، فأتى برجل من العرب، فقال له:

ما جاء بكم و ما ذا تطلبون؟ فقال: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم و أنبائكم إن أبيتم أن تسلموا. قال رستم: فإن قتلتم قبل ذلك! قال: من قتل منا دخل الجنة، و من بقى منا أنجزه الله ما وعده، فنحن على يقين.

فقال رستم: قد وضعنا إذن فى أيديكم! فقال: أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرنك من ترى حولك، فإنك لست تجاول الإنس إنما تجاول القدر. فضرب عنقه ثم سار فنزل البرس، فغضب أصحابه الناس أبناءهم

(١). أرضهم. P.C.

(٢). أنفسكم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦٠

(١) و أموالهم و وقعوا على النساء و شربوا الخمر، فضج أهلها إلى رستم فقال:

يا معشر فارس و الله لقد صدق العربى، و الله ما أسلمنا إلا أعمالنا، و الله إن العرب مع هؤلاء و هم لهم حرب أحسن سيرة منكم، إن الله كان ينصركم على العدو و يمكن لكم فى البلاد بحسن السيرة و كف الظلم و الوفاء و الإحسان، فإذا تغيرتم فلا أرى الله إلا مغيرا ما بكم، و ما أنا بأمن من أن ينزع الله سلطانه منكم. و أتى ببعض من يشكى منه فضرب عنقه.

ثم سار حتى نزل الحيرة و دعا أهلها و تهددهم و هم بهم، فقال له ابن ببيعة: لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا و تلو منا على الدفع عن أنفسنا.

و لما نزل رستم بالنجف رأى كأن ملكا نزل من السماء و معه النبى، صلى الله عليه و سلم، و عمر، فأخذ الملك سلاح أهل فارس فحتمه ثم دفعه إلى النبى، صلى الله عليه و سلم، فدفعه النبى، صلى الله عليه و سلم، إلى عمر، فأصبح رستم حزينا.

و أرسل سعد السرايا و رستم بالنجف و الجالينوس بين النجف و السيلحين، فطافت فى السواد، فبعث سوادا و حميضة فى مائة مائة، فأغاروا على النهرين، و بلغ رستم الخبر فأرسل إليهم خيلا، و سمع سعد أن خيله قد و غلت فأرسل عاصم بن عمرو و جابرا الأسدى فى آثارهم، فلقاهم عاصم و خيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم، فلما رآته الفرس هربوا و رجع المسلمون بالغنائم.

و أرسل سعد عمرو بن معديكرب و طليحة الأسدى طليعة، فسارا فى عشرة، فلم يسيروا إلا فرسخا و بعض آخر حتى رأوا مسالحهم و سرحهم على الطفوف قد ملئوها، فرجع عمرو و من معه، و أبى طليحة إلا التقدّم، فقالوا له: أنت رجل فى نفسك غدر و لن تفلح بعد

قتل عكاشة بن محصن، فارجح معنا. فأبى، فرجعوا إلى سعد فأخبروه بقرب القوم.

و مضى طليحة حتى دخل عسكر رستم و بات فيه يجوسه و يتوسم، فهتك

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦١

(١) أظناب بيت رجل عليه و اقتاد فرسه، ثم هتك على آخر بيته و حل فرسه، ثم فعل بآخر كذلك، ثم خرج يعدو به فرسه، و نذر به الناس فركبوا في طلبه، فأصبح و قد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة ثم آخر فقتله ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه، و هما ابنا عمه، فزاد حنفا، فلحق طليحة فكرر عليه طليحة و أسره و لحقه الناس، فرأوا فارسى الجند قد قتلوا و أسر الثالث و قد شارف طليحة عسكره، فأحجموا عنه، و دخل طليحة على سعد و معه الفارسى و أخبره الخبر، فسأل الترجمان الفارسى، فطلب الأمان، فأمنه سعد، قال: أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمن قبلى، باشرت الحروب منذ أنا غلام إلى الآن و سمعت بالأبطال و لم أسمع بمثل هذا أن رجلا قطع فرسخين إلى عسكر فيه سبعون ألفا يخدم الرجل منهم الخمسة و العشرة فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند و هتك عليهم البيوت، فلما أدركناه قتل الأول و هو يعدد بألف فارس، ثم الثانى و هو نظيره، ثم أدركته أنا [و لا أظن أنني] خلفت من بعدى من يعدلنى و أنا الثائر بالقتيلين فرأيت الموت و استؤسرت. ثم أخبره عن الفرس و أسلم و لزم طليحة، و كان من أهل البلاء بالقادسية، و سماه سعد مسلما.

ثم سار رستم و قدم الجالينوس و ذا الحجاب، فنزل الجالينوس بحيال زهرة من دون القنطرة، و نزل ذو الحجاب بطيزناباد، و نزل رستم بالخرارة، ثم سار رستم فنزل بالقادسية، و كان بين مسيره من المدائن و وصوله القادسية أربعة أشهر لا يقدم رجاء أن يضجروا [١] بمكانهم فيصرفوا، و خاف أن يلقي ما لقي من قبله، و طاولهم لو لا ما جعل الملك يستعجله و ينهضه [و يقدمه، حتى أقحمه]. و كان عمر قد كتب إلى سعد يأمره بالصبر و المطاولة أيضا، فأعد للمطاولة.

[١] يضجر.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦٢

(١) فلما وصل رستم القادسية وقف على العتيق بحيال عسكر سعد و نزل الناس، فما زالوا يتلاحقون حتى أعتما من كثرتهم و المسلمون ممسكون عنهم. و كان مع رستم ثلاثة و ثلاثون فيلا، منها فيل سابور الأبيض، و كانت الفيلة تألفه، فجعل في القلب ثمانية عشر فيلا و في المجنبتين خمسة عشر فيلا. فلما أصبح رستم من تلك الليلة ركب و سائر العتيق نحو خفان حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين، ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة، فتأمل المسلمين و وقف على موضع يشرف منه عليهم و وقف على القنطرة، و أرسل إلى زهرة فواقفه، فأراده على أن يصلحه و يجعل له جعلا على أن ينصرفوا عنه من غير أن يصرح له بذلك بل يقول له: كنتم جيراننا و كنا نحسن إليكم و نحفظكم، و يخبره عن صنيعهم مع العرب.

فقال له زهرة: ليس أمرنا أمر أولئك، إننا لم نأتكم لطلب الدنيا إنما طلبتنا و هممتنا الآخرة، و قد كنا كما ذكرت إلى أن بعث الله فينا رسولا فدعانا إلى ربّه فأجبناه، فقال لرسوله: إننى سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدىنى، فأنا منتقم به منهم و أجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، و هو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلّا ذلّ، و لا يعتصم به أحد إلّا عزّ.

فقال له رستم: ما هو؟ قال: أما عموده الذى لا يصلح إلّا به فشهادة أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّدا رسول الله. قال: و أى شىء أيضا؟ قال: و إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، و الناس بنو آدم و حواء إخوة لأب و أمّ.

قال: ما أحسن هذا! [ثم] قال رستم: أ رأيت إن أجبته إلى هذا و معى قومى كيف يكون أمركم، أ ترجعون؟ قال: إى و الله. قال: صدقتنى، أما إن أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من التيفلة، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدوا طورهم و عادوا أشرافهم. فقال زهرة: نحن خير الناس للناس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون بل نطيع الله

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦٣

(١) فى السفلة ولا يضرننا من عصى الله فينا.

فانصرف عنه و دعا رجال فارس فذاكرهم هذا فأنفوا. فأرسل إلى سعد:

أن ابعث إلينا رجلا نكلّمه و يكلمنا. فدعا سعد جماعة ليرسلهم إليهم. فقال له ربعي بن عامر: متى نأتهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل.

فأرسله وحده، فسار إليهم، فحبسوه على القنطرة. و أعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته و جلس على سرير من ذهب و بسط البسط و النمارق و الوسائد المنسوجة بالذهب، و أقبل ربعي على فرسه و سيفه فى خرقه و رمحه مشدود بعصب و قدّ، فلما انتهى إلى البسط قيل له: انزل، فحمل فرسه عليها و نزل و ربطها بوسادتين شقهما و أدخل الحبل فيهما، فلم ينهوه و أروه التهاون، و عليه درع، و أخذ عباءة بعيره فتدرّعها و شدّها على وسطه. فقالوا: ضع سلاحك.

فقال: لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم، أتم دعوتمنى. فأخبروا رستم، فقال:

اخذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه و يقارب خطوه، فلم يدع لهم نمرقا و لا- بساطا إلّا أفسده و هتكه. فلما دنا من رستم جلس على الأرض و ركز رمحه على البسط، فقيل له: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحبّ القعود على زينتكم. فقال له ترجمان رستم، و اسمه عبود من أهل الحيرة: ما جاء بكم؟

قال: الله جاء بنا، و هو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، فمن قبله قبلنا منه و رجعنا عنه و تركناه و أرضه دوننا، و من أبى قاتلناه حتى نفضى إلى الجنة أو الظفر. فقال رستم: قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ قال: نعم، و إنّ ممّا سنّ لنا رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، أن لا نمكّن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثا، فانظر فى أمرك و اختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: إمّا الإسلام

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦٤

(١) و ندعك و أرضك، أو الجزاء فنقبل و نكفّ عنك و إن احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة فى اليوم الرابع إلّا أن تبدأ بنا، أنا كفيل بذلك عن أصحابى.

قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا و لكنّ المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم.

فخلا- رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم كلاما قطّ أعزّ «١» و أوضح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن نميل إلى دين هذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويحكم! لا تنظروا إلى الثياب و لكن انظروا إلى الرأى و الكلام و السيرة، إنّ العرب تستخفّ باللباس و تصون الأحساب، ليسوا مثلكم.

فلما كان من الغد أرسل رستم إلى سعد: أن ابعث إلينا ذلك الرجل.

فبعث إليهم حذيفة بن محصن، فأقبل فى نحو من ذلك الزمى و لم ينزل عن فرسه و وقف على رستم راكبا. قال له: انزل. قال: لا أفعل. فقال له:

ما جاء بك و لم يجئ الأول؟ قال له: إنّ أميرنا يحبّ أن يعدل «٢» بيننا فى الشدّة و الرخاء، و هذه نوبتى. فقال: ما جاء بكم؟ فأجابه مثل الأول.

فقال رستم: أو الموادة [١] إلى يوم ما؟ قال: نعم، ثلاثا من أمس. فردّه و أقبل على أصحابه و قال: ويحكم أما ترون ما أرى؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا و حقرّ ما نعظّم و أقام فرسه على زبرجنا، و جاء هذا اليوم فوقف علينا و هو فى يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا.

فلما كان الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلا. فبعث المغيرة بن شعبه، فأقبل إليهم و عليهم التيجان و الثياب المنسوجة بالذهب و بسطهم على

غلوه لا- يوصل إلى صاحبهم حتى يمشى عليها، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره، فوثبوا عليه و أنزلوه و معكوه «٣»، و قال: قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام و لا أرى

[١] المواعده.

(١). أعرف. B

(٢). يساوى. B

(٣). و معنوه ١٣. rebat. III. P

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦٥

(١) قوما أسفه منكم، إنا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم و لا يصنعه أحد، و إني لم آتكم و لكن دعوتمونى اليوم، علمت أنكم مغلوبون و أن ملكا لا يقوم على هذه السيرة و لا على هذه العقول. فقالت السفلة: صدق و الله العربى. و قالت الدهاقين: و الله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون «١» إليه، قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمية! ثم تكلم رستم فحمد قومه و عظم أمرهم و قال: لم نزل متمكنين فى البلاد ظاهرين على الأعداء أشرافا فى الأمم، فليس لأحد مثل عزنا و سلطاننا، ننصر عليهم و لا ينصرون علينا إلما اليوم و اليومين و الشهر للذنوب، فإذا انتقم الله منا و رضى علينا رد لنا الكرة على عدونا، و لم يكن فى الأمم أمة أصغر عندنا أمرا منكم، كنتم أهل قشف و معيشة سيئة لا تراكم شيئا، و كنتم تقصدوننا [١] إذا قحطت بلادكم فأنمر لكم بشيء من التمر و الشعير ثم نردكم، و قد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلما الجهد فى بلادكم، فأنا أمر أميركم بكسوة و بغل و ألف درهم، و أمر لكل منكم بوقر تمر و تنصرفون عنا، فإني لست أشتهى أن أقتلكم.

فتكلم المغيرة فحمد الله و أثنى عليه و قال: إن الله خالق كل شيء و رازقه «٢»، فمن صنع شيئا فإنما هو يصنعه، و أما الذى ذكرت به نفسك و أهل بلادك فنحن نعرفه، فالله صنعه بكم و وضعه فيكم و هو له دونكم، و أما الذى ذكرت فينا من سوء الحال و الضيق و الاختلاف فنحن نعرفه و لسنا ننكره، و الله

[١] تصدقونا.

(١). يسرعون. B

(٢). و وارثه. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦٦

(١) ابتلاتنا به و الدنيا دول، و لم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه، و لم يزل أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم، و لو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتهم، و أسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال، و لو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر [١] لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبا من الله رحمه يرفه [٢] بها عنا، إن الله تبارك و تعالى بعث فينا رسولا. ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الإسلام و الجزية و القتال، و قال له: و إن عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم، فقالوا: لا صبر لنا عنه.

فقال رستم: إذا تموتون دونها. فقال المغيرة: يدخل من قتل منا الجنة و من قتل منكم النار، و يظفر من بقى منا بمن بقى منكم.

فاستشاط رستم غضبا ثم حلف أن لا يرتفع الصبح غدا حتى تقتلكم أجمعين.

وانصرف المغيرة وخلص رستم بأهل فارس وقال: أين هؤلاء منكم! هؤلاء والله الرجال، صادقين كانوا أم كاذبين، والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ لما أرادوا منهم، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شىء! فلجوا و تجلدوا.

فأرسل رستم مع المغيرة وقال له: إذا قطع القنطرة فأعلمه أن عينه تفتأ غدا، فأعلمه الرسول ذلك. فقال المغيرة: بشرتنى بخير وأجر، و لولا أن أجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتميت أن الأخرى ذهبت. فرجع إلى رستم فأخبره. فقال: أطيعونى يا أهل فارس، إنى لأرى لله فيكم نعمة لا تستطيعون ردّها. ثم أرسل إليه سعد بقیة ذوى الرأى فساروا، و كانوا ثلاثة، إلى رستم،

[١] الكفر.

[٢] برأفه.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦٧

(١) فقالوا له: إن أميرنا يدعوك إلى ما هو خير لنا ولك، العافية أن تقبل ما دعاك إليه و نرجع إلى أرضنا و نرجع إلى أرضك و داركم لكم و أمركم فيكم و ما أصبتم كان زيادة لكم دوننا و كنا عوناً لكم على أحد إن أرادكم، فاتق الله و لا يكونن هلاك قومك على يدك، و ليس بينك و بين أن تغبط بهذا الأمر إلا أن تدخل فيه و تطرد به الشيطان عنك. فقال لهم: إن الأمثال أوضح من كثير من الكلام، إنكم كنتم أهل جهد و قشف لا تنتصفون و لا تمتنعون فلم نسيء جواركم و كنا نميركم و نحسن إليكم، فلما طعمتم طعامنا و شربتم شرابنا و صفتم لقومكم ذلك و دعوتموهم ثم أتيتونا، و إنما مثلكم و مثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعلبا فقال:

و ما ثعلب! فانطلق الثعلب فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم، فلما اجتمعوا إليه سدّ صاحب الكرم النقب الذى كنّ يدخلن منه فقتلهنّ، فقد علمت أن الذى حملكم على هذا الحرص و الجهد، فارجعوا و نحن نميركم، فإنى لا أشتهى أن أقتلكم، و مثلكم أيضا كالذباب يرى العسل فيقول: من يوصلنى إليه و له درهمان؟ فإذا دخله غرق و نشب، فيقول: من يخرجنى و له أربعة دراهم؟ و قال أيضا: إن رجلا وضع سلّة و جعل طعاما فيها فأتى الجرذان فخرقن السلّة فدخلن فيها، فأراد سدّها فقبل له: لا تفعل إذن يخرقنه، لكن انقب بحیاله ثم اجعل [فيها] قصبه مجوفه فإذا دخلها الجرذان و خرجن منها فاقتل كلّ ما خرج منها، و قد سددت عليكم [فإياكم] أن تقتحموا [١] القصبه فلا يخرج منها أحد إلا قتل، فما دعاكم إلى ما صنعتم و لا أرى عددا و لا عدّة! قال: فتكلم القوم و ذكروا سوء حالهم و ما منّ الله به عليهم من إرسال رسوله و اختلافهم أولا ثم اجتماعهم على الإسلام، و ما أمرهم به من الجهاد،

[١] سددت عليهم أن يقتحموا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦٨

(١) و قالوا: و أما ما ضربت لنا من الأمثال فليس كذلك و لكن إنما مثلكم كمثل رجل غرس أرضا و اختار لها الشجر و أجرى إليها الأنهار و زينها بالقصور و أقام فيها فلاحين يسكنون قصورها و يقومون على جنّاتها، فخلا الفلاحون فى القصور على ما لا يحب فأطال إمهالهم فلم يستحيوا، فدعا إليها غيرهم و أخرجهم منها، فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناس و إن أقاموا فيها صاروا خولا- لهؤلاء فيسومونهم الخسف أبدا، و الله لو لم يكن ما نقول حقّا و لم يكن إلا الدنيا لما صبرنا عن الذى نحن فيه من لذیذ عيشكم و رأينا من زبرجكم و لقارعناكم عليه! فقال رستم: أ تعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟ فقالوا: بل اعبروا إلينا.

و رجعوا من عنده عشيا، و أرسل سعد إلى الناس أن يقفوا موافقهم، و أرسل إليهم: شأنكم و العبور، فأرادوا القنطرة فقال: لا و لا

كرامة! أمّا شيء غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم. فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بالتراب و القصب و البراذع حتى جعلوه طريقا، و استتمّ بعد ما ارتفع النهار.

و رأى رستم من الليل كأنّ ملكا نزل من السماء فأخذ قسي أصحابه فختم عليها ثمّ صعد بها إلى السماء، فاستيقظ مهموما و استدعى خاصيته فقصّيهما عليهم و قال: إنّ الله ليعظنا لو اتّعظنا. و لما ركب رستم ليحبر كان عليه درعان و مغفر، و أخذ سلاحه و وثب فإذا هو على فرسه لم يضع رجله في الركاب، و قال: غدا ندقّهم دقّا! فقال له رجل: إنّ شاء الله. فقال: و إن لم يشأ! ثمّ قال: إنّما ضغا الثعلب حين مات الأسد، يعنى كسرى، و إنّى أخشى أن تكون هذه سنه القروء! فإنّما قال هذه الأشياء توهينا للمسلمين عند الفرس، و إلّا فالمشهور عنه الخوف من المسلمين، و قد أظهر ذلك إلى من يثق به.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٦٩

(١)

ذكر يوم أرمات

لما عبر الفرس العتيق جلس رستم على سريره و ضرب عليه طيارة و عبّى في القلب ثمانية عشر فيلا- عليها صناديق و رجال و في المجنّبتين ثمانية و سبعة، و أقام الجالينوس بينه و بين ميمته، و الفيرزان بينه و بين ميسرته، و كان يزدجرد قد وضع بينه و بين رستم رجالا على كلّ دعوة رجلا، أولهم على باب إيوانه و آخرهم مع رستم، فكلمّا فعل رستم شيئا قال اللّذى معه اللّذى يليه: كان كذا و كذا، ثمّ يقول الثانى ذلك للذى يليه، و هكذا إلى أن ينتهى إلى يزدجرد فى أسرع وقت. و أخذ المسلمون مصافّهم. و كان بسعد دماميل و عرق النساء فلا يستطيع الجلوس، إنّما هو مكبّ على وجهه فى صدره و سادة على سطح القصر يشرف على الناس و الصّفّ فى أصل حائطه، لو أعراه [١] الصّفّ فوق ناقة لأخذ برمته، فما كرّته [٢] هول تلك الأيام شجاعه، و ذكر ذلك الناس، و عابه بعضهم بذلك فقال:

نقاتل حتى أنزل الله نصره و سعد بباب القادسيّة معصم

فأبنا و قد آمت نساء كثيرة و نسوة سعد ليس فيهنّ أيم فبلغت آياته سعدا فقال: اللّهمّ إن كان هذا كاذبا و قال اللّذى قاله رياء و سمعه فاقطع عنى لسانه! فإنّه لواقف فى الصّفّ يومئذ أتاه سهم غرب فأصاب لسانه فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى. فقال جرير بن عبد الله نحو ذلك أيضا، و كذلك غيره، و نزل سعد إلى الناس فاعتذر إليهم و أراهم ما به من القروح فى فخذه و أليته، فعذره الناس و علموا حاله، و لما عجز عن

[١] تعرّاه.

[٢] (كرث الغمّ فلانا: اشتدّ عليه و بلغ منه المشقّة).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧٠

(١) الركوب استخلف خالد بن عرفطة على الناس، فاختلف عليه فأخذ نفرا ممّن شغب عليه فحبسهم فى القصر، منهم: أبو محجن الثقفى، و قيدهم، و قيل: بل كان حبس أبى محجن بسبب الخمر، و أعلم الناس أنّه قد استخلف خالدا و إنّما يأمرهم خالد، فسمعوا و أطاعوا، و خطب الناس يومئذ، و هو يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة، و حتّمهم على الجهاد و ذكّهم ما وعدهم الله من فتح البلاد و ما نال من كان قبلهم من المسلمين من الفرس، و كذلك فعل أمير كلّ قوم، و أرسل سعد نفرا من ذوى الرأى و النجدة، منهم: المغيرة و حذيفة و عاصم و طليحة و قيس الأسدى و غالب و عمرو ابن معديكرب و أمثالهم، و من الشعراء: الشماخ و الحطيئة و أوس بن مغراء و عبيدة «١» بن الطيب و غيرهم، و أمرهم بتحريض الناس على القتال، ففعلوا.

و كان صفّ المشركين على شفير العتيق، و كان صفّ المسلمين مع حائط قديس و الخندق، فكان المسلمون و المشركون بين الخندق و العتيق، و مع الفرس ثلاثون ألف مسلسل، و أمر سعد النَّاس بقراءة سورة الجهاد، و هي الأنفال، فلمّا قرئت هشت قلوب النَّاس و عيونهم و عرفوا السكينة مع قراءتها.

فلمّا فرغ القراء منها قال سعد: الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر، فإذا صليتم فإني مكبر تكبيرة فكبروا و استعدوا، فإذا سمعتم الثانية فكبروا و بسوا «٢» عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا و لينشط فرسانكم النَّاس، فإذا كبرت الرابعة فزحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم و قولوا لا- حول و لا- قوة إلّا بالله. فلمّا كبر سعد الثالثة برز أهل النجدات فأنشبو القتال، و خرج إليهم من الفرس أمثالهم، فاعتوروا الطعن و الضرب، و قال غالب بن عبد الله الأسدّي:

(١). عبدة.Cddo

(٢). و لبستم.P.C

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧١

(١)

قد علمت واردة المشائح ذات اللبان «١» و البيان الواضح «٢»

أنى سمّام البطل المسالحو فارج الأمر المهمّ الفادح «٣» [١] فخرج إليه هرمز، و كان من ملوك الباب، و كان متوجّا، فأسرّه غالب، فجاء به سعدا و رجع و خرج عاصم و هو يقول:

قد علمت بيضاء صفراء اللب مثل اللجين إذ تغشاه الذهب

أتى امرؤ لا من يعيبه السبب مثلى على مثلك يغريه العتب فطارد فارسيا فانهزم، فاتبعه عاصم حتى خالط صفّهم، فآخذ عاصم رجلا- على بغل و عاد به، و إذا هو خباز الملك معه من طعام الملك و خييص، فأتى به سعدا فنقله أهل موقفه. و خرج فارسى فطلب البراز، فبرز إليه عمرو بن معديكرب، فأخذه و جلد به الأرض، فذبحه و أخذ سواريه و منطقتيه. و حملت الفيلة عليهم ففرقت بين الكتاب، فنفرت الخيل، و كانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلا، فنفرت خيل بجيلة، فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها و عمّن معها، و أرسل سعد إلى بنى أسد أن دافعوا عن بجيلة و عمّن معها من النَّاس. فخرج طليحة بن خويلد و حمّال «٤» بن مالك فى كتابهما فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها. و خرج إلى طليحة عظيم منهم، فقتله طليحة، و قام الأشعث بن قيس فى كنده فقال: يا معشر كنده لله در بنى أسد أى فرى يفرون و أى هذ يهدون «٥» [٢] عن

[١] القادح.

[٢] هزه يهزءون. (الفرى: الأمر العظيم. الهد: القطع السريع).

(١). اللسان.P.C

(٢). و البنان الواضح. ٢٩. rebat, III, p

(٣). لكل هم قادح.B

(٤). و جمال.B

(٥). هده يهدون.B

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧٢

(١) موقفهم، أغنى [١] كل قوم ما يليهم، و أنتم تنتظرون من يكفيكم، أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم من العرب. فنهذ و نهذوا معه، فأزالوا الذين يزازتهم.

فلما رأى الفرس ما يلقي الناس و الفيلة من أسد رموهم بحدّهم و حملوا عليهم و فيهم ذو الحاجب و الجالينوس، و المسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد، فاجتمعت حلبة فارس على أسد و معهم تلك الفيلة فثبتوا لهم، و كبر سعد الرابعة و زحف إليهم المسلمون و رحى الحرب تدور على أسد، و حملت الفيول على اليمينه و الميسرة فكانت الخيول تحيد عنها.

فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو التميمي فقال: يا معشر بنى تميم، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة؟ قالوا: بلى و الله! ثم نادى فى رجال من قومه رماء و آخرين لهم ثقافته فقال: يا معشر الرماة، ذبوا «١» ركبان الفيلة عنهم بالنبل. و قال: يا معشر أهل الثقافة، استديروا الفيلة فقطعوا و ضنها، و خرج يحميهم «٢» و رحى الحرب تدور على أسد و قد جالت اليمينه و الميسرة غير بعيد، و أقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذنان توابيتها فقطعوا و ضنها و ارتفع عواؤهم فما بقى لهم فيل إلا أوى و قتل أصحابها و نفس عن أسد و ردّوا فارسا عنهم إلى موافقهم و اقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هدأه من الليل، ثم رجع هؤلاء و هؤلاء، و أصيب من أسد تلك العشية خمسمائة، و كانوا رداء للناس، و كان عاصم حاميه للناس، و هذا اليوم الأوّل، و هو يوم أرماث، فقال عمرو بن شأس الأسدّي:

جلبنا الخيل من أكناف نيق إلى كسرى فوافقها رعالا
تركن لهم على الأقسام شجواو بالحقوين أياما طوالا

[١] أغنى.

(١). ارموا. B.

(٢). و خرجوا بجمعهم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧٣

(١)

قتلنا رستما و بنيه قسراتثير الخيل فوقهم الهبالا الأبيات. و كان سعد قد تزوج سلمى امرأة المثنى بن حارثة الشيبانيّ بعده بشراف، فلما جال الناس يوم أرماث، و كان سعد لا يطيق الجلوس، جعل سعد يتململ جزعا فوق القصر، فلما رأت سلمى ما يصنع الفرس قالت: و ما مثياه! و لا مثى للخيل اليوم! قالت ذلك عند رجل ضجر ممّا يرى فى أصحابه و نفسه، فلطم و جهها و قال: أين المثنى عن هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحا! يعنى أسدا و عاصما. فقالت: أغيرة و جنبنا؟ فقال: و الله لا يعذرني اليوم أحد إن لم تعذرني و أنت ترين ما بى! فتعلّقها الناس لم يبق شاعر إلا اعتدّ بها عليه، و كان غير جبان و لا ملوم.

ذكر يوم أغواث

و لما أصبح القوم و كلّ سعد بالقتلى و الجرحى من ينقلهم، فسلمّ الجرحى إلى النساء ليقمن عليهم، و أما القتلى فدفنوا هنالك على مشرق، و هو واد بين العذيب و عين الشمس. فلما نقل سعد القتلى و الجرحى طلعت نواصى الخيل من الشام، و كان فتح دمشق قبل القادسيّة، فلما قدم كتاب عمر على أبى عبيدة بن الجراح يارسال أهل العراق سيّهم و عليهم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، و على مقدّمته القعقاع بن عمرو التميمي، فتعجّل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم، و هو يوم أغواث، و قد عهد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشارا، و هم ألف، كلّما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا عشرة، فقدم أصحابه فى عشرة، فأتى الناس فسلمّ عليهم و بشرهم

بالجنود و حرضهم على القتال و قال: اصنعوا كما اصنع، و طلب البراز فقالوا فيه بقول أبى [١] بكر:

[١] يقول أبو.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧٤

(١) لا يهزم جيش فيهم مثل هذا. فخرج إليه ذو الحجاب، فعرفه القعقاع فنادى:

يا لثارات أبى عبيد و سليط و أصحاب الجسر! و تضاربا، فقتله القعقاع و جعلت خيله ترد إلى الليل و تنشط الناس، و كأن لم يكن بالأمس مصيبة، و فرحوا بقتل ذى الحجاب، و انكسرت الأعاجم بذلك.

و طلب القعقاع البراز فخرج إليه الفيرزان و البنذوان، فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث أحد بنى تيم اللات فتبارزوا، فقتل القعقاع الفيرزان و قتل الحارث البنذوان، و نادى القعقاع: يا معشر المسلمين، باشروهم بالسيوف فإنما يحصد الناس بها! فاقتتلوا حتى المساء، فلم ير أهل فارس فى هذا اليوم [شيئا] مما يعجبهم، و أكثر المسلمون فيهم القتل، و لم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل، كانت توأبيتها تكسرت بالأمس، فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد.

و جعل القعقاع كلما طلعت قطعة من أصحابه كبير و كبير المسلمون و يحمل و يحملون، و حمل بنو عم للقعقاع عشرة عشرة على إبل قد ألبسوها و هى مجللة مبرقعة، و أطافت بهم خيولهم تحميمهم، و أمرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة، ففعلوا بهم هذا اليوم، و هو يوم أغواث، كما فعلت فارس يوم أرمات، فجعلت خيل الفرس تفرّ منها و ركبتها خيول المسلمين. فلما رأى الناس ذلك استنوا [١] بهم، فلقى الفرس من الإبل أعظم مما لقى المسلمون من الفيلة.

و حمل رجل من تميم على رستم يريد قتله فقتل دونه. و خرج رجل من فارس يبارز، فبرز إليه الأعراف بن الأعمى العقيلي فقتله، ثم برز إليه آخر فقتله، و أحاطت به فوارس منهم فصرعوه و أخذوا سلاحه، فغبر فى وجوههم

[١] استوا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧٥

(١) التراب حتى رجع إلى أصحابه. و حمل القعقاع بن عمرو يومئذ ثلاثين حملة، كلما طلعت قطعة حمل حملة و أصاب فيها و قتل، فكان آخرهم بزرجمهر الهمذاني. و بارز الأعمور بن قطبة شهر يار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه، و قاتلت الفرسان إلى انتصاف النهار. فلما اعتدل النهار تراحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل. فكانت ليلة أرمات تدعى الهدأة، و ليلة أغواث تدعى السواد، و لم يزل المسلمون يرون [فى] يوم أغواث الظفر، و قتلوا فيه عامية أعلامهم، و جالت فيه خيل القلب و ثبت رجلهم، فلو لا أن خيلهم عادت أخذ رستم أخذًا. و بات الناس على ما بات عليه القوم ليلة أرمات، و لم يزل المسلمون ينتمون. فلما سمع سعد ذلك قال لبعض من عنده: إن تم الناس على الانتماء فلا توقظنى فإنهم أقوياء، و إن سكتوا و لم ينتم الآخرون فلا توقظنى فإنهم على السوء، فإن سمعتهم ينتمون فأيقظنى فإن انتماءهم عن السوء.

و لما اشتد القتال، و كان أبو محجن قد حبس و قيد فهو فى القصر، قال لسلمى زوج سعد: هل لك أن تخلى [١] عنى و تعيرينى البلقاء؟ فله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدي. فأبت، فقال:

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا و أترك مشدودا على و ثاقيا

إذا قمت عنانى الحديد و أغلقت مصاريع دونى قد تصم المناديا

و قد كنت ذا مال كثير و إخوة فقد تركونى واحدا لا أخا ليا

و لله عهد لا أخيس بعهد لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا فرقت له سلمى و أطلقتها و أعطته البلقاء فرس سعد، فركبها حتى [إذا] كان

[١] تخلين.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧٦

(١) بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين و حمل على ميمتهم، و كان يقصف الناس قصفا منكرا، و تعجب الناس منه و هم لا يعرفونه، فقال بعضهم: هو من أصحاب هاشم أو هاشم نفسه، و كان سعد يقول: لو لا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن و هذه البلقاء.

و قال بعض الناس: هذا الخضر. و قال بعضهم: لو لا أن الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا إنه ملك. فلما انتصف الليل و تراجع المسلمون و الفرس عن القتال أقبل أبو محجن فدخل القصر و أعاد رجله فى القيد و قال:

لقد علمت ثقيف غير فخربأنا نحن أكرمهم سيوفا

و أكثرهم دروعا سابغات و أصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

و أنا وفدهم فى كل يوم فإن عموا فسل بهم عريفا

و ليلة قادس «١» لم يشعروا بى و لم أشعر بمخرجى الزحوفا

فإن أحبس فذلکم بلائى «٢» و إن أترك أذيقهم الحتوفا فقالت له سلمى: فى أى شىء حبسك؟ فقال: و الله ما حبسنى بحرام أكلته و لا شربته و لكننى كنت صاحب شراب فى الجاهلية، و أنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى، فقلت:

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمه تروى عظامى بعد موتى عروفا

و لا- تدفنتى بالفلاة فإننى أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها فلذلك حبسنى. فلما أصبحت أتت سعدا فصالحته، و كانت مغاضبة له، و أخبرته بخبر أبى محجن، فأطلقه فقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله. قال: لا- جرم، [و الله] لا أجيب لسانى إلى [صفة] قبيح أبدا!

(١). فارس. B.

(٢). أذقتهم بلائى. ٣٩. baT. ١. ١. p.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧٧

(١)

ذكر يوم عماس «١»

ثم أصبحوا اليوم الثالث و هم على مواقعهم، و بين الصفين من قتلى المسلمين ألفان من جريح و ميت، و من المشركين عشرة آلاف، فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم إلى المقابر و الجرحى إلى النساء، و كان النساء و الصبيان يحفرون القبور، و كان على الشهداء حاجب بن زيد. و أما قتلى المشركين فبين الصفين لم ينقلوا، و كان ذلك مما قوى المسلمين، و بات القعقاع تلك الليلة يسرب أصحابه إلى المكان الذى فارقه فيه و قال: إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة، فإن جاء هاشم فذاك و إلا جددتم للناس رجاء و جدًا و لا يشعر به أحد. و أصبح الناس على مواقعهم، فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع، فحين رآهم كبر و كبر المسلمون و تقدّموا و تكثبت الكتائب و اختلفوا الضرب و الطعن و المدد متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم فأخبر بما صنع القعقاع، فعبى أصحابه سبعين سبعين، و كان فيهم قيس بن هبيرة ابن عبد يغوث المعروف بقيس بن المكشوح المرادى، و لم يكن من أهل الأيام إنما كان باليرموك، فانتدب مع هاشم حتى إذا خالط القلب كبر و كبر المسلمون و قال: أول قتال المطاردة ثم المراماة، ثم حمل على

المشركين يقاتلهم حتى خرق صّفهم إلى العتيق ثم عاد.

و كان المشركون قد باتوا يعملون توابيتهم حتى أعادوها و أصبحوا على مواقفهم، و أقبلت الرّجالة مع الفيلة يحمونها أن تقطع و ضنها، و مع الرّجالة فرسان يحمونهم، فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالأمس لأنّ الفيل إذا كان وحده كان أوحش و إذا أطافوا به كان آنس، و كان يوم عماس من أوله إلى

(١). euqibuعماس. ddoC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧٨

(١) آخره شديدا، و العرب و العجم فيه سواء، و لا تكون بينهم نقطة إلّا أبلغوها يزدجرد بالأصوات، فيبعث إليهم أهل النجدات ممّن عنده، فلو لا أنّ الله ألهم القعقاع ما فعل فى اليومين و إلّا كسر ذلك المسلمين.

و قاتل قيس بن المكشوح، و كان قد قدم مع هاشم، قتالا شديدا و حرّض أصحابه، و قال عمرو بن معديكرب: إننى حامل على الفيل و من حوله، لفيل [١] بإزائه، فلا- تدعونى أكثر من جزر جزور، فإن تأخرتم عنى فقدتم أبا ثور، يعنى نفسه، و أين لكم مثل أبى ثور! فحمل و ضرب فيهم حتى ستره الغبار و حمل أصحابه فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه، و إنّ سيفه لفى يده يصارمهم، و قد طعن فرسه، فأخذ برجل فرس أعجمى فلم يطق الجرى، فنزل عنه صاحبه إلى أصحابه و ركب عمرو. و برز فارسى فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له شبر بن علقمة «١»، و كان قصيرا، فترجل الفارسى إليه فاحتمله و جلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه و مقود فرسه مشدود فى منطقتة، فلما سلّ سيفه نفر الفرس فجذبه المقود فقلبه عنه و تبعه المسلم فقتله و أخذ سلبه فباعه باثنى عشر ألفا.

فلما رأى سعد الفيول قد فرّقت بين الكتائب و عادت لفعالها أرسل إلى القعقاع و عاصم ابنى عمرو: اكفيانى الأبيض، و كانت كلّها آلفه له، و كان بإزائهما، و قال لحمّال و الرّيبيل [٢]: اكفيانى الأجر، و كان بإزائهما، فأخذ القعقاع و عاصم رمحين و تقدّما فى خيل و رجل، و فعل حمّال و الرّيبيل [٢] مثل فعلهما، فحمل القعقاع و عاصم فوضعا رمحيهما فى عين الفيل الأبيض فنفض

[١] و من حول الفيل.

[٢] و الرّيبيل.

(١). بشر بن أرقمة. F.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٧٩

(١) رأسه فطرح سائسه [١] و دلّى مشفره، فضربه القعقاع فرمى به و وقع لجنبه و قتلوا من كان عليه، و حمل حمّال و الرّيبيل [٢] الأسديان على الفيل الآخر فطعنه حمّال فى عينه فأقعى ثم استوى، و ضربه الرّيبيل [٢] فأبان مشفره، و بصر به سائسه فبقر أنفه و جبينه بالطبرزين [٣]، فأفلت الرّيبيل [٢] جريحا، فبقى الفيل جريحا متحيرا بين الصّفين كلّما جاء صفّ المسلمين و خزوه و إذا أتى صفّ المشركين نخسوه.

و ولّى الفيل، و كان يدعى الأجر، و قد عور حمّال عينيه، فألقى نفسه فى العتيق، فاتبعته الفيلة فخرقت صفّ الأعاجم فعبرت فى أثره فأنت المدائن فى توابيتها، و هلك من فيها. فلما ذهب الفيلة و خلص المسلمون و الفرس و مال الظلّ تراحف المسلمون فاجتلدوا حتى أمسوا و هم على السواء. فلما أمسى الناس اشتدّ القتال و صبر الفريقان فخرجا على السواء.

ذكر ليلة الهير و قتل رستم

قيل: إنما سميت بذلك لتركهم الكلام إنما كانوا يهزون هريرا.

و أرسل سعد طليحة و عمرا ليلة الهيرير إلى مخاضة أسفل العسكر ليقوموا عليها خشية أن يأتيه القوم منها. فلما أتياها قال طليحة: لو خضنا و أتينا الأعاجم من خلفهم. قال عمرو: بل نعب أسفل. فافترقا و أخذ طليحة وراء العسكر و كبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب و قد ارتاع أهل فارس و تعجب المسلمون، و طلبه الأعاجم فلم يدر كوه.

[١] ساسته.

[٢] و الزبيل.

[٣] (الطبرزين، فارسية: الفأس من السلاح).

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨٠

(١) و أما عمرو فإنه أغار أسفل المخاضة و رجع، و خرج مسعود بن مالك الأسدي و عاصم بن عمرو و ابن ذى البردين الهلالي و ابن ذى السهمين و قيس ابن هبيرة الأسدي و أشباههم فطاردوا القوم، فإذا هم لا يشدون و لا يريدون غير الزحف، فقدموا صفوفهم و زاحفهم الناس بغير إذن سعد، و كان أول من زاحفهم القعقاع، و قال سعد: اللهم اغفرها له و انصره فقد أذنت له إن لم يستأذني. ثم قال: أرى الأمر ما فيه هذا، فإذا كبرت ثلاثا فاحملوا، و كبر واحدة فلحقهم أسد، فقال: اللهم اغفرها لهم و انصرهم. ثم حملت النخع فقال: اللهم اغفرها لهم و انصرهم. ثم حملت بجيلة فقال: اللهم اغفرها لهم و انصرهم. ثم حملت كنده فقال: اللهم اغفرها لهم و انصرهم.

ثم زحف الرؤساء و رحى الحرب تدور على القعقاع، و تقدم حنظلة بن الربيع و أمراء الأعشار و طليحة و غالب و حميال و أهل النجدات، و لما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا و خالطوا القوم و استقبلوا الليل استقبالا بعد ما صلوا العشاء، و كان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم إلى الصباح، و أفرغ الله الصبر عليهم إ فراغا، و بات سعد بليلة لم يبت بمثلها، و رأى العرب و العجم أمرا لم يروا مثله قط، و انقطعت الأخبار و الأصوات عن سعد و رستم، و أقبل سعد على الدعاء، فلما كان عند الصبح انتمى الناس فاستدل بذلك على أنهم الأعلون، و كان أول شيء سمعه نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو و هو يقول:

نحن قتلنا معشرا و زاندا أربعة و خمسة و واحدا

نحسب فوق اللبد الأسود حتى إذا ماتوا دعوت جاهدا

الله ربّي و احترزت عامدا

و قتلت كنده تركا الطبري، و كان مقدما فيهم.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨١

(١) و أصبح الناس ليلة الهيرير- و تسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالي- و هم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها. فسار القعقاع في الناس فقال: إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة و احمولوا، فإن النصر مع الصبر.

فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء «١» و صمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح. فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم و قالوا: لا- يكونن هؤلاء أجد في أمر الله منكم، و لا- هؤلاء، يعنى الفرس، أجزأ على الموت منكم. فحملوا فيما يليهم و خالطوا من بإزائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة، فكان أول من زال الفيرزان و الهرمزان فتأخرا و ثبتا حيث انتهيا، و انفرج القلب و ركد عليهم النقع و هبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق، و هى دبور، و مال الغبار عليهم، و انتهى القعقاع و من معه إلى السرير فعثروا به و قد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال فهى واقفة، فاستظل في ظل بغل و حملة، و ضرب هلال بن علفه [١] الحمل المذى تحته رستم فقطع حباله و وقع عليه أحد العدلين، و لا يراه هلال و لا يشعر به، فأزال

عن ظهره فقارا، و ضربه هلال ضربة فنفتحت مسكا. و مضى [رستم] نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، و اقتحمه هلال عليه و أخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم ألقاه بين أرجل البغال ثم صعد السرير و قال: قتلت رستم و ربّ الكعبة! إلىّ إلىّ! فأطافوا به و كبروا، فنقله سعد سلبه، و كان قد أصابه الماء و لم يظفر بقلنسوته، و لو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألف. و قيل: إنّ هلالا لما قصد رستم رماه رستم بنشابة أثبت قدمه بالركاب، فحمل عليه هلال فضربه فقتله ثم احتزّ رأسه و علّقه و نادى: قتلت رستم!

[١] علقمة.

(١). الغلبة. B. dda

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨٢

(١) فانهزم قلب المشركين.

و قام الجالينوس على الردم و نادى الفرس إلى العبور، و أما المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا فى العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر، و هم ثلاثون ألفا. و أخذ ضرار بن الخطّاب درفش كايان، و هو العلم الأكبر الذى كان للفرس، فعوض منه ثلاثين ألفا، و كانت قيمته ألف ألف و مائتى ألف. و قتلوا فى المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا فى الأيام قبله، و قتل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان و خمسمائة، و قتل ليلة الهرير و يوم القادسية ستة آلاف فدفنوا فى الخندق حيال مشرق، و دفن ما كان قبل ليلة الهرير على مشرق، و جمعت الأسلاب و الأموال فجمع منها [١] شىء لم يجمع قبله و لا بعده مثله.

و أرسل سعد إلى هلال فسأله عن رستم، فأحضره، فقال: جرّده إلّا «١» ما شئت. فأخذ سلبه فلم يدع عليه شيئا. و أمر القعقاع و شرحبيل باتباعهم حتى بلغا مقدار الخزارة من القادسية، و خرج زهرة بن الحويّة التميمي فى آثارهم فى ثلاثمائة فارس، ثم أدركه الناس فلحق المنهزمين و الجالينوس يجمعهم، فقتله زهرة و أخذ سلبه، و قتلوا ما بين الخزارة إلى السيلحين إلى النجف، و عادوا من أثر المنهزمين و معهم الأسرى، فرئى [٢] شاب من النّخع و هو يسوق ثمانين رجلا أسرى من الفرس. و استكثر سعد سلب الجالينوس فكتب فيه إلى عمر. فكتب عمر إلى سعد: تعمد إلى مثل زهرة و قد صلى بمثل ما صلى به و قد بقى عليك من حربك ما بقى

[١] منه.

[٢] فرأى.

(١). إلى B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨٣

(١) تفسد قلبه، امض له سلبه و فضّله على أصحابه عند عطائه بخمسمائة.

و لما اتبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير إلى الفارسى فيأتيه فيقتله، و ربّما أخذ سلاحه فقتله به، و ربّما أمر رجلين فيقتل أحدهما صاحبه.

و لحق سلمان بن ربيعة الباهليّ و عبد الرحمن بن ربيعة بطائفة منهم قد نصبوا راية و قالوا: لا نبرح حتى نموت، فقتلهم سلمان و من معه. و كان قد ثبت بعد الهزيمة بضع و ثلاثون كتيبة استحيوا من الفرار، و قصدهم بضعه و ثلاثون من رؤساء المسلمين لكلّ كتيبة

منها رئيس. و كان قتال أهل الكتائب من الفرس على وجهين، منهم من هرب و منهم من ثبت حتى قتل، و كان ممن هرب من أمراء الكتائب الهرمزان، و كان بإزاء عطارد، و منهم أهوذ، و كان بإزاء حنظلة بن الربيع، و هو كاتب النبى، صلى الله عليه و سلم، و منهم زاد بن بهيش «١»، و كان بإزاء عاصم بن عمرو، و منهم قارن، و كان بإزاء القعقاع، و كان ممن ثبت و قتل شهريار بن كنارا، و كان بإزاء سلمان ابن ربيعه، و ابن الهربذ «٢»، و كان بإزاء عبد الرحمن بن ربيعه، و الفرخان الأهوازي، و كان بإزاء بسر بن أبى رهم الجهنى، و منهم خشدسوم [١] الهمذاني، و كان بإزاء ابن الهذيل الكاهلي.

و تراجع الناس من طلب المنهزمين و قد قتل مؤذّنهم، فتشاح المسلمون فى الأذان حتى كادوا يقتتلون، و أقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل، فأذن.

و فضل أهل البلاء من أهل القادسيه عند العطاء بخمسائة خمسمائة، و هم خمسة و عشرون رجلا، منهم: زهرة و عصمه الضبى و الكلج [٢]، و أمّا أهل

[١] (فى الطبرى: خسروشوم).

[٢] الكلخ.

(١). رادان نهيش. P.C.

(٢). ابن الهديد. B، بن المرثد. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨٤

(١) الأيام قبلها فإنهم فرض لهم على ثلاثة آلاف فضّلوا على أهل القادسيه، فقيل لعمر: لو ألحقت بهم أهل القادسيه. فقال: لم أكن لألحق بهم من لم يدر كهم. و قيل له: لو فضّلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائهم. قال: كيف أفضل عليهم و هم شجن العدو! فهلّا فعل المهاجرون بالأنصار هذا! و كانت العرب تتوقّع وقعة العرب و أهل فارس بالقادسيه فيما بين العذيب إلى عدن أبين و فيما [١] بين الأبله و أبله، يرون أن ثبات ملكهم و زواله بها، و كانت فى كلّ بلد مضيخة «١» [٢] إليها، تنظر ما يكون من أمرها. فلما كانت وقعة القادسيه سارت بها الجنّ فأتت بها أناسا من الإنس فسبقت أخبار الإنس [إليهم].

و كتب سعد إلى عمر بالفتح و بعدة من قتلوا و بعدة من أصيب من المسلمين، و سمى من يعرف مع سعد بن عميله الفزاري. و كان عمر يسأل الركبان من حين يصبح إلى انتصاف النهار عن أهل القادسيه ثم يرجع إلى أهله و منزله، قال: فلما لقي البشير سأله من أين؟ فأخبره، قال: يا عبد الله حدثنى. قال: هزم الله المشركين. و عمر يخبّ معه يسأله و الآخر يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة و إذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، قال البشير: هلّا أخبرتنى، رحمك الله، أنك أمير المؤمنين! فقال عمر: لا بأس عليك يا أخى. و أقام المسلمون بالقادسيه فى انتظار قدوم البشير، و أمر عمر الناس أن يقوموا «٢» على أقباضهم و يصلحوا أحوالهم و يتابع إليهم أهل الشام ممن شهد

[١] ففيما.

[٢] مضيخة.

(١). مضيخة. B، suM، مضيخة. P.C.

(٢). يقيموا. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨٥

(١) اليرموك و دمشق ممدّين لهم، و جاء أولهم يوم أغواث و آخرهم بعد الغد يوم الفتح فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عمّا ينبغى أن يشار فيه مع نذير بن عمرو.

و قيل: كانت وقعة القادسيّة سنة ستّ عشرة، قال: و كان بعض أهل الكوفة يقول: إنّها كانت سنة خمس عشرة، و قد تقدّم أنّها كانت سنة أربع عشرة.

(حميضة بن النعمان بضمّ الحاء المهملة، و فتح الميم، و بالضاد المعجمة بسر بن أبى رهم بضمّ الباء الموحّدة، و سكون السين المهملة. و الحويّة بفتح الحاء المهملة، و كسر الواو، و قيل بالجيم المضمومة، و فتح الواو.

و الأول أصحّ. و حمّال بفتح الحاء المهملة، و تشديد الميم. و المعنى بضمّ الميم، و فتح العين المهملة، و النون المشدّدة «١»). و حصين بن نمير بضمّ الحاء و فتح الصاد. و معاوية بن حديج بضمّ الحاء، و فتح الدال المهملتين، و آخره جيم*. و المعتّم بضمّ الميم، و سكون العين المهملة، و فتح التاء فوقها نقطتان و آخره ميم مشدّدة «٢»). و صرار بكسر الصاد المهملة، و بالراءين المهملتين بينهما ألف: موضع عند المدينة. و صيّين بكسر الصاد المهملة، و النون المشدّدة بعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها، و آخره نون: موضع من ناحية الكوفة).

انتهى خبر القادسيّة.

ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة

قيل: فى هذه السنة بعث عمر عتبة بن غزوان إلى البصرة، و كان بها قطبة بن قتادة السدوسى بغير تلك الناحية كما كان يغير المشى بناحية الحيرة،

(١). عبد بن الطبيب. B. dda

(٢). B. mO

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨٦

(١) فكتب إلى عمر يعلمه مكانه و أنّه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن كان قبله من العجم فنفاهم عن بلادهم. فكتب إليه عمر يأمره بالمقام و الحذر، و وجه إليه شريح بن عامر أحد بنى سعد بن بكر، فأقبل إلى البصرة و ترك بها قطبة و مضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس «١»، و فيها مسلحة الأعاجم، فقتلوه، فبعث عمر عتبة بن غزوان، قال له حين وجهه:

يا عتبة، إنّى قد استعملتك على أرض الهند، و هى حومة من حومة العدو، و أرجو أن يكفيك الله ما حولها و يعينك عليها، و قد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّك بعرفجة بن هرثمة، و هو ذو مجاهدة و مكيدة للعدوّ، فإذا قدم عليك فاستشره و ادع إلى الله، فمن أجابك فأقبل منه و من أبى فالجزية و إلّا فالسيف، و اتق الله فيما وليت، و إياك أن تنازعك نفسك إلى كبر ممّا يفسد عليك إخوتك، و قد صحبت رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فعزّزت به بعد الدلّة، و قويت به بعد الضعف، حتى صرت أميرا مسلّطا و ملكا مطاعا، تقول فيسمع منك، و تأمر فيطاع أمرك، فيا لها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك و تطرك على من دونك، و احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، و لهى أخوفهما عندى عليك أن تستدرجك و تخدعك فتسقط سقطه تصير بها إلى جهنّم، أعيدك بالله و نفسى من ذلك. إنّ الناس أسرعوا إلى الله حتى [١] رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله و لا ترد الدنيا، و اتق مصارع الظالمين.

انطلق أنت و من معك حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب و أدنى أرض العجم فأقيموا.

فسار عتبه و من معه حتى إذا كانوا بالمربد تقدّموا حتى بلغوا حيال

[١] حين.

(١). دارين. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨٧

(١) الجسر الصغير فنزلوا. فبلغ صاحب الفرات خبرهم فأقبل فى أربعة آلاف فالتقوا، فقاتلهم عتبه بعد الزوال، و كان فى خمسمائة، فقتلهم أجمعين و لم يبق إلّا صاحب الفرات فأخذه أسيرا، ثم خطب عتبه أصحابه و قال: إنّ الدنيا قد تصرّمت و ولّت حدّاء [١] و لم يبق منها إلّا صبابه كصبابه الإناء، إلّا و إنكم منتقلون منها إلى دار القرار، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم [٢]، و قد ذكر لى: لو أنّ صخرة ألقىت من شفير جهنّم لهوت سبعين خريفا و لثملائته، و عجبتم! و لقد ذكر لى أنّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنّة مسيرة أربعين خريفا و ليأتينّ عليه يوم و هو كظيظ، و لقد رأيتنى و أنا سابع سبعة مع النبى، صلى الله عليه و سلّم، ما لنا طعام إلّا ورق السيمر حتى تقرّحت أشداقنا، و التقطت برده فشقققتها بينى و بين سعد، فما منّا أولئك السبعة من أحد إلّا و هو أمير مصر من الأمصار، و سيجرّبون النّاس بعدنا.

و كان نزوله البصرة فى ربيع الأوّل أو الآخر سنة أربع عشرة. و قيل:

إنّ البصرة مضيّرت سنة ستّ عشرة بعد جلولاء و تكريت، أرسله سعد إليها بأمر عمر. و إنّ عتبه لما نزل البصرة أقام نحو شهر فخرج إليه أهل الأبله، و كان بها خمسمائة أسوار يحمونها، و كانت مرفأ [٣] السفن من الصّين، فقاتلهم عتبه فهزمهم حتى دخلوا المدينة، و رجع عتبه إلى عسكره، و ألقى الله الرعب فى قلوب الفرس فخرجوا عن المدينة و حملوا ما خفّ* و عبروا الماء «١» و أخلوا المدينة و دخلها المسلمون فأصابوا متاعا و سلاحا و سبيا فاقتسموه و أخرج الخمس

[١] (حدّاء: أى مسرعة).

[٢] يحضر بكم.

[٣] مرقى.

(١). و عز من المال. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨٨

(١) منه، و كان المسلمون ثلاثمائة. و كان فتحها فى رجب أو فى شعبان. ثم نزل موضع مدينة الرزق و خطّ موضع المسجد و بناه بالقصب.

و كان أوّل مولود بها عبد الرحمن بن أبى بكره، فلما ولد ذبح أبوه جزورا فكفتهم لقلّة النّاس. و جمع لهم أهل دستميسان فلقبهم عتبه فهزمهم و أخذ مرزبانها أسيرا و أخذ قتاده منطقته فبعث بها مع أنس بن حجنه [١] إلى عمر، فقال له عمر: كيف النّاس؟ فقال: انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب و الفضة. فرغب النّاس فى البصرة فأتوها.

و استعمل عتبه مجاشع بن مسعود على جماعة و سيّروهم إلى الفرات، و استخلف المغيرة بن شعبه على الصلاة إلى أن يقدم مجاشع بن مسعود، فإذا قدم فهو الأمير، و سار عتبه إلى عمر. فظفر مجاشع بأهل الفرات و جمع الفليكان، عظيم من الفرس، للمسلمين، فخرج إليه المغيرة بن شعبه فلقبهم بالمرغاب فاقتتلوا. فقال نساء المسلمين: لو لحقنا بهم فكنا معهم، فاتخذن من خمرهنّ رايات و سرن إلى

المسلمين. فلما رأى المشركون الرايات ظنوا أن مددا للمسلمين قد أقبل فانهمزوا و ظفر بهم المسلمون. و كتب إلى عمر بالفتح، فقال عمر لعتبة: من استعملت على البصرة؟ فقال: مجاشع بن مسعود. قال: أتستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل المدبر؟ وأخبره بما كان من المغيرة، وأمره أن يرجع إلى عمله، فمات فى الطريق، وقيل فى موته غير ذلك، وسيرد ذكره سنة سبع عشرة. و كان من سبى ميسان يسار أبو الحسن البصرى، وأرطبان جد عبد الله بن عون بن أرطبان. وقيل: إن إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة، وقيل: ست

[١] (فى الطبرى: حجية).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٨٩

(١) عشرة، والأول أصح، فكانت إمارته عليها سنة أشهر.

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبه، فبقي سنتين ثم رمى بما رمى، واستعمل أبا موسى، وقيل: استعمل بعد عتبة أبا موسى و بعده المغيرة.

وفىها، أعنى سنة أربع عشرة، ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه فى شراب شربوه وأبا محجن. وفىها أمر عمر بالقيام فى شهر رمضان فى المساجد بالمدينة و جمعهم على أبى بن كعب و كتب إلى الأمصار بذلك. و حج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب. و كان على مكة عتاب بن أسيد فى قول، و على اليمن يعلى بن منية، و على الكوفة سعد، و على الشام أبو عبيدة بن الجراح، و على البحرين عثمان بن أبى العاص، و قيل العلاء بن الحضرمي، و على عمان حذيفة بن محصن.

وفى هذه السنة مات أبو قحافة والد أبى بكر الصديق بعد موت ابنه.

وفىها مات سعد بن عباد الأنصارى، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل:

سنة خمس عشرة. وفىها قتل سليط بن عمرو بن عامر بن لؤى. وفىها ماتت هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية، و كان إسلامها يوم الفتح.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩٠

(١)

١٥ ثم دخلت سنة خمس عشرة

إشارة

وقيل: إن الكوفة مصرية سعد بن أبى وقاص فى هذه السنة، دلهم على موضعها ابن بقليل، قال لسعد: أدلك على أرض لله ارتفعت من البق و انحدرت عن الفلاة! فدله على موضعها، وقيل غير ذلك، و يأتى ذكره.

ذكر الوقعة بمرج الروم

فى هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم، و كان من ذلك أن أبا عبيدة و خالد بن الوليد سارا بمن معهما من فحل قاصدين حمص، فنزلا- على ذى الكلاع، و بلغ الخبر هرقل فبعث توذر البطريق حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق، و نزل أبو عبيدة بمرج الروم أيضا، و نازله يوم نزوله شنش «١» الرومى فى مثل خيل توذر إمدادا لتوذر و رداء لأهل حمص. فلما نزل أصبحت الأرض من توذر بلاقع، و

كان خالد بإزائه و أبو عبيدة بإزاء شنش، و سار توذر يطلب دمشق، فسار خالد وراءه في جريدة، و بلغ يزيد بن أبي سفيان فعل توذر فاستقبله فاقتتلوا، و لحق بهم خالد و هم يقتتلون فأخذهم من خلفهم و لم يفلت منهم إلّا الشريد، و غنم المسلمون ما معهم، فقسمه يزيد في أصحابه و أصحاب خالد، و عاد يزيد إلى دمشق و رجع خالد إلى أبي عبيدة و قد قتل توذر. و قاتل

(١). شنش teسبسر، شيش، سيس، شنش: cisoitpircssi nimonsujuhtairaV

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩١

(١) أبو عبيدة بعد مسير خالد شنش فاقتتلوا بمرج الروم، فقتلت الروم مقتله عظيمة، و قتل شنش، و تبعهم المسلمون إلى حمص، فلما بلغ هرقل ذلك أمر بطريق حمص بالمسير إليها، و سار هو إلى الرهاء، و سار أبو عبيدة إلى حمص.

ذكر فتح حمص و بعلبك و غيرها

فلما فرغ أبو عبيدة من دمشق سار إلى حمص فسلك طريق بعلبك فحصرها، فطلب أهلها الأمان فآمنهم و صالحهم و سار عنهم فنزل على حمص و معه خالد، و قيل: إنما سار المسلمون إلى حمص من مرج الروم، و قد تقدّم ذكره.

فلما نزلوها قاتلوا أهلها فكانوا يغادونهم القتال و يراوونهم في كل يوم بارد، و لقي المسلمون بردا شديدا و الروم حصارا طويلا، فصر المسلمون و الروم، و كان هرقل قد أرسل إلى أهل حمص يعدمهم المدد و أمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهز إلى حمص، فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين. فسير سعد بن أبي وقاص السرايا من العراق إلى هيت و حصروها، و سار بعضهم إلى قرقيسيا، ففترق أهل الجزيرة و عادوا عن نجدة أهل حمص، فكان أهلها يقولون: تمسكوا بمدينتكم فإنهم حفاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم.

فكانت أقدام الروم تسقط و لا يسقط للمسلمين إصبع.

فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم إلى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه، و قام آخر فلم يجيبوه، فناهدهم «١» المسلمون فكبروا تكبيرة فانهدم كثير من دور حمص و زلزلت حيطانهم فتصدعت، فكبروا ثانية فأصابهم أعظم من ذلك، فخرج أهلها إليهم يطلبون الصلح و لا يعلم المسلمون بما حدث

(١). فأخذهم. B

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩٢

(١) فيهم، فأجابوهم و صالحوهم على صلح دمشق، و أنزلها أبو عبيدة السمت بن الأسود الكندي في بني معاوية، و الأشعث بن مينا «١» في السكون، و المقداد في بلي، و أنزلها غيرهم، و بعث بالأخماس إلى عمر مع عبد الله بن مسعود، و كتب عمر إلى أبي عبيدة: أن أقم بمدينتك و ادع أهل القوة من عرب الشام فإني غير تارك البعثة إليك.

ثم استخلف أبو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت، و سار إلى حماة، فتلقاه أهلها مدعين، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية لء و سهم و الخراج على أرضهم، و مضى نحو شيزر، فخرجوا إليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة، و سار أبو عبيدة إلى معزة حمص، و هي معزة النعمان، نسبت بعد إلى النعمان بن بشير الأنصاري، فأذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص. ثم أتى اللاذقية «٢» فقاتله أهلها، و كان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس، فعسكر المسلمون على بعد منها، ثم أمر فحفر حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبا، ثم أظهروا أنهم عائدون عنها و رحلوا، فلما جئهم الليل عادوا و استتروا في تلك الحفائر، و أصبح أهل اللاذقية و هم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم فأخرجوا سرحهم و انتشروا بظاهر البلد، فلم يرعهم إلّا و المسلمون يصيحون بهم و

دخلوا معهم المدينة و ملكت عنوة و هرب قوم من النصارى ثم طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى أرضهم، ففوطعوا على خراج يؤدونه قلوباً أو كثروا و تركت لهم كنيستهم، و بنى المسلمون بها مسجداً جامعاً، بناه عبادة بن الصامت، ثم وسع فيه بعد.
و لما فتح المسلمون اللاذقية جلا أهل جبله من الروم عنها، فلما كان زمن معاوية بنى حصناً خارج الحصن الرومى و شحنه بالرجال.
و فتح المسلمون مع عبادة بن الصامت أنطربوس، و كان حصيناً، فجلا

(١). مساس. B.

(٢). لاذقية. P. C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩٣

(١) عنه أهله، فبنى معاوية مدينة أنطربوس و مَصِيرها و أقطع بها القطنع للمقاتلة، و كذلك فعل بانياس. و فتحت سلمية أيضاً، و قيل: إنما سميت سلمية لأنه كان بقربها مدينة تدعى المؤتفكة انقلبت بأهلها و لم يسلم منهم غير مائة نفس فبنوا لهم مائة منزل و سميت سلم مائة، ثم حَرَف النَّاس فقالوا سلمية، و هذا يتمشى لقائله لو كان أهلها عرباً و لسانهم عربياً، و أما إذ كان لسانهم أعجمياً فلا يسوغ هذا القول. ثم إنَّ صالح بن علي بن عبد الله بن عتياس اتخذها داراً و بنى ولده فيها و مَصِيرها و نزلها من نزلها من ولده، فهى و أرضوها لهم.

ذكر فتح قنسرين و دخول هرقل القسطنطينية

ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين. فلما نزل الحاضر زحف إليهم الروم و عليهم ميناى «١»، و كان من أعظم الروم بعد هرقل، فاقتتلوا فقتل ميناى و من معه مقتل عظيم لم يقتلوا مثلاً، فماتوا على دم واحد. و سار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه، فقالوا: لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا. فنظروا فى أمرهم و رأوا ما لقي أهل حمص فصالحوهم على صلح حمص، فأبى خالد إلّا على إخراج المدينة فأخربها.

فعند ذلك دخل هرقل القسطنطينية، و سببه: أنَّ خالداً و عياضاً أدرباً إلى هرقل من الشام، و أدرب عمرو بن مالك من الكوفة، فخرج من ناحية قرقيسيا، و أدرب عبد الله بن المعتم من ناحية الموصل ثم رجعوا، فعندها دخل هرقل القسطنطينية، و كانت هذه أول مدربة فى الإسلام سنة خمس

(١). ميناى: B. repmes

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩٤

(١) عشرة، و قيل ست «١» عشرة.

فلما بلغ عمر صنيع خالد قال: أمر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى! و قد كان عزله و المشى بن حارثة و قال: إنى لم أعزلها عن ربيبة و لكنَّ الناس عظموها فخشيت أن يوكلوا إليهما.

فأما المشى فإنه رجع عن رأيه فيه لما قام بعد أبى عبيد و رجع عن خالد بعد قنسرين. و أما هرقل فإنه خرج من الزهاء، و كان أول من أنبج كلابها و نفر دجاجها من المسلمين زياد بن حنظله، و كان من الصحابة، و سار هرقل فنزل بشمشاط، ثم أدرب منها نحو القسطنطينية. فلما أراد المسير منها علا على نشز ثم التفت إلى الشام فقال: السلام عليك يا سوريه، سلام لا اجتماع بعده، و لا يعود إليك رومى أبداً إلّا خائفاً حتى يولد المولود المشؤم، و يا ليتته لا- يولد! فما أحلى فعله و أمر فتنته على الروم. ثم سار فدخل القسطنطينية، و أخذ أهل الحصون التى بين إسكندرية [١] و طرسوس معه لئلا يسير المسلمون فى عمارة ما بين أنطاكية و بلاد الروم، و

شعث الحصون، فكان المسلمون لا يجدون بها أحدا، و ربما كمن عندها الروم فأصابوا غرة المتخلفين، فاحتاط المسلمون لذلك.

ذكر فتح حلب و أنطاكية و غيرها من العواصم

لما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب، فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا و غدروا، فوجه إليهم السيمط الكندي فحصرهم و فتحها و أصاب

[١] (يريد إسكندرونه).

(١). تسع. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩٥

(١) فيها بقرا و غنما فقسم بعضه في جيشه و جعل بقيته في المغنم. و وصل أبو عبيدة إلى حاضر حلب و هو قريب منها فجمع أصنافا من العرب، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك، و أتى حلب و على مقدمته عياض بن غنم الفهري، فتحصن أهلها و حصرهم المسلمون فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح و الأمان على أنفسهم و أولادهم و مدنتهم و كنائسهم و حصنهم، فأعطوا ذلك و استثنى عليهم موضع المسجد، و كان الندي صالحهم عياض، فأجاز أبو عبيدة ذلك. و قيل: صلحوا على أن يقاسموا منازلهم و كنائسهم. و قيل: إن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدا لأن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية و راسلوا في الصلح، فلما تم ذلك رجعوا إليها. و سار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية و قد تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين و غيرها. فلما فارقها لقيه جمع العدو فهزمهم فألجأهم إلى المدينة و حاصرها من جميع نواحيها، ثم إنهم صالحوه على الجلاء أو الجزية، فجلا بعض و أقام بعض فآمنهم، ثم نقضوا فوجه أبو عبيدة إليهم عياض بن غنم و حبيب بن مسلمة، ففتحها على الصلح الأول. و كانت أنطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين، فلما فتحت كتب عمر إلى أبي عبيدة أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين و اجعلهم بها مرابطة و لا تحبس عنهم العطاء.

و بلغ أبا عبيدة أن جمعا من الروم بين معزة مصرين و حلب، فسار إليهم فلقبهم فهزمهم و قتل عدده بطارقة و سبي و غنم و فتح معزة مصرين على مثل صلح حلب و جالت خيوله فبلغت بوقا و فتحت قرى الجومة «١» و سرمين و تيزين و غلبوا على جميع أرض قنسرين و أنطاكية، ثم أتى أبو عبيدة حلب

(١). الحوية، P. C. sitcnpenis, B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩٦

(١) و قد التاث أهلها، فلم يزل بهم حتى أذعنوا و فتحوا المدينة. و سار أبو عبيدة يريد قورس و على مقدمته عياض، فلقبه راهب من رهبانها يسأله الصلح، فبعث به إلى أبي عبيدة فصالحه على صلح أنطاكية، و بث خيله فغلب على جميع أرض قورس و فتح تل عزاز، و كان سلمان بن ربيعة الباهلي في جيش أبي عبيدة فنزل في حصن بقورس فنسب إليه فهو يعرف بحصن سلمان. ثم سار أبو عبيدة إلى منبج و على مقدمته عياض، فلحقه و قد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية، و سير عياضا إلى ناحية دلوك و رعبان فصالحه أهلها على مثل [صلح] منبج، و اشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم.

و ولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملا- و ضم إليه جماعة و شحن النواحي المخوفة، و سار إلى بالس، و بعث جيشا مع حبيب بن مسلمة إلى قاصرين فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلد الروم و أرض الجزيرة و قرية جسر منبج، و لم يكن

الجسر يومئذ، و إنما اتَّخذ فى خلافة عثمان للصوائف، و قيل: بل كان له رسم قديم. و استولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات، و عاد أبو عبيدة إلى فلسطين.

و كان بجبل اللكّام مدينة يقال لها جرجومة و أهلها يقال لهم الجراجمة، فسار حبيب بن مسلمة إليها من أنطاكية فافتتحها صلحا على أن يكونوا أعوانا للمسلمين.

و فيها سيّر أبو عبيدة بن الجراح جيشا مع ميسرة بن مسروق العبسى، فسلخوا درب بغراس من أعمال أنطاكية إلى بلاد الروم، و هو أول من سلك ذلك الدرب، فلقي جمعا للروم معهم عرب من عسّان و تنوخ «١» و إياد يريدون اللحاق بهرقل، فأوقع بهم و قتل منهم مقتلة عظيمة، ثم لحق به مالك الأشر

(١). [٤]. B. dda

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩٧

(١) التّخعى مددا من قبل أبى عبيدة و هو بأنطاكية، فسلموا و عادوا. و سيّر جيشا آخر إلى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحتها على إجلاء أهلها بالأمان و أخرجها.

و سيّر جيشا آخر مع حبيب بن مسلمة إلى حصن الحدث، و إنما سمى الحدث لأن المسلمين لقوا عليه غلاما حدثا فقاتلهم فى أصحابه، فقيل درب الحدث، و قيل: لأنّ المسلمين أصيبوا به فقيل درب الحدث، و كان بنو أمية يسمونه درب السلامة لهذا المعنى.

ذكر فتح قيسارية و حصر غزّة

فى هذه السنة فتحت قيسارية، و قيل: سنة تسع عشرة، و قيل: سنة عشرين.

و كان سببها: أنّ عمر كتب إلى يزيد بن أبى سفيان أن يرسل معاوية إلى قيسارية، و كتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك، فسار معاوية إليها فحصر أهلها، فجعلوا يزاحفونه و هو يهزمهم و يردّهم إلى حصنهم. ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين، و بلغت قتلاهم فى المعركة ثمانين ألفا و كملها فى هزيمتهم مائة ألف و فتحها، و كان علقمة بن مجرّز قد حصر القيقار «١» بغزّة و جعل يرأسله، فلم يشفه «٢» أحد بما يريد، فأتاه كأنه رسول علقمة، فأمر القيقار «٣» رجلا- أن يقعد له فى الطريق فإذا مرّ به قتله، ففطن علقمة فقال: إنّ معى نفرا يشركونى فى الرأى فأنطلق فأتيك بهم، فبعث القيقار «٤» إلى ذلك الرجل أن لا يعرض له، فخرج علقمة من عنده فلم يعد و فعل كما فعل عمرو بالأرطوبون.

(مجرّز بجيم و زابين الأولى مكسورة [مشددة]).

(١-٣-٤). الفيقار. ejeoGeD

(٢). يسبقه B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩٨

(١)

ذكر فتح بيسان و وقعة أجنادين

و لما انصرف أبو عبيدة و خالد إلى حمص نزل عمرو و شرحبيل على أهل بيسان فافتتحها و صالحا أهل الأردن، و اجتمع عسكر الروم بغزّة و أجنادين و بيسان، و سار عمرو و شرحبيل إلى الأرطوبون و من معه و هو بأجنادين، و استخلف على الأردنّ أبا الأعور،

فتزل بالأرطوبون و معه الروم. و كان الأرطوبون أدهى الروم و أبعدها غورا، و كان قد وضع بالرملة جندا عظيما، و يلبياء جندا عظيما. فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال: قد رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب فانظروا عمّ تنفرج. و كان معاوية قد شغل أهل قيسارية عن عمرو، و كان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم الفراسى و مسروق بن فلان العككى على قتال إلبياء، فشغلوا من به عنه، و جعل أيضا أبا أيوب المالكى على من بالرملة من الروم فشغلهم عنه، و تابعت الأمداد من عند عمر إلى عمرو، و أقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطوبون على شىء و لا تشفيه الرسل، فسار إليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول، ففطن به الأرطوبون و قال: لا شك أن هذا هو الأمير أو من يأخذ الأمير برأيه، فأمر إنسانا أن يقعد على طريقه ليقتله إذا مرّ به، و فطن عمرو لفعله فقال له: قد سمعت منى و سمعت منك، و قد وقع قولك منى موقعا و أنا واحد من عشرة بعثنا عمر إلى هذا الوالى لنكافئه «١» فأرجع فأتيتك بهم الآن، فإن رأوا الذى عرضت علىّ الآن فقد رآه الأمير و أهل العسكر، و إن لم يروه رددتهم إلى مأمئهم. فقال: نعم، و ردّ الرجل الذى أمر بقتله.

(١). لنكايته. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٤٩٩

(١) فخرج عمرو من عنده و علم الرومى أنها خدعة اختدعه بها فقال: هذا أدهى الخلق! و بلغت خديعته عمر بن الخطاب فقال: لله درّ عمرو! و عرف عمرو مأخذة فلقه فاقتلوا بأجنادين قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم، و انهزم أرطوبون إلى إلبياء، و نزل عمرو أجنادين، و أفرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لأرطوبون، فدخل إلبياء و أزاح المسلمين عنه إلى عمرو. و قد تقدّم ذكر وقعه أجنادين على قول من يجعلها قبل اليرموك، و سياقها على غير هذه السياقة، فلهذا ذكرناها هنالك و هاهنا.

ذكر فتح بيت المقدس و هو إلبياء

فى هذه السنة فتح بيت المقدس، و قيل: سنة ستّ عشرة فى ربيع الأوّل.

و سبب ذلك أنه لما دخل أرطوبون إلبياء* فتح عمرو غزّة، و قيل:

كان فتحها فى خلافة أبى بكر، ثم فتح سبسطية، و فيها قبر يحيى بن زكريا، عليه السلام، و فتح نابلس بأمان على الجزية، و فتح مدينة لدّ، ثم فتح يبنى و عمواس و بيت جبرين، و فتح يافا، و قيل: فتحها معاوية، و فتح عمرو مرج «١» [عيون]، فلما تمّ له ذلك «٢» أرسل إلى أرطوبون رجلا- يتكلم بالرومية و قال له: اسمع ما يقول، و كتب معه كتابا، فوصل الرسول و دفع الكتاب إلى أرطوبون و عنده و زراؤه، فقال أرطوبون: لا يفتح و الله عمرو شيئا من

(١). رمح. ldoB.

(٢). B. mO.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠٠

(١) فلسطين بعد أجنادين. فقالوا له: من أين علمت هذا؟ فقال: صاحبها رجل صفته كذا و كذا، و ذكر صفة عمر. فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره الخبر، فكتب إلى عمر بن الخطاب يقول: إنى أعالج عدوا شديدا و بلادا قد ادخرت لك، فأريك. فعلم عمر أن عمرا لم يقل ذلك إلّا بشىء سمعه، فسار عمر عن المدينة. الكامل فى التاريخ ج ٢ ٥٠٠ ذكر فتح بيت المقدس و هو إلبياء ص: ٤٩٩

* و

قيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام أن أبا عبيدة حصر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصلحهم على صلح أهل مدن الشام و أن

يكون المتولّى للعقد عمر بن الخطّاب، فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة «١» واستخلف عليها علىّ ابن أبى طالب، فقال له علىّ: أين تخرج بنفسك؟ إنك تريد عدواً كلباً.

فقال عمر: أبادر بالجهاد قبل موت العباس، إنكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشرّ كما ينتقض الجبل.

فمات العباس لسّ سنين من خلافة عثمان، فانتقض بالّباس الشرّ.

و سار عمر فقدم الجابية على فرس، و جميع ما قدم الشام أربع مرّات:

الأولى على فرس، الثانية على بعير، و الثالثة على بغل، رجع لأجل الطاعون، و الرابعة على حمار. و كتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية ليوم سمّاه لهم فى المجردة و يستخلفوا على أعمالهم، فلقوه حيث رفعت لهم الجابية، فكان أول من لقيه يزيد و أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج و الحرير، فنزل و أخذ الحجارة و رماهم بها و قال: ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم! إيتاى «٢» تستقبلون فى هذا الزىّ و إنّما شعبتم منذ سنتان! و بالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم. فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنّها يلامقة «٣» [١]،

[١] بلامعة. (و اليلمق، فارسية: القباء المحشو).

B.mO.(١)

B.ألمن.(٢)

IdoB.(٣) بلامقة ان.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠١

(١) و إنّ علينا السلاح. قال: فنعم إذن. و ركب حتى دخل الجابية و عمرو و شرحبيل كأنهما لم يتحرّكا.

فلما قدم عمر الجابية قال له رجل من اليهود: يا أمير المؤمنين، إنك لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء، و كانوا قد شجوا عمرا و أشجاهم و لم يقدر عليها و لا على الرملة. فبينما عمر معسكر بالجابية فزع الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: أ لا ترى إلى الخيل و السيوف؟ فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف. فقال عمر: مستأمنه فلا تراعوا، فأمنوهم، و إذا أهل إيلياء و حيزها «١»، فصالحهم على الجزية و فتحوها له، و كان الذى صالحه العوامّ لأنّ أرتبون و التذارق دخلا مصر لما وصل عمر إلى الشام و أخذنا كتابه على إيلياء و حيزها و الرملة و حيزها، فشهد ذلك اليهودى الصلح. فسأله عمر عن الدجال، و كان كثير السؤال عنه. فقال له: و ما سألتك عنه يا أمير المؤمنين؟ أنتم و الله تقتلونهم دون باب لدّ بيضع عشرة ذراعا. و أرسل عمر إليهم بالأمان و جعل علقمة بن حكيم على نصف فلسطين و أسكنه الرملة، و جعل علقمة بن مجزّز على نصفها الآخر و أسكنه إيلياء. و ضمّ عمرا و شرحبيل إليه بالجابية، فلقياه راكبا فقبلا ركبته، و ضمّ [عمر] كلّ واحد منهما محتضنهما.

ثمّ سار إلى بيت المقدس من الجابية فركب فرسه فرأى به عرجا، فنزل عنه و أتى ببرذون فركبه، فجعل يتجلجل به، فنزل و ضرب وجهه و قال: لا أعلم من علمك هذه الخيلاء! ثمّ لم يركب برذونا قبله و لا بعده.

و فتحت إيلياء و أهلها على يديه. و قيل: كان فتحها سنة ستّ عشرة، و لحق أرتبون و من أبى الصلح من الروم بمصر، فلما ملك المسلمون مصر

(١). و الرملة و حيزها. P.C. dda

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠٢

(١) قتل، وقيل: بل لحق بالروم، فكان يكون على صوائفهم، و التقى هو و صاحب صائفة المسلمين، و مع المسلمين رجل من قيس يقال له ضريس، فقطع يد القيسى و قتله القيسى، فقال فيه:
 فإن يكن أربطون الرّوم أفسدها فإنّ فيها بحمد الله منتفعا «١»
 و إن يكن أربطون الرّوم قطعها فقد تركت بها أوصاله قطعاً

ذكر فرض العطاء و عمل الديوان

و فى سنة خمس عشرة فرض عمر للمسلمين الفروض، و دوّن الدواوين، و أعطى العطايا على السابقة، و أعطى صفوان بن أمية و الحارث بن هشام و سهيل ابن عمرو فى أهل الفتح أقلّ ما أخذ من قبلهم، فامتنعوا من أخذه و قالوا:
 لا- نعترف أن يكون أحد أكرم منّا. فقال: إني إنما أعطيتكم على السابقة فى الإسلام لا على الأحساب. قالوا: فنعم إذا، و أخذوا، و خرج الحارث و سهيل بأهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا فى بعض تلك الدروب، و قيل: ماتا فى طاعون عمواس.
 و لما أراد عمر وضع الديوان قال له عليّ و عبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك. قال: لا بل أبدأ بعن رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، ثمّ الأقرب فالأقرب، ففرض للعبّاس و بدأ به، ثمّ فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثمّ فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف، ثمّ فرض لمن بعد الحديبية إلى أن ألق أبو بكر عن أهل الردّة ثلاثة آلاف ثلاثة

(١). مرتفعا. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠٣

(١) آلاف*، فى ذلك من شهد الفتح و قاتل عن أبى بكر و من ولى الأيام قبل القادسية، كلّ هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف «١»، ثمّ فرض لأهل القادسية و أهل الشام ألفين ألفين، و فرض لأهل البلاء النازع منهم ألفين و خمسمائة ألفين و خمسمائة. فقيل له: لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام، فقال: لم أكن لألحقهم بدرجته من لم يدركوا. و قيل له: قد سوّيت من بعدت داره بمن قربت داره و قاتلهم عن فئته. فقال: من قربت داره أحقّ بالزيادة لأنهم كانوا رداء للحتوف و شجى للعدوّ، فهلّا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوّينا بين السابقين منهم و الأنصار! فقد كانت نصره الأنصار بفنائهم و هاجر إليهم المهاجرون من بعد. و فرض لمن بعد القادسية و اليرموك ألفا ألفاً، ثمّ فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة، ثمّ للروادف الثلث [١] بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة، سوى كلّ طبقة فى العطاء قويهم و ضعيفهم، عربهم و عجمهم، و فرض للروادف الربيع على مائتين و خمسين، و فرض لمن بعدهم، و هم أهل هجر و العباد، على مائتين، و ألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها: الحسن و الحسين و أبا ذرّ و سلمان. و كان فرض للعبّاس خمسة و عشرين ألفاً، و قيل: اثني عشر ألفاً، و أعطى نساء النّبى، صلى الله عليه و سلّم، عشرة آلاف عشرة آلاف، إلّا من جرى عليها الملك. فقال نساء رسول الله، صلى الله عليه و سلّم: ما كان رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، يفضّلنا عليهنّ فى القسمة، فسوّ بيننا، ففعل و فضّل عائشة بألفين لمحبة رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، إيّاها،

[١] اللّيث.

(١). B.mO.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠٤

(١) فلم تأخذ. و جعل نساء أهل بدر فى خمسمائة خمسمائة، و نساء من بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة، و نساء من بعد

ذلك إلى الأيام ثلاثمائة ثلاثمائة، و نساء أهل القادسيّة مائتين مائتين، ثمّ سوى بين النساء بعد ذلك و جعل الصبيان سواء على مائة مائة، ثمّ جمع ستين مسكينا و أطعمهم الخبز، فأحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج من جريبتين، ففرض لكلّ إنسان منهم و لعياله جريبتين في الشهر.

و قال عمر قبل موته: لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، ألفا يجعلها الرجل في أهله، و ألفا يزودها معه، و ألفا يتجهز بها، و ألفا يترقق بها. فمات قبل أن يفعل.

و قال له قائل عند فرض العطاء: يا أمير المؤمنين لو شركت [١] في بيوت الأموال عدّة لكون إن كان. فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك و قاني الله شرّها، و هي فتنة لمن بعدى، بل أعدّ لهم ما أعدّ الله و رسوله طاعة لله و رسوله، هما عدتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان المال ثمن دين أحدكم هلكتم.

و

قال عمر للمسلمين: إني كنت امرأ «١» تاجرا يغني الله عيالي بتجارتى، و قد شغلتموني بأمركم هذا، فما ترون أنه يحلّ لي في هذا المال؟ و عليّ ساكت.

فأكثر القوم، فقال: ما تقول يا عليّ؟ فقال: ما أصلحك و عيالك بالمعروف ليس لك غيره.

فقال القوم: القول ما قال عليّ: فأخذ قوته و اشتدّت حاجه عمر، فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان و عليّ و طلحة و الزبير فقالوا: لو قلنا لعمر في زيادة زريده إياها في رزقه. فقال عثمان: هلموا فلنستبرئ «٢» ما عنده

[١] (في الطبري: تركت).

(١). أميراً. P.C.

(٢). فليشترى. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٥

(١) من وراء وراء، فأتوا حفصة ابنته فأعلموها الحال و استكتموها أن لا تخبر بهم عمر. فلقيت عمر في ذلك، فغضب و قال: من هؤلاء لأسوءهم؟ قالت:

لا- سبيل إلى علمهم. قال: أنت بيني و بينهم، ما أفضل ما اقتنى رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، في بيتك «١» من الملبس؟ قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد و الجمع. قال: فأى الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت: حرفا من خبز شعير فصبنا عليه و هو حارّ أسفل عكّه لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها. قال: و أى مبسط كان يبسط عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء ثخين كنّا نربعه «٢» في الصيف، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه و تدثّرنا بنصفه. قال:

يا حفصة فأبلغهم أن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، قدّ فوضع الفضول مواضعها و تبّلع بالترجيه [١]، فوالله لأضعن الفضول مواضعها و لأتبّلغن بالترجيه [١]، و إنّما مثلى و مثل صاحبى كثلثه سلوكوا طريقا، فمضى الأول و قد تزود فبلغ المنزل، ثمّ اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه، ثمّ اتبعه الثالث فإنّ لزم طريقهما و رضى بزادهما ألحق بهما، و إن سلكت غير طريقهما لم يجمعهما.

ذكر الحروب إلى آخر السنة فمن ذلك اليوم برس و بابل و كوثى

لما فرغ سعد من أمر القادسيّة أقام بها بعد الفتح شهرين و كاتب عمر فيما يفعل، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن و أن يخلف النساء و العيال بالعتيق و أن يجعل معهم جندا كثيفا و أن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون

[١] بالترجية. (و الترجية: الاكتفاء).

(١). يدك B.

(٢). نرفعه B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠٦

(١) المسلمين فى عيالاتهم. ففعل ذلك و سار من القادسيه لأيام بقين من سؤال، و كل الناس مؤد مذ نقل الله إليهم ما كان فى عسكر الفرس. فلما وصلت مقدمه المسلمين برس و عليهم عبد الله بن المعتم و زهره بن حويه و شرحبيل ابن السمط لقيهم بها بصبها فى جمع من الفرس، فهزمه المسلمون و من معه إلى بابل و بها فاله القادسيه و بقايا رؤسائهم النخيران «١» و مهران الرازى و الهرمان و أشباههم و قد استعملوا عليهم الفيرزان، و قدم بصبها منهزما من برس فوق فى النهر و مات من طعنه كان طعنه زهره، و لما هزم بصبها أقبل بسطام دهقان برس فصالح زهره و عقد له الجسور و أخبره بمن اجتمع ببابل، فأرسل زهره إلى سعد يعرّفه ذلك. فقدم عليه سعد برس و سيّره فى المقدمه و أتبعه عبد الله و شرحبيل و هاشما المرقال و اتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل و قد قالوا: نقاتلهم قبل أن نفترق، فاقتلوا فهزمهم المسلمون، فانطلقوا على وجهين، فسار الهرمان نحو الأهواز فأخذها فأكلها، و خرج الفيرزان نحو نهاوند فأخذها فأكلها و بها كنوز كسرى، و أكل الماهين، و سار النخيران و مهران إلى المدائن و قطعوا الجسر. و أقام سعد ببابل، فقدم زهره بين يديه بكير بن عبد الله الليثى و كثير ابن شهاب السعدى حتى عبرا الصراه فلاحقا بأخريات القوم و فيهم فيومان و الفرخان، فقتل بكير الفرخان و قتل كثير فيومان بسوراء، و جاء زهره فجاز سوراء [١] و نزل، و جاء سعد و هاشم و الناس و نزلوا عليه، و تقدم زهره نحو الفرس، و كانوا قد نزلوا بين الدير و كوثر، و قد استخلف النخيران و مهران على جنودهما شهياري، فنازلهم زهره، فبرزوا إلى قتاله، و خرج شهياري يطلب

[١] فحاز بسوراء.

(١). النخيران B, sitcnupeniste, IdoB, sitcnupenis, IdoB, repmeseref, P.C, البخرخان B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠٧

(١) المبارزة، فأخرج زهره إليه أبا نباته نائل بن جشم الأعرجى، و كان من شجعان بنى تميم، و كلاهما وثيق الخلق [١]. فلما رأى شهياري نائلا ألقى الرمح ليعتنقه، و ألقى أبو نباته رمحه ليعتنقه أيضا، و انتضيا سيفيهما فاجتادا [٢] ثم اعتنقا فسقطا عن دابتهما، فوقع شهياري عليه كأنه جمل [٣]، فضغظه بفخذه و أخذ الخنجر و أراد حل أزرار [٤] درعه، فوقعت إصبه فى فى نائل فكسر عظمها، و رأى منه فتورا فبادره و جلد به الأرض ثم قعد على صدره و أخذ خنجره و كشف درعه عن بطنه و طعن به بطنه و جنبه حتى مات، و أخذ فرسه و سواريه و سلبيه، و انهزم أصحابه فذهبوا فى البلاد، و أقام زهره بكوثر حتى قدم عليه سعد، فقدم إليه نائلا و ألبسه سلاح شهياري و سواريه و أركبه برذونه و غنمه الجميع، فكان أول أعرجى سور بالعراق، و قام بها سعد أياما و زار مجلس إبراهيم الخليل، عليه السلام.

و قيل: كانت هذه الوقعات سنه ست عشرة.

(نائلا بالنون، و بعد الألف ياء تحتها نقطتان، و آخره لام).

[١] الجلوة.

[٢] سيفهما فأخلدا.

[٣] حمل.

[٤] أزر.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠٨

(١)

ذكر بهرسير «١» و هي المدينة العتيقة و هي المدائن الدنيا من الغرب

ثم إنَّ سعداً قدّم زهرةً إلى بهرسير فمضى في المقدمات، فتلّقاه شيرازاد دهقان سابط بالصلح فأرسله إلى سعد، فصالحه على تأدية الجزية، ولقى زهرة كتيبة بنت كسرى التي تدعى بوران، و كانوا يحلفون كلّ يوم أن لا يزول ملك فارس ما عشنا، فهزمهم و قتل هاشم بن عتبة، و هو ابن أخي سعد، المقرّط «٢» [١]، و هو أسد كان لكسرى قد ألفه، فقبّل سعد رأس هاشم، و قبّل هاشم قدم سعد، و أرسله سعد في المقدمه إلى بهرسير، فنزل إلى المظلم، و قرأ: أ و لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالِ «٣»، ثم ارتحل فنزل على بهرسير، و وصلها سعد و المسلمون فرأوا الإيوان، فقال ضرار بن الخطّاب: الله أكبر! أبيض كسرى! هذا ما وعد الله و رسوله.

و كبر و كبر الناس معه، فكانوا كلّما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة، و كان نزولهم عليها في ذى الحجة. و حجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب. و كان عامله فيها على مكّة عتاب بن أسيد في قول، و على الطائف يعلى بن منية، و على اليمامة و البحرين عثمان بن أبي العاص، و على عمان حذيفة بن محصن، و على الشام أبو عبيدة بن الجراح، و على الكوفة و أرضها سعد بن أبي وقاص، و على البصرة المغيرة بن شعبه.

و فيها مات سعد بن عبادة الأنصاري، و قيل: توفّي في خلافة أبي بكر.

و نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، و كان أسنّ من أسلم من بني هاشم.

[١] القرط.

(١).maj ,oitpi rcs mucidoctairaV نهرشير tse sitc nupenismajte

(٢). المفراط .P.C.

(٣). ٤٤. inaroc، sv،

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٠٩

(١)

١٦ ثم دخلت سنة ست عشرة**ذكر فتح المدائن الغربية و هي بهرسير**

في هذه السنة في صفر دخل المسلمون بهرسير، و كان سعد محاصراً لها، و أرسل الخيول فأغارت على من ليس له عهد، فأصابوا مائة ألف فلّاح، فأصاب كلّ واحد منهم فلّاحاً لأنّ كلّ المسلمين كان فارساً، فأرسل سعد إلى عمر يستأذنه، فأجابه: إنّ من جاءكم من

الفلّاحين ممّن لم يعينوا عليكم فهو أمانهم «[١]»، و من هرب فأدر كتموه فشأنكم به. فخلّى سعد عنهم و أرسل إلى الدهاقين و دعاهم إلى الإسلام أو الجزية و لهم الذمّة، فتراجعوا و لم يدخل فى ذلك ما كان لآل كسرى، فلم يبق [فى] غربى دجلة إلى أرض العرب سوادى إلّا أمن و اغتبط بملك الإسلام.

و أقاموا على بهر سير شهرين يرمونهم بالمجانيق و يدبّون [٢] إليهم بالدبابات و يقاتلونهم بكلّ عدّة، و نصبوا عليها عشرين منجنيقا فشغلوهم بها، و ربّما خرج العجم فقاتلوهم فلا يقومون لهم، و كان آخر ما خرجوا متجرّدين للحرب و تبايعوا [٣] على الصبر، فقاتلهم المسلمون. و كان على زهرة بن الحويّة درع

[١] أمانه.

[٢] و يدنون.

[٣] و تبالغوا.

(١). أمنهم. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥١٠

(١) مفصومة [١]، فقيل له: لو أمرت بهذا الفصم فسرّد. فقال لهم: إنى على الله لكريم* أن ترك سهم فارس الجند كلّهم ثمّ أتانى من هذا الفصم حتى يثبت فى [٢]! فكان أول رجل أصيب من المسلمين يومئذ هو بنشابة من ذلك الفصم. فقال بعضهم: انزعوها. فقال: دعونى فإنّ نفسى معى ما دامت فى، لعلّى [٣] أن أصيب منهم بطعنه أو ضربه. فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهبان من أهل إصطخر فقتله، و أحيط به فقتل و ما انكشفوا.

وقيل: إنّ زهرة عاش إلى أيام الحجاج فقتله شبيب الخارجى، و سيرد ذكره.

و اشتدّ الحصار بأهل المدائن الغربيّة حتى أكلوا السنابير و الكلاب و صبروا من شدّة الحصار على أمر عظيم، فبينما هم يحاصرونهم إذ أشرف عليهم رسول الملك، فقال: الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا و لكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أ ما شبعتم لا أشبع الله بطونكم! فقال لهم أبو مفزّر [٤] الأسود بن قطبة، و قد أنطقه الله تعالى بما لا يدرى ما هو و لا- من معه. فرجع الرّجل فقطعوا دجلة إلى المدائن الشرقيّة التى فيها الإيوان، فقال له من معه: يا أبا مفزّر [٤] ما قلت له؟ قال: و الذى بعث محمّدا بالحقّ ما أدرى و أنا أرجو أن أكون قد نطقت بالذى هو خير. و سأله سعد و الناس عمّا قال فلم يعلم. فنادى سعد فى الناس، فنهّدوا إليهم فما ظهر على المدينة أحد و لا خرج رجل إلّا رجل ينادى بالأمان، فأمنوه، فقال لهم:

ما بقى بالمدينة من يمنعكم. فدخلوا فما وجدوا فيها شيئا و لا أحدا إلّا أسارى

[١] مفصوم.

[٢]* أن نزل سهم فارس الجند كلّهم لم يأمنى من هذا الفصم حتى ثبت فى.

[٣] لعلّ.

[٤] مقزّن.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥١١

(١) و ذلك الرجل، فسألوه لأى شىء هربوا؟ فقال: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه أنّه لا يكون بيننا و بينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل أفريدون بأترج كوثى. فقال الملك: يا ويلتيه! إنّ الملائكة تتكلّم على ألسنتهم تردّ علينا.

فساروا إلى المدينة القصوى. فلما دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل، و أرادوا العبور إلى المدائن فوجدوا المعابر قد أخذوها ما بين المدائن «١» و تكريت.

ذكر فتح المدائن التي فيها إيوان كسرى

و كان فتحها في صفر أيضا سنة ست عشرة، قيل: و أقام سعد بهر سير أياما من صفر، فأتاه عالج فدله على مخاضة تخاض إلى صلب الفرس، فأبى و تردّد عن ذلك، و قحمهم المد، و كانت السنة كثيرة المدود و دجلة تقذف «٢» [١] بالزبد، فأتاه عالج فقال: ما يقيمك؟ لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكلّ شيء في المدائن. فهيجه ذلك على العبور، و رأوا رؤيا: أنّ خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت، فعزم سعد لتأويل الرؤيا، فجمع الناس فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: إنّ عدوّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليه معه و يخلصون إليكم إذا شاءوا في سفنهم فيناوشونكم و ليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، قد كفاكم أهل الأيام و عطّلوا ثغورهم «٣»، و قد رأيت من الرأى أن تجاهدوا العدو قبل أن تحصدكم الدنيا، ألا إنّي قد

[١] تقذفت.

(١). البطائح.B

(٢). [٩]. P.C.

(٣). بعبورهم.B، بغورهم.P.C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥١٢

(١) عزم على قطع هذا البحر إليهم.

فقالوا جميعا: عزم الله لنا و لك على الرشد فافعل. فندب الناس إلى العبور و قال: من يبدأ و يحمى لنا الفراض «١» حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من العبور؟ فانتدب له عاصم بن عمرو ذو البأس في ستمائة من أهل النجدات، فاستعمل عليهم عاصما، فقدمهم عاصم في ستين فارسا و جعلهم على خيل ذكور و إناث ليكون أسلس لسباحة الخيل، ثمّ اقتحموا دجلة. فلما رأهم الأعاجم و ما صنعوا أخرجوا للخيل التي تقدّمت مثلها فاقتموا عليهم دجلة، فلقوا عاصما و قد دنا من الفراض. فقال عاصم:

الرماح الرماح! أشرعوها و توخّوا العيون. فالتقوا فاطعنوا، و توخّى المسلمون عيونهم فولّوا، و لحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم، و من نجا منهم صار أعور من الطعن، و تلاحق الستمائة بالسّتين غير متعيين «٢».

و لما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها أذن للناس في الاقتحام و قال:

قولوا نستعين بالله و نتوكّل عليه، حسبنا الله و نعم الوكيل، و الله لينصرنّ الله وليه و ليظهرنّ دينه و ليهزمّن عدوّه، [لا حول] و لا قوة إلّا بالله العليّ العظيم. و تلاحق الناس في دجلة و إنهم يتحدّثون كما يتحدّثون في البرّ، و طبّقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شيء. و كان الذي يساير سعدا سلمان الفارسيّ، فعامت بهم خيولهم، و سعد يقول: حسبنا الله و نعم الوكيل، و الله لينصرنّ الله وليه و ليظهرنّ دينه و ليهزمّن عدوّه إن لم يكن في الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات. فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذلّت لهم البحور كما ذلّت لهم البرّ، أما و الذي نفس سلمان بيده ليخرجنّ منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا. فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئا،

(١). المقراض.B

(٢). [٩]. P.C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥١٣

(١) إلاً أن مالك بن عامر العنبري سقط منه قدح فذهبت به جريء الماء فقال له الذي يسايره معيرا له: أصابه القدر فطاح. فقال: والله إنني لعلی حالة ما كان الله ليسلبنى قدحی من بین العسکرین. فلما عبروا ألقته الريح إلى الشاطئ فتناوله بعض الناس و عرفه صاحبه فأخذه. و لم يغرق منهم أحد غير أن رجلا من بارق يدعى غرقدة [١] زال عن ظهر فرس له أشقر، فثنى القعقاع عنان فرسه إليه فأخذ بيده فأخرجه سالما. و خرج الناس سالمين و خيلهم تنفض أعرافها.

فلما رأى الفرس ذلك و أتاهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حلوان، و كان يزدجرد قد قدم عياله إلى حلوان قبل ذلك و خلف مهران الرازي و النخیرخان، و كان على بيت المال بالنهروان، و خرجوا معهم بما قدروا عليه من خير متاعهم و خفيفة و ما قدروا عليه من بيت المال و بالنساء و الذراري و تركوا في الخزائن من الثياب و المتاع و الآنية و الفصوص «١» و الألفاظ ما لا يدري قيمته، و خلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر و الغنم و الأطعمة.

و كان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف «٢»، ثلاث مرات، أخذ منها رستم عند مسيره إلى القادسية النصف و بقي النصف. و كان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال «٣»، و هي كتيبة عاصم بن عمرو، ثم كتيبة الخرساء «٤» [٢]، و هي كتيبة القعقاع بن عمرو، فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحدا يخشونه إلا من كان في القصر الأبيض، فأحاطوا بهم و دعوهم فاستجابوا على تأديته

[١] غرقدة.

[٢] الحرشا.

(١). و الفصول P.C.

B.mO.(٢)

(٣). الأهواز. B.

(٤). الحربية. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥١٤

(١) الجزية و الذمة، فراجع إليهم أهل المدائن على مثل عهدهم ليس في ذلك ما كان لآل كسرى. و نزل سعد القصر الأبيض، و سرح سعد زهرة في آثارهم إلى النهروان، و مقدار ذلك من كل جهة. و كان سلمان الفارسي رائد المسلمين و داعيتهم، دعا أهل بهر سير ثلاثا و أهل القصر الأبيض ثلاثا، و اتخذ سعد إيوان كسرى مصلى و لم يغير ما فيه [١] من التماثيل. و لم يكن بالمدائن أعجب من عبور الماء، و كان يدعى يوم الجراثيم، لا يبغى أحد إلا اشمخرت [٢] له جرثومة من الأرض يستريح عليها ما يبلغ الماء حزام فرسه، و لذلك يقول أبو بجيد نافع بن الأسود:

و أسلنا [٣] على المدائن خيلا بحرهما مثل برهن أريضا

فانتلنا خزائن المرء كسرى يوم ولوا و خاض منها جريضا و لما دخل سعد الإيوان قرأ: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ إِلَى قَوْلِهِ: قَوْمًا آخِرِينَ «١»، و صلى فيه صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينهن و لا يصلى جماعة، و أتم الصلاة لأنه نوى الإقامة، و كانت أول جمعة بالعراق، و جمعت بالمدائن في صفر سنة ست عشرة.

و لما سار المسلمون وراءهم أدرك رجل من المسلمين فارسيا يحمى أصحابه فضرب فرسه ليقدم على المسلم، فأحجم و أراد الفرار فتعاس، فأدركه المسلم

[١] فيها.

[٢] انشخرت.

[٣] و أملنا.

(١). ٢٨-٢٥. ssv, ٤٤inaroC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥١٥

(١) فقتله و أخذ سلبه، و أدرك رجل آخر من المسلمين جماعةً من الفرس يتلاومون و قد نصبوا لأحدهم كرة [١] و هو يرميها لا يخطئها، فرجعوا فلقبهم المسلم، فتقدّم إليه ذلك الفارسى فرماه بأقرب ممّا كانت الكرة [١] فلم يصبه، فوصل المسلم إليه فقتله و هرب أصحابه.

(أبو بجيد بضّم الباء الموحّدة، و فتح الجيم، و بعدها ياء تحتها نقطتان، و دال مهملة).

ذكر ما جمع من غنائم أهل المدائن و قسمتها

كان سعد قد جعل على الأقباض عمرو بن عمرو بن مقرّن، و على القسمة سلمان بن ربيعة الباهلى، فجمع ما فى القصر و الإيوان و الدّور و أحصى ما يأتية به الطلب، و كان أهل المدائن قد نهبوا عند الهزيمة و هربوا فى كلّ وجه، فما أفلت أحد منهم بشىء إلّا أدركهم الطلب فأخذوا ما معهم، و رأوا بالمدائن قبابا «١» تركية مملوءة سلالا مختومة برصاص فحسبوا [٢] طعاما، فإذا فيها آنية الذهب و الفضة، و كان الرجل يطوف لبيع الذهب بالفضة متماثلين. و رأوا كافورا كثيرا فحسبوه ملحاً، فعجنوا به فوجدوه مرّاً. و أدرك الطلب مع زهرة جماعةً من الفرس على جسر النهروان فزادحموا عليه، فوقع منهم بغل فى الماء فعجلوا و كبوا عليه، فقال بعض المسلمين:

[١] كربة.

[٢] فحسبوه.

(١). حبابا. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥١٦

(١) إن لهذا البغل لشأنا، فجالدهم المسلمون عليه حتى أخذوه و فيه حلية كسرى، ثيابه و خرزاته و وشاحه و درعه التى فيها الجواهر، و كان يجلس فيها للمباهاة.

و لحق الكلج «١» [١] بغلين معهما فارسىان فقتلتهما و أخذ البغليين فأبلغهما صاحب الأقباض، و هو يكتب ما يأتية به الرجال، فقال له: قف حتى ننظر ما معك.

فحطّ عنهما فإذا سفطان فيهما تاج كسرى مرصعا «٢»، و كان لا يحمله إلّا أسطوانتان [٢] و فيه الجواهر، و على البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التى كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر و غير الديباج منسوجا منظوما.

و أدرك القعقاع بن عمرو فارسيا فقتله و أخذ منه عيبتين فى إحداهما خمسة أسياف و فى الأخرى ستّة أسياف و أدرع، منها درع كسرى و مغافره و درع هرقل و درع خاقان ملك الترك و درع داهر ملك الهند و درع بهرام جويين «٣» و درع سياوخش و درع النعمان استلبها [٣] الفرس أيام غزاهم خاقان و هرقل و داهر، و أمّا النعمان و جويين [٣] فحين هربا من كسرى، و السيوف من سيوف

كسرى و هرمز و قباد و فيروز و هرقل و خاقان و داهر و بهرام و سیاوخش و النعمان، فأحضر القعقاع الجميع عند سعد، فخيرته بين الأسياف فاختر سيف هرقل، و أعطاه درع بهرام و نفل سائرهما في الخرساء [٤]، إلا سيف كسرى و النعمان، بعث بهما إلى عمر بن الخطاب لتسمع العرب بذلك

[١] الكلخ.

[٢] الأسطوانيان.

[٣] أسلبها.

[٤] الحرشا.

(١). الحكم. B.

(٢). [٤]. C. P.

(٣). شويين. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥١٧

(١) و حبسوهما [١] في الأحماس، و بعثوا بتاج كسرى و حليته و ثيابه إلى عمر ليراه المسلمون.

و أدرك عصمه بن خالد الضبّي رجلين معهما حماران فقتل أحدهما و هرب الآخر، و أخذ الحمارين فأتى بهما صاحب الأقباض فإذا على أحدهما سفطان في أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضة و على ثفره و لبيه [٢] الياقوت و الزمرد المنظوم على الفضة، و لجام كذلك، و فارس من فضة مكلل بالجواهر، و في الآخر ناقة من فضة عليها شليل [٣] من ذهب و بطان من ذهب و لها زمام من ذهب، و كل ذلك منظوم بالياقوت، و عليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر، كان كسرى يضعهما على أسطواناتي التاج. و أقبل رجل بحق إلى صاحب الأقباض فقال هو و الذين معه: ما رأينا مثل هذا [قطّ]، ما يعدله ما عندنا و لا يقاربه. فقالوا: هل أخذت منه شيئا؟

فقال: و الله لو لا-الله ما أتيتكم به. فقالوا: من أنت؟ فقال: و الله لا أخبركم فتحمدوني و لكنني أحمد الله و أرضى بثوابه. فأتبعوه رجلا، فسأل عنه فإذا هو عامر ابن عبد قيس. و قال سعد: و الله إن الجيش لذو أمانه، و لو لا ما سبق لأهل بدر لقلت إنهم على فضل أهل بدر، لقد تتبعت منهم هنات ما أحسبها من هؤلاء.

و قال جابر بن عبد الله: و الذي لا إله إلا هو ما أطلعنا على أحد من أهل القادسيّة أنه يريد الدنيا مع الآخرة، فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كأمانتهم و زهدهم، و هم: طليحة، و عمرو بن معديكرب، و قيس بن المكشوح. و قال عمر لما قدم عليه بسيف كسرى و منطقتة و بزبرجه [٤]: إن قوما

[١] حبسوها. (و في الطبري: و حبسوهما).

[٢] ثغره و لباته.

[٣] (الشليل: مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير).

[٤] و بزبرجده.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥١٨

(١)

أدوا هذا لذوو أمانة. فقال علي: إنك عفتت فعفت الرعية.

فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفىء بين الناس بعد ما خمس، و كانوا ستين ألفا، فأصاب الفارس اثنا عشر ألفا، و كلهم كان فارسا ليس فيهم راجل، و نقل من الأحماس فى أهل البلاء، و قسم المنازل بين الناس، و قسم المنازل بين الناس، و أحضر العيالات فأنزلهم الدور، فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء و حلوان و تكريت و الموصل ثم تحولوا إلى الكوفة. و أرسل سعد فى الخمس كل شىء أراد أن يعجب منه العرب، و ما كان يعجبهم أن يقع، و أراد إخراج خمس القطف «١» فلم تعتدل قسمته، و هو بهار كسرى، فقال للمسلمين: هل تطيب أنفسكم عن أربعة أحماسه ينبعث به إلى عمر يضعه حيث يشاء فإننا لا نراه ينقسم و هو بيننا قليل و هو يقع من أهل المدينة موقعا؟ فقالوا: نعم. فبعثه إلى عمر. و القطف بساط واحد طوله ستون «٢» ذراعا، و عرضه ستون ذراعا مقدار جريب، كانت الأكاسرة تعده للشتاء إذا ذهب الرياحين شربوا عليه، فكأنهم فى رياض، فيه طرق كالصور و فيه فصوص كالأنهار أرضها مذهبة و خلال ذلك فصوص كالدّرّ و فى حافاته كالأرض المزروعة و الأرض المبقلة بالنبات فى الربيع و الورق من الحرير على قضبان الذهب، و زهره الذهب و الفضة، و ثمره الجوهر و أشباه ذلك، و كانت العرب تسميه القطف.

فلما قدمت الأحماس على عمر نقل منها من غاب و من شهد من أهل البلاء، ثم قسم الخمس فى مواضعه، ثم قال: أشيروا على فى هذا القطف، فمن بين مشير بقبضه و آخر مفوض إليه.

فقال له علي: لم يجعل الله علمك جهلا- و يقينك شكّا، إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت أو لست فأبليت أو أكلت فأفريت، و إنك إن تبقة على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحقّ به ما ليس له. فقال: صدقتنى و نصحتنى، فقطعه بينهم، فأصاب

(١). القطيف: euqibu .B.

(٢). سبعون: mutpircsrepus .BnI الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥١٩

(١) عليا قطعه منه فباعها بعشرين ألفا، و ما هى بأجود تلك القطع.

و كان الذى سار بالأحماس بشير بن الخصاصية، و أثنى الناس على أهل القادسية، فقال عمر: أولئك أعيان العرب.

و لما رأى عمر سيف النعمان سأل جبير بن مطعم عن نسب النعمان، فقال جبير: كانت العرب تنسبه إلى أشلاء قنص «١» [١]، و كان أحد بنى عجم بن قنص [٢]، فجهل الناس عجم فقالوا لخم، فنقله سيفه.

و ولّى عمر بن الخطّاب سعد بن أبى وقاص صلاة ما غلب عليه و حربه، و ولّى الخراج النعمان و سويدا ابنى مقرن، سويدا على ما سقت الفرات، و النعمان على ما سقت دجلة، ثم استعفيا، فولّى عملهما حذيفة بن أسيد و جابر بن عمرو المزني، ثم ولّى عملهما بعد حذيفة بن اليمان [٣] و عثمان ابن حنيف.

(حذيفة بن أسيد بفتح الهمزة، و كسر السين).

ذكر وقعة جلولاء و فتح حلوان

و فى هذه السنة كانت وقعة جلولاء.

و سببها أن الفرس لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جلولاء و افترت

[١] اسلا قيص.

[٢] قيص.

[٣] النعمان.

(١). أسلا قيص. rB. suM، أشلا قبص. ldoB.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢٠

(١) الطرق بأهل أذربيجان و الباب و أهل الجبال و فارس قالوا: لو افترقتم لم تجتمعوا أبدا، و هذا مكان يفرق بيننا، فهلما فلنجتمع للعرب به و لنقاتلهم، فإن كانت لنا فهو الذي نحب، و إن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا و أبلينا عذرا. فاحتفروا خندقا و اجتمعوا فيه على مهران الرازي، و تقدّم يزدجرد إلى حلوان و أحاطوا خندقهم بحسك الحديد إلّا طرقهم. فبلغ ذلك سعدا فأرسل إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء و اجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو، و إن هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد و الجبل، و ليكن الجند اثني عشر ألفا.

ففعل سعد ذلك، و سار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمه في اثني عشر ألفا، منهم وجوه المهاجرين و الأنصار و أعلام العرب ممن كان ارتدّ و من لم يرتدّ، فسار من المدائن فمرّ ببابل مهروذ، فصالحه دهقانها على أن يفرش له جريب الأرض دراهم، ففعل و صالحه، ثم مضى حتى قدم جلولاء فحاصره في خنادقهم و أحاط بهم، و طاولهم الفرس و جعلوا لا يخرجون إلّا إذا أرادوا، و زاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوما، كل ذلك ينصر المسلمون عليهم، و جعلت الأمداد ترد من يزدجرد إلى مهران، و أمدّ سعد المسلمين، و خرجت الفرس و قد احتفلوا [١]، فاقتلوا، فأرسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم في الخندق، فجعلوا فيه طرقا ممّا يليهم يصعد منه خيلهم فأفسدوا حصنهم. و بلغ ذلك المسلمين فنهضوا إليهم، و قاتلوهم [٢] قتالا شديدا لم يقتلوا مثله و لا ليلة الهرير إلّا أنه كان أعجل.

و انتهى القعقاع بن عمرو من الوجه الذي زحف فيه إلى باب خندقهم فأخذ به و أمر مناديا فنادى: يا معاشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل الخندق و أخذ به

[١] اختلفوا.

[٢] و قاتلهم.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢١

(١) فأقبلوا إليه و لا يمنعمكم من بينكم و بينه من دخوله. و إنّما أمر بذلك ليقوى المسلمين. فحملوا و لا يشكون بأنّ هاشما في الخندق، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو و قد أخذ به، فانهزم المشركون عن* المجال يمينه و يسره «١» فهلكوا فيما أعدوا من الحسك، فعقرت دوابهم و عادوا رجالة و اتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم إلّا من لا يعدّ، و قتل يومئذ منهم مائة ألف، فجلبت القتلى المجال ما بين يديه «٢» و ما خلفه فسُميت جلولاء بما جللها من قتلاهم، فهي جلولاء الواقعة. فسار القعقاع بن عمرو في الطلب حتى بلغ خانقين.

و لما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الرى، و قدم القعقاع حلوان فنزلها في جند من الأفاء [١] و الحمراء، و كان فتح جلولاء في ذى القعدة سنة ستّ عشرة. و لما سار يزدجرد عن حلوان استخلف عليها خشرشونوم «٣»، فلما وصل القعقاع قصر شيرين خرج عليه خشرشونوم «٤» و قدم إليه الزينبي «٥» دهقان حلوان، فلقية القعقاع، فقتل الزينبي و هرب خشرشونوم و استولى المسلمون على حلوان و بقى القعقاع بها إلى أن تحوّل سعد إلى الكوفة فلحقه القعقاع و استخلف على حلوان قباد، و كان أصله خراسانيا.

و كتبوا إلى عمر بالفتح و بنزول القعقاع حلوان و استأذنه في اتباعهم، فأبى و قال: لوددت أن بين السواد و بين الجبل سدا لا يخلصون إلينا و لا نخلص إليهم، حسبنا من الريف «٦» السواد، إنّي آثرت سلامة المسلمين على الأنفال. و أدرك القعقاع في اتباعه الفرس مهران بخانقين فقتله، و أدرك الفيروزان فنزل و توغل في الجبل فتحامى «٧»، و أصاب القعقاع سبايا فأرسلهنّ إلى هاشم

[١] الأماناء.

(١). المحاربة. B.

(٢). أيديهم. B.

(٣-٤). حرسوم. B.

(٥). الزيتنى. P. C. Bte .P. seiqibu .IdoB .p.

(٦). الرقيق. B.

(٧). فنجاء. P. C. p.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢٢

(١) فقسمن، فاتخذن فولدن، و ممن ينسب إلى ذلك السبى أم الشعبى.

وقسمت الغنيمه وأصاب كل واحد من الفوارس تسعه آلاف و تسعه من الدواب، وقيل: إن الغنيمه كانت ثلاثين ألف ألف، فقسما سلمان بن ربيعه، و بعث سعد بالأخماس إلى عمر، و بعث الحساب مع زياد بن أبيه، فكلم عمر فيما جاء له و وصف له، فقال عمر: هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل ما كلمتنى به؟ فقال: و الله ما على الأرض أهيب فى صدرى منك، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك! فقام فى الناس بما أصابوا و ما صنعوا و بما يستأنفون من الانسياح فى البلاد. فقال عمر: هذا الخطيب المصقع. فقال: إن جندنا أطلقوا ألسنتنا.

فلما قدم الخمس على عمر قال: و الله لا يجته «١» سقف حتى أقسمه.

فبات عبد الرحمن بن عوف و عبد الله بن الأرقم يحرسانه فى المسجد، فلما أصبح جاء فى الناس فكشف عنه، فلما نظر إلى ياقوته و زبرجده و جوهره بكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا لموطن شكر. فقال عمر: و الله ما ذلك يبكيكى، و بالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا و تباغضوا، و لا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم.

و منع عمر من قسمة السواد لتعد ذلك بسبب الآجام و الغياض و مغيض [١] المياه، و ما كان لبيوت النار و لسكك «٢» البرد، و ما كان لكسرى و من جامعه «٣»، و ما كان لمن قتل، و الأرحاء [٢]، و خاف أيضا الفتنة بين المسلمين، فلم يقسمه و منع من بيعه لأنه لم يقسم، و أقروها حبسا يولونها من أجمعوا عليه بالرضا،

[١] و تبعيض.

[٢] و الأرجاء.

(١). يحويه. B.

(٢). و سكنات. B.

(٣). خازنه. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢٣

(١) و كانوا لا- يجمعون إلا على الأمراء، فلا يحل بيع شىء من أرض السواد ما بين حلوان و القادسيه، و اشترى جرير أرضا «١» على شاطئ الفرات، فرد عمر ذلك الشراء و كرهه.

ذكر فتح تكريت و الموصل

و في هذه السنة فتحت تكريت في جمادى.

و سبب ذلك أن الأنطاق «٢» سار من الموصل إلى تكريت و خندق عليه ليحمى أرضه و معه الروم و إياد و تغلب و النمر و الشهارجة، فبلغ ذلك سعدا فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن سرح إليه عبد الله بن المعتم و استعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل، و على الخيل عرفجة بن هرثمة. فسار عبد الله إلى تكريت و نزل على الأنطاق فحصره و من معه أربعين يوما، فتراحفوا أربعة و عشرين زحفا، و كانوا أهون شوكة من أهل جلولاء، و أرسل عبد الله بن المعتم إلى العرب الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نصرته، و كانوا لا يخفون عليه شيئا. و لما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا أمراءهم و نقلوا متاعهم إلى السفن، فأرسلت تغلب و إياد و النمر إلى عبد الله بالخبر و سألوه الأمان و أعلموه أنهم معه، فأرسل إليهم: إن كنتم صادقين فأسلموا. فأجابوه و أسلموا. فأرسل إليهم عبد الله: إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أننا أخذنا «٣» أبواب الخندق فخذوا الأبواب التي تلى دجلة و كبروا و اقتلوا من قدرتم عليه. و نهد عبد الله و المسلمون و كبروا و كبرت تغلب و إياد و النمر و أخذوا الأبواب، فظن الروم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم ممّا يلي دجلة، فقصدوا

(١). الرحاء. B.

(٢). لأفطاق. B.

(٣) على. P. C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢٤

(١) الأبواب التي عليها المسلمون، فأخذتهم [١] سيوف المسلمين و سيوف الربيعيين الذين أسلموا تلك الليلة، فلم يفلت من أهل الخندق إلّا من أسلم من تغلب و إياد و النمر. و أرسل عبد الله بن المعتم ربعي بن الأفكل إلى الحصنين، و هما نينوى و الموصل، تسمى نينوى الحصن الشرقي و تسمى الموصل الحصن الغربي، و قال: اسبق الخبر، و سرح معه تغلب و إياد و النمر. فقدمهم ابن الأفكل إلى الحصنين، فسبقوا الخبر و أظهروا الظفر و الغنيمه و بشروهم و وقفوا بالأبواب، و أقبل ابن الأفكل فاقتحم عليهم الحصنين و كلبوا أبوابهما، فنادوا بالإجابة إلى الصلح و صاروا ذمة. و قسموا الغنيمه فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم، و سهم الراجل ألف درهم، و بعثوا بالأخماس إلى عمر، و ولى حرب الموصل ربعي بن الأفكل، و الخراج عرفجة بن هرثمة. و قيل: إن عمر بن الخطاب استعمل عتبة بن فرقد على قصد الموصل، و فتحها سنة عشرين، فأتاها فقاتله أهل نينوى، فأخذ حصنها، و هو الشرقي، عنوة، و عبر دجلة، فصالحه أهل الحصن الغربي، و هو الموصل، على الجزية، ثم فتح المرج و بانهدرا «١» و باعدرا و حبتون و داسن و جميع معاقل الأكراد و قردي و بازبدى و جميع أعمال الموصل فصارت للمسلمين. و قيل: إن عياض بن غنم لما فتح بلدا، على ما نذكره، أتى الموصل ففتح أحد الحصنين و بعث عتبة بن فرقد إلى الحصن الآخر ففتحه على الجزية و الخراج، و الله أعلم. (المعتم بضم الميم، و سكون العين المهملة، و آخره ميم مشددة).

[١] و أخذ بهم.

(١). rB. s. suM. p، و بانهدار. ldoB.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢٥

(١)

ذكر فتح ماسبذان

و لما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن بلغ سعدا أن آذين «١» بن الهرمزان قد جمع جمعا و خرج بهم إلى السهل، فأرسل إليهم ضرار بن الخطاب فى جيش، فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا، فأسرع المسلمون فى المشركين، و أخذ ضرار آذين «٢» أسيرا ف ضرب رقبته. ثم خرج فى الطلب حتى انتهى إلى السيروان، فأخذ ماسبذان عنوة، فهرب أهلها فى الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، و أقام بها حتى تحوّل سعد إلى الكوفة، فأرسل إليه فنزل الكوفة و استخلف على ماسبذان ابن الهذيل الأسدى، فكانت أحد فروج الكوفة. و قيل: إن فتحها كان بعد وقعة نهاوند.

ذكر فتح قرقيسيا

و لما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن و قد اجتمعت جموع أهل الجزيرة فأمدّوا هرقل على أهل حمص و بعثوا جندا إلى أهل هيت، أرسل سعد عمر ابن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند و جعل على مقدّمته الحارث ابن يزيد العامرى، فخرج عمر بن مالك فى جنده نحو هيت فنازل من بها و قد خندقوا عليهم، فلما رأى عمر بن مالك اعتصامهم بخندقهم ترك الأخبية على حالها و خلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم و خرج فى نصف الناس فجاء قرقيسيا على غرة فأخذها عنوة، فأجابوا إلى الجزية، و كتب إلى الحارث

(١-٢). أرس. B؛ أدبر. P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢٦

(١) ابن يزيد: إن هم استجابوا فخلّ عنهم فليخرجوا و إلّا فخذقوا على خندقهم خندقا بأبوابه ممّا يليك حتى أرى رأى. فراسلهم الحارث، فأجابوا إلى العود إلى بلادهم، فتركهم و سار الحارث إلى عمر بن مالك. و فيها غزب عمر بن الخطاب أبا محجن الثقفى إلى ناصع. و فيها تزوّج ابن عمر صفية بنت أبى عبيد أخت المختار. و فيها حمى عمر الرّبذة لخيلى المسلمين. و فيها ماتت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و صلّى عليها عمر و دفنها بالبقيع فى المحرم. و فيها كتب عمر التاريخ بمشورة على بن أبى طالب. و حجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب، و استخلف على المدينة زيد ابن ثابت. و كان عماله على البلاد الذين كانوا فى السنة قبلها، و كان على حرب الموصل ربعى بن الأفلح، و على خراجها عرفجة بن هرثمة، و قيل: كان على الحرب و الخراج بها عتبة بن فرقد، و قيل: كان ذلك كله إلى عبد الله بن المعتم. و على الجزيرة عياض بن غنم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢٧

(١)

١٧ ثم دخلت سنة سبع عشرة

ذكر بناء الكوفة و البصرة

في هذه السنة اختطت الكوفة و تحول سعد إليها من المدائن.

و كان سبب ذلك أن سعدا أرسل وفدا إلى عمر بهذه الفتوح المذكورة، فلما رأهم عمر سألهم عن تغيير ألوانهم و حالهم، فقالوا: وخومة البلاد غيرتنا.

فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلا- ينزله الناس، و كان قد حضر مع الوفد نفر من بنى تغلب ليعاقدوا عمر على قومهم، فقال لهم عمر: أعاقدهم على أن من أسلم منكم كان له ما للمسلمين و عليه ما عليهم، و من أبى فعلية الجزية.

فقالوا: إذن يهربون و يصيرون عجما، و بذلوا له الصدقة، فأبى، فجعلوا جزيتهم مثل صدقة المسلم، فأجابهم على أن لا ينصّروا وليدا، فهاجر هؤلاء التغلبيون و من أطاعهم من النمر و إياد إلى سعد بالمدائن و نزلوا بالمدائن و نزلوا معه بعد بالكوفة.

و قيل: بل كتب حذيفة إلى عمر: إن العرب قد رقت بطونها و جفت أعضاها و تغيرت ألوانها. و كان مع سعد فكتب عمر إلى سعد: أخبرني ما ألقى غير ألوان العرب و لحومهم؟ فكتب إليه سعد: إن ألقى غيرهم و خومة البلاد، و إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان. فكتب إليه عمر:

أن ابعث سلمان و حذيفة رائدين فليرتادا منزلا برّيا بحرّيا ليس بيني و بينكم فيه بحر و لا جسر. فأرسلهما سعد، فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢٨

(١) غربى الفرات لا- يرضى شيئا حتى أتى الكوفة، و سار حذيفة في شرقى الفرات لا يرضى شيئا حتى أتى الكوفة، و كلّ رمل و حصباء مختلطين فهو كوفة، فأتيا عليها و فيها ديرات ثلاثة: دير حرمة [١]، و دير أم عمرو، و دير سلسله، و خصاص خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة فتزلا- فصليا و دعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات. فلما رجعا إلى سعد بالخبر و قدم كتاب عمر إليه أيضا كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو و عبد الله بن المعتم أن يستخلفا على جندهما و يحضرا عنده، ففعلا. فارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة، و كان بين نزول الكوفة و وقعة القادسيّة سنة و شهران، و كان فيما بين قيام عمر و اختطاط الكوفة ثلاث سنين و ثمانية أشهر، و لما نزلها سعد كتب إلى عمر: إنى قد نزلت بالكوفة منزلا فيما بين الحيرة و الفرات برّيا و بحرّيا ينبت الحلفاء و النّصي، و خيرت المسلمين بينها و بين المدائن فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة. و لما استقرّوا بها عرفوا أنفسهم و رجع إليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم، و استأذن أهل الكوفة في بنان القصب، و استأذن فيه أهل البصرة أيضا، و استقرّ منزلهم فيها في الشهر الذى نزل أهل الكوفة بعد ثلاث نزلات قبلها.

فكتب إليهم: إن العسكر «١» أشدّ لحربكم و أذكر لكم، و ما أحبّ أن أخالفكم.

فابتنى أهل المصرين بالقصب، ثم إن الحريق وقع في الكوفة و البصرة، و كانت الكوفة أشدّ حريقا في سؤال، فبعث سعد نفرا منهم إلى عمر يستأذونه [٢]

[١] (في الطبرى: دير حرقة).

[٢] يستأذونه.

(١). أما أهل العسكر. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٢٩

(١) فى البنيان باللبن، فقدموا عليه بخبر الحريق و استئذانه أيضا، فقال: افعلوا و لا يزيدنّ أحدكم على ثلاثة أبيات، و لا تناولوا فى البنيان، و الزموا السنة تلمكم الدولة. فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، و كتب عمر إلى البصرة بمثل ذلك.

و كان على تنزيل الكوفة أبو هيثج بن مالك، و على تنزيل البصرة عاصم ابن دلف أبو الجرباء [١]، و قدّر المناهج أربعين ذراعاً، و ما بين ذلك عشرين ذراعاً، و الأزقة سبع أذرع، و القطائع ستين ذراعاً، و أول شيء خطّ فيهما و بنى مسجداهما، و قام في وسطهما رجل شديد النزح، فرمى في كلّ جهة بسهم و أمر أن يبني ما وراء ذلك، و بنى ظلّمة في مقدّمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة، و جعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد بنيان، و بنوا لسعد داراً بحياه، و هي قصر الكوفة اليوم، بناه روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة، و جعل الأسواق على شبه المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه [٢].

و بلغ عمر أن سعداً قال و قد سمع أصوات الناس من الأسواق: سکنوا «١» عنّي الصّويت «٢» [٣]، و أنّ الناس يسمّونه قصر سعد، فبعث محمّد بن مسلمة إلى الكوفة و أمره أن يخرق باب القصر ثم يرجع، ففعل، فبلغ سعداً ذلك فقال: هذا رسول أرسل لهذا، فاستدعاه سعد، فأبى أن يدخل إليه، فخرج إليه سعد و عرض عليه نفقة، فلم يأخذ و أبلغه كتاب عمر إليه: بلغني أنّك

[١] أبو الحرباء.

[٢] حتى يقدم منه إلى بيته و يفرغ من معه.

[٣] السويط.

(١). سكتوا. B.

(٢). الصوت. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣٠

(١) اتخذت قصراً جعلته حصناً، و يسمّى قصر سعد، بينك و بين الناس باب، فليس بقصر ك و لكنّه قصر الخيال، انزل منه [منزلاً] ممّا يلي بيوت الأموال و أغلقه و إلّا نجعل على القصر باباً يمنع الناس من دخوله. فحلف له سعد ما قال الذي قالوا، فرجع محمّد فأبلغ عمر قول سعد، فصدّقه.

و كانت ثغور الكوفة أربعة: حلوان و عليها القعقاع، و ماسبذان و عليها ضرار ابن الخطّاب، و قرقيسيا و عليها عمر بن مالك، أو عمرو بن عتبة بن نوفل، و الموصل و عليها عبد الله بن المعتمّم، و كان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها، و ولى سعد الكوفة بعد ما اختطت ثلاث سنين و نصفاً سوى ما كان بالمدائن قبلها.

ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين

و في هذه السنة قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح و من معه من المسلمين بحمص، و كان المهيب للروم أهل الجزيرة، فإنّهم أرسلوا إلى ملكهم و بعثوه على إرسال الجنود إلى الشام و وعدوا من أنفسهم المعاونة، ففعل ذلك. فلما سمع المسلمون باجتماعهم ضمّ أبو عبيدة إليه مسالحهم و عسكر بقاء مدينة حمص، و أقبل خالد من قنسرين إليهم، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصين إلى مجيء الغياث، فأشار خالد بالمناجزة، و أشار سائرهم بالتحصين و مكاتبه عمر، فأطاعهم و كتب إلى عمر بذلك، و كان عمر قد اتخذ في كلّ مصر خيولاً على قدره من فضول أموال المسلمين عدّة لكون إن كان، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس، و كان القيم عليها سلمان بن ربيعة الباهليّ و نفر من أهل الكوفة، و في كلّ مصر من الأمصار الثمانية على قدره، فإن

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣١

(١) تأتيم آتية «١» ركبها الناس و ساروا إلى أن يتجهز الناس.

فلما سمع عمر الخبر كتب إلى سعد: أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو و سرحهم من يومهم، فإن أبا عبيدة قد أحيط به. و كتب إليه أيضا:

سرح سهيل بن عدى إلى الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، و أمره أن يسرح عبد الله بن عتبان إلى نصيبين، ثم ليقتصد حزان و الرهاء، و أن يسرح الوليد بن عقبه «٢» على عرب الجزيرة من ربيعة و تنوخ، و أن يسرح عياض بن غنم، فإن كان قتال فأمرهم إلى عياض.

فمضى القعقاع فى أربعة آلاف من يومهم إلى حمص، و خرج عياض ابن غنم و أمراء الجزيرة و أخذوا طريق الجزيرة، و توجه كل أمير إلى الكورة [١] التى أمر عليها، و خرج عمر من المدينة فأتى الجابية لأبى عبيدة مغيثا يريد حمص.

و لما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص، و هم معهم، خبر الجنود الإسلامية تفرقوا إلى بلادهم و فارقوا الروم، فلما فارقوهم استشار أبو عبيدة خالد فى الخروج إلى الروم، فأشار به، فخرج إليهم فقاتلهم، ففتح الله عليه، و قدم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام، فكتبوا إلى عمر بالفتح و بقدم المدد عليهم و الحكم فى ذلك، فكتب إليهم: أن أشركوهم فإنهم نفروا إليكم و انفروا لهم عدوكم، و قال: جزى الله أهل الكوفة خيرا، يكفون حوزتهم و يمدون أهل الأمصار. فلما فرغوا رجعوا.

[١] كورة.

(١). نايبة. B.

(٢). maj.tnebah عقبه، maj.qs.pacnitu ., ddoC عقبه.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣٢

(١)

ذكر فتح الجزيرة و أرمينية

و فى هذه السنة فتحت الجزيرة.

قد ذكرنا إرسال سعد العساكر إلى الجزيرة، فخرج عياض بن غنم و من معه فأرسل سهيل بن عدى إلى الرقة و قد ارفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بأهل «١» الكوفة، فنزل عليهم فأقام يحاصرهم حتى صالحوه، فبعثوا فى ذلك إلى عياض و هو فى منزل وسط بين الجزيرة، فقبل منهم و صالحهم، و صاروا ذمية، و خرج عبد الله بن عتبان على الموصل إلى نصيبين، فلقوه بالصلح و صنعوا كصنع أهل الرقة، فكتبوا إلى عياض فقبل منهم و عقد لهم. و خرج الوليد بن عقبه فقدم على عرب الجزيرة، فنهض معه مسلمهم و كافرهم إلا إباد بن نزار فإنهم دخلوا أرض الروم، فكتب الوليد بذلك إلى عمر.

و لما أخذوا الرقة و نصيبين ضمّ عياض إليه سهيلا و عبد الله و سار بالناس إلى حزان، فلما وصل أجابه أهلها إلى الجزية فقبل منهم. ثم إن عياضا سرح سهيلا و عبد الله إلى الرهاء فأجابوهما إلى الجزية و أجروا كل ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمة، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحا. و رجع سهيل و عبد الله إلى الكوفة. و كتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم إذا أخذ خالدا إلى المدينة، فصرفه إليه، فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة و حربها، و الوليد بن عقبه على عربها.

(١). سمعوا به أهل P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣٣

(١) فلما قدم كتاب الوليد على عمر بمن دخل الروم من العرب كتب عمر إلى ملك الروم: بلغنى أن حيا من أحياء العرب ترك دارنا و أتى دارك، فوالله لتخرجته إلينا أو لنخرجن النصارى إليك. فأخرجهم ملك الروم، فخرج منهم أربعة آلاف و تفرق بقيتهم فى ما يلى الشام و الجزيرة من بلاد الروم، فكل إيدى فى أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف. و أبى الوليد ابن عقبه أن يقبل من تغلب إلّا الإسلام، فكتب فيهم إلى عمر، فكتب إليه عمر: إنما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم [فيها] إلّا الإسلام، فدعهم على أن لا ينصروا وليدا و لا يمنعوا أحدا منهم من الإسلام. و كان فى تغلب عز و امتناع، فهم بهم الوليد فخاف عمر أن يسطو عليهم فعزله و أمر عليهم فرات بن حيان و هند بن عمرو الجملى.

و قال ابن إسحاق: إن فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة، و قال: إن عمر كتب إلى سعد بن أبى وقاص: إذا فتح الله الشام و العراق فابعث جندا إلى الجزيرة و أمر عليه خالد بن عرفطة أو هاشم بن عتبة أو عياض بن غنم.

قال سعد: ما [١] أخر أمير المؤمنين عياضا إلّا لأن له فيه هوى و أنا موليه، فبعثه و بعث معه جيشا فيه أبو موسى الأشعري و ابنه عمر بن سعد ليس له من الأمر شىء، فسار عياض و نزل بجنده على الرهاء، فصالحه أهله مصالحة حزان، و بعث أبا موسى إلى نصيبين فافتتحها، و سار عياض بنفسه إلى دارا فافتتحها، و وجه عثمان بن أبى العاص إلى أرمينية الرابعة فقاتل أهلها، فاستشهد صفوان ابن المعطل، و صالح أهلها عثمان على الجزية. ثم كان فتح قيسارية من فلسطين و هرب هرقل. فعلى هذا القول تكون الجزيرة من فتوح أهل العراق، و الأكثر على أنها

[١] لا.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣٤

(١) من فتوح أهل الشام، فإن أبا عبيدة سبر عياض بن غنم إلى الجزيرة.

وقيل: إن أبا عبيدة لما توفى استخلف عياضا فورد عليه كتاب عمر بولايته حمص و قسرين و الجزيرة، فسار إلى الجزيرة سنة ثمانى عشرة للنصف من شعبان فى خمسة آلاف و على ميمته سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى، و على مسيرته صفوان بن المعطل، و على مقدمته هبيرة بن مسروق، فانتهدت طليعه عياض إلى الرقة فأغاروا على الفلاحين و حصروا المدينة، و بت عياض السرايا فأتوه بالأسرى و الأطعمة، و كان حصرها ستة أيام، فطلب أهلها الصلح، فصالحهم على أنفسهم و ذرارهم و أموالهم و مدينتهم، و قال عياض: الأرض لنا قد وطنناها و ملكناها، فأقرها فى أيديهم على الخراج و وضع الجزية. ثم سار إلى حزان فجعل عليها عسكريا يحصرها عليهم صفوان بن المعطل و حبيب بن مسلمة و سار هو إلى الرهاء، فقاتله أهلها ثم انهزموا و حصرهم المسلمون فى مدينتهم، فطلب أهلها الصلح فصالحهم، و عاد إلى حزان فوجد صفوان و حبيبا قد غلبا على حصون و قرى من أعمال حزان فصالحه أهلها على مثل صلح الرهاء.

و كان عياض يغزو و يعود إلى الرهاء، و فتح سميساط و أتى سروج و رأس كيفا و الأرض البيضاء فصالحه أهلها على صلح الرهاء. ثم إن أهل سميساط غدروا، فرجع إليهم عياض فحاصرهم حتى فتحها، ثم أتى قريات على الفرات، و هى جسر منبج و ما يليها، ففتحها و سار إلى رأس عين، و هى عين الوردية، فامتنعت عليه و تركها و سار إلى تلّ موزن، ففتحها على صلح الرهاء سنة تسع عشرة، و سار إلى آمد فحصرها، فقاتله أهلها ثم صالحوه على صلح الرهاء، و فتح ميفارقين على مثل ذلك، و كفرتوثا، فسار إلى نصيبين فقاتله أهلها ثم صالحوه على مثل صلح الرهاء، و فتح طور عبيدين و حصن ماردين، و قصد الموصل ففتح أحد الحصنين، و قيل: لم يصل إليها، و أتاه بطريق

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣٥

(١) الزوزان فصالحه، ثم سار إلى أرزن ففتحها، و دخل الدرب فأجازه إلى بدليس و بلغ خلاط فصالحه بطريقها، و انتهى إلى العين

الحامضة من أرمينية، ثم عاد إلى الرقة و مضى إلى حمص فمات سنة عشرين.

و استعمل عمر سعيد بن عامر بن حذيم، فلم يلبث إلّا قليلا حتى مات، فاستعمل عمير بن سعد الأنصاري، ففتح رأس عين بعد قتال شديد.

وقيل: إن عياضا أرسل عمير بن سعد إلى رأس عين ففتحها بعد أن اشتد قتاله عليها. وقيل: إن عمر أرسل أبا موسى الأشعري إلى رأس عين بعد وفاة عياض. وقيل: إن خالد بن الوليد حضر فتح الجزيرة مع عياض و دخل حَمَامًا بآمد فاطلى بشيء فيه خمر فعزله عمر. وقيل: إن خالد لم يسر تحت لواء أحد غير أبي عبيدة. والله أعلم.

ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة إلى ملطية ففتحها عنوة، ثم نقض أهلها الصلح، فلما ولي معاوية الشام و الجزيرة و وجه إليها حبيب ابن مسلمة أيضا ففتحها عنوة و رتب فيها جندا من المسلمين مع عاملها.

ذكر عزل خالد بن الوليد

في هذه السنة، و هي سنة سبع عشرة، عزل خالد بن الوليد عمّا كان عليه من التقدم على الجيوش و السرايا. و سبب ذلك أنّه كان أدرب هو و عياض بن غنم فأصابا أموالا عظيمة، و كانا توجهها من الجابية مرجع عمر إلى المدينة، و على حمص أبو عبيدة و خالد تحت يده «١» على قنسرين، و على دمشق يزيد، و على الأردن معاوية، و على

(١). لوابه B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣٦

(١) فلسطين علقمة بن مجزز، و على الساحل عبد الله بن قيس، فبلغ الناس ما أصاب خالد فانتجعه رجال، و كان منهم الأشعث بن قيس، فأجازه بعشرة آلاف.

و دخل خالد الحمام فتدلكك بغسل فيه خمر، فكتب إليه عمر: بلغني أنّك تدلكك بخمر، و إنّ الله قد حرّم ظاهر الخمر و باطنه و مسّه فلا- تمسّوها [١] أجسادكم. فكتب إليه خالد: إنّنا قتلناها فعادت غسولا- غير خمر. فكتب إليه عمر: إنّ آل المغيرة ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه.

فلما فرّق خالد في الذين انتجعوه الأموال سمع بذلك عمر بن الخطاب، و كان لا يخفى عليه شيء من عمله، فدعا عمر البريد فكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالدًا و يعقله بعمامته و ينزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من أين أجاز الأشعث، أم من ماله أم من مال إصابته أصابها، فإن زعم أنّه فرقه من إصابته أصابها فقد أقرّ بخيانته، و إن زعم أنّه من ماله فقد أسرف، و اعزله على كلّ حال و اضمم إليك عمله. فكتب أبو عبيدة إلى خالد، فقدم عليه، ثم جمع الناس و جلس لهم على المنبر، فقام البريد فسأل خالدًا من أين أجاز الأشعث، فلم يجبه، و أبو عبيدة ساكت لا يقول شيئا، فقام بلال فقال: إنّ أمير المؤمنين أمر فيك بكذا و كذا، و نزع عمامته، فلم يمنعه سمعا و طاعة، و وضع قلنسوته، ثم أقامه فعقله بعمامته و قال: من أين أجزت الأشعث، من مالك أجزت أم من إصابته أصبتها؟ فقال: بل من مالي، فأطلقه و أعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال: نسمع و نطيع لولاتنا و نفخّم و نخدم موالينا.

قال: و أقام خالد متحيرا لا يدرى أم معزول أم غير معزول، و لا يعلمه أبو عبيدة بذلك تكرمه و تفخمه. فلما تأخر قدومه على عمر ظنّ الذي كان، فكتب إلى خالد بالإقبال إليه، فرجع إلى قنسرين فخطب الناس و ودّعهم

[١] يمسوها.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣٧

(١) ورجع إلى حمص فخطبهم ثم سار إلى المدينة، فلما قدم على عمر شكاه و قال: قد شكوتك إلى المسلمين، فبالله إنك في أمرى لغير مجمل. فقال له عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال و السهمان، ما زاد على ستين ألفا فلك «١»، فقوم عمر ماله فزاد عشرين ألفا فجعلها في بيت المال ثم قال: يا خالد و الله إنك على لكريم و إنك إلى لحبيب. و كتب إلى الأمصار: إنى لم أعزل خالدًا عن سخطه و لا خيانه و لكن الناس فخموه و فتنوا به فخفت أن يوكّلوا إليه، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع و أن لا يكونوا بعرض «٢» فتنه. و عوضه عما أخذ منه.

ذكر بناء المسجد الحرام و التوسعة فيه

و فيها، أعنى سنة سبع عشرة، اعتمر عمر بن الخطاب و بنى المسجد الحرام و وسّع فيه، و أقام بمكة عشرين ليلة، و هدم على قوم أبوا أن يبيعوا، و وضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها، و كانت عمرته في رجب، و استخلف على المدينة زيد بن ثابت، و أمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مخزّمة بن نوفل و الأزهر بن عبد عوف و حويطب بن عبد العزى و سعيد ابن يربوع، و استأذنه أهل المياه في أن يبنوا منازل بين مكة و المدينة، فأذن لهم و شرط عليهم أن ابن السبيل أحقّ بالظلّ و الماء. و فيها تزوّج عمر أمّ كلثوم بنت على بن أبى طالب، و هى ابنة فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، و دخل بها في ذى القعدة.

(١). ذلك. B.

(٢). لعرض. B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣٨

(١)

ذكر غزوة فارس من البحرين

قيل: كان عمر يقول لما أخذت الأهواز و ما يليها: وددت أن بيننا و بين فارس جبلا من نار لا نصل إليهم منه و لا يصلون إلينا. و قد كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أيام أبى بكر فعزله عمر و جعل موضعه قدامه بن مظعون، ثم عزل قدامه و أعاد العلاء يناوى سعد بن أبى وقاص، ففاز العلاء في قتال أهل الرّدة بالفضل، فلما ظفر سعد بأهل القادسيّة و أزاح الأكاسرة جاء بأعظم ممّا فعله العلاء، فأراد العلاء أن يصنع في الفرس شيئا و لم ينظر في الطاعة و المعصية، و قد كان عمر نهاه عن الغزو في البحر «١» و نهى غيره أيضا أتباعا لرسول الله، صلى الله عليه و سلّم، و أبى بكر و خوف الغرر «٢». فندب العلاء الناس إلى فارس فأجابوه، و فرّقهم أجنادا، على أحدها الجارود بن المعلّى، و على الآخر سوار بن همّام، و على الآخر خليد بن المنذر بن ساوى، و خليد على جميع الناس، و حملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر، فعبرت الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا إلى إصطخر و بإزائهم أهل فارس و عليهم الهربذ، فجالت الفرس بين المسلمين و بين سفنهم، فقام خليد في الناس فخطبهم ثم قال: أمّا بعد فإنّ القوم لم يدعوكم إلى حربهم و إنّما جتتم لمحاربتهم و السفن و الأرض لمن غلب، ف استعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ [١]. فأجابوه إلى ذلك ثم صلّوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا بمكان

[١] (سورة البقرة ٢، الآية ٢٤٥).

(٢). الغزو. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٣٩

(١) يدعى طاووس فقتل سوار و الجارود.

و كان خليلد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا رجالة ففعلوا فقتل من أهل فارس مقتله عظيمة، ثم خرجوا يريدون البصرة و لم يجدوا إلى الرجوع فى البحر سيلا، و أخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا و امتنعوا.

و لما بلغ عمر صنيع العلاء أرسل إلى عتبة بن غزوان يأمره بإنفاذ جند كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، و قال: فأئى قد ألقى فى روعى كذا و كذا نحو الذى كان، و أمر العلاء بأثقل الأشياء عليه، تأمير سعد عليه.

فشخص العلاء إلى سعد بمن معه، و أرسل عتبة جيشا كثيفا فى اثنى عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو و عرفجة بن هرثمة و الأحنف بن قيس و غيرهم، فخرجوا على البغال يجنبون الخيل و عليهم أبو سبرة بن أبى رهم أحد بنى عامر بن لؤى، فسار بالناس و ساحل بهم لا يعرض له أحد حتى التقى أبو سبرة و خليلد بحيث أخذ عليهم الطريق عقيب وقعة طاووس، و إنما كان ولى قتالهم أهل إصطخر و حدهم و من شد من غيرهم، و كان أهل إصطخر حيث أخذوا الطريق على المسلمين، فجمعوا أهل فارس عليهم فجاءوا من كل جهة فالتقوا هم و أبو سبرة بعد طاووس و قد توافقت إلى المسلمين أمدادهم، و على المشركين سهرك، فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين و قتل المشركين و أصاب المسلمون منهم ما شاءوا، و هى الغزوة التى شرفت فيها نابتة البصرة، و كانوا أفضل نوابت الأمصار، ثم انكفأوا بما أصابوا، و كان عتبة كتب إليهم بالحث و قلّة العرجة، فرجعوا إلى البصرة سالمين.

و لما أحرز عتبة الأهواز و أوطأ فارس استأذن عمر فى الحج فأذن له، فلما قضى حجه استعفاه فأبى أن يعفيه و عزم عليه ليرجع إلى عمله، فدعا الله ثم انصرف، فمات فى بطن نخلة فدفن، و بلغ عمر موته فمّر به زائرا لقبوره و قال: أنا قتلتك لو لا أنه أجل معلوم. و اثنى عليه خيرا و لم يختط فيمن

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤٠

(١) اختط من المهاجرين، و إنما ورث ولده منزلهم من فاختة بنت غزوان، و كانت تحت عثمان بن عفان، و كان حباب مولاة قد لزم شيمته فلم يختط، و مات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد، و ذلك بعد أن استنفذ الجند الذين بفارس و نزولهم البصرة، و استخلف على الناس أبا سبرة ابن أبى رهم بالبصرة، فأقره عمر بقبية السنة، ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها، فلم ينتقض عليه أحد و لم يحدث شيئا إلّا ما كان بينه و بين أبى بكر.

ثم استعمل أبا موسى على البصرة، ثم صرف إلى الكوفة، ثم استعمل عمر ابن سراقه، ثم صرف ابن سراقه إلى الكوفة من البصرة، و صرف أبو موسى من الكوفة إلى البصرة، فعمل عليها ثانية [١]. و قد تقدّم ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة و الاختلاف فيها سنة أربع عشرة.

ذكر عزل المغيرة عن البصرة و ولاية أبى موسى

فى هذه السنة عزل عمر المغيرة بن شعبة عن البصرة و استعمل عليها أبا موسى و أمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة فى ربيع الأول، قاله الواقدي.

و كان سبب عزله أنه كان بين أبى بكر و المغيرة بن شعبة منافرة، و كانا متجاورين بينهما طريق، و كانا فى مشرتين «١» فى كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبى بكر نفر يتحدثون فى مشرتته «٢»، فهبت الرياح ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكر ليسده فبصر بالمغيرة و قد

[١] بابه.

(١). مشرفتين. B.

(٢). مشرفته. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤١

(١) فتحت ریح باب كوة مشربته «١» و هو بين رجلى امرأه، فقال للنفر: قوموا فانظروا، فقاموا فنظروا، و هم أبو بكره و نافع بن كلده و زياد بن أبيه، و هو أخو أبى بكره لأمه، و شبل بن معبد الجلى، فقال لهم: اشهدوا، قالوا: و من هذه؟ قال: أم جميل بن الأقم، و كانت من بنى عامر بن صعصعه، و كانت تغشى المغيرة و الأمراء، و كان بعض النساء يفعلن ذلك فى زمانها، فلما قامت عرفوها. فلما خرج المغيرة إلى الصلاة منعه أبو بكره و كتب إلى عمر، فبعث عمر أبا موسى أميرا على البصرة و أمره بلزوم السنه، فقال: أعنى بعدة من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فإنهم فى هذه الأمة كالملاح. قال له: خذ من أحببت. فأخذ معه تسعة و عشرين رجلا، منهم: أنس بن مالك و عمران بن حصين و هشام بن عامر، و خرج معهم فقدم البصرة فدفع الكتاب بإمارته إلى المغيرة، و هو أوجز كتاب و أبلغه:

أما بعد فإنه بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميرا، فسلم إليه ما فى يدك و العجل. فأهدى إليه المغيرة وليده تسمى عقيلة. و رحل المغيرة و معه أبو بكره و الشهود، فقدموا على عمر، فقال له المغيرة: سل هؤلاء الأعد كيف رأونى أ مستقبلهم أم مستدبرهم، و كيف رأوا المرأة أو عرفوها، فإن كانوا مستقبلين فكيف لم أستتر، أو مستدبرين فبأى شىء استحلوا النظر إلى فى منزلى على امرأتى؟ و الله ما أتيت إلا امرأتى! و كانت تشبهها. فشهد أبو بكره أنه رآه على أم جميل يدخله كالميل فى المكحلة و أنه رآهما مستدبرين، و شهد شبل و نافع مثل ذلك. و أما زياد فإنه قال:

رأيته جالسا بين رجلى امرأه فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان و استين مكشوفتين و سمعت حفزا شديدا. قال: هل رأيت كالميل فى المكحلة؟ قال: لا. قال:

هل تعرف المرأة؟ قال: لا و لكن أشبهها. قال: ففتح. و أمر بالثلاثة فجلدوا

(١). مشرفته. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤٢

(١) الحد. فقال المغيرة: اشفنى من الأعد. قال: اسكت أسكت الله نأمتك، أما و الله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك!

ذكر الخبر عن فتح الأهواز و منادر و نهر تيرى

و فى هذه السنه فتحت الأهواز و منادر و نهر تيرى، و قيل: كانت سنه عشرين «١». و كان السبب فى هذا الفتح أنه لما انهزم الهرمزان يوم القادسيه، و هو أحد البيوتات السبعه فى أهل فارس، و كانت أمته منهم مهرجانقذق و كور الأهواز، فلما انهزم قصد خوزستان فملكها و قاتل بها من أرادهم، فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان و دستميسان من منادر و نهر تيرى. فاستمد عتبه بن غزوان سعدا فأمدّه بنعيم بن مقرن و نعيم بن مسعود و أمرهما أن يأتيا أعلى ميسان و دستميسان حتى يكونا بينهم و بين نهر تيرى، و وجه عتبه ابن غزوان سلمى بن القين و حرمله بن مريطة «٢»، و كانا من المهاجرين مع رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و هما من بنى العدويه من بنى حنظله، فنزلا على حدود ميسان و دستميسان بينهم و بين منادر، و دعوا بنى العم، فخرج إليهم «٣» غالب الوائلى و كليب بن وائل الكلبى فتركا نعيما [و نعيما] و أتيا سلمى و حرمله و قالوا: أنتما من

العشيرة و ليس لكما منزل، فإذا كان يوم كذا و كذا فانهذا للهرمزان، فإن أحدنا يثور بمناذر و الآخر بنهر تيرى فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا إليكم، فليس دون الهرمزان شىء إن شاء الله. و رجعا و قد استجابا و استجاب قومهما بنو العم بن مالك، و كانوا ينزلون خوزستان قبل الإسلام، فأهل البلاد

(١). ست عشرة. B.

(٢). مربطة. P. C.؛ ريطة. B.

(٣). إليه. ddoC.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤٣

(١) يأمنونهم. فلما كان تلك الليلة ليله الموعد بين سلمى و حرمله و غالب و كليب، و كان الهرمزان يومئذ بين نهر تيرى و بين دلت «١» و خرج سلمى و حرمله صبيحتهما فى تعبئة و أنهضا نعيما و من معه فالتقوا هم و الهرمزان بين دلت «٢» و نهر تيرى، و سلمى بن القين على أهل البصرة، و نعيم بن مقرن على أهل الكوفة، فاقتلوا.

فبينما هم على ذلك أقبل مدد من قبل غالب و كليب، و أتى الهرمزان الخبر بأن مناذر و نهر تيرى قد أخذا، فكسر ذلك قلب الهرمزان «٣» و من معه و هزمه الله و إياهم، فقتل المسلمون منهم ما شاءوا و أصابوا ما شاءوا و أتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل و أخذوا ما دونه و عسكروا بحيال سوق الأهواز، و عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز و أقام، و صار دجيل بين الهرمزان و المسلمين. فلما رأى الهرمزان ما لا طاقة [له] به طلب الصلح، فاستأمروا عتبه، فأجاب إلى ذلك على الأهواز كلها و مهرجانقدق ما خلا نهر تيرى و مناذر و ما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرد عليهم، و جعل سلمى على مناذر مسلحة و أمرها إلى غالب، و حرمله على نهر تيرى و أمرها إلى كليب، فكانا على مسالح البصرة. و هاجرت طوائف من بنى العم فنزلوا البصرة.

و وقد عتبه وفدا إلى عمر، منهم: سلمى و جماعة من أهل البصرة، فأمرهم عمر أن يرفعوا حوائجهم، فكلّمهم قال: أما العائمة فأنت صاحبها، و طلبوا لأنفسهم، [إلا ما كان من] الأحنف بن قيس فإنه قال: يا أمير المؤمنين إنك كما ذكرنا، و لقد يعزب «٤» [١] عنك ما يحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة، و إنما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر

[١] تغرب.

(١-٢). ذلت. B.

(٣). P. C. mO.

(٤). تعرف. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤٤

(١) و يسمع بأذانهم، فإن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا فى مثل حدقه البعير الغاسقة من العيون العذاب و الجنان الخصاب فتأتيهم ثمارهم و لم يحصدوا، و إنا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة و عقة ناشئة، طرف لها فى الفلاة و طرف لها فى البحر الأجاج، يجرى [١] إليها ما جرى [٢] فى مثل مرى النعامة، دارنا فعمه، و وظيفتنا ضيقة [٣]، و عددنا كثير، و أشرافنا قليل، و أهل البلاء فينا كثير، درهمنا كبير، و قفيزنا صغير، و قد وسع الله علينا و زادنا فى أرضنا، فوسع علينا يا أمير المؤمنين و زدنا وظيفة توظف [٤] علينا و نعيش بها. فلما سمع عمر قوله أحسن إليهم و أقطعهم مما كان فينا لأهل كسرى و زادهم، ثم قال: هذا الفتى سيد أهل البصرة. و كتب إلى عتبه فيه بأن يسمع منه و يرجع إلى رأيه، و ردهم إلى بلدهم.

و بينا الناس على ذلك من ذمتهم مع الهرمزان وقع بين الهرمزان و غالب و كليب فى حدود الأرضين اختلاف، فحضر سلمى و حرمله لينظرا فيما بينهم فوجدا غالبا و كليبا محقين و الهرمزان مبطلا فحالا بينهما و بينه، فكفر الهرمزان و منع ما قبله و استعان بالأكراد و كفّ جنده، و كتب سلمى و من معه إلى عتبة بذلك، فكتب عتبة إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، و أمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدى، كانت له صحبة من رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و أمره على القتال و على ما غلب عليه. و سار الهرمزان و من معه و سار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز و أرسلوا إليه: إما أن تعبر إلينا أو نعبّر إليكم. فقال: اعبروا إلينا. فعبروا فوق الجسر فاقتتلوا ممّا يلى سوق

[١] يجزّ.

[٢] جزّ.

[٣] و طبقتنا فضيقة.

[٤] طبقة تطوف.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤٥

(١) الأهواز، فانهزم الهرمزان و سار إلى رامهرمز، و فتح حرقوص سوق الأهواز و نزل بها و اتّسعت «١» له بلادها إلى تستر، و وضع الجزية، و كتب بالفتح إلى عمر و أرسل إليه الأحماس.

ذكر صلح الهرمزان و أهل تستر مع المسلمين

و فى هذه السنة فتحت تستر، و قيل: سنة ستّ عشرة، و قيل: سنة تسع عشرة.

قيل: و لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز و افتتحها المسلمون بعث حرقوص جزء بن معاوية فى أثره «٢» بأمر عمر إلى سوق الأهواز، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشعر «٣» و أعجزه الهرمزان، فمال جزء إلى دورق، و هى مدينة سرّق، فأخذها صافية و دعا من هرب إلى الجزية، فأجابوه، و كتب إلى عمر و عتبة بذلك، فكتب عمر إلى حرقوص و إليه بالمقام فيما غلبا عليه حتى يأمرهما بأمره، فعمر جزء البلاد و شقّ الأنهار و أحيا الموات.

و راسلهم الهرمزان يطلب الصلح، فأجاب عمر إلى ذلك و أن يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم، ثم اصطالحوا على ذلك، و أقام الهرمزان و المسلمون يمنونه إذا قصده الأكراد و يجىء إليهم. و نزل حرقوص جبل «٤» الأهواز، و كان يشقّ على الناس الاختلاف إليه، فبلغ ذلك عمر فكتب إليه يأمره بنزول السهل و أن لا يشقّ على مسلم و لا معاهد و لا تدر كك فترة و لا عجله فتكدر دنياك و تذهب آخرتك. و بقى حرقوص إلى يوم صقّين، و صار حرورياً و شهد النهروان مع الخوارج.

(١). و اتبعت. B

(٢). عقبه. B

(٣). P. C. sitcnpenis

(٤). قبل. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤٦

(١)

ذكر فتح رامهرمز و تستر و أسر الهرمزان

قيل: كان فتح رامهرمز و تستر و السوس في سنة سبع عشرة، و قيل: سنة تسع عشرة، و قيل: سنة عشرين.

و كان سبب فتحها أن يزدجرد لم يزل و هو بمرو يثير «١» أهل فارس أسفا على ما خرج من ملكهم، فتحركوا و تكاثبوا هم و أهل الأهواز و تعاهدوا على النصرة، فجاءت الأخبار حرقوص بن زهير و جزء و سلمى و حرمله، فكتبوا إلى عمر بالخبر، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا مع النعمان بن مقرن و عجل فليزلوا بإزاء الهرمزان و يتحققوا أمره. و كتب إلى أبي موسى: أن ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا و أمر عليهم سهل [١] ابن عدى أخا سهيل و ابعث معه البراء بن مالك و مجزأة بن ثور و عرفجة بن هرثمة و غيرهم، و على أهل الكوفة و البصرة جميعا أبو سيرة بن أبي رهم. فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فسار إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، فخلف حرقوصا و سلمى و حرمله و سار نحو الهرمزان و هو برامهرمز. فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة و رجا أن يقتطعه [٢] و معه أهل فارس، فالتقى النعمان و الهرمزان بأربك فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم إن الله، عز و جل، هزم الهرمزان فترك رامهرمز و لحق بتستر، و سار النعمان إلى رامهرمز و نزلها و صعدا إلى إيذج، فصالحه تيرويه

[١] سعد.

[٢] بادره بالشدة و الرجاء أن يقتطعه.

(١). يذكر سيرة B.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤٧

(١) على إيذج و رجع إلى رامهرمز فأقام بها. و وصل أهل البصرة فنزلوا سوق الأهواز و هم يريدون رامهرمز، فأتاهم خبر الوقعة و هم بسوق الأهواز، و أتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بتستر، فساروا نحوه و سار النعمان أيضا و سار حرقوص و سلمى و حرمله و جزء فاجتمعوا على تستر و بها الهرمزان و جنوده من أهل فارس و الجبال و الأهواز في الخنادق، و أمدهم عمر بأبي موسى و جعله على أهل البصرة، و على الجميع أبو سيرة، فحاصروهم أشهرا و أكثروا فيهم القتل، و قتل البراء بن مالك، و هو أخو أنس بن مالك، في ذلك الحصار إلى الفتح مائة مبارزة سوى من قتل في غير ذلك، و قتل مثله مجزأة بن ثور و كعب بن ثور و عدده من أهل البصرة و أهل الكوفة، و زاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين زحفا يكون لهم مرّة و مرّة عليهم. فلما كان في آخر زحف منها و اشتد القتال قال المسلمون: يا براء أقسم على ربك ليهزمهم «١» [لنا]. قال: اللهم اهزمهم لنا و استشهدني، و كان مجاب الدعوة، فهزمهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم ثم دخلوا مدينتهم و أحاط بها المسلمون.

فبينما هم على ذلك و قد ضاقت المدينة بهم و طال حربهم خرج رجل إلى النعمان يستأمنه على أن يدلّه على مدخل يدخلون منه، و رمى في ناحية أبي موسى بسهم: إن آمنتوني دلتكم على مكان تأتون المدينة منه. فآمنوه في نشابة. فرمى إليهم بأخرى و قال: انهدوا من قبل مخرج الماء فإنكم تقتحمونها «٢».

فندب الناس إليه، فانتدب له عامر بن عبد «٣» قيس و بشر كثير و نهدهوا لذلك المكان ليلا، و قد ندب النعمان أصحابه ليسيروا مع الرجل الذي يدلّهم على المدخل إلى المدينة، فانتدب له بشر كثير، فالتقوا هم و أهل البصرة على ذلك المخرج، فدخلوا في السرب و الناس من خارج. فلما دخلوا المدينة كبروا

(١). لهنهم B.

(٢). تستفتحونها B.

(٣). عبيد P.C.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤٨

(١) فيها وكبر المسلمون من خارج وفتحت الأبواب فاجتلدوا فيها فأناموا كل مقاتل، وقصد الهرمزان القلعة فتحصن بها و أطاف به الذين دخلوا، فنزل إليهم على حكم عمر، فأوثقوه واقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الراجل ألفا. وجاء صاحب الرمية والرجل الذي خرج بنفسه فآمنوهما ومن أغلق بابه معهما.

وقتل من المسلمين تلك الليلة بشر كثير، وممن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة بن ثور والبراء بن مالك. وخرج أبو سبرة بنفسه في أثر المنهزمين إلى السوس ونزل عليها ومعها النعمان بن مقرن وأبو موسى، وكتبوا إلى عمر فكتب إلى أبي موسى برده إلى البصرة، وهي المرة الثالثة، فانصرف إليها من على السوس.

وسار زر بن عبد الله بن كليب الفقيمي إلى جنديسابور فنزل عليها، وهو من الصحابة، وأمر عمر على جند البصرة المقرب، وهو الأسود بن ربيعة أحد بنى ربيعة بن مالك، وهو صحابي أيضا، وكانا مهاجرين، وكان الأسود قد وفد على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال: جئت لأقترب إلى الله بصحبتك، فسماه المقرب.

وأرسل أبو سبرة وفدا إلى عمر بن الخطاب فيهم أنس بن مالك والأخنف ابن قيس ومعهم الهرمزان، فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه، وكان مكلا بالياقوت، وحليته ليراه عمر والمسلمون، فطلبوا عمر فلم يجدوه، فسألوا عنه فقيل: جلس في المسجد لوفد من الكوفة، فوجدوه في المسجد متوسدا برنسه، وكان قد لبسه للوفد، فلما قاموا عنه توسده ونام، فجلسوا دونه وهو نائم والدرّة في يده، فقال الهرمزان: أين عمر؟ قالوا: هو ذا. فقال: أين حرسه وحجابه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب. قال: فينبغي أن يكون نبيا. قالوا: بل يعمل بعمل الأنبياء.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٤٩

(١) فاستيقظ عمر بجلبة الناس فاستوى جالسا [١] ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم. فقال: الحمد لله الذي أذلّ بالإسلام هذا وغيره أشباهه! فأمر بنزع ما عليه، فنزعوه وألبسوه ثوبا صفيقا، فقال له عمر: يا هرمزان، كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلّى بيننا وبينكم فغلبناكم، فلما كان الآن معكم غلبتمونا. ثم قال له: ما حجبتك وما عذررك في انتفاضك مرة بعد أخرى؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك. قال: لا تخف ذلك، واستسقى ماء فأتى به في قدح غليظ، فقال: لو مت عطشا لم أستطع أن أشرب في مثل هذا! فأتى به في إناء يرضاه، فقال: إنني أخاف أن أقتل وأنا أشرب.

فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه، فقال عمر: أعيّدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش. فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن أستأمن به. فقال عمر له: إنني قاتلك. فقال: قد آمنتني. فقال: كذبت.

قال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد آمنتته. قال عمر: يا أنس، أنا أؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك! والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبتك. قال:

قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه. وقال له من حوله مثل ذلك. فأقبل على الهرمزان وقال: خدعتني، والله لا أنخدع إلا أن تسلم. فأسلم، ففرض له في ألفين وأنزله المدينة، وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبه، وكان يفقه [شيئا من] الفارسية، إلى أن جاء المترجم.

وقال عمر للوفد: لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة فلماذا ينتقصون بكم؟

قالوا: ما نعلم إلا وفاء. قال: فكيف هذا؟ فلم يشفه [٢] أحد منهم، إلا أن

[١] جالس.

[٢] أفلم يسفه.

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٠

(١) الأحنف قال له: يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وإن ملك فارس بين أظهرهم ولا يزالون يقاتلوننا ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم و غدرهم، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس. فقال: صدقتني والله! ونظر في حوائجهم وسرحهم. وأتى عمر الكتاب باجتماع أهل نهاوند، فأذن في الانسياح في بلاد الفرس.

وقتل محمد بن جعفر بن أبي طالب شهيدا على تستر في قول بعضهم «١».

(أربك بفتح الهمزة، وسكون الراء، وضّم الباء الموحدة، وفي آخره كاف: موضع عند الأهواز).

ذكر فتح السوس

قيل: ولما نزل أبو سبرة على السوس وبها شهر يار أخو الهرمزان أحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات، كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين، فأشرف عليهم الرهبان والقسيسون فقالوا: يا معشر العرب إن مما عهد إلينا علماؤنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال، فإن كان فيكم فستفتحونها.
وسار أبو موسى إلى البصرة من السوس وصار مكانه على أهل البصرة بالسوس المقرب بن ربيعة «٢»، واجتمع الأعاجم بنهاوند، والنعمان على أهل

B.mO.(١)

B.فلان.(٢)

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥١

(١) الكوفة محاصرا أهل السوس مع أبي سبرة، وزر محاصرا أهل جنديسابور.

فجاء كتاب عمر بصرف النعمان إلى أهل نهاوند من وجهه ذلك، فناوشهم القتال قبل مسيره، فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم و غاظوهم، وكان صافي [١] بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان، فأتى صافي [١] باب السوس فدقّه برجله فقال: انفتح بظارا! وهو غضبان، فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وتفتحت الأبواب ودخل المسلمون وألقى المشركون بأيديهم ونادوا: الصلح الصلح. فأجابهم إلى ذلك المسلمون بعد ما دخلوها عنوة، واقتسموا ما أصابوا.

ثم افترقوا فسار النعمان حتى أتى «١» نهاوند، وسار المقرب حتى نزل على «٢» جنديسابور مع زرّ.

وقيل لأبي سبرة: هذا جسد دانيال في هذه المدينة. قال: وما عليّ «٣» بذلك! فأقرّه في أيديهم.

وكان دانيال قد لزم نواحي فارس بعد بخت نصير. فلما حضرته الوفاة ولم ير أحدا على الإسلام أكرم كتاب الله عمّن لم يجبه فقال لابنه: انت ساحل البحر فاخذف بهذا الكتاب فيه، فأخذه الغلام وغاب عنه وعاد وقال له: قد فعلت. قال: ما صنع البحر؟ قال: ما صنع شيئا. فغضب وقال: والله ما فعلت الذي أمرتك به! فخرج من عنده وفعل فعلته الأولى. فقال: كيف رأيت البحر صنع؟ قال: ماج واصطفق. فغضب أشد من الأوّل وقال:

والله ما فعلت الذى أمرتك به. فعاد إلى البحر وألقاه فيه، فانفلق البحر عن الأرض وانفجرت له الأرض عن مثل التور، فهوى فيها ثم انطبقت عليه واخلط الماء، فلما رجع إليه وأخبره بما رأى قال: الآن صدقت. ومات

[١ مناف.

(١-٢). أهل.P.C. dda

(٣). علمى.P.C.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٢

(١) دانيال بالسوس، و كان هناك يستسقى بجسده، فاستأذنوا عمر فيه فأمر بدفنه.

وقيل فى أمر السوس: إن يزدجرد سار بعد وقعته جلولا فتزل إصطخر ومعها سياه «١» فى سبعين من عظماء الفرس فوجهه إلى السوس والهريزبان إلى تستر، فتزل سياه الكلتائية، وبلغ أهل السوس أمر جلولا ونزل يزدجرد إصطخر، فسألوا أبا موسى الصلح، و كان محاصرا لهم، فصالحهم و سار إلى رامهرمز، ثم سار إلى تستر، ونزل سياه بين رامهرمز و تستر و دعا من معه من عظماء الفرس و قال لهم: قد علمتم أننا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة و تروث دوابهم فى إيوانات إصطخر و يشدون خيولهم فى شجرها، و قد غلبوا على ما رأيتم، فانظروا لأنفسكم. قالوا: رأينا رأيك.

قال: أرى أن تدخلوا فى دينهم. و وجهوا شيرويه فى عشرة من الأساورة إلى أبى موسى، فشرط عليهم أن يقاتلوا معه العجم و لا يقاتلوا العرب، و إن قاتلهم أحد من العرب منعهم منهم، و ينزلوا حيث شاءوا، و يلحقوا بأشرف العطاء، و يعقد «٢» لهم ذلك عمر على أن يسلموا، فأعظاهم عمر ما سألوا، فأسلموا و شهدوا مع المسلمين حصار تستر. و مضى سياه إلى حصن قد حاصره المسلمون فى زى العجم، فألقى نفسه إلى جانب الحصن و نضح ثيابه بالدم، فرآه أهل الحصن صريعا فظنوه رجلا منهم ففتحوا باب الحصن ليدخلوه إليهم، فوثب و قاتلهم حتى خلوا عن الحصن و هربوا، فملكه وحده. و قيل: إن هذا الفعل كان منه بتستر.

(١). سياه.B

(٢). يعهد.B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٣

(١)

ذكر مصالحة جنديسابور

و فى هذه السنة سار المسلمون عن السوس فنزلوا بجنديسابور، و زرّ بن عبد الله محاصرهم، فأقاموا عليها يقاتلونهم، فرمى إلى من بها من عسكر المسلمين بالأمان، فلم يفجأ المسلمين إلّا و قد فتحت أبوابها و أخرجوا أسواقهم و خرج أهلها، فسألهم المسلمون، فقالوا: رميتم بالأمان فقبلناه و أقرنا بالجزية.

فقالوا: ما فعلنا! و سأل المسلمون فإذا عبد يدعى مكثفا «١» كان أصله منها فعل هذا، فقالوا: هو عبد. فقال أهلها: لا نعرف العبد من الحرّ، و قد قبلنا الجزية و ما بدلنا «٢»، فإن شئتم فاغدروا. فكتبوا إلى عمر فأجاز أمانهم، فأمنوهم و انصرفوا عنهم.

ذكر مسير المسلمين إلى كرمان وغيرها

قيل: فى سنة سبع عشرة أذن عمر للمسلمين فى الانسياح فى بلاد فارس، و انتهى فى ذلك إلى رأى الأحنف، فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذقبة البصرة فىكون هناك حتى يأتيه أمره، و بعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدى، فدفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، و لواء أردشير خزّه و سابور إلى مجاشع بن مسعود السلمى، و لواء إصطخر إلى عثمان بن أبى العاص الثقفى، و لواء فسا و دارابجرد إلى سارية بن زعيم الكنانى، و لواء كرمان إلى سهيل بن عدى، و لواء سجستان إلى عاصم بن عمرو، و كان من

(١). مكنف. B.

(٢). بدا لنا. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٤

(١) الصحابة، و لواء مكران إلى الحكم بن عمير التغلبى، فخرجوا و لم يتهياً مسيرهم إلى سنة ثمانى عشرة، و أمدهم عمر بنفر من أهل الكوفة، فأمد سهيل بن عدى بعبد الله بن عتبان، و أمد الأحنف بعلقمة بن النضر و بعبد «١» الله بن أبى عقيل و برعى بن عامر، و أمد عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعى، و أمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق فى جموع. و قيل: كان ذلك سنة إحدى و عشرين، و قيل: سنة اثنتين و عشرين، و سذكر كيفية فتحها هناك و ذكر أسبابها إن شاء الله تعالى. و كان على مكة هذه السنة عتاب بن أسيد فى قول، و على اليمن يعلى ابن منية، و على اليمامة و البحرين عثمان بن أبى العاص، و على عمان حذيفة ابن محصن، و على الشام من ذكر قبل، و على الكوفة و أرضها سعد بن أبى وقاص، و على قضائها أبو قرّة، و على البصرة و أرضها أبو موسى، و على القضاء أبو مريم الحنفى، و قد ذكر من كان على الجزيرة و الموصل قبل. و حجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب.

(١). و بعيد. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٥

(١)

١٨ ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر القحط و عام الرمادة

فى سنة ثمانى عشرة أصاب الناس مجاعة شديدة و جدد و قحط، و هو عام الرمادة، و كانت الريح تسفى ترابا كالرماد فسسمى عام الرمادة، و اشتدّ الجوع حتى جعلت الوحش تأوى إلى الإنس، و حتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قيحها. و فيه أيضا كان طاعون عمواس، و فيه ورد كتاب أبى عبيدة على عمر يذكر فيه أن نفرا من المسلمين أصابوا الشراب، منهم: ضرار و أبو جندل، فسألناهم فتأبوا، و قالوا: خيّرنا فاخترنا. قال: فهل أنتم مُنتهون؟ و لم يعزم، فكتب إليه عمر: إنما منعناه «١»، فانتهوا، و قال له:

ادعهم على رعوس الناس و سلهم أ حلال الخمر أم حرام، فإن قالوا: حرام، فاجلدهم ثمانين ثمانين، و إن قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم. فسألهم فقالوا:

بل حرام، فجلدهم، و ندموا على لجاجتهم، و قال: ليحدثنّ فيكم يا أهل الشام حدث، فحدث عام الرمادة، و أقسم عمر أن لا يذوق سمنا و لا لبنا و لا لحما حتى يحيا الناس. فقدمت السوق عكة سمن و وطب من لبن، فاشترها غلام لعمر بأربعين درهما ثم أتى عمر

فقال: يا أمير المؤمنين قد أبرّ الله يمينك و عظم أجرك، قدم السوق و طب من لبن و عكّه من سمن

(١). معناه. IdoBte .suM .rB

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٦

(١) ابتعثهما بأربعين درهما. فقال عمر: أغليت «١» [١] بهما فتصدّق بهما فأبى أن آكل إسرافا. وقال: كيف يعينني شأن الرعيّة إذا لم يصبني ما أصابهم! و كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة و من حولها و يستمدّهم، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولّاه قسمتها فيمن حول المدينة، فقسمها و انصرف إلى عمله، و تابع الناس و استغنى أهل الحجاز، و أصلح عمرو بن العاص بحر القلزم و أرسل فيه الطعام إلى المدينة، فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر، و لم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان، فذلّوا و تقاصروا، و كان الناس بذلك و عمر كالمحصور عن أهل الأمصار.

فقال أهل بيت من مزيّنة لصاحبهم، و هو بلال بن الحارث: قد هلكتنا فاذبح لنا شاء. قال: ليس فيهنّ شيء. فلم يزالوا به حتى ذبح فسليخ عن عظم أحمر، فنأدى: يا محمّداه! فأرى في المنام أنّ رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، أتاه فقال: أبشر بالحيا [٢]، آيت عمر فأقرئه مني السلام و قل له إنّي عهدتك و أنت وفّي [٣] العهد شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر! فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلّامه: استأذن لرسول رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فأتى عمر فأخبره، ففرغ و قال: رأيت به مسأ؟ قال: لا، فأدخله و أخبره الخبر، فخرج فنأدى في الناس و صعد المنبر فقال: نشدتكم الله الذي هداكم هل رأيتم [منى] شيئا تكرهون؟ قالوا: اللهم لا، و لم ذاك؟ فأخبرهم،

[١] اعيلت.

[٢] أبشر بالحياة. (و الحيا: المطر).

[٣] في.

(١). أغلبت. B

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٧

(١) ففطنوا و لم يفتن عمر، فقالوا: إنّما استبطأك في الاستسقاء فاستسقى بنا. فنأدى في الناس، و خرج معه العباس ماشيا فخطب و أوجز و صلّى ثمّ جثا لركبتيه و قال: اللهمّ عجرت عنا أنصارنا و عجز عنا حولنا و قوتنا و عجزت عنا أنفسنا و لا حول و لا قوّة إلّا بك، اللهمّ فاسقنا و أحي العباد و البلاد! و أخذ بيد العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و إنّ دموع العباس لتتحدّر على لحيته، فقال: اللهمّ إنّنا نتقرب إليك بعمّ نبيك، صلّى الله عليه و سلّم، و بقيّة آبائه و كبر رجاله فإنّك تقول و قولك الحقّ: و أمّا الجدار فكان لغلّامين يتيّمين في المدينة [١] فحفظتهما بصلاح آبائهما، فاحفظ اللهمّ نبيك، صلّى الله عليه و سلّم، في عمّه، فقد دلونا به إليك مستشفعين مستغفرين. ثمّ أقبل على الناس فقال: استغفروا ربّكم إنّّه كان غفّارا.

و كان العباس قد طال عمره و عيناه تذرّفان و لحيته تجول على صدره و هو يقول: اللهمّ أنت الراعي فلا تهمل الضالّة و لا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد صرخ الصغير و رقّ الكبير و ارتفعت الشكوى، و أنت تعلم السرّ و أخفى، اللهمّ فأغنهم بغناك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فإنّه لا ييأس إلّا القوم الكافرون.

فنشأت طريرة من سحاب، فقال الناس: ترون ترون! ثمّ التأمّت و مشّت فيها ريح ثمّ هدأت و درّت، فو الله ما تروّحوا حتى اعتنقوا الجدار و قلّصوا المآزر، فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانهم و يقولون: هنيئا لك ساقى الحرمين! فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن

أبى لهب:

بعمى سقى الله الحجاز و أهله عشية يستسقى بشيئته عمر

[١] (سورة الكهف ١٨، الآية ٨٢).

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٨

(١)

توجه بالعباس فى الجذب راغبا «١» إليه فما [١] إن رام حتى أتى المطر
و منا رسول الله فينا تراثه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

ذكر طاعون عمواس

فى هذه السنة كان طاعون عمواس بالشام، فمات فيه أبو عبيدة بن الجراح، و هو أمير الناس، و معاذ بن جبل، و يزيد بن أبى سفيان، و الحارث ابن هشام، و سهيل بن عمرو، و عتبة بن سهيل، و عامر بن غيلان الثقفى، مات و أبوه حى، و تفانى الناس منه.
قال طارق بن شهاب: أتينا أبا موسى فى داره بالكوفة نتحدث عنده فقال: لا عليكم أن تخفوا [٢] فقد أصيب فى الدار إنسان، و لا عليكم أن تنزهوا من هذه القرية فتخرجوا فى فصح بلادكم و نزهها حتى يرفع هذا الوباء، و سأخبركم بما يكره و يتقى، من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات، و يظن من أقام فأصابه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظن المسلم هذا فلا عليه أن يخرج، إني كنت مع أبى عبيدة بالشام عام طاعون عمواس، فلما اشتعل الوجد و بلغ ذلك عمر كتب إلى أبى عبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أما بعد فقد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا أنت نظرت فى كتابى هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل. فعرف أبو عبيدة

[١] ممّا.

[٢] تخفقوا.

(١). راعيا. B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٥٩

(١) ما أراد فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، قد عرفت حاجتك إلى و إتى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فى و فيهم أمره و قضاءه، فحللتى [١] من عزيمتك. فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، أ مات أبو عبيدة؟ فقال: لا، و كأن قد.

و كتب إليه عمر ليرفعن بالمسلمين من تلك الأرض، فدعا أبا موسى فقال له: ارتد للمسلمين منزلا. قال: فرجعت إلى منزلى لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت. فرجعت إليه فقلت له: و الله لقد كان فى أهلى حدث.

فقال: لعل صاحبتك أصيبت؟ قلت: نعم. قال: فأمر ببعيره فرحل له.

فلما وضع رجله فى غرزه طعن، فقال: و الله لقد أصبت! ثم سار بالناس حتى نزل الجابية، و كان أبو عبيدة قد قام فى الناس فقال: أيها الناس، إن هذا الوجد رحمة ربكم و دعوة نبيكم و موت الصالحين قبلكم، و إن أبا عبيدة سأل الله أن يقسم له منه حظّه فطعن فمات. و استخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيبا بعده فقال: أيها الناس، إن هذا الوجد رحمة ربكم و دعوة نبيكم و موت الصالحين

قبلكم، وإن معاذًا يسأل الله أن يقسم لآل معاذ حظهم. فطعن ابنه عبد الرحمن فمات، ثم قام فدعا به لنفسه فطعن فى راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول: ما أحب أن لى بما فيك شيئاً من الدنيا. فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فخرج بالناس إلى الجبال، ورفعه الله عنهم، فلم يكره عمر ذلك من عمرو.

وقد قيل: إن عمر بن الخطاب قدم الشام، فلما كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد فيهم أبو عبيدة بن الجراح، فأخبروه بالوباء وشدته، وكان معه المهاجرون والأنصار، خرج غازيا، فجمع المهاجرين الأولين والأنصار فاستشارهم، فاختلفوا عليه، فمنهم القائل: خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا، ومنهم

[١] فخلينى.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦٠

(١) القائل: إنه بلاء وفناء فلا نرى أن تقدم عليه. فقال لهم: قوموا، ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعود، فنادى عمر فى الناس: إئتى مصبح على ظهر. فقال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله؟ فقال: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أ رأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت المخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف فقال: إن النبى، صلى الله عليه وسلم، قال: إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه.

فانصرف عمر بالناس إلى المدينة.

وهذه الرواية أصح، فإن البخارى ومسلما أخرجاها فى صحيحهما [١]، ولأن أبا موسى كان هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام، لكن هكذا ذكره وإنما أوردناه لنبه عليه «١».

(عمواس بفتح العين المهملة والميم والواو، وبعد الألف سين مهملة.

وسرغ بفتح السين المهملة، وسكون الراء المهملة، وآخره غين معجمة).

ومعنى قوله: دعوة نبيكم،

حين جاءه جبرائيل فقال: فناء أمتك بالطعن أو الطاعون. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: فبالطاعون.

ولما هلك يزيد بن أبى سفيان استعمل عمر أخاه معاوية بن أبى سفيان على دمشق وخارجها، واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخارجها.

وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله قط، وطمع له العدو فى المسلمين لطول مكثه، مكث شهورا، وأصاب الناس بالبصرة مثله، وكان عدده من مات فى طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفا.

[١] صحيحهما.

B.mO.(١)

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦١

(١)

ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون

لما هلك الناس فى الطاعون كتب أمراء الأجناد إلى عمر بما فى أيديهم من المواريث، فجمع الناس و استشارهم و قال لهم: قد بدا لى أن أطوف على المسلمين فى بلدانهم لأنظر فى آثارهم، فأشيروا علىّ، و فى القوم كعب الأحبار، و فى تلك السنة أسلم، فقال كعب: يا أمير المؤمنين، بأيها تريد أن تبدأ؟ قال:

بالعراق. قال: فلا- تفعل فإنّ الشرّ عشرة أجزاء، تسعة منها بالمشرق و جزء بالمغرب، و الخير عشرة أجزاء، تسعة بالمغرب و جزء بالمشرق، و بها قرن الشيطان و كلّ داء عضال.

فقال علىّ: يا أمير المؤمنين، إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة، و إنّها لقبية الإسلام، لياتينها يوم لا يبقى مسلم إلّا و حنّ إليها، لينتصرنّ بأهلها [١] كما انتصر بالحجارة من قوم لوط. فقال عمر: إنّ مواريث أهل عمواس قد ضاعت، أبدأ بالشام فأقسم المواريث و أقيم لهم ما فى نفسى ثم أرجع فأقلب [٢] فى البلاد و أبدى [٣] إليهم أمرى.

فسار عن المدينة و استخلف عليها علىّ بن أبى طالب و اتخذ أيلة طريقا، فلما دنا منها ركب بعيره و على رحله [٤] فرو مقلوب و أعطى غلامه مركبه، فلما تلقاه الناس قالوا: أين أمير المؤمنين؟ قال: أمامكم، يعنى نفسه، فساروا أمامهم، و انتهى هو إلى أيلة فنزلها، و قيل للمتلقين [٥]: قد دخل أمير المؤمنين إليها و نزلها، فرجعوا [إليه]. و أعطى عمر الأسقف بها قميصه، و قد تحرق

[١] لينصرنّ أهلها.

[٢] فانقلب.

[٣] و أبتدى.

[٤] رجله.

[٥] للمتلقين.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦٢

(١) ظهره، ليغسله و يرقعه، ففعل، و أخذه و لبسه، و خاط [١] له الأسقف قميصا غيره فلم يأخذه. فلما قدم الشام قسم الأرزاق، و سمى الشواتى و الصوائف، و سدّ فروج الشام و مسالحها، و أخذ يدورها، و استعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كلّ كورة، و استعمل معاوية، و عزل شرحبيل بن حسنة و قام بعذره «١» فى الناس و قال: إنى لم أعزله عن سخطة و لكنى أريد رجلا أقوى من رجل. و استعمل عمرو بن عتبة على الأهراء. و قسم مواريث أهل عمواس، فورث بعض الورثة من بعض، و أخرجها إلى الأحياء من ورثة كلّ منهم. و خرج الحارث بن هشام فى سبعين من أهل بيته فلم يرجع منهم إلّا أربعة. و رجع عمر إلى المدينة فى ذى القعدة.

و لما كان بالشام و حضرت الصلاة قال له الناس: لو أمرت بلالا فأذن، فأمره فأذن، فما بقى أحد أدرك النبىّ، صلى الله عليه و سلّم، و بلال يؤذن إلّا و بكى حتى بلّ لحيته، و عمر أشدهم بكاء، و بكى من لم يدركه بيكائهم و لذكروهم رسول الله، صلى الله عليه و سلّم. قال الواقديّ: إنّ الرهاء و حرّان و الرقة فتحت هذه السنة على يد عياض ابن غنم، و إنّ عين الوردة، و هى رأس عين، فتحت فيها على يد عمير ابن سعد، و قد تقدّم شرح فتحها.

فى هذه السنة فى ذى الحجة حوّل عمر المقام إلى موضعه اليوم، و كان ملصقا بالبيت. و فيها استقضى عمر شريح بن الحارث الكنديّ على الكوفة، و على البصرة كعب بن سور الأزديّ. و كانت الولاة [٢] على الأمصار الولاة [الذين كانوا عليها] فى السنة قبلها. و حجّ بالناس عمر بن الخطاب.

[١] و أخاط.

[٢] ولاء.

(١). يعرفه B.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦٣

(١)

١٩ ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال بعضهم: إن فتح جلولاء والمدائن كان [فى] هذه السنة [على يد سعد]، وكذلك فتح الجزيرة، وقد تقدم ذكر فتح الجميع و الخلاف فيه. وقيل: فيها كان فتح قيسارية على يد معاوية، وقيل: سنة عشرين، وقد تقدم أيضا ذكر ذلك سنة ست عشرة. وفى هذه السنة سالت حرّة ليلي، وهى قريب المدينة، نارا، فأمر عمر بالصدقة، فتصدق الناس فانطفأت.

وحجّ بالناس هذه السنة عمر. وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم.

وفىها قتل صفوان بن المعطل السلمي، وقيل: بل مات سنة ستين آخر خلافة معاوية. وفىها مات أبى بن كعب، وقيل: بل مات سنة عشرين، وقيل: اثنتين وعشرين، وقيل: اثنتين وثلاثين، والله أعلم.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦٤

(١)

٢٠ ثم دخلت سنة عشرين**ذكر فتح مصر**

قيل: فى هذه السنة فتحت مصر فى قول بعضهم على يد عمرو بن العاص والإسكندرية أيضا، وقيل: فتحت الإسكندرية سنة خمس وعشرين، وقيل: فتحت مصر سنة ست عشرة فى ربيع الأول، وبالجملة فينبغى أن يكون فتحها قبل عام الرمادة لأن عمرو بن العاص حمل الطعام فى بحر القلزم من مصر إلى المدينة، والله أعلم، وقيل غير ذلك.

وأما فتحها فإنه لما فتح عمر بيت المقدس وأقام به أياما وأمضى عمرو ابن العاص إلى مصر وأتبعه الزبير بن العوام فأخذ المسلمون باب اليون وساروا إلى مصر فلقبهم هناك أبو مريم، جاثلق مصر، ومعه الأسقف بعثه المقوقس لمنع بلادهم، فلما نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم: لا- تعجلونا حتى نعذر إليكم، وليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام، فكفوا، وخرجا إليه، فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية، وأخبرهما بوصية النبي، صلى الله عليه وسلم، بأهل مصر بسبب هاجر أم إسماعيل، عليه السلام، فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا [١] الأنبياء، أمّا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: مثلى لا يخدع ولكنى أو جلكما ثلاثا لتنظرا. فقالا: زدنا، فزادهما يوما، فرجعا

[١] إلى.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦٥

(١) إلى المقوقس. فأبى أربطون أن يجييهما وأمر بمناهدتهم، فقال لأهل مصر:

أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم. فلم يفجأ عمرا إلا البيات وهو على عدّة «١»، فلقوه فقتل أربطون وكثير ممن معه وانهزم الباقون، و سار عمرو والزبير إلى عين الشمس وبها جمعهم، وبعث إلى فرما أبرهه بن الصباح، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية، فنزل

عليها. قيل: و كان الإسكندر و فرما أخوين، و نزل عمرو بعين الشمس، فقال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى [١] قتال قوم هزموا كسرى و قيصر و غلبوهم على بلادهم! فلا تعرض لهم و لا تعرّضنا [لهم]- و ذلك فى اليوم الرابع- [فأبى] و ناهدوهم و قاتلوهم. فلَمَّا التقى المسلمون و المقوقس بعين الشمس و اقتتلوا جال المسلمون، فذمرهم عمرو، فقال له رجل من اليمن: إننا لم نخلق من حديد. فقال له عمرو: اسكت، إنَّما أنت كلب. قال: فأنت أمير الكلاب. فنادى عمرو بأصحاب النبى، صلى الله عليه و سلّم، فأجابوه، فقال: تقدّموا فبكم ينصر الله، فتقدّموا و فيهم أبو بردة و أبو برزة و تبعهم الناس، و فتح الله على المسلمين و ظفروا و هزموا المشركين، فارتقى الزبير بن العوّام سورها، فلَمَّا أحسّوه فتحوا الباب لعمرو و خرجوا إليه مصالحين، فقبل منهم، و نزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا صلحا بعد ما أشرفوا على الهلكة، فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى الصلح فصاروا ذمّة، و أجروا من دخل فى صلحهم من الروم و التّوبة مجرى أهل مصر، و من اختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه. و اجتمعت خيول المسلمين بمصر و بنوا الفسطاط و نزلوه، و جاء أبو مريم

[١] إلّا.

(١). حده. B

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦٦

(١) و أبو مريم إلى عمرو و طلبا منه السبايا التى أصيبت بعد المعركة، فطردهما، فقالا: كلّ شيء أصبتموه منذ فارقناكم إلى أن رجعنا إليكم ففى ذمّة.

فقال عمرو لهما: أغيرون علينا و تكونون فى ذمّة؟ قالوا: نعم. فقسم عمرو ابن العاص السبى على الناس و تفرّق فى بلدان العرب. و بعث بالأخماس إلى عمر بن الخطّاب و معها وفد، فأخبروا عمر بن الخطّاب بحالهم كلّهم و بما قال أبو مريم، فردّ عمر عليهم سبى من لم يقاتلهم فى تلك الأيام الأربعة و ترك سبى من قاتلهم فردّوهم.

و حضرت القبط باب عمرو، و بلغ عمرا أنّهم يقولون: ما أرث العرب! ما رأينا مثلنا دان لهم. فخاف أن يطمعهم ذلك فأمر بجزر فطبخت و دعا أمراء الأجناد فأعلموا أصحابهم فحضروا عنده و أكلوا أكلا عربيا، انتشلوا و حسوا [١] و هم فى العباء بغير سلاح، فازداد طمعهم، و أمر المسلمين [أن] يحضروا الغد فى ثياب [أهل] مصر و أحذيتهم [٢]، ففعلوا، و أذن لأهل مصر فرأوا شيئا غير ما رأوا بالأمس، و قام عليهم القوّام [٣] بألوان مصر فأكلوا أكل أهل مصر، فارتاب القبط، و بعث أيضا إلى المسلمين: تسلّحوا للعرض غدا، [و غدا على العرض]، و أذن لهم فعرضهم عليهم و قال لهم: علمت حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب فخشيت أن تهلكوا فأحببت أن أريكم حالهم فى أرضهم كيف كانت، ثمّ حالهم فى أرضكم، ثمّ حالهم فى الحرب، فقد رأيتم ظفرهم بكم و ذلك عيشهم و قد كلبوا على بلادكم بما نالوا فى اليوم الثانى، فأردت أن تعلموا أنّ ما رأيتم فى اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثانى و راجع إلى عيش اليوم الأوّل.

[١] ابشلوا و حشوا.

[٢] فحضروا الغد فى باب مصر و احديتهم.

[٣] العوام.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦٧

(١) فتفرّقوا و هم يقولون: لقد رمتكم العرب برجلهم. و بلغ عمر ذلك فقال: و الله إنّ حربته للينة [١] ما لها سطوة و لا سورة كسورات

الحروب من غيره.

ثم إن عمرا سار إلى الإسكندرية، و كان من بين الإسكندرية و الفسطاط من الروم و القبط قد تجمّعوا له و قالوا: نغزوه قبل أن يغزونا و يروم الإسكندرية.

فالتقوا و اقتتلوا، فهزمهم و قتل منهم مقتلة عظيمة، و سار حتى بلغ الإسكندرية، فوجد أهلها معدّين لقتاله. فأرسل المقوقس إلى عمرو يسأله الهدنة إلى مدّة، فلم يجبه إلى ذلك و قال: لقد لقينا ملككم الأكبر هرقل فكان منه ما بلغكم.

فقال المقوقس لأصحابه: صدق فنحن أولى بالإذعان. فأغلظوا له فى القول و امتنعوا، فقاتلهم المسلمون و حصروهم ثلاثة أشهر، و فتحها عمرو عنوة و غنم ما فيها و جعلهم ذمّة.

و قيل: إن المقوقس صالح عمرا على اثني عشر ألف دينار على أن يخرج من الإسكندرية من أراد الخروج و يقيم من أراد القيام، و جعل فيها عمرو جندا.

و لما فتحت مصر غزوا التوبة فرجع المسلمون بالجراحات و ذهاب الحدق لجودة رميهم، فسّمّوهم رماء الحدق.

فلما ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أيام عثمان صالحهم على هديّة عدّة رءوس فى كلّ سنة، و يهدى إليهم المسلمون كلّ سنة طعاما مسّمى و كسوة، و أمضى ذلك الصلح عثمان و من بعده من ولاة الأمور.

و قيل: إن المسلمين لما انتهوا إلى بلهيب و قد بلغت سباياهم إلى اليمن أرسل صاحبهم إلى عمرو: إننى كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إليّ منكم: فارس و الروم، فإن أحببت الجزية على أن تردّ ما سبيتم من أرضى الكامل فى التاريخ ج ٢ ٥٦٧ ذكر فتح مصر ص : ٥٦٤

[١] للتيّة.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦٨

(١) فعلت. فكتب عمرو إلى عمر يستأذنه فى ذلك، و رفعوا الحرب إلى أن يرد كتاب عمر. فورد الجواب من عمر: لعمري جزية قائمة أحبّ إلينا من غنيمته تقسم ثم كأنّها لم تكن، و أمّا السبى فإن أعطاك ملكهم الجزية على أن تخيروا من فى أيديكم منهم بين الإسلام و دين قومه فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين و من اختار دين قومه فضع عليه الجزية، و أمّا من تفرّق فى البلدان فإننا لا نقدر على ردّهم. فعرض عمرو ذلك على صاحب الإسكندرية، فأجاب إليه، فجمعوا السبى و اجتمعت النصارى و خيروهم واحدا واحدا، فمن اختار المسلمين كبروا، و من اختار النصارى نخروا [١] و صار عليه جزية، حتى فرغوا.

و كان من السبى أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن، فاختر الإسلام و صار عريف زبيد. و كان ملوك بنى أمية يقولون: إن مصر دخلت عنوة و أهلها عبيدنا نزيد [٢] عليهم كيف شئنا. و لم يكن كذلك.

ذكر عدّة حوادث

و فى هذه السنة، أعنى سنة عشرين، غزا أبو بحريّة عبد الله بن قيس أرض الروم، و هو أوّل من دخلها فيما قيل، و قيل: أوّل من دخلها ميسرة بن

[١] تجزّوا.

[٢] نريد.

الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص: ٥٦٩

(١) مسروق العبسي فسبي و غنم. و قيل: فيها عزل عمر قدامة بن مظعون من البحرين و حدّه في الخمر و استعمل أبا بكره على البحرين و اليمامة. و فيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. و فيها عزل عمر سعد بن أبي وقاص عن الكوفة لشكايتهم إياه و قالوا: لا يحسن يصلّي.

و فيها قسم عمر خبير بين المسلمين و أجلي اليهود عنها و قسم وادى القرى.

و فيها أجلي يهود نجران إلى الكوفة. و فيها بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة، و كانت تطرقت بلاد الإسلام فأصيب المسلمون، فجعل عمر على نفسه أن لا يحمل في البحر أحدا أبدا، يعنى للغزو، و قيل سنة إحدى و ثلاثين.

(مجزز بجيم و زابين الأولى مكسورة مشددة).

و فيها مات أسيد بن حضير، أسيد تصغير أسد. و حضير بالحاء المهملة المضمومة، و الضاد المفتوحة، و الراء. و فيها مات هرقل و ملك ابنه قسطنطين.

و فيها ماتت زينب بنت جحش و نزل في قبرها أسامة بن زيد و ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش.

و حج بالناس عمر. و كان عماله على الأمصار من كان قبل هذه السنة إلّا من ذكرت أنه عزله. و كان قضاة فيها القضاء في السنة قبلها.

و فيها مات عياض بن غنم، و هو الذي فتح الجزيرة، و هو أول من أجاز الدرب إلى الروم. و فيها مات بلال بن رباح مؤذن النبي،

صلّى الله عليه و سلّم، بدمشق، و قيل بحلب. و فيها مات أنيس بن مرثد بن أبي مرثد الغنوي، و له و لأبيه و لجدّه صحبة، و قتل أبوه

في غزوة الرجيع. و فيها مات سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي، شهد فتح خيبر، و كان فاضلا، و كان على حمص حتى مات، و قيل:

مات سنة تسع عشرة، و قيل: سنة إحدى و عشرين و عمره أربعون سنة. و فيها مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

و فيها ماتت صفية بنت عبد المطلب عمّة النبي، صلّى الله عليه و سلّم. و فيها

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص: ٥٧٠

(١) قتل المظهر بن رافع الأنصاري، قدم من الشام و معه من علوج الشام، فلما كان بخيبر أمرهم قوم من اليهود فقتلوه، فأجلاهم عمر.

(المظهر بضم الميم، و فتح الظاء المعجمة، و تشديد الهاء، و آخره راء مهملة).

تمّ المجلد الثاني

الكامل في التاريخ، ج ٣، ص: ٥

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبَحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ

الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه

المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و

بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠

الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب

الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلاية المبتدلة أو الردية - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...
- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقه و مكتبته، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الدينية كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فاني / بنايه "القائمة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، وغير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً مترائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩